يطبع لأول مرة محققاً

إتحاف السادة المتقين

للسيد الإمام

محمد بن محمد بن محمد المرتضى الحسيني الزبيدي

بشرح

إحياء علوم الدين

لحجة الإسلام الإمام

محمد بن محمد بن محمد الطوسي الغزالي

تحقيق

أشرف محمد أحمد

راجعه ودققه

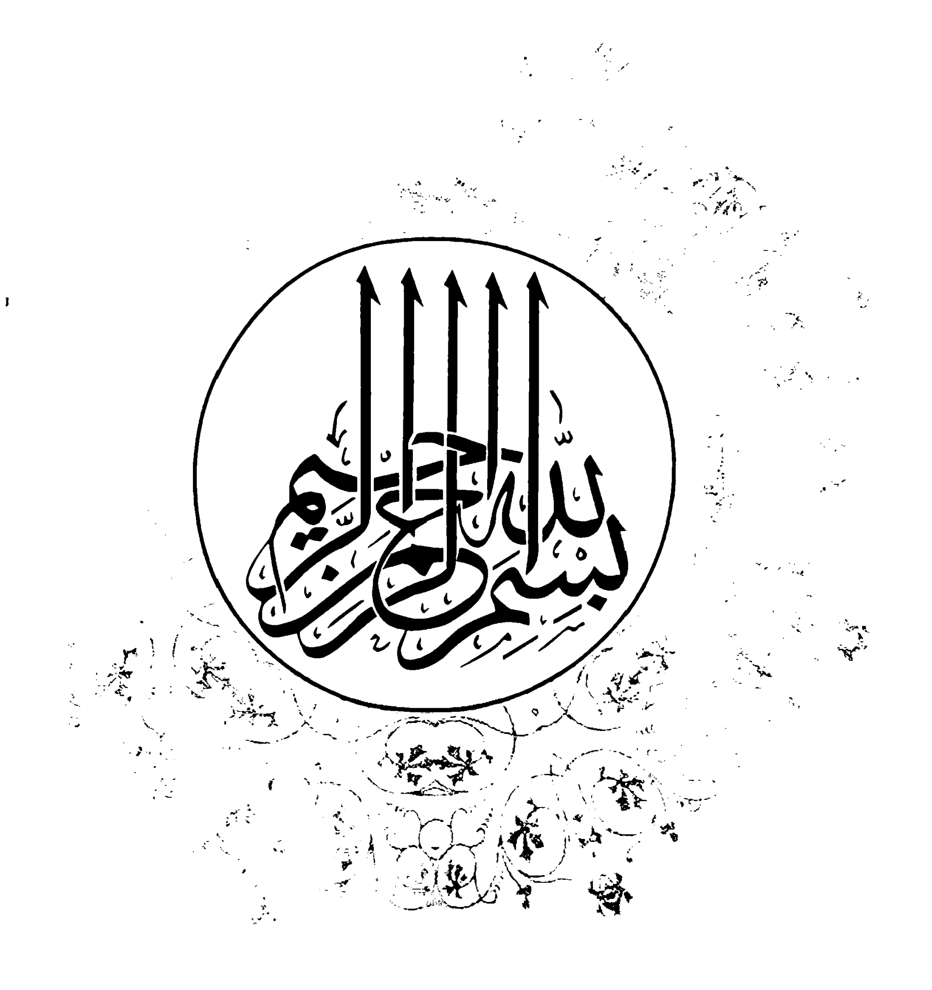
عثمان أيوب البوريني

محمد سميح الشيخ حسين



2024

المجلد الرابع عشر وفيه كتاب الألفة والأخوة


بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب آداب الألفة والإخوة والصحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق

وفيه ثلاثة أبواب:

الباب الأول:

فضيلة الألفة والأخوة وشروطها ودرجاتها وفوائدها

الباب الثاني:

حقوق الأخوة والصحبة

الباب الثالث:

حق المسلم والرحم والجوار والملك، وكيفية المعاشرة مع من يدلي بهذه الأسباب

١٥- كتاب آداب الألفة والإخوة والصحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق (١)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وصلىٰ الله علىٰ سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم. الحمد لله الذي خصَّ خواص عباده بخصوصيات المواهب فضلاً، وإحسانًا، وأفاض علىٰ هواجسهم عوارف الفيوضات اللدنية آنًا فآنًا، ونوَّر بصائرهم بحقائق معارفه فاغترفوا بمقاطر الألفة الإلهية مشاهدة وعيانًا، وأودع قلوبهم من أسرار محبته الذاتية جواهر حسانًا، تزري قلائد عقودها المزينة ياقوتًا وعقيانًا. والصلاة والسلام الأَتَمَّان الأكملان علىٰ حبيبه وصفيِّه ونجيِّه أبي القاسم عبد الله محمد، الذي اختاره واصطفاه ورقَّاه مراتب وأعيانًا، ثم بعثه متممًا لمكارم الأخلاق إلىٰ كافة الخلق إنسًا وجانًّا، وهدىٰ به السبيل الأقوم لمن سبقت له العناية من الأزل رحمة وامتنانًا، وأحيا به طرق الإيمان بعد أن جُهلت مكانًا ووهت أركانًا، وعلىٰ آله السادة المتقين الذين جعل الله محبتهم للسعادة الكبرىٰ عنوانًا، وأصحابه الأكرمين الذين فازوا بقُربه من الكرامة شرفًا ورضوانًا.

---

(١) انظر الكلام عن الإخوة والصحبة في: قوت القلوب ٣/ ١٥٤٧ - ١٦٠٢. عوارف المعارف ص ٢٩٤ - ٣٠٧.

أما بعد، فهذا شرح كتاب آداب الصحبة والإخوة والمعاشرة مع أصناف الخلق، وهو الخامس من الربع الثاني من كتاب الإحياء للإمام حُجة الإسلام أبي حامد الغزالي، سقىٰ الله جَدَثه صوب رحماه المتتالي، قصدتُ فيه كشف ما أُبهم في طي مبانيه، وتوضيح ما أُودِع في سر معانيه، وعزو ما فيه من الأخبار والآثار إلىٰ نَقَلتها الأئمة الأخيار، وتبيين ما عسىٰ أن يشكل علىٰ بعض الأذهان من دقائق أسرار تقف عندها أبكار نبلاء الزمان، شرعتُ فيه وإن كان في النطق حصر وفي اللسان قصر، مستعينًا بالله خير مُعين، واردًا من مناهل مواهبه أصفىٰ مَعين.

قال المصنف رحمه الله تعالىٰ: (**بسم الله الرحمن الرحيم**) اقتداءً بعنوان الكتاب الكريم، وامتثالاً لما ورد في الابتداء بها من خبر السيد العظيم ﷺ (**الحمد لله الذي عمَّ صفوةَ عباده**) أصل الصفاء: الخلوص من الشوب[١] وهو الاختلاط، والمراد خلاصة عباده الذين اصطفاهم من الأزل وصفَّاهم من شوب الغير واختارهم لقُربه. والعموم والشمول مترادفان، والمعنىٰ: شملهم (**بلطائف التخصيص**) اللطائف جمع لطيفة، فعيلة من اللُّطف[٢] بالضم وهو الرفق والرأفة، ويعبَّر عنه بما يقع عنده صلاح العبد آخرةً. والتخصيص: التفرُّد ببعض الشيء بما لا يشاركه غيرُه في الجملة[٣]. والمراد هنا ما يعطَىٰ أهل [الله] من علو قدْر وشرف منزلة مما يختصُّون به دون غيرهم (**طَوْلاً**) بالفتح أي فضلاً (**وامتنانًا**) هو مرادف للطَّول (**وألَّف بين قلوبهم**) أي جعل قلوبهم مائلة لبعضها غير نافرة (**فأصبحوا**) أي صاروا (**بنعمته**) أي بمحض فضله وكرمه (**إخوانًا**) كأنهم أشقاء في كمال الأنس والمحبة. اقتبس ذلك من قوله تعالىٰ: ﴿فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]

---

(١) التوقيف علىٰ مهمات التعاريف ص ٢١٦.

(٢) السابق ص ٢٨٩.

(٣) في المفردات للراغب ص ١٤٩: «تفرد بعض الشيء بما لا يشاركه فيه الجملة».

وعبارة المناوي في التوقيف ص ٩٣: «تفرد بعض الأشياء ...» والباقي مثل عبارة الراغب.

(**ونزع الغِل**) بالكسر هو الحقد (**من صدورهم**) أي من بواطنهم (**فظلُّوا**) أي صاروا (**في الدنيا أصدقاء**) جمع صديق وهو الذي يصحبك بالصدق (**وأخدانًا**) جمع خِدن بالكسر وهو صاحب السر (**وفي الآخرة رفقاء**) جمع رفيق (**وخُلاَّنًا**) جمع خليل، كنديم ونُدمان. وفي الجملة اقتباس من قوله تعالىٰ: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ۝٤٧﴾ [الحجر: ٤٧] (**والصلاة**) مع السلام (**علىٰ**) سيدنا (**محمد**) عبده (**المصطفىٰ**) يقال: اصطفاه: إذا تناول صفوه. و«اصطفىٰ الله عبده» يحتمل معنيين: قد يكون بمعنىٰ أتاه صافيًا عن شوائب الكدورات، وقد يكون بمعنىٰ تخليصه منها، وكِلا المعنيين جاريان في لقبه ﷺ (**وعلىٰ آله وأصحابه الذين اتبعوه**) أي سلكوا طريقته (**واقتدوا به**) في سلوكهم في سائر شؤونهم وأحوالهم (**قولاً وفعلاً وعدلاً وإحسانًا**).

أما بعد، فإن التحابُب) تفاعُل من الحب وهو ميل القلب، أو إحساس بوصلة لا يُدرَىٰ كُنْهها[1] (**في الله تعالىٰ**) أي في ذاته لا لغرض عاجل أو آجل (**والأخوة في دينه من أفضل القربات**) جمع قُربة بالضم، أي أفضل ما يتقرَّب به إلىٰ الله تعالىٰ (**وألطف**) أي أرقّ وأحسن (**ما يُستفاد**) أي يحصل (**من الطاعات**) المُرضية التي بها يُتقرَّب إلىٰ الله تعالىٰ (**في مجاري العادات**) جمع مَجرىٰ، مصدر ميميٌّ. والعادات جمع عادة وهي كل ما تكرَّر واستمر عليه الناس، واشتقاقها من عاد يعود: إذا رجع (**ولها شروط بها يلتحق المتصاحبون بالمتحابِّين في الله**) أي بمرتبتهم، وسيأتي ذِكر المتحابِّين في الله قريبًا (**وفيها حقوق بمراعاتها**) والوقوف بإزائها (**تصفو الأخوةُ**) أي تخلُص (**عن شوائب الكدورات**) أصل[2] الشَّوْب: الخلط وإن قلَّ، فاعلة بمعنىٰ

---

(١) التعريف الثاني ذكره البقاعي في نظم الدرر ٢/ ٣٠٢.

(٢) المصباح المنير للفيومي ص ٣٢٦، وقد اختصر الشارح كلامه اختصارا مخلا، وهذا نصه: «شابه شوبا: خلطه، مثل شُوب اللبن بالماء، فهو مشوب، والعرب تسمي العسل شوبا؛ لأنه عندهم مزاج للأشربة، وقولهم: ليس فيه شائبة ملك، يجوز أن يكون مأخوذا من هذا ومعناه: ليس فيه شيء مختلط به وإن قل كما ليس له فيه عُلقة ولا شبهة، وأن تكون فاعلة بمعنىٰ مفعولة، مثل =

مفعولة، مثل عيشة راضية، وقال الجوهري[١]: الشوائب جمع شائبة وهي الأدناس والأقذار. والكدورات جمع كدورة: كل ما يكدِّر النفسَ (**ونزغات الشياطين**) أي عن وساوسهم وإفساداتهم (**فبالقيام بحقوقها**) الآتي ذِكرها (**يُتقرَّب إلىٰ الله زُلفَىٰ**) أي قربىٰ (**وبالمحافظة عليها تُنال الدرجات العلَىٰ**) أي العالية (**ونحن نبيِّن مقاصد هذا الكتاب في ثلاثة أبواب، الباب الأول**) منها: (**في**) بيان (**فضيلة الألفة والأخوة في الله تعالىٰ وشروطها ودرجاتها وفوائدها. الباب الثاني: في**) بيان (**حقوق الصحبة وآدابها ولوازمها**) وفي بعض النسخ: في حقوق آداب الصحبة وحقيقتها ولوازمها (**الباب الثالث: في**) بيان (**حق المسلم**) علىٰ المسلم (**و**) حق (**الرحم و**) حق (**الجوار و**) حق (**المِلك وكيفية المعاشرة مع من يدلي**) أي يتقرَّب (**بهذه الأسباب**).

= عيشة راضية، هكذا استعمله الفقهاء، ولم أجد فيه نصا. نعم، قال الجوهري: الشائبة واحدة الشوائب وهي الأدناس والأقذار».

(١) الصحاح ١/ ١٥٩.

الباب الأول:

في فضيلة الألفة والأخوة وفي شروطها ودرجاتها وفوائدها

بيان (فضيلة الألفة والأخوة) في الله تعالىٰ

(**اعلم أن الألفة**) بضم الهمزة وكسرها: اتفاق[١] الآراء في المعاونة علىٰ تدبير المعاش (**ثمرة حُسن الخلق**) فحسن الخلق هو الأصل بمنزلة الشجرة، وثمرتها الألفة (**والتفرُّق**) علىٰ البعض (**ثمرة سوء الخلق**) فإنه يُحمل علىٰ ذلك (**فحسن الخلق يوجب التَّحابَّ والتآلُف والتوافق**) وبها يتم نظامُ المعاش (**وسوء الخلق يثمر التباغض والتحاسد والتدابر**) وبها يَفسد نظامُ المعاش (**ومهما كان المثمَر محمودًا كانت الثمرة محمودة**) لا محالة (**وحسن الخلق لا تخفَىٰ في الدين فضيلتُه**) ومقامه (**وهو الذي مدح الله سبحانه به نبيَّه ﷺ؛ إذ قال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾**) [القلم: ٤] أخرج[٢] ابن مردويه وأبو نعيم في الدلائل[٣] والواحدي[٤] من حديث عائشة ﵂ قالت: ما كان أحد أحسن خلقًا من رسول الله ﷺ، ما دعاه أحد من أصحابه ولا من أهل بيته إلا قال: لبيك، فلذلك أنزل الله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾. وأخرج ابن أبي شيبة[٥] وعبد بن حميد ومسلم[٦] وابن المنذر والحاكم[٧] وابن

---

(١) التعريفات للجرجاني ص ٣٥.

(٢) الدر المنثور ١٤/ ٦٢٢ - ٦٢٤.

(٣) دلائل النبوة ص ١٨١ عن عروة بن الزبير، وليس عن عائشة.

(٤) أسباب النزول ص ٤٦٣ (ط - دار الكتب العلمية).

(٥) مصنف ابن أبي شيبة ١٢/ ٤٠٠.

(٦) صحيح مسلم ١/ ٣٣٦.

(٧) المستدرك علىٰ الصحيحين ٢/ ٥٨٦.

مردويه من حديث سعد بن هشام رضي الله عنه قال: أتيت عائشة فقلت: يا أم المؤمنين، أخبريني بخلق رسول الله ﷺ. قالت: كان خلقه القرآن، أما تقرأ القرآن ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾. وأخرج ابن المبارك[١] وعبد بن حميد وابن المنذر والبيهقي في الدلائل[٢] عن عطية العوفي في قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ قال: علىٰ أدب القرآن. وأخرج ابن المنذر عن ابن عباس ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ قال: القرآن. وأخرج ابن جرير[٣] وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه من طرق عن ابن عباس قال: [دين عظيم وهو الإسلام. وأخرج عبد بن حميد عن مجاهد قال]: الدين. وأخرج عبد بن حميد عن أبي مالك قال: الإسلام. وأخرج عبد بن حميد عن ابن أبزَىٰ وسعيد بن جبير قالا: علىٰ دين عظيم.

(**وقال النبي ﷺ: أكثر ما يُدخِل الناس الجنة تقوىٰ الله وحُسن الخلق**) قال العراقي[٤]: رواه الترمذي[٥] والحاكم[٦] من حديث أبي هريرة، وقال: صحيح الإسناد. وقد تقدم.

(**وقال أسامة بن شريك**) الثعلبي[٧] بالمثلثة والمهملة، صحابي، تفرَّد بالرواية عنه زياد بن علاقة علىٰ الصحيح، روىٰ له الأربعة (**قلنا: يا رسول الله، ما خير ما أُعطي الإنسان؟ فقال: حُسن الخلق**) وفي نسخة: خلق حَسن. قال العراقي[٨]: رواه

---

(١) الزهد والرقائق ص ٢١٧.

(٢) دلائل النبوة ١/ ٣١٠.

(٣) جامع البيان ٢٣/ ١٥٠.

(٤) المغني ١/ ٤٦٣.

(٥) سنن الترمذي ٣/ ٥٣٦. وقال: صحيح غريب.

(٦) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٤٦٩.

(٧) تقريب التهذيب ص ١٢٤.

(٨) المغني ١/ ٤٦٣.

ابن ماجه[١] بإسناد صحيح.

(**وقال ﷺ: بُعثت لأتمِّم مكارم الأخلاق**) بعدما[٢] كانت ناقصة أو أجمعها بعد التفرقة، وقال بعضهم: أشار به إلىٰ أن الأنبياء قبله بُعثوا بمكارم الأخلاق، وبقيت بقية فبُعث ﷺ بما كان معهم وبتمامها. وقال الحكيم الترمذي[٣]: أنبأنا به أن الرسل قد مضت ولم تتمِّم هذه الأخلاق فبُعث بإتمام ما بقي عليهم.

قال العراقي[٤]: رواه أحمد والبيهقي والحاكم وصحَّحه من حديث أبي هريرة. انتهىٰ.

قلت: لكن لفظهم جميعًا «إنما بُعثت». قال الحافظ السخاوي[٥]: أورده مالك في الموطأ[٦] بلاغًا عن النبي ﷺ. وقال ابن عبد البر[٧]: هو متصل من وجوه صِحاح عن أبي هريرة [وغيره] مرفوعًا. منها ما أخرجه أحمد في مسنده[٨] والخرائطي في أول المكارم[٩] من حديث محمد بن عجلان عن القعقاع بن حكيم عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعًا: «إنما بُعثت لأتمم صالح الأخلاق»، ورجاله رجال الصحيح.

---

(١) سنن ابن ماجه ٥/ ١١٥.

(٢) فيض القدير ٢/ ٥٧٢.

(٣) نوادر الأصول ص ١١٠٧ - ١١٠٨، ونصه: «أنبأنا في قوله هذا أن الرسل قد مضت ولم يتمموا هذه الأخلاق، كأنه بقيت عليهم من هذا العدد بقية فأمر أن يتممها، يعلمنا في قوله هذا أن تلك الأخلاق التي كانت في الرسل هي فيه ثم هو مبعوث لإتمام ما بقي عليهم».

(٤) المغني ١/ ٤٦٣.

(٥) المقاصد الحسنة ص ١٠٥.

(٦) الموطأ ٢/ ٩٠٤.

(٧) التمهيد ٢٤/ ٣٣٣.

(٨) مسند أحمد ١٤/ ٥١٢ - ٥١٣.

(٩) مكارم الأخلاق ص ٢٧.

قلت: وكذلك رواه ابن سعد في الطبقات[١] والبخاري في الأدب المفرد[٢].

ثم قال السخاوي: وللطبراني في الأوسط[٣] بسند فيه عمر بن إبراهيم القرشي -وهو ضعيف- عن جابر مرفوعًا: «إن الله بعثني بتمام مكارم الأخلاق وكمال محاسن الأفعال»، ومعناه صحيح، وقد عزاه الديلمي لأحمد عن معاذ، وما رأيتُه فيه[٤]. انتهىٰ.

قال الحرالي[٥]: صالح الأخلاق هي صلاح الدين والدنيا والمعاد التي جمعها في قوله: «اللهم أصلِحْ لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي هي معاشي، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي».

تنبيه: قال الشيخ الأكبر قُدِّس سره[٦]: معنىٰ الحديث أنه لما قُسمت الأخلاق إلىٰ مكارم وإلىٰ سفساف وظهرت مكارم الأخلاق كلها في شرائع الرسل وتبيَّن سفسافها من مكارمها عندهم، وما في العالَم إلا أخلاق الله وكلها مكارم فما ثَم سفساف أخلاق، فبُعث نبيُّنا ﷺ بالكلمة الجامعة إلىٰ الناس كافة، وأوتي جوامع الكلم، وكل نبي تقدَّمه علىٰ شرع خاص، فأخبر ﷺ أنه بُعث ليتمِّم صالح الأخلاق؛ لأنها أخلاق الله، فالحق ما قيل فيه إنه سفساف أخلاق بمكارم أخلاق، فصار الكل مكارم أخلاق، فما ترك ﷺ في العالَم سفساف أخلاق جملة واحدة لمن عرف مقصد الشرع، فأبان لنا مصارف لهذا المسمَّىٰ سفسافًا من نحو حرص وحسد وشَرَه وبخل وكل صفة مذمومة، فأعطانا لها مصارف إذا أجريناها عليها

---

(١) الطبقات الكبرىٰ ١/ ١٦٣.

(٢) الأدب المفرد ص ٩٠.

(٣) المعجم الأوسط ٧/ ٧٤.

(٤) قد رواه ابن عبد البر في التمهيد ٢٤/ ٣٣٥ عن معاذ بلفظ: «إنما بعثت علىٰ تمام محاسن الأخلاق».

(٥) نظم الدرر للبقاعي ١/ ٦٣.

(٦) الفتوحات المكية ٢/ ٤٠٥.

عادت مكارم أخلاق وزال عنها اسم الذم فكانت محمودة، فتمَّم الله به مكارم الأخلاق فلا ضد لها، كما أنه لا ضد للحق، لكن منا مَن عرف المصارف ومنا مَن جهلها.

(وقال ﷺ: **أثقل ما يوضع في الميزان خلق حسن**) وفي بعض النسخ: أثقل شيء في الميزان الخلق الحسن. قال العراقي[١]: رواه أبو داود[٢] والترمذي[٣] [من حديث أبي الدرداء] وقال: حسن صحيح.

(وقال ﷺ: **ما حسَّن اللهُ خَلْق**) بفتح[٤] فسكون (**امرئ**) أي رجل (و) لا (**خُلُقه**) بضمهما (**فتطعمه النارُ**) أي تأكله. قال الطيبي[٥]: استعار الطعم للإحراق مبالغةً كأنَّ الإنسان طعامها تتغذَّىٰ [به وتتقوَّىٰ] به، نحو قوله تعالىٰ: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [البقرة: ٢٤، التحريم: ٦] أي الناس كالوقود والحطب الذي تشتعل به النار.

قال العراقي[٦]: رواه ابن عدي[٧] والطبراني في مكارم الأخلاق[٨] وفي الأوسط[٩] والبيهقي في شعب الإيمان[١٠] من حديث أبي هريرة، قال ابن عدي: في إسناده بعض النُّكرة. انتهىٰ.

---

(١) المغني ١/ ٤٦٣.

(٢) سنن أبي داود ٥/ ٢٧٦.

(٣) سنن الترمذي ٣/ ٥٣٥.

(٤) فيض القدير ٥/ ٤٤١.

(٥) شرح مشكاة المصابيح ٦/ ١٨٢٨.

(٦) المغني ١/ ٤٦٣.

(٧) الكامل في الضعفاء ٣/ ٩٥٠.

(٨) مكارم الأخلاق ص ٣١٥ (ط - دار الكتب العلمية).

(٩) المعجم الأوسط ٧/ ٣٧.

(١٠) شعب الإيمان ١٠/ ٣٩٠.

قلت: وكذلك ابن عساكر[١]، كلهم من طريق هشام بن عمار عن عبد الله بن يزيد البكري عن أبي غسَّان محمد بن مطرف المسمعي عن داود بن فراهيج عن أبي هريرة بزيادة «أبدًا» في آخر الحديث، وهو ظرف وضعُه للمستقبل، ويُستعمل للماضي مجازًا، وهو مبالغة. وفي الميزان[٢]: داود بن فراهيج ضعيف، وقال ابن عدي: لا أرىٰ بمقدار ما يرويه بأسًا، وله حديث فيه نكرة. ثم ساق له هذا الخبر. انتهىٰ. وأورده ابن الجوزي في الموضوعات[٣]، وتعقَّبه الجلال السيوطي[٤] بأن ورد من طريق آخر. وذكر المسلسل بالاتِّكاء، كما سيأتي ذِكره. قلت: وقد رُوي من حديث ابن عمر ومن حديث عائشة ومن حديث الحسن بن علي ومن حديث أنس. أما حديث ابن عمر فأخرجه ابن عدي[٥]، ولفظه: «ما حسَّن الله خَلق عبد وخُلقه فأطعم لحمَه النارَ».

وأما حديث عائشة فأخرجه الشيرازي في الألقاب، ولفظه: «ما حسَّن الله وجه امرئ مسلم فيريد عذابه».

وأما حديث الحسن بن علي فأخرجه الخطيب في التاريخ[٦]، ولفظه: «ما حسَّن الله خلق عبد وخلقه إلا استحيا أن تطعم النارُ لحمَه».

وطرق هذه الألفاظ كلها ضعيفة، لكن تقوىٰ بتعدُّدها وتكثُّرها.

وأما حديث أنس فأخرجه الخطيب[٧] أيضًا.

---

(١) تاريخ دمشق ٥٣/ ١٤٢.

(٢) ميزان الاعتدال ٢/ ١٩.

(٣) الموضوعات ١/ ١٦٤.

(٤) اللآلئ المصنوعة ١/ ١١٨ - ١١٩.

(٥) الكامل في الضعفاء ٢/ ٧٥١، ولفظه: «ما أحسن الله خلق رجل وخلقه فأطعمه النار».

(٦) تاريخ بغداد ١٤/ ٢٢٧.

(٧) السابق ٤/ ٣٦٧، ولفظه: «ما حسن الله خلق امرئ ولا خلقه فأطعم لحمه النار».

وقال السيوطي: قال السِّلَفي: قرأت علىٰ أبي الفتح الغزنوي [بأصبهان] وهو متكئ، قرأت علىٰ [أبي الحسين علي بن محمد بن نصر وهو متكئ، قرأت علىٰ] حمزة بن يوسف وهو متكئ، قرأت علىٰ علىٰ بن أحمد وهو متكئ، قرأت علىٰ الحسن بن الحجاج الطبراني وهو متكئ، قرأت علىٰ أبي العلاء الكوفي وهو متكئ، قرأت علىٰ عاصم بن علي وهو متكئ، قرأت علىٰ الليث ابن سعد وهو متكئ، قرأت علىٰ بكر بن الفرات وهو متكئ، قرأت علىٰ أنس ابن مالك وهو متكئ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما حسَّن الله خَلق رجل ولا خُلقه فتطعمه النار». حديث غريب التسلسل، ورجاله ثقات. هذا كلام السيوطي.

قلت: أخرجه الحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي في مسلسلاته عن أبي بكر محمد بن عبد الله الحافظ إجازة عن أبي الفتح القرشي عن أبي ظافر عن السلفي بشرط التسلسل. ثم قال: رواه مسلسلاً كذلك أبو علي الحسن بن علي البرذعي، عن أبي بكر محمد بن عدي بالبصرة، عن الحسن بن الحجاج الطبراني به. تابعهما أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن الحسين بن [الحسن بن] حسنويه فرواه مسلسلاً عن أبي علي الحسن بن الحجاج بن غالب الطبري به.

(**وقال ﷺ: يا أبا هريرة، عليك بحسن الخلق. قال أبو هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: وما حُسن الخلق يا رسول الله؟ قال: تصل مَن قطعك، وتعفو عمَّن ظلمك، وتعطي مَن حرمك**) قال العراقي[١]: رواه البيهقي في الشعب[٢] من رواية الحسن عن أبي هريرة، ولم يسمع منه. انتهىٰ.

قلت: هكذا قاله عبد الرحمن بن أبي حاتم[٣] عن أبيه في ترجمة الحسن أنه

---

(١) المغني ١/ ٤٦٤.

(٢) شعب الإيمان ١٠/ ٤١٨، ولفظه: «ألا أدلكم علىٰ مكارم الأخلاق في الدنيا والآخرة؟ قالوا: بلىٰ يا رسول الله. قال: صل من قطعك، وأعط من حرمك، واعف عمن ظلمك».

(٣) الجرح والتعديل ٣/ ٤١.

لا يصح له سماع من أبي هريرة.

(**ولا يخفىٰ أن ثمرة حسن الخلق الألفة**) واجتماع الكلمة (**وانقطاع الوحشة**) من البين وارتفاع الكلفة والمشقة (**ومهما طاب المثمَر طابت الثمرة، كيف وقد ورد في الثناء علىٰ نفس الألفة سيَّما إذا كانت الرابطة**) لها (**هي الدين والتقوىٰ، وحب الله تعالىٰ من الآيات والأخبار والآثار ما فيه كفاية ومَقنع، قال الله تعالىٰ**) في كتابه العزيز (**مُظهِرًا عظيم منَّته علىٰ الخلق بنعمة الألفة**) إذ ألَّف بين قلوبهم بعد أن كانوا متفرقين: (﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ﴾ [**الأنفال: ٦٢ - ٦٣**] **وقال**: ﴿فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٠٣] **أي بالألفة**) متفقين، وعلىٰ البر والتقوىٰ مصطحبين (**ثم**) ضم التذكرة بالنعم عليهم إلىٰ تقواه، وأمر بالاعتصام بحبله وهداه و(**ذم التفرقة وزجر عنها**) إذ جمعتهم الدارُ، وقرن ذلك بالمنة منه عليهم إذ أنقذهم من شفا حفرة النار، وقد جعل ذلك كلَّه من آياته الدالة عليه سبحانه وسبله الواصلة بالهداية إليه (**فقال عزَّ مِن قائل**) في مجمل ما شرحناه: (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ﴾ **إلىٰ قوله**: ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾﴾) وهو قوله: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢ - ١٠٣].

(**وقال ﷺ: إن أقربكم مني مجلسًا أحاسنكم أخلاقًا، الموطئون أكنافًا، الذين يألفون ويؤلَفون**) قوله[1] «أحاسنكم» جمع أحسن أفعل من الحُسن، والأخلاق جمع خُلُق وهي أوصاف الإنسان التي يعامل بها غيره، وهو محمود ومذموم[2].

---

(١) فيض القدير ٣/ ٤٦٤ - ٤٦٥.

(٢) المفهم للقرطبي ٦/ ١١٦.

والموطئون من التوطئة وهي [التمهيد و] التذليل، وفِراش وَطِيء: لا يؤذي جنب النائم. والأكناف: الجوانب، أراد الذين جوانبهم وطيئة يتمكَّن فيها من يصاحبهم ولا يتأذَّىٰ[١]، وهو من أحسن المبالغة[٢].

قال العراقي[٣]: رواه الطبراني في مكارم الأخلاق[٤] من حديث جابر [بسند ضعيف]. انتهىٰ.

قلت: ورواه البيهقي[٥] عن ابن عباس بلفظ: «خياركم أحاسنكم أخلاقًا، الموطئون أكنافًا، وشراركم الثرثارون [المتفيهقون المتشدقون]». ويُروَىٰ في حديث جابر أيضًا بلفظ: «أحبكم إليَّ وأقربكم مني مجلسًا». وفي آخر: «وأبغضكم إليَّ وأبعدكم مني أساوئكم أخلاقًا».

(وقال ﷺ: المؤمن آلِف مألوف، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلَف) قال[٦] الماوردي[٧]: بيَّن به أن الإنسان لا تصلح حاله إلا الألفة الجامعة، فإنه مقصود بالأذيَّة، محسود بالنعمة، فإذا لم يكن آلفًا مألوفًا تخطَّفته أيدي حاسديه، وتحكَّمت فيه أهواء أعاديه، فلم تَسلم له نعمة، ولم تَصْفُ له مدة، وإذا كان آلفًا مألوفًا انتصر بالألفة علىٰ أعاديه، وامتنع بها من حاسديه، فسلمت نعمتُه منهم، وصَفَتْ مدته عنهم، وإن كان صفو الزمان كدرًا، ويُسره عسرًا، وسِلمه خطرًا، والعرب تقول: مَن قلَّ ذلَّ. انتهىٰ.

---

(١) النهاية في غريب الحديث ٥/ ٢٠١.

(٢) في الفيض: البلاغة.

(٣) المغني ١/ ٤٦٤.

(٤) مكارم الأخلاق ص ٣١٤.

(٥) شعب الإيمان ١٠/ ٣٥٩.

(٦) فيض القدير ٦/ ٢٥٣.

(٧) أدب الدنيا والدين ص ١٦٢.

قال العراقي[١]: رواه أحمد[٢] والطبراني[٣] من حديث سهل بن سعد، والحاكم[٤] من حديث أبي هريرة وصحَّحه. ا.هـ.

قلت: أخرجه[٥] الحاكم في المستدرك من طريق أبي صخر عن أبي حازم عن أبي هريرة، وقال: إنه صحيح علىٰ شرطهما، ولا أعلم له علة. وتعقَّبه الذهبي بأن أبا حازم هو المديني لا الأشجعي، وهو لم يلقَ أبا هريرة، ولا لقيه أبو صخر. وقال الحافظ السخاوي: وقد رواه العسكري من طريق الزبير بن بكَّار عن خالد ابن وضَّاح عن أبي حازم بن دينار فقال: عن أبي صالح عن أبي هريرة، بل هو عند البيهقي في الشعب[٦] والقضاعي[٧] والعسكري من حديث عبد الملك ابن أبي كريمة عن ابن جريج عن عطاء عن جابر مرفوعًا بلفظ: «المؤمن آلِف مألوف، ولا خير فيمَن لا يألف ولا يؤلَف، وخير الناس أنفعهم للناس». وليست الجملة الأخيرة منه عند العسكري[٨]. انتهىٰ.

قلت: وقد رواه هكذا بتمامه الدارقطني في الأفراد[٩] والضياء في المختارة.

(**وقال ﷺ في الثناء علىٰ الأخوة في الدين: من أراد الله به خيرًا رزقه خليلاً صالحًا إن نسي ذكَّره، وإن ذكر أعانه**) هكذا هو في القوت. وفي نسخة العراقي:

---

(١) المغني ١/ ٤٦٤.

(٢) مسند أحمد ٣٧/ ٤٩٢.

(٣) المعجم الكبير ٦/ ١٣١.

وعندهما: المؤمن مألفة.

(٤) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٦٧.

(٥) المقاصد الحسنة للسخاوي ص ٤٤٠.

(٦) شعب الإيمان ١٠/ ١١٦.

(٧) مسند الشهاب ١/ ١٠٨.

(٨) بعده في المقاصد: ولا أثبت ابن جريج بين عبد الملك وعطاء.

(٩) أطراف الغرائب والأفراد ١/ ٣١٠.

أخًا صالحًا، وقال[١]: هو غريب بهذا اللفظ، والمعروف أن ذلك في الأمير، رواه أبو داود[٢] من حديث عائشة: «إذا أراد الله بالأمير خيرًا جعل له وزير صدق إن نسي ذكَّره، وإن ذكر أعانه ...» الحديث، ضعَّفه ابن عدي[٣]. ولأبي عبد الرحمن السلمي في آداب الصحبة[٤] من حديث علي: «من سعادة المرء أن يكون إخوانه صالحين». انتهىٰ.

قلت: وباقي حديث عائشة: «وإذا أراد به غير ذلك جعل له وزير سوء، إن نسي لم يذكِّره، وإن ذكر لم يُعِنْه». وقد رواه البيهقي[٥] أيضًا.

(وقال ﷺ: مَثَلُ الأخوين إذا التقيا مثل اليدين تغسل إحداهما الأخرىٰ، وما التقىٰ مؤمنان قط إلا أفاد الله أحدهما من صاحبه خيرًا) هكذا هو في القوت.

قال العراقي[٦]: رواه أبو عبد الرحمن السلمي في آداب الصحبة[٧] والديلمي في مسند الفردوس[٨] من حديث أنس، وفيه أحمد بن محمد بن غالب الباهلي، كذاب، وهو من قول سلمان الفارسي في الأول من الحربيات. انتهىٰ.

قلت: وأخرجه ابن شاهين في الترغيب والترهيب[٩] من طريق دينار عن أنس مرفوعًا: «مثل المؤمنينِ إذا التقيا مثل اليدين تغسل إحداهما الأخرىٰ». ودينار أبو

---

(١) المغني ١/ ٤٦٤.

(٢) سنن أبي داود ٣/ ٤٢٧.

(٣) الكامل في الضعفاء ٣/ ١٠٧٦، ١٠٧٨.

(٤) آداب الصحبة ص ٥٢ (ط - دار الصحابة للتراث بطنطا).

(٥) السنن الكبرىٰ ١٠/ ١٩١.

(٦) المغني ١/ ٤٦٥.

(٧) آداب الصحبة ص ٩٥ بالشطر الأول فقط.

(٨) الفردوس بمأثور الخطاب ٤/ ١٣٢ بالشطر الأول فقط.

(٩) الترغيب في فضائل الأعمال ص ١٢٧.

مكيس قال ابن حبان[١]: يروي عن أنس أشياء موضوعة. انتهىٰ. والباهلي هذا يُعرف بغلام خليل، قال الدارقطني[٢]: كان يضع الحديث. وأما الذي في أول الحربيات فقال أبو الحسن علي بن عمر بن محمد السكري الحريري[٣]، حدثنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار، ثنا يحيىٰ بن معين، ثنا وهب بن جرير، ثنا أبي قال: سمعت الأعمش يحدث عن عمرو بن مرة، عن أبي البختري، عن سلمان قال: مَثَل المسلم - أو المؤمن - وأخيه كمثل الكفَّينِ تنقِّي إحداهما الأخرىٰ». قلت: وقد رواه بهذا اللفظ أبو نعيم من حديث سلمان مرفوعًا.

(وقال ﷺ في الترغيب في الأخوة في الله: مَن آخَىٰ أخًا في الله رفعه الله درجة في الجنة لا ينالها بشيء من عمله) قال العراقي[٤]: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الإخوان من حديث أنس: «ما أحدث عبدٌ أخًا في الله عَزَّوَجَلَّ إلا أحدث الله عَزَّوَجَلَّ له درجة في الجنة»[٥]. وإسناده ضعيف. انتهىٰ.

قلت: ورواه أيضًا الديلمي في مسند الفردوس[٦]، وسيأتي للمصنف قريبًا.

(وقال أبو إدريس) عائذ[٧] الله بن عبد الله بن عمرو **(الخَوْلاني)** العَوْذي،

---

(١) المجروحون من المحدثين ١/ ٣٦٢.

(٢) سؤالات الحاكم للدارقطني ص ٩٠.

(٣) أخرجه ابن الشجري في الأمالي الخميسية ٢/ ١٩٩ من طريقه، ولكن فيه: «أبو الحسن علي بن عمر بن محمد بن الحسين الشكري، قال الحريري وأبو حفص عمر بن محمد بن علي الزيات قالا: حدثنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار ...» الخ.

(٤) المغني ١/ ٤٦٥.

(٥) لفظ الحديث في كتاب الإخوان ص ٧٤: «ما أحدث رجل أخا في الله عَزَّوَجَلَّ إلا بنىٰ الله له بيتا في الجنة». وقد رواه باللفظ الذي ذكره العراقي أبو طاهر السلفي في الطيوريات ٤/ ١٣٦٩. ولكن فيه «المسلم» بدل: عبد. ورواه الطبراني في مسند الشاميين ١/ ١٠٥ بلفظ: «من أحدث الله له أخا في الله رفع الله له به درجة في الجنة».

(٦) الفردوس بمأثور الخطاب ٤/ ٦٠.

(٧) تهذيب الكمال ١٤/ ٨٨ - ٩٣.

قال الزهري: كان قاص أهل الشام وقاضيهم في خلافة عبد الملك، قال ابن معين وغيره: مات سنة ثمانين. روىٰ له الجماعة (**لمعاذ**) بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، اختُلف في سماع أبي إدريس من معاذ، فقال أبو زُرعة الدمشقي: لم يصحَّ له سماع من معاذ، وإذا حدَّث عنه أسند ذلك إلىٰ يزيد بن عميرة الزُّبيدي[١]. وقال الزهري: أدرك أبو إدريس عبادة بن الصامت وأبا الدرداء وشداد بن أوس، وفاته معاذُ بن جبل. وقال أبو عمر ابن عبد البر[٢]: سماع أبي إدريس من معاذ صحيح عندنا من رواية أبي حازم وغيره، ولعل رواية الزهري عنه أنه قال: فاتني معاذ، أراد في معنىٰ من المعاني، وأما لقاؤه وسماعه منه فصحيح غير مدفوع، وقد سُئل الوليد ابن مسلم، وكان عالمًا بأيام أهل الشام: هل لقي أبو إدريس معاذًا؟ فقال: نعم، أدرك معاذًا وأبا عبيدة وهو ابن عشر سنين، وُلد يوم حنين، سمعت سعيد بن عبد العزيز يقول ذلك (**إني أحبك في الله. فقال له: أبشِرْ ثم أبشر، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: يُنصَب لطائفة**) أي لجماعة (**من الناس كراسي**) جمع كرسي (**حول العرش يوم القيامة، وجوههم كالقمر ليلة البدر**) وهي ليلة نصف الشهر (**يفزع الناس وهم لا يفزعون، ويخاف الناس وهم لا يخافون، أولئك أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. فقيل: مَن هؤلاء يا رسول الله؟ قال: هم المتحابُّون في الله**) قال العراقي[٣]: رواه أحمد[٤] والحاكم[٥] في حديث طويل أن أبا إدريس قال: قلت لمعاذ: واللهِ إني

---

(١) في تهذيب الكمال وتاريخ دمشق ٢٦/ ١٥٤: «إذا حدث عن معاذ من حديث الثقات الزهري وربيعة ابن يزيد أدخلا يزيد بن عميرة الزبيدي».

(٢) الاستيعاب ٢/ ٣٦١ - ٣٦٢، وعبارته: «اختلف في سماع أبي إدريس من معاذ، والصحيح أنه أدركه وروىٰ عنه وسمع منه، وقد يحتمل أن تكون رواية من روىٰ عنه: فاتني معاذ، أي فاتني في معنىٰ كذا أو خبر كذا؛ لأن أبا حازم وغيره روىٰ عنه أنه رأىٰ معاذ بن جبل وسمع منه، ومن أدرك أبا عبيدة فقد أدرك معاذا؛ لأنه مات قبله في طاعون عمواس، وقد سئل الوليد بن مسلم ...» الخ.

(٣) المغني ١/ ٤٦٥ - ٤٦٦.

(٤) مسند أحمد ٣٦/ ٣٢٦ - ٣٢٧، ٣٧/ ٤٤٦.

(٥) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٢٨٣ - ٢٨٥.

لأحبك في الله. قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن المتحابِّين بجلال الله في ظل عرشه يومَ لا ظل إلا ظله». وقال الحاكم: صحيح علىٰ شرط الشيخين. وهو عند الترمذي[1] من رواية أبي مسلم الخولاني عن معاذ بلفظ: «المتحابُّون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء». قال: حديث حسن صحيح. ولأحمد[2] من حديث أبي مالك الأشعري: «إن لله عبادًا ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء علىٰ منازلهم وقربهم من الله عَزَّوَجَلَّ ...» الحديث، وفيه: «تحابُّوا في الله وتصافوا به، يضع الله لهم يوم القيامة منابر من نور، فيجعل وجوههم نورًا، وثيابهم نورًا، يفزع الناس يوم القيامة ولا يفزعون، وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون». وفيه شهر بن حوشب، مختلَف فيه. انتهىٰ.

قلت: وروىٰ الطبراني في الكبير[3] من حديث معاذ: «إن المتحابِّين في الله في ظل العرش». ومن حديث أبي أيوب[4]: «المتحابُّون في الله علىٰ كراسي من ياقوت حول العرش».

وأخرج أبو نعيم في الحلية[5] في ترجمة سعيد الجريري عن عبد الله بن بريدة عن أبيه رفعه: «إن في الجنة غُرَفًا تُرَىٰ ظواهرها من بواطنها وبواطنها من ظواهرها، أعدَّها الله للمتحابِّين فيه، المتزاورين فيه، المتباذلين فيه».

(ورواه أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**)** عن النبي ﷺ **(فقال فيه: إن حول العرش منابر من نور عليها قوم لباسهم نور، ووجوههم نور، ليسوا بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم النبيُّون والشهداء. قالوا: يا رسول الله، صِفْهم لنا. قال: هم المتحابُّون في الله، والمتجالسون**

(١) سنن الترمذي ٤/ ١٩٧.

(٢) مسند أحمد ٣٧/ ٥٤٠ - ٥٤١.

(٣) المعجم الكبير ٢٠/ ٧٩.

(٤) السابق ٤/ ١٥٠.

(٥) حلية الأولياء ٦/ ٢٠٥.

فيه، والمتزاورون في الله) قال العراقي[١]: رواه النسائي في سننه الكبرىٰ[٢]، ورجاله ثقات. انتهىٰ.

قلت: وفي أول الحلية[٣] لأبي نعيم قال: حدثنا محمد بن جعفر بن إبراهيم، ثنا جعفر بن محمد بن شاكر الصائغ، ثنا مالك بن إسماعيل وعاصم بن علي قالا: ثنا قيس بن الربيع، ثنا عمارة بن القعقاع، عن أبي زُرعة بن عمرو بن جرير، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من عباد الله لأناسًا ما هم بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله تعالىٰ». فقال رجل: من هم؟ وما أعمالهم؟ لعلنا نحبهم. قال: «قوم يتحابُّون بروح الله من غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها بينهم، واللهِ إن وجوههم لَنورٌ، وإنهم لعلىٰ منابر من نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس». ثم قرأ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يونس: ٦٢].

(وقال ﷺ: ما تحابَّ اثنان في الله إلا كان أحبهما إلىٰ الله أشدهما حبًّا لصاحبه) قال العراقي[٤]: رواه ابن حبان[٥] والحاكم[٦] من حديث أنس وقال: صحيح الإسناد. انتهىٰ.

قلت: لفظ الحاكم في البر والصلة: «ما تحابَّ رجلان في الله إلا كان أفضلهما

---

(١) المغني ١/ ٤٦٦.

(٢) السنن الكبرىٰ ١٠/ ١٢٤ بلفظ: «إن من العباد عبادا يغبطهم الأنبياء والشهداء. قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: هم قوم تحابوا بروح الله علىٰ غير أموال ولا أنساب، وجوههم نور - يعني علىٰ منابر من نور - لا يخافون إن خاف الناس، ولا يحزنون إن حزن الناس. ثم تلا هذه الآية: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾».

(٣) حلية الأولياء ١/ ٥.

(٤) المغني ١/ ٤٦٦.

(٥) صحيح ابن حبان ٢/ ٣٢٥.

(٦) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٢٨٦.

أشدهما حبًّا لصاحبه»، وقال: صحيح. وأقرَّه الذهبي. وقد رواه أيضًا البخاري في الأدب[١] والبيهقي[٢] والطبراني في الأوسط[٣] وأبو يعلىٰ[٤] والبزار[٥]. قال الهيثمي[٦] كالمنذري[٧]: ورجال الأخيرينِ رجال الصحيح غير مبارك بن فضالة، وقد وثَّقه جماعة علىٰ ضعف فيه. وأخرجه أيضًا في المختارة[٨]. وفي المعجم الكبير[٩] للطبراني من حديث أبي عبيدة ومعاذ رفعاه: «ما تحابَّ رجلان في الله تعالىٰ إلا وضع الله لهما كرسيًّا فأُجلسا عليه حتىٰ يفرغ الله من الحساب».

(ويقال: إن الأخوين في الله تعالىٰ إذا كان أحدهما أعلىٰ مقامًا من الآخر رُفع الآخر معه إلىٰ مقامه، وإنه يلحق به كما تلحق الذرية بالأبوين والأهل بعضهم ببعض؛ لأن الأخوة إذا كانت) وفي نسخة: إذا اكتُسبت **(في الله لم تكن دون إخوة الولادة)** نقله صاحب القوت، إلا أنه قال: لأن الأخوة عمل كالولادة، وقد **(قال)** الله **(تعالىٰ)** بعد قوله (﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ﴾) [الطور: ٢١] أي ما نقصناهم.

(وقال ﷺ: إن الله تعالىٰ يقول: حقَّت محبتي) أي وجبت **(للذين يتزاورون من أجلي، وحقَّت محبتي للذين يتحابُّون من أجلي، وحقَّت محبتي للذين**

---

(١) الأدب المفرد ص ١٦٦.

(٢) شعب الإيمان ١١/ ٣٤٤.

(٣) المعجم الأوسط ٣/ ١٩٢.

(٤) مسند أبي يعلىٰ ٦/ ١٤٣.

(٥) مسند البزار ١٣/ ٢٩١.

(٦) مجمع الزوائد ١٠/ ٤٨٩.

(٧) الترغيب والترهيب ص ١١٠٤، وعبارته: «رواه الطبراني وأبو يعلىٰ، ورواته رواة الصحيح، إلا مبارك بن فضالة».

(٨) الأحاديث المختارة ٥/ ١٢٠.

(٩) المعجم الكبير ٢٠/ ٣٦.

يتناصرون من أجلي) قال العراقي[١]: رواه أحمد[٢] من حديث عمرو بن عبسة وحديث عبادة بن الصامت، ورواه الحاكم[٣] وصحَّحه.

قلت: حديث عبادة بن الصامت أخرجه أيضًا الطيالسي[٤] وابن منيع وابن حبان[٥] والطبراني[٦] والضياء[٧] بلفظ: «قال الله تبارك وتعالىٰ: حقَّت محبتي للمتحابِّين فيَّ، وحقت محبتي للمتواصلين فيَّ، وحقت محبتي للمتباذلين فيَّ، المتحابُّون فيَّ علىٰ منابر من نور، يغبطهم النبيُّون والصدِّيقون والشهداء». وفي[٨] رواية للطبراني: «قال الله تعالىٰ: وجبت محبتي للذين يتجالسون فيَّ، ووجبت محبتي للذين يتباذلون فيَّ، ووجبت محبتي للذين يتلاقون فيَّ». وفي لفظ له: «قال الله تعالىٰ: حقت محبتي للمتحابِّين فيَّ، وحقت محبتي للمتجالسين فيَّ، وحقت محبتي للمتزاورين فيَّ». وأخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الإخوان[٩] بلفظ: «قال الله تعالىٰ: حقت محبتي علىٰ المتحابِّين، أظلهم في ظل العرش يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظلي». وأخرجه البيهقي في الشعب[١٠] بلفظ: «حقت محبتي للمتحابِّين فيَّ، وحقَّت محبتي للمتصافيين فيَّ، وحقت محبتي للمتباذلين فيَّ». وأورده هكذا صاحب العوارف.

---

(١) المغني ١/ ٤٦٦.

(٢) مسند أحمد ٣٢/ ١٨٣، ٣٧/ ٤٤٥، ٤٤٧.

(٣) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٢٨٤.

(٤) مسند الطيالسي ١/ ٤٦٧.

(٥) صحيح ابن حبان ٣/ ٣٣٨.

(٦) مسند الشاميين ١/ ٣٦٣، ٤٢٣، ٣/ ٢٦٥، ٣٤١.

(٧) الأحاديث المختارة ٨/ ٣٠٦ - ٣٠٩.

(٨) كنز العمال ٩/ ١٧.

(٩) الإخوان ص ٥١.

(١٠) شعب الإيمان ١١/ ٣١٢، ولكن فيه «المتواطين» بدل: المتحابين.

وأما[١] حديث عمرو بن عبسة فقد أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الإخوان[٢] والطبراني في الكبير[٣] بلفظ: «يقول الله تعالىٰ: قد حقت محبتي للذين يتحابُّون من أجلي، وقد حقت محبتي للذين يتزاورون من أجلي، وقد حقت محبتي للذين يتباذلون من أجلي، وقد حقت محبتي للذين يتصادقون من أجلي، وقد حقت محبتي للذين يتناصرون من أجلي ...» ثم ساق الحديث بطوله.

وقد رُوي ذلك أيضًا من حديث معاذ، أخرجه أحمد[٤] وابن حبان[٥] والطبراني[٦] والحاكم[٧] والبيهقي[٨]، ولفظه: «قال الله تعالىٰ: وجبت محبتي للمتحابِّين فيَّ والمتجالسين فيَّ والمتباذلين فيَّ والمتزاورين فيَّ».

(**وقال ﷺ: إن الله تعالىٰ يقول يوم القيامة: أين المتحابُّون بجلالي؟ اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي**) قال العراقي[٩]: رواه مسلم[١٠] من حديث أبي هريرة. انتهىٰ.

قلت: ورواه أحمد[١١] وابن أبي الدنيا في كتاب الإخوان[١٢] والطبراني في

---

(١) كنز العمال ٩/ ١٧.

(٢) الإخوان ص ٥٠، ١٥٠، ٢٠١.

(٣) وأخرجه ببعض سياقه في المعجم الأوسط ٩/ ٤٠، والمعجم الصغير ٢/ ٢٣٩، ومسند الشاميين ١/ ٣٧٨.

(٤) مسند أحمد ٣٦/ ٣٥٩.

(٥) صحيح ابن حبان ٢/ ٣٣٥.

(٦) المعجم الكبير ٢٠/ ٨٠.

(٧) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٢٨٣.

(٨) شعب الإيمان ١١/ ٣١١.

(٩) المغني ١/ ٤٦٦.

(١٠) صحيح مسلم ٢/ ١١٩٤.

(١١) مسند أحمد ٢٨/ ٣٨٩.

(١٢) الإخوان ص ٣٩.

الكبير[١] وأبو نعيم في الحلية[٢] من حديث العِرباض، ولفظه: «يقول الله تعالىٰ: المتحابُّون بجلالي في ظل عرشي يوم لا ظل إلا ظلي».

(**وقال** ﷺ: **سبعة يظلُّهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل**) في رعيته وقومه لعموم[٣] نفعه وتعدِّيه (**وشاب**) وخصَّه لكونه مَظَنَّة غلبة الشهوة، فملازمة العبادة مع ذلك أشق وأدل علىٰ غلبة التقوىٰ (**نشأ في عبادة الله**) أي أفنىٰ شبابه ونشاطه في عبادة الله، كما في خبر سلمان (**ورجل قلبه معلَّق بالمسجد**) أشار إلىٰ طول الملازمة، شُبِّه بالشيء المعلَّق في المسجد كالقنديل (**إذا خرج منه حتىٰ يعود إليه**) كنَّىٰ به عن التردُّد إليه في جميع أوقات الصلاة، فيلازم المسجد، ولا يخرج منه إلا وهو ينتظر أخرىٰ فيصليها فيه، فهو ملازم للمسجد بقلبه وإن خرج منه بقالبه، فليس المراد دوام الجلوس فيه (**ورجلان تحابَّا**) أي أحبَّ كلٌّ منهما صاحبه (**في الله**) أي في طلب رضا الله أو لأجله، لا لغرض دنيوي (**اجتمعا علىٰ ذلك**) أي علىٰ الحب المذكور بقلوبهما (**وتفرَّقا عليه**) أي استمرَّا علىٰ محبَّتهما حتىٰ فرَّق بينهما الموتُ، ولم ينقطع تحابُّهما لعارض دنيوي. أو المراد: يحفظان الحب فيه في الغيبة والحضور. وعُدَّ هذين واحدًا لأن المحبة لا تتم إلا بينهما (**ورجل ذكر الله**) بلسانه أو قلبه حالةَ كونه (**خاليًا**) عن الناس أو عن الالتفات لما سوىٰ الله وإن كان في ملأ (**ففاضت عيناه**) أي الدموع من عينيه، فهو مجاز كـ: جرىٰ الميزابُ. زاد البيهقي: من خشية الله، وبكاؤه يكون عن خوف أو شوق أو عن محبة الله عَزَّوَجَلَّ (**ورجل دعته**) أي طلبته (**امرأة**) إلىٰ الزنا بها أو للنكاح فخاف[٤] العجز عن حقها أو الشغل عن العبادة بالكسب لها (**ذات حَسَب**) أي أصل أو مال، ورواية الصحيحين: ذات منصب (**وجمال**) أي مزيد حُسن (**فقال**) بلسانه زاجرًا لها، ويحتمل بقلبه

---

(١) المعجم الكبير ١٨/ ٢٥٨.

(٢) حلية الأولياء ٦/ ١١١.

(٣) فيض القدير ٤/ ٨٨. وانظر: فتح الباري ٢/ ١٦٩ - ١٧٣، وإرشاد الساري ٣/ ٢٥.

(٤) في الفيض: «إلىٰ الزنا بها، هذا هو الأظهر، لا ما قيل للنكاح فخاف».

زاجرًا لنفسه، ولا مانع من الجمع (**إني أخاف الله**) رب العالمين. وخص ذات الحسب والجمال لأن الرغبة فيها أشد، فالصبر عنها مع طلبها له أشق (**ورجل تصدَّق بصدقة**) أي تطوُّع؛ لأن الزكاة يُسن إظهارها، كما تقدم (**فأخفاها**) أي كتمها عن الناس (**حتىٰ لا تعلم**) بالرفع نحو: مرض [فلان] حتىٰ لا يرجونه، وبالنصب نحو: سِرتُ حتىٰ لا تغيب الشمس (**شِماله**) أيْ مَن بشماله (**ما تنفق يمينه**) ذكره مبالغةً في الإخفاء بحيث لو كان شماله رجلاً ما علمها، فهو من مجاز التشبيه.

قال العراقي[١]: متفق عليه من حديث أبي هريرة، وقد تقدم.

قلت: قد تقدم الكلام علىٰ ذلك في كتاب الزكاة مفصلاً، وقد رواه مالك في الموطأ[٢] والترمذي[٣] عن أبي هريرة أو عن أبي سعيد. ورواه أحمد[٤] والشيخان[٥] والنسائي[٦] عن أبي هريرة، ورواه مسلم عنهما معًا[٧]. ويُروَىٰ: «سبعة في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله: رجل ذكر الله ففاضت عيناه، ورجل يحب عبدًا لا يحبه إلا لله، ورجل قلبه معلَّق بالمساجد من شدة حبه إياها، ورجل يعطي الصدقة بيمينه فيكاد يخفيها عن شماله، وإمام مقسط في رعيَّته، ورجل عرضت عليه امرأة [نفسها] ذات منصب وجمال فتركها لجلال الله عَزَّوَجَلَّ، ورجل كان في سريَّة مع قوم فلقوا العدو فانكشفوا فحمىٰ أدبارهم حتىٰ نجا ونجوا أو استشهد». هكذا رواه ابن زنجويه[٨] عن الحسن مرسلاً وابن عساكر[٩] عن أبي هريرة. ويُروَىٰ: «سبعة

---

(١) المغني ١/ ٤٦٧.

(٢) الموطأ ٢/ ٩٥٢.

(٣) سنن الترمذي ٤/ ١٩٧.

(٤) مسند أحمد ١٥/ ٤١٤.

(٥) صحيح البخاري ١/ ٢١٩، ٤٤٠، ٤/ ٢٥٢. صحيح مسلم ١/ ٤٥٧.

(٦) سنن النسائي ص ٨٠٨.

(٧) الذي في صحيح مسلم (عن أبي هريرة أو عن أبي سعيد) علىٰ الشك.

(٨) الأموال لابن زنجويه ١/ ٦٦ (ط - مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية).

(٩) تاريخ دمشق ٦٦/ ٢٣٤.

يظلهم الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله: رجل قلبه معلَّق بالمساجد، ورجل دعتْه امرأة ذات منصب فقال: إني أخاف الله، ورجلان تحابَّا في الله، ورجل غضَّ عينيه عن محارم الله، وعين حرست في سبيل الله، وعين بكت من خشية الله». وهكذا رواه البيهقي في الأسماء[١] عن أبي هريرة. وباقي الكلام علىٰ هذا الحديث تقدم في كتاب الزكاة.

(وقال ﷺ: ما زار رجل رجلاً في الله شوقًا إليه ورغبة في لقائه إلا ناداه مَلَكٌ من خلفه: طِبْتَ وطاب مَمْشاك وطابت لك الجنة) قال العراقي[٢]: رواه ابن عدي[٣] من حديث أنس دون قوله «شوقًا إليه ورغبة في لقائه». وللترمذي[٤] وابن ماجه[٥] من حديث أبي هريرة: «مَن عاد مريضًا أو زار أخًا في الله ناداه منادٍ من السماء: طِبْتَ وطاب مَمْشاك وتبوَّأت من الجنة منزلاً». قال الترمذي: غريب.

قلت: وكذلك ابن جرير أيضًا.

(وقال ﷺ: إن رجلاً زار أخًا له في الله فأرصد الله له مَلَكًا فقال: أين تريد؟ فقال: أريد أن أزور أخي فلانًا) في الله **(فقال)**: تزوره **(لحاجة لك عنده)** دنيوية؟ **(فقال: لا. قال: لقرابة بينك وبينه؟ قال: لا. قال: بنعمة له عندك ترُبُّها؟ قال: لا. قال: فمَهْ)**؟ أي فما الذي حملك علىٰ أن تزوره؟ **(قال: أحبه في الله تعالىٰ. قال: إن الله أرسلني إليك يخبرك أنه يحبك بحبك إياه، وقد أوجب لك الجنة)** قال

---

(١) الأسماء والصفات ٢/ ٢٢٧.

(٢) المغني ١/ ٤٦٧.

(٣) الكامل في الضعفاء ٢/ ٦٥٦ بلفظ: «أيما عبد يزور أخاه في الله إلا قال الله في ملكوت عرشه: عبدي زارني، عليَّ قراه، ولن أرضىٰ لعبدي بقراه دون الجنة، ونادىٰ مناد من السماء: أن طبت وطابت لك الجنة». ورواه في موضع آخر ٦/ ٢٤٠٩ بلفظ قريب، مع تقديم وتأخير.

(٤) سنن الترمذي ٣/ ٥٣٩.

(٥) سنن ابن ماجه ٣/ ١٢. وليس عنده (أو زار أخا في الله).

العراقي[١]: رواه مسلم[٢] عن أبي هريرة. ا.هـ. ولفظه: «إن رجلاً زار أخًا له في الله تعالىٰ في قرية أخرىٰ، فأرصد الله تعالىٰ له علىٰ مَدرجته مَلَكًا [فلما أتىٰ عليه] قال: أين تريد؟ قال: أردتُ أخًا لي في هذه القرية. قال: هل بينك وبينه رحم تصلها أو له عليك نعمة ترُبُّها؟ قال: لا، [غير] أني أحببته في الله عَزَّوَجَلَّ. قال: فإني رسول الله إليك بأن الله تبارك وتعالىٰ قد أحبك كما أحببتَه فيه».

(**وقال** ﷺ: **أوثق عُرَىٰ الإيمان**) أي[٣] أقواها وأثبتُها وأحكَمُها، جمع عُروة، وهي في الأصل ما يعلَّق به نحو دلو أو كوز، فاستُعير لِما يُتمسك به من أمر الدين ويُتعلق به من شُعَب الإيمان (**الحب في الله والبغض في الله**) ولفظ القوت: وروينا عن رسول الله ﷺ أنه قال لأصحابه: «أيُّ عُرَىٰ الإيمان أوثق»؟ قالوا: الصلاة. قال: «حسنة، وليس به». قالوا: الحج والجهاد. قال: «حسن، وليس به». قالوا: فأخبِرْنا يا رسول الله. قال: «أوثق عُرَىٰ الإيمان الحب في الله تعالىٰ والبغض فيه».

قال العراقي[٤]: رواه أحمد[٥] من حديث البراء بن عازب، وفيه ليث بن أبي سليم، مختلَف فيه. والخرائطي في مكارم الأخلاق[٦] من حديث ابن مسعود بسند ضعيف.

قلت: حديث البراء قد أخرجه أيضًا الطيالسي[٧]، ولفظه: قال: «أتدرون أيُّ عُرَىٰ الإيمان أوثق»؟ قلنا: الصلاة. قال: «الصلاة حسنة، وليس بذلك». قلنا:

(١) المغني ١/ ٤٦٧.
(٢) صحيح مسلم ٢/ ١١٩٤. وليس فيه (هل بينك وبينه رحم تصلها).
(٣) فيض القدير ٣/ ٦٩.
(٤) المغني ١/ ٤٦٧.
(٥) مسند أحمد ٣٠/ ٤٨٨.
(٦) مكارم الأخلاق ص ٢٤٨، ولفظه: «أي عرىٰ الإيمان أوثق؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: الولاية في الولاية والحب فيه والبغض فيه».
(٧) مسند الطيالسي ٢/ ١١٠.

الصيام. فقال مثل ذلك، حتىٰ ذكرنا الجهاد، فقال مثل ذلك ... ثم ذكره.

وأخرج الطبراني في الكبير[١] من حديث ابن عباس: «أوثق عُرَىٰ الإيمان الموالاة في الله، والمعاداة في الله، والحب في الله، والبغض في الله».

(فبهذا يجب أن يكون للرجل أعداء يبغضهم في الله كما يكون له أصدقاء وإخوان يحبهم في الله) عَزَّوَجَلَّ.

(ورُوي أن الله تعالىٰ أوحىٰ إلىٰ نبي من الأنبياء) فيما تقدم: **(أما زهدك في الدنيا فقد تعجَّلتَ الراحة، وأما انقطاعك إليَّ فقد تعزَّزت بي، ولكن هل عاديتَ فيَّ)** أي في رضائي، أو لأجلي **(عدوًّا؟ وهل واليت فيَّ وليًّا)** نقله صاحب القوت[٢].

(وقال ﷺ: اللهم لا تجعل لفاجر عليَّ منَّة فترزقه مني محبة) وفي لفظ: «لا تجعل لفاجر عندي يدًا فيحبه قلبي»، وقد تقدم الكلام عليه في الكتاب الذي قبله.

(ويُروَىٰ أن الله تعالىٰ أوحىٰ إلىٰ عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لو أنك عبدتني بعبادة أهل السموات والأرض وحب في الله ليس وبغض في الله ليس ما أغنىٰ ذلك عنك شيئًا) نقله صاحب القوت[٣].

(وقال عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: تحبَّبوا إلىٰ الله ببغض أهل المعاصي، وتقرَّبوا إلىٰ الله بالتباعد عنهم، والتمِسوا رضا الله بسخطهم. قالوا: يا روح الله، فمَن نجالس؟ قال: جالِسوا من تذكِّركم اللهَ رؤيتُه، ومن يزيد في عملكم كلامُه، ومن يرغِّبكم في الآخرة

---

(١) المعجم الكبير ١١/ ٢١٥.

(٢) ورواه الدينوري في المجالسة وجواهر العلم ٣/ ٣٣٦ عن الفضيل بن عياض، و ٧/ ١٤٢ عن عبد الله بن المبارك.

(٣) ورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٧/ ٤٤٥ عن مالك بن دينار بلفظ: «قال عيسىٰ ابن مريم: لو أن ابن آدم عمل بأعمال البر كلها وحب في الله ليس وبغض في الله ليس ما أغنىٰ ذلك عنه شيئا».

عملُه) نقله صاحب القوت[١].

(ورُوِي في الأخبار السالفة) أي الماضية **(أن الله تعالىٰ أوحىٰ إلىٰ موسىٰ)** بن عمران (عَلَيْهِ السَّلَامُ: **يا ابن عمران، كن يقظانًا)** أي متيقظًا **(وارْتَدْ)** أي اطلب **(لنفسك أخدانًا)** أي أصحابًا **(فكل خدن وصاحب لا يؤازرك علىٰ)** محبتي و**(مسرَّتي فهو لك عدو)** نقله صاحب القوت.

وقال القشيري في الرسالة[٢]: حدثنا حمزة بن يوسف السهمي الجرجاني قال: حدثنا محمد بن أحمد العبدي، حدثنا أبو عوانة، حدثنا يونس، حدثنا خلف بن تميم، حدثنا أبو الأحوص، عن محمد بن النضر الحارثي قال: أوحىٰ الله إلىٰ موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: كن يقظانًا، مرتادًا لنفسك أخدانًا، وكل خِدن لا يؤاتيك علىٰ مسرتي فاقْصِه ولا تصاحبه، فإنه يقسِّي قلبك، وهو لك عدو، وأكثِرْ من ذكري تستوجب شكري والمزيد من فضلي.

(وأوحىٰ الله تعالىٰ إلىٰ داود عَلَيْهِ السَّلَامُ **فقال: يا داود، ما لي أراك منتبذًا)**: مطروحًا بعيدًا عن الناس **(وحدانًا)**: منفردًا **(قال: إلهي، قليتُ الخلق)** أي أبغضتهم **(من أجلك. قال: يا داود، كن يقظانًا)** أي صاحب يقظة، وهي ضد الغفلة **(وارْتَدْ)** ولفظ القوت: مرتادًا **(لنفسك أخدانًا، فكل خدن لا يوافقك علىٰ مسرَّتي فلا تصحبه، فإنه لك عدو، ويقسِّي قلبك، ويباعدك مني)** نقله صاحبا القوت والعوارف.

(وفي أخبار داود عَلَيْهِ السَّلَامُ **أنه قال: يا رب، كيف لي أن يحبني الناس كلُّهم وأَسلم فيما بيني وبينك؟ قال: خالِق الناس بأخلاقهم)** أي عاشرْهم بما يلائمهم **(وأحسِنْ**

---

(١) ورواه ابن المبارك في الزهد والرقائق ص ١٣٦ والبيهقي في شعب الإيمان ١٢/ ٤٩ وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٧/ ٤٥٢ - ٤٥٤ عن مالك بن مغول. ورواه أحمد في الزهد ص ٤٨ عن جعفر أبي غالب.

(٢) الرسالة القشيرية ص ٤٩٠.

فيما بيني وبينك[١]. **وفي بعضها: خالِقْ أهل الدنيا بأخلاق الدنيا، وخالِقْ أهل الآخرة بأخلاق الآخرة)** نقله صاحبا القوت والعوارف.

(وقال النبي ﷺ: إن أحبكم إلىٰ الله الذين يألفون) الناسَ **(ويؤلَفون)** أي يألفهم الناسُ **(وإنَّ أبغضكم إلىٰ الله المشَّاؤون بالنميمة)** أي إفساد ذات البين **(المفرِّقون بين الإخوان)** كذا في القوت. قال العراقي[٢]: رواه الطبراني في الأوسط والصغير[٣] من حديث أبي هريرة بسند ضعيف.

(وقال ﷺ: إن لله مَلَكًا نصفه من النار ونصفه من الثلج يقول) في دعائه أبدًا: **(اللهم كما ألَّفت بين الثلج والنار كذلك ألِّفْ بين قلوب عبادك الصالحين)** كذا في القوت.

قال العراقي[٤]: رواه أبو الشيخ ابن حيان في كتاب العظمة[٥] من حديث معاذ

---

(١) هذا الأثر رواه ابن أبي الدنيا في كتاب مداراة الناس ص ٤٩ - ٥٠ (ط - دار ابن حزم) عن عبد الرحمن بن أبي عوف الجرشي موصولا بما قبله، ولفظه: «جلس داود ﷺ خاليا، فقال الله عَزَّ وَجَلَّ: يا داود، ما لي أراك خاليا؟ قال: هجرت الناس فيك يا رب العالمين. قال: يا داود، ألا أدلك علىٰ ما يستثني وجوه الناس إليك وتبلغ فيه رضاي؟ خالق الناس بأخلاقهم، واحتجز الإيمان بيني وبينك». ورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٧/ ١٠٤ عن عباد بن شيبة قال: بلغني أن داود النبي ﷺ خلا يوما فقال: يا رب، هجرني الناس فيك وهجرتهم لك. فأوحىٰ الله إلىٰ نبيه ﷺ: ألا أدلك علىٰ شيء يستوي فيه وجوه الناس إليك؟ أن تخالط الناس بأخلاقهم، وتحتجز الإيمان فيما بيني وبينك. ورواه أحمد في الزهد ص ٦٦ عن الأوزاعي بلفظ: «أوحىٰ الله عَزَّ وَجَلَّ إلىٰ داود ﷺ: يا داود، ألا أعلمك عملين إذا عملت بهما ألفت بهما وجوه الناس إليك، وبلغت بهما رضاي؟ قال: بلىٰ يا رب. قال: احتجز فيما بيني وبينك بالورع، وخالط الناس بأخلاقهم».

(٢) المغني ١/ ٤٦٨.

(٣) المعجم الأوسط ٧/ ٣٥٠، المعجم الصغير ٢/ ٨٩ بلفظ: «إن أحبكم إليَّ أحسنكم أخلاقا، الموطئون أكنافا، الذين يألفون ويؤلفون، وأبغضكم إليَّ المشاؤون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة، الملتمسون للبُرآء العنتَ».

(٤) المغني ١/ ٤٦٨.

(٥) العظمة ٢/ ٧٥٠ بلفظ: «إن لله عَزَّ وَجَلَّ ملكا نصفه من نور ونصفه من ثلج يسبح يقول: سبحانك =

ابن جبل والعِرباض بن سارية بسند ضعيف.

قلت: أخرجه إبراهيم الحربي في غريبه عن يعقوب بن إبراهيم، عن أبي عاصم، عن ثور، عن خالد بن معدان قال: إن لله مَلَكًا ... فذكره، إلا أنه فيه: اللهم كما أَلَّفت بين هذا الثلج وهذه النار فلا الثلج يطفئ النار ولا النار تذيب الثلج أَلِّفْ بين قلوب عبادك الصالحين». وهكذا هو في عوارف المعارف، ثم وجدته في مسند الديلمي قال: أخبرنا عبدوس ، ثنا محمد بن الحسين، ثنا محمد ابن بِشر، ثنا عدي بن عمير، ثنا أبو الحسن بن البراء، ثنا عبد المنعم بن إدريس، عن أبيه، عن وهب، عن ابن عباس رفعه: «إن لله مَلَكًا نصف جسده الأعلىٰ ثلج، ونصفه الأسفل نار، ينادي بصوت رفيع: اللهم يا مؤلِّفًا بين الثلج والنار أَلِّفْ بين قلوب عبادك الصالحين علىٰ طاعتك، سبحان الذي كفَّ حر هذه النار فلا تذيب هذا الثلج، وكف برد هذا الثلج فلا يطفئ حر هذه النار»[1].

(وقال) ﷺ (**أيضًا: ما أحدث أحد إخاء**) بالمد (**في الله**) تعالىٰ (**إلا أحدث الله له درجة في الجنة**) أي[2] أعدَّ له منزلة عالية فيها بسبب إحداثه ذلك الإخاء فيه.

قال العراقي[3]: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الإخوان من حديث أنس، وقد تقدم.

قلت: ورواه كذلك الديلمي في مسند الفردوس، وإسناده ضعيف.

(**وقال ﷺ: المتحابُّون في الله علىٰ عمود من ياقوتة حمراء، في رأس العمود سبعون ألف غرفة**) وهي بالضم: العلية، جمعه غُرَف وغُرُفات (**يشرفون**) أي

= يا مؤلف الثلج إلىٰ النور، ولا يطفئ النور برد الثلج، ولا برد الثلج حر النور، ألف بين قلوب عبادك المؤمنين».

(١) كنز العمال ٦/ ١٤٢.

(٢) فيض القدير ٥/ ٤١٢.

(٣) المغني ١/ ٤٦٨.

يطَّلعون (علىٰ أهل الجنة حتىٰ يضيء حسنُهم لأهل الجنة كما تضيء الشمس لأهل الدنيا، فيقول أهل الجنة: انطلِقوا بنا ننظر إلىٰ المتحابِّين في الله، فيضيء حسنُهم لأهل الجنة) ونص العوارف: فإذا أشرفوا عليهم أضاء حسنهم (كما تضيء الشمس لأهل الدنيا، عليهم ثياب سُندس خضر، مكتوب علىٰ جِباههم): هؤلاء (المتحابُّون في الله تعالىٰ) هكذا أورده صاحبا القوت والعوارف.

قال العراقي[١]: رواه الترمذي الحكيم في النوادر[٢] من حديث ابن مسعود بسند ضعيف.

قلت: وعند الطبراني في الكبير[٣] من حديث أبي أيوب: «المتحابُّون في الله علىٰ كراسي من ياقوت حول العرش».

(الآثار. قال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عليكم بالإخوان، فإنهم عدَّة في الدنيا والآخرة، ألا تسمع إلىٰ قول أهل النار: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ۝١٠٠ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ۝١٠١﴾) [الشعراء: ١٠٠-١٠١] قال صاحبا القوت والعوارف: والأصل في الحميم: الهميم، أُبدلت الهاء حاءً لقرب مخرجهما، مأخوذ من الاهتمام، أي يهتم بأمره، فالاهتمام بمهم الصديق حقيقة الصداقة.

(وقال عبد الله بن عمر) بن الخطاب (رضي الله عنهما: واللهِ لو صمتُ النهار لا أفطره وقمت الليل لا أنامه وأنفقت مالي غلقًا غلقًا) أي حبسًا (في سبيل الله) تعالىٰ (أموت حيث أموت وليس في قلبي حب لأهل طاعة الله و) لا (بغض لأهل معصيته ما نفعني ذلك شيئًا) نقله صاحب القوت فقال: روينا عن عمر بن الخطاب وابنه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قالا: لو أن رجلاً صام النهار لا يفطر وقام الليل لم ينمْ وجاهد

---

(١) السابق ١/ ٤٦٨.

(٢) نوادر الأصول ص ٤٣١، ٨٧٠.

(٣) المعجم الكبير ٤/ ١٥٠.

ولم يحب في الله ويبغض في الله ما نفعه ذلك شيئًا.

(**وقال ابن السمَّاك**) واعظ بغدادي مشهور، يكنىٰ أبا العباس، واسمه محمد ابن صبيح (**عند موته: اللهم إنك تعلم أني إذ كنت أعصيك كنت أحب من يطيعك، فاجعلْ ذلك قُربة مني إليك**) نقله صاحب القوت.

(**وقال الحسن**) البصري (**علىٰ ضده: يا ابن آدم، لا يغرَّنَّك قول من يقول: المرء مع مَن أحب**) هو حديث مرفوع أخرجه أحمد[1] والشيخان[2] والثلاثة[3] عن أنس، وأخرجه البيهقي[4] من حديث ابن مسعود (**فإنك لن تلحق بالأبرار**) أي درجتهم (**إلا**) إذا عملتَ (**بأعمالهم**) أي ولو قلَّت (**فإن اليهود والنصارىٰ يحبون أنبياءهم وليسوا معهم**) أخرجه [5] العسكري في الأمثال من طريق داود ابن المحبر حدثنا الحسن بن واصل قال: قال الحسن: لا تغترَّ يا ابن آدم بقول من يقول: أنت مع من أحببتَ، فإنه مَن أحب قومًا اتبع آثارهم، واعلم أنك لن تلحق بالأخيار حتىٰ تتبع آثارهم، وحتىٰ تأخذ بهديهم، وتقتدي بسننهم، وتصبح وتمسي علىٰ منهاجهم حرصًا علىٰ أن تكون منهم.

(**وهذه إشارة إلىٰ أن مجرَّد ذلك**) أي الحب (**من غير موافقة في بعض الأعمال أو كلها لا ينفع**) صاحبه، وكأنه يعني أن اللحوق بالأبرار لا يتم إلا بالمحبة الكاملة لا بمطلق المحبة، وعلامة المحبة الكاملة موافقة المحب للمحبوب في التخلُّق بأخلاقه مع الاستطاعة. وإليه أشار القائل:

تعصي الإله وأنت تُظهِر حبَّه ... هذا لعَمْري في القياس بديعُ

---

(١) مسند أحمد ١٩/ ٧١، ١٣١، ٢٠/ ٧٤، ٣٥٧، ٤٤١، ٢١/ ٣٩، ٨٧، ٣٢٩.

(٢) صحيح البخاري ٣/ ١٦، ٤/ ١٢٢، ١٢٣، ٣٣١. صحيح مسلم ٢/ ١٢١٨ - ١٢١٩.

(٣) سنن أبي داود ٥/ ٤٠٧. سنن الترمذي ٤/ ١٩٣. السنن الكبرىٰ للنسائي ٥/ ٣٧٦.

(٤) بل قد أخرجه البخاري ٤/ ١٢٣ ومسلم ٢/ ١٢١٩ في صحيحيهما.

(٥) المقاصد الحسنة ص ٣٧٩ - ٣٨٠.

لو كان حبك صادقًا لأطعتَه إن المحب لمَن يحب مطيعُ[١]

(وقال الفضيل) بن عياض رحمه الله تعالىٰ **(في بعض كلامه: هاه! تريد أن تسكن الفردوس وتجاور الرحمن في داره مع النبيين والصدِّيقين والشهداء والصالحين)** قلت: هو ملفَّق من كلامين بإسنادين مختلفين، قال أبو نعيم في الحلية[٢] في ترجمته: حدثنا محمد بن إبراهيم، ثنا المفضل بن محمد، ثنا إسحاق بن إبراهيم قال: قال رجل للفضيل: كيف أصبحتَ [يا أبا علي؟ فكان يثقل عليه كيف أصبحت] وكيف أمسيت. فقال: في عافية. فقال: كيف حالك؟ فقال: عن أيِّ حال تسأل؟ عن حال الدنيا أو حال الآخرة؟ إن كنت تسأل عن حال الدنيا فإن الدنيا قد مالت بنا وذهبت بنا كل مذهب، وإن كنت تسأل عن حال الآخرة فكيف ترىٰ حال من كثرت ذنوبه وضعف عملُه وفني عمره ولم يتزوَّد لمعاده، ولم يتأهَّب للموت، ولم يخضع [للموت] ولم يتشمَّر للموت، ولم يتزيَّن للموت، وتزيَّن للدنيا، هيه. وقعد يحدِّث - يعني نفسه: فاجتمعوا حولك يكتبون عنك، بخ! فقد تفرَّغت للحديث. ثم قال: هاه - وتنفس طويلاً - ويحك! أتحسن أن تحدِّث أو أنت أهل أن يُحمل عنك؟ استحِ يا أحمق بين الحمقان، لو لا قلة حيائك وسفاهة رأيك ما جلست تحدِّث وأنت أنت، أما تعرف نفسك؟ أما تذكر ما كنتَ

---

(١) اختلف في قائل هذين البيتين، فنُسبا للشافعي، وهما في ديوانه (ص ٧٦ من طبعة دار الكتب العلمية، وص ٨٣ من طبعة دار الأرقم). ونسبهما الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٥١ لعبد الله بن المبارك، وليسا في ديوانه. ونسبهما البيهقي في شعب الإيمان ٢/ ٤٤ للحسن بن محمد ابن الحنفية، ولرابعة العدوية، ولأبي العتاهية ولم أقف عليهما في ديوانه. ونسبهما الجاحظ في المحاسن والأضداد ص ١٤٢ (ط - مكتبة العرفان) لذي الرمة. وهما في ديوانه ص ١٦٤ (ط - دار الكتب العلمية). ونسبهما ابن عبد ربه في العقد الفريد ٣/ ١٦٨ والحصري في زهر الآداب ص ١٣٩ (ط - دار الجيل) والثعالبي في الإعجاز والإيجاز ص ١٧٩ (ط - المطبعة العمومية بمصر) لمحمود الوراق، وهما في ديوانه ص ٢٢٧ (جمع د/ وليد قصاب) ضمن الشعر المنسوب له ولغيره.

(٢) حلية الأولياء ٨/ ٨٥ - ٨٦.

وكيف كنت؟ أما لو عرفوك ما جلسوا إليك ولا كتبوا عنك ولا سمعوا منك شيئًا أبدًا ... إلىٰ آخر ما ذكر بطوله.

وقال أيضًا[1]: حدثنا أبو محمد ابن حيان، حدثنا أحمد بن الحسين، ثنا أحمد ابن إبراهيم، ثنا الفيض بن إسحاق قال: سمعت فضيلاً يقول: تريد الجنة مع النبيين والصدِّيقين، وتريد أن تقف [الموقف] مع نوح وإبراهيم ومحمد عليهم السلام (**بأيِّ عمل عملتَه**) لله عَزَّوَجَلَّ (**بأيِّ شهوة تركتها**) لله عَزَّوَجَلَّ (**بأيِّ غيظ كظمته؟ بأيِّ رحم مقطوعة وصلتها؟ بأيِّ زلَّة**) أي سقطة (**لأخيك غفرتها**)؟ ولفظ الحلية بعد قوله «بأيِّ عمل»: وأيِّ شهوة تركتها؟ (**بأيِّ قريب باعدته في الله**) عَزَّوَجَلَّ؟ (**بأيِّ بعيد قاربته في الله**)؟ ولفظ الحلية: وأيِّ عدو قرَّبته في الله؟

(**ويُروَىٰ**) في الأخبار السالفة: (**أن الله تعالىٰ أوحىٰ إلىٰ موسىٰ** عَلَيْهِ السَّلَامُ): يا موسىٰ (**هل عملتَ لي عملاً قط؟ فقال: إلهي، صليت إليك وصمت**) لك (**وتصدَّقت**) لك (**وزكَّيت**) لك (**فقال**) الله تعالىٰ: (**إن الصلاة لك برهان، والصوم لك جُنة، والصدقة لك ظل**) يوم القيامة (**والزكاة لك نور، فأيُّ عمل**) يا موسىٰ (**عملتَه لي؟ قال موسىٰ: إلهي، دلَّني علىٰ عمل هو لك. قال: يا موسىٰ، هل واليت لي وليًّا قط أو عاديت لي عدوًّا قط**) أي لأجلي (**فعلم موسىٰ**) عَلَيْهِ السَّلَامُ (**أن أفضل الأعمال الحب في الله والبغض في الله**) نقله صاحب القوت.

(**وقال ابن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **لو أن رجلاً قام بين الركن والمقام**) هما معروفان من البيت (**يعبد الله سبعين سنة**) وهو غالب أعمار هذه الأمة (**لبعثه الله يوم القيامة مع مَن أحب**) أي فلينظر من يحبه ويخالله.

(**وقال الحسن**) البصري رحمه الله تعالىٰ: (**مصارمة الفاسق**) أي مجافاته ومقاطعته (**قُربان إلىٰ الله** عَزَّوَجَلَّ) نقله صاحب القوت.

---

(١) السابق ٨/ ٩٠ - ٩١.

(وقال رجل لمحمد بن واسع: إني أحبك في الله. قال: أحبك الذي أحببتني لأجله. ثم حوَّل وجهه وقال: اللهم إني أعوذ بك أن أحب فيك وأنت لي مبغض) أخرجه أبو نعيم في الحلية[١] قال: حدثنا أبو بكر محمد بن عبد الله المتولي، ثنا حاجب بن أبي بكر، ثنا أحمد بن إبراهيم، ثنا علىٰ بن إسحاق، ثنا ابن المبارك، عن سفيان قال: قيل لمحمد بن واسع: إني أحبك في الله. قال: أحبَّك الذي أحببتني له، اللهم إني أعوذ بك أن أُحَب فيك وأنت لىٰ ماقت أو مبغض.

(ودخل رجل علىٰ) أبي[٢] سليمان **(داود)** بن نُصَير **(الطائي)** الكوفي، رحمه الله تعالىٰ، فقيه ثقة زاهد، مات سنة خمس وستين ومائة، روىٰ له النسائي **(فقال له: ما حاجتك؟ فقال: زيارتك. فقال: أما أنت فقد عملتَ خيرًا حين زرت، ولكن انظر ماذا ينزل بي أنا إذا قيل لي: من أنت فتُزار؟ أمن الزهاد أنت؟ لا واللهِ، أمن العبَّاد أنت؟ لا واللهِ، أمن الصالحين أنت؟ لا واللهِ. ثم أقبل يوبِّخ نفسه)** ويعاتبها **(ويقول: كنتُ في الشبيبة فاسقًا، فلما شِخت)** أي صرت شيخًا **(أصبحت مرائيًا، واللهِ لَلمرائي شر من الفاسق.**

وقال عمر) بن الخطاب (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ): **إذا أصاب أحدكم ودًّا من أخيه فليتمسَّك به، فقلَّما يصيب ذلك)** ولفظ القوت: إذا رأىٰ أحدكم من أخيه ودًّا ... والباقي سواء. قال: وقد قال بعض الحكماء في معناه كلامًا منظومًا:

ما نالت النفسُ علىٰ بُغية ... ألذُّ من ود صديق أمين

من فاته ودُّ أخ صالح ... فذلك المقطوعُ منه الوتين[٣]

---

(١) حلية الأولياء ٢/ ٣٤٨ - ٣٤٩.

(٢) تقريب التهذيب ص ٣٠٩. وفيه: «مات سنة ستين، وقيل: خمس وستين».

(٣) قال ابن قدامة المقدسي في كتاب المتحابين في الله ص ٨٢ (ط - دار الطباع بدمشق): «أخبرنا يوسف، أخبرنا محمد، أخبرنا الحسن، أخبرنا محمد، أخبرنا إسحاق بن إبراهيم، حدثنا محمد بن المسيب قال: سمعت عبد الله بن خبيق يقول: قال عبيد بن عمير: =

قلت: وفيه أيضًا كلام الشاعر:

وإذا صفا لك من زمانك واحد ... نِعم الزمان ونِعم ذاك الواحد[1]

ويُروَىٰ من كلام عمر أيضًا: ما أُعطيَ عبدٌ بعد الإسلام خيرًا من أخ صالح.

(وقال مجاهد) بن[2] جبر المكي التابعي، ثقة إمام في التفسير وفي العلم، مات علىٰ رأس المائة عن ثلاث وثمانين، روىٰ له الجماعة **(المتحابُّون في الله إذا التقوا فكشَّر بعضهم إلىٰ بعض)** أي ضحك **(تحاتَّت عنهم الخطايا)** أي تساقطت **(كما يتحات)**: يتساقط **(ورق الشجر في الشتاء إذا يبس)** أورده صاحب القوت عن أبي بِشر عن مجاهد. وأبو[3] بشر هو جعفر بن إياس، ويُعرف بابن أبي وحشية، ثقة، من أثبت الناس في سعيد بن جبير، وضعَّفه شعبة في مجاهد.

(وقال الفضيل) بن عياض رحمه الله تعالىٰ: **(نظر الرجل إلىٰ وجه أخيه علىٰ المودة والرحمة عبادة)** نقله صاحب القوت.



ما تاقت النفس إلىٰ شهوة ... ألذ من حب صديق أمين

من فاته ود أخ صالح ... فذلك المغبون حق الغبين».

(١) ذكره أبو حيان التوحيدي في كتاب الصداقة والصديق ص ٦٤ (ط - مطبعة الجوائب بالقسطنطينية) دون نسبة برواية:

وإذا صفا لك من زمانك واحد ... فهو المراد وأين ذاك الواحد

وقد ورد هذا البيت في كتاب ألف ليلة وليلة ص ٣٩٦ - ٣٩٧ (ط - دار صادر) في إحدىٰ الحكايات علىٰ لسان عفريت من الجن مع أبيات أخرىٰ، وأورد أبو الطيب محمد بن إسحاق في كتاب الموشىٰ [أو الظرف والظرفاء] ص ٢٣٤ (ط - الخانجي) هذه الأبيات عدا الرابع والأخير ونسبها للمأمون العباسي، مع اختلاف في بعض الألفاظ.

(٢) تقريب التهذيب ص ٩٢١.

(٣) السابق ص ١٩٨. وفيه أنه توفي سنة خمس أو ست وعشرين ومائة.

بيان معنى الإخوة في الله وتمييزها عن الإخوة في الدنيا

(اعلم أن الحب في الله والبغض في الله) أمر (غامض) خفيٌّ (وينكشف الغطاء عنه بما نذكره وهو أن الصحبة تنقسم إلىٰ ما يقع بالاتفاق) لا بالقصد والاختيار (كالصحبة بسبب الجوار) أي المجاورة في السكنىٰ (أو بسبب الاجتماع في المكتب): محل تعليم القرآن (أو في المدرسة): محل تحصيل العلم (أو في السوق): محل التجارة (أو علىٰ باب السلطان) محل قضاء الحاجات (أو في الأسفار) فكل هذه مصاحبات اتفاقية (وإلىٰ ما ينشأ اختيارًا) من نفسه (ويُقصَد، وهو الذي أردنا بيانه) هنا (إذ الأخوة في الدين واقعة في هذا القِسم لا محالة؛ إذ لا ثواب إلا علىٰ الأفعال الاختيارية، ولا ترغيب إلا فيها) وما وقعت من غير اختياره فلا ينتظر بها ثواب ولا رغبة (والصحبة عبارة عن المخالطة والمجالسة والمجاورة) مع الملازمة في كلٍّ منها، ولا[1] فرق بين أن تكون بالبدن وهو الأصل أو بالعناية والهمة، ولا تُطلَق عرفًا إلا لمن كثرت منه الملازمة، والمصاحبة أبلغ من الاجتماع؛ لأنها تقتضي طول لبثه، فكل مصاحبة اجتماع، ولا عكس (وهذه الأمور لا يقصد الإنسان بها غيره إلا أذا أحبه، فإنَّ غير المحبوب يجتنب) عنه (ويباعد؛ إذ لا يقصد مخالطته، والذي يحَب إما أن يحَب لذاته لا ليُتوصل به إلىٰ محبوب ومقصود وراءه، وإما أن يحَب للتوصل به إلىٰ المقصود، وذلك المقصود إما أن يكون مقصورًا علىٰ الدنيا وحظوظها، وإما أن يكون متعلقًا بالآخرة، وإما أن يكون متعلقًا بالله، فهذه أربعة أقسام. أما القسم الأول وهو حب الإنسان لذاته) لا لأمر سواه (فذلك ممكن، وهو أن يكون في ذاته محبوبًا عندك علىٰ معنىٰ أنك تتلذَّذ برؤيته) ومشاهدته (ومعرفته ومشاهدة أخلاقه لاستحسانك له) في سائر حركاته وسَكَناته (فإن كل جميلٍ لذيذٌ في

---

(١) التوقيف علىٰ مهمات التعاريف ص ٢١١ نقلا عن المفردات للراغب ص ٢٧٥.

حق مَن أدرك جماله) ولو من وجه واحد **(وكل لذيذٍ محبوبٌ)** كما أن كل محبوبٍ لذيذٌ **(واللذة تتبع الاستحسان)** أي إذا استحسن شيئًا التذَّ به **(والاستحسان يتبع المناسبةَ)** المعنوية **(والملاءمة والموافقة بين الطِّباع)** والمناسبة[١] هي الملاءمة لأفعال العقلاء. والطِّباع جمع طبع وهو[٢] الجِبلَّة التي خُلق عليها الإنسان **(وذلك المستحسَن إما أن يكون هو الصورة الظاهرة، أعني حُسن الخِلقة)** وحُسنُها بتمام التركيب واعتدال المزاج ظاهرًا وباطنًا **(وإما أن يكون هو الصورة الباطنة، أعني كمال العقل وحسن الخُلُق)** وهي[٣] هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال من غير احتياج إلىٰ فكر ورويَّة، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة عقلاً وشرعًا بسهولة سُمِّيت الهيئة خُلقًا حسنًا **(ويتبع حسنَ الأخلاق حسنُ الأفعال لا محالة)** كما أنه يتبع سيئَ الأخلاق سيئُ الأفعال، وليس الخُلق عبارة عن الفعل، فرُب شخص خلقه السخاء ولا يبذل إما لفقد مال أو لمانع، وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل لباعث نحو حياء ورياء **(ويتبع كمالَ العقل غزارةُ العلم. وكل ذلك مستحسَن عند الطبع السليم)** عن وصمة النقص **(والعقل المستقيم)** بميزان الشرع **(وكل مستحسَن يُستلذ به ومحبوب، بل في ائتلاف القلوب)** بعضها مع بعض **(أمر أغمض من هذا)** وأدق **(فإنه قد تستحكم المودة بين شخصين من غير ملاحة في صورة)** في الظاهر **(ولا حُسن في خَلق)** ظاهر **(و)** لا **(خُلق)** معنويٍّ **(ولكن لمناسبة باطنة توجب الألفةَ والموافقة، فإن شَبَه الشيء منجذب إليه بالطبع)** وقد اشتُهر علىٰ الألسنة هذا القول: «شبيه الشيء منجذب إليه». ونظموه في مقاطيع ما بين مستحسِن ومستقبِح، فمن الأخير ما أنشدني بعضهم:

رأيت النخل يطلع كل قحف ... وذاك الليف ملتفٌّ عليه

---

(١) التوقيف علىٰ مهمات التعاريف ص ٣١٦.

(٢) المصباح المنير ص ٣٦٩.

(٣) التعريفات للجرجاني ص ١٠٦.

فقلت تعجبوا من صنع ربي   شبيه الشيء منجذب إليه[١]

وليس هو من كلام النبي ﷺ كما تزعمه العامة. نعم، معناه صحيح؛ لقوله: «الأرواح جنود مجنَّدة»، كما سيأتي. وروى الديلمي[٢] من حديث أنس: «إن لله مَلَكًا موكلاً بتأليف الأشكال»، وهو ضعيف. وأخرج الدينوري في تاسع المجالسة[٣] من طريق ابن أبي غزية الأنصاري عن الشعبي قال: إن لله مَلَكًا موكلاً بجمع الأشكال بعضها إلىٰ بعض **(والأشياء الباطنة خفية)** وإدراكها عسير **(ولها أسباب دقيقة ليس في قوة البشر الاطِّلاع عليها، وعنه عبَّر ﷺ، حيث قال: الأرواح)** وهي[٤] التي تقوم بها الأجساد **(جنود مجنَّدة)** أي جموع متجمِّعة وأنواع مختلفة **(فما تعارف)** أي تَوافق في الصفات وتناسَب في الأفعال[٥] **(منها ائتلف)** أي أَلِف قلبُه قلب الآخر وإن تباعدا **(وما تناكَرَ منها)** أي لم يتناسب **(اختلف)** أي نافَرَ قلبُه قلبَ الآخر وإن تقاربا، فالائتلاف والاختلاف للقلوب والأرواح البشرية التي هي النفوس الناطقة مجبولة علىٰ ضرائب مختلفة وشواكل متباينة، فكل ما تشاكل منها في عالَم الأمر تعارف في عالَم الخلق، وكل ما كان في غير ذلك في عالم الأمر تناكر في عالم الخلق، فالمراد بالتعارف ما بينهما من التناسب والتشابه، وبالتناكُر ما بينهما من التباين والتنافر، وذلك بحسب الطِّباع التي جُبل عليها من خير وشر، فكل شكل ينجذب إلىٰ شكله.

---

(١) البيتان في تاج العروس ٢٤/ ٢٣٩ منسوبان لبعض المولدين.

أما قوله (شبه الشيء منجذب إليه) فهو صدر للمتنبي، وتمامه:

وشبه الشيء منجذب إليه   وأشبهنا بدنيانا الطغام

وهو في ديوانه ص ١٠٢ من قصيدة يمدح بها المغيث بن علي بن بشر العجلي.

(٢) الفردوس بمأثور الخطاب ١/ ١٨٥.

(٣) المجالسة وجواهر العلم ٤/ ٨٤ - ٨٥.

(٤) فيض القدير ٣/ ١٧٤ - ١٧٥.

(٥) في الفيض: الأخلاق.

قال العراقي[١]: رواه مسلم[٢] من حديث أبي هريرة، والبخاري[٣] تعليقًا من حديث عائشة.

قلت: رواه مسلم في الأدب من صحيحه وكذا أحمد[٤] وأبو داود[٥] من طريق عبد العزيز بن محمد الدراوردي عن سهيل عن أبيه، ومن حديث جعفر بن بُرقان عن يزيد ابن الأصم، كلاهما عن أبي هريرة به مرفوعًا. وهو عند البخاري في الأدب المفرد[٦] من طريق سليمان بن بلال عن سهيل، وفي بدء الخلق من صحيحه تعليقًا عن الليث ويحيىٰ بن أيوب كلاهما عن يحيىٰ بن سعيد عن عَمرة عن عائشة: سمعت رسول الله ﷺ ... فذكره. ووصله عنها في الأدب المفرد له.

ولبعضهم في معنىٰ هذا الحديث:

إن القلوب لأجنادٌ مجنَّدة قول الرسول فمَن ذا فيه يختلف

فما تعارف منها فهو مؤتلف وما تناكر منها فهو مختلف[٧]

وقال آخر:

بيني وبينك في المحبة نسبة مستورة عن سر هذا العالَم

---

(١) المغني ١/ ٤٦٩.

(٢) صحيح مسلم ٢/ ١٢١٨.

(٣) صحيح البخاري ٢/ ٤٥٢.

(٤) مسند أحمد ١٣/ ٣١٩، ١٦/ ٤٨٢، ٥٦٠.

(٥) سنن أبي داود ٥/ ٢٨٧.

(٦) الأدب المفرد ص ٢٦٥.

(٧) هذان البيتان نسبهما العجلوني في كشف الخفاء ١/ ١٢٩ (ط - دار العلم الحديث) لشهاب الدين أحمد بن أسعد التنوخي المتوفي سنة ٩٠٨ هـ. وهما في ديوان أبي نواس ٤/ ٢٥٦ - ٢٥٧ (ط - دار النشر فرانزشتاينر) ولكن عجز البيت الأول فيه هكذا:

لله في الأرض بالأهواء تعترف

نحن الذين تحاببت أرواحنا من قبل خلق الله طينة آدم[١]

(فالتناكر نتيجة التباين، والائتلاف نتيجة التناسب الذي عُبِّر عنه بالتعارف. وفي بعض الأخبار) وفي نسخة: وفي بعض الألفاظ: **(إن الأرواح جنود مجنَّدة، تلتقي فتتشام في الهواء)** قال العراقي[٢]: رواه الطبراني في الأوسط[٣] بسند ضعيف من حديث علي: «إن الأرواح في الهواء جند مجنَّدة تلتقي فتتشام ...» الحديث. ا.هـ.

ورأيت بالهامش نقلاً من خط الحافظ ابن حجر ما نصه: حديث عليٍّ اختلفوا في رفعه ووقفه، وقد رُوي من حديث ابن مسعود.

وفي المقاصد للحافظ السخاوي[٤]: وقال مسعدة بن صدقة: دخلت علىٰ أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق، فقلت له: يا ابن رسول الله، إني لأحبك. فأطرق ساعة، ثم رفع رأسه إليَّ فقال: صدقتَ

سَلْ قلبك عمَّا لك في قلبي من حبك

فقد أعلمني قلبي عمَّا لي في قلبك

ثم حدثنا عن آبائه الطاهرين عن جده رسول الله ﷺ في الأرواح وأنها «جنود مجنَّدة، تتشام كما تتشام الخيل، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكَر منها اختلف».

وأما حديث ابن مسعود الذي أشار إليه الحافظ فقد أخرجه الطبراني

---

(١) البيتان في المقاصد الحسنة ص ٥٢ وكشف الخفاء ١/ ١٢٩ وروح البيان لإسماعيل حقي ١/ ٣٤٦ دون نسبة.

(٢) المغني ١/ ٤٦٩.

(٣) المعجم الأوسط ٥/ ٢٤٨.

(٤) لم أقف علىٰ ذلك في المقاصد، والحديث رواه الرافعي في التدوين ٢/ ٤٧٧.

في الكبير[١]، وقال الهيثمي[٢]: رجاله رجال الصحيح. وأخرجه العسكري في الأمثال[٣] من طريق إبراهيم الهجري عن أبي الأحوص عنه رفعه: «الأرواح جنود مجنَّدة، فتتشام كما تتشام الخيلُ، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف».

(**وقد كنىٰ بعض العلماء**) من حكماء الإسلام (**عن هذا فقال: إن الله تعالىٰ خلق الأرواح علىٰ شكلٍ كُريٍّ**) منسوب إلىٰ الكرة، وهي بالضم والتخفيف عبارة[٤] عن جسم يحيط به سطح واحد، في وسطه نقطة، جميع الخطوط الخارجة منها إليه سواء (**وقسَّم كل كرة بنصفين**) ثم عرَّفها ذاته بنعوته (**وأطافها حول العرش**) واستنطقها بقوله: ﴿أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ﴾ ثم أوردها في الأبدان (**فأيُّ روحين من كرة افترقا هناك والتقيا عند العرش تواصلا في الدنيا، وأيُّ روحين تعارفا هناك والتقيا تواصلا في الدنيا**) وفي بعض النسخ: وكنَّىٰ بعض العلماء عن هذا بأن قال: إن الله تعالىٰ خلق الأرواح ففلق بعضها فِلقًا فأطافها حول العرش، فأيُّ روحين من فلقتين تعارفا هناك فالتقيا تواصلا في الدنيا. ولفظ القوت: وبعض الحكماء يقول: إن الله تبارك وتعالىٰ خلق الأرواح، ففلق بعضها فلقًا، وقدَّر بعضها قدرًا، ثم أطافَها حول العرش، فأيُّ روحين من [فلقتين تعارفا هناك فالتقيا تواصلا ههنا في الدنيا وترافقا، وأيُّ روحين من] قدرتين أو من فلقة وقدرة اختلفا ثَم وتناكرا هناك فاختلفا في الجولان فإنَّ هذين إذا ظهرا اليوم تنافرا وتباينا. فهذا تأويل الخبر عنده، فما تعارف منها أي في الطواف فتقابلا تعارفا ههنا وترافقا فائتلفا، وما تناكرا ثَم في الجولان فتدابرا تناكرا ههنا اليوم في الخَلْق والحال لما ظهرا فاختلفا، وليس الائتلاف [يقع بنفس الاجتماع ووقت الاتفاق وإنما الائتلاف يكون بمجانسة الحال ومشاكلة] الأخلاق؛ لأنهم شبَّهوا أجناس الناس بأجناس الطير، وقد يتفق

---

(١) المعجم الكبير ١٠/ ٢٨٣، وفيه (عن ابن مسعود أو غيره) علىٰ الشك.

(٢) مجمع الزوائد ٨/ ١٦٦.

(٣) وكذلك أبو الشيخ في أمثال الحديث ص ٨٦، وستأتي بقيته قريبا.

(٤) التعريفات للجرجاني ص ١٩٢.

طيرانِ من جنسين ويجتمعان في مكان ولا يكون ذلك ائتلافًا في الحقيقة ولا اتفاقًا في الخليقة؛ لتبايُنهما في التشاكل، ولا يتبيَّن ذلك في الاجتماع وإنما يتبيَّن في الائتلاف في الطيران إذا طارا معًا، فأما إذا ارتفع أحدهما ووقع الآخر وعلا أحدهما وقصَّر الآخرُ فلا بد من افتراق حينئذٍ؛ لفقدِ التشاكل، ولا بد من مباينة لعدم التجانس عند الطيران، فهذا مثال ما ذكرناه من الافتراق لعدم حقيقة تشاكُل الحال والوصف بعد الاتفاق. واعلم أن الائتلاف والاختلاف يقع بين اثنين إذا اشتركا وافترقا في أربعة معانٍ: إذا استويا في القعود، واشتركا في الحال، وتقاربا في العلم، واتفقا في الخُلق. فإن اجتمعا في هذه الأربع فهو التشاكل والتجانس، ومعه يكون الائتلاف والاتفاق، وإن اختلفا في جميعها فهو التباعد والتضاد، وعنده يكون التباين والافتراق، وإن اتفقا في بعضها واختلفا في بعض كان بعضُ الاتفاق [وبعض الاختلاف] فيكون ما وُجد من التآلف بمقدار ما وُجد من التعارف، ويوجد من التنافر بقدْر ما وُجد من التناكر[١]، فهذا تناكُر الأرواح لبُعد [نشأتها و] تشامِّها في الهواء، وذلك الأول هو تعارف الأرواح لقرب التَّشامِّ باجتماع الأوصاف. انتهىٰ.

(وقال ﷺ: إن أرواح المؤمنينِ لَيلتقيان علىٰ مسيرة يوم وما رأىٰ أحدُهما صاحبَه قط) قال العراقي[٢]: رواه أحمد[٣] من حديث عبد الله بن عمرو بلفظ «تلتقي»، وقال: أحدهم. وفيه ابن لهيعة عن درَّاج. انتهىٰ.

قلت: وفي الحلية[٤] لأبي نعيم في ترجمة أُوَيس أنه لما اجتمع به هِرَم بن حيَّان العبدي ولم يكن لقيه قبلُ وخاطبه أويس باسمه، فقال له هرم: من أين عرفتَ اسمي واسم أبي؟ فوالله ما رأيتك قط ولا رأيتني. قال: عرفتْ روحي روحك

---

(١) في القوت: «ويوجد من الاختلاف نحو ما فُقد من الاتفاق».

(٢) المغني ١/ ٤٦٩.

(٣) مسند أحمد ١١/ ٢١٢، ٦٢٦.

(٤) حلية الأولياء ٢/ ٨٤.

حيث كلَّمتْ نفسي نفسَك؛ لأن الأرواح لها أنفُس كأنفُس الأجساد، وإن المؤمنين يتعارفون بروح الله وإن نَأَتْ بهم الدارُ.

(ورُوي أن امرأة بمكة كانت تُضحِك النساءَ، وكانت بالمدينة أخرىٰ) مثلها **(فنزلت المكية علىٰ المدنية، فدخلت علىٰ عائشة ﵂ فأضحكتها، فقالت: أين نزلتِ؟ فذكرت لها صاحبتَها، فقالت: صدق الله ورسوله، سمعت رسول الله ﷺ يقول: الأرواح جنود مجنَّدة ... الحديث)** قال العراقي[١]: رواه الحسن بن سفيان في مسنده بالقصة بسند حسن، وحديث عائشة عند البخاري تعليقًا مختصرًا بدونها، كما تقدم. انتهىٰ.

قلت: وأخرجه[٢] أبو بكر بن أبي داود من طريق الليث، ولفظه: عن عمرة قالت: كانت امرأة مكِّية بطَّالة تُضحِك النساء وتغنِّي، وكانت بالمدينة امرأة مثلها، فقَدِمت المكية المدينةَ فلقيت المدنية فتعارفتا، فدخلتا علىٰ عائشة، فعجبتْ من اتفاقهما، فقالت عائشة للمكية: عرفتِ هذه؟ قالت: لا، ولكن التقينا فتعارفنا. فضحكت عائشة وقالت: سمعت رسول الله ﷺ ... وذكرته[٣]. وأخرجه أبو يعلىٰ[٤] بنحوه من حديث أيوب. وعند الزبير بن بكَّار في «المزاح والفكاهة» من طريق علي بن أبي علي اللهبي عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة[٥]: أن امرأة كانت بمكة تدخل علىٰ نساء قريش تضحكهنَّ، فلما هاجرت ووسَّع اللهُ تعالىٰ دخلت المدينة، قالت عائشة: فدخلت عليَّ، فقالت لها فلانة: ما أقدمكِ؟ قالت: إليكنَّ. قلت: فأين نزلتِ؟ قالت: علىٰ فلانة، امرأة كانت تُضحِك بالمدينة. قالت عائشة: ودخل رسول الله ﷺ فقال: «فلانة المضحكة عندكم»؟ قالت عائشة:

---

(١) المغني ١/ ٤٦٩.

(٢) المقاصد الحسنة ص ٥١.

(٣) رواه بنحوه البيهقي في شعب الإيمان ١١/ ٣٤٠.

(٤) مسند أبي يعلىٰ ٧/ ٣٤٤.

(٥) وأخرجه من هذا الطريق أيضا الخرائطي في اعتلال القلوب ص ٢٣٦ (ط - مكتبة نزار الباز).

نعم. فقال: «فعلىٰ مَن نزلتْ»؟ قالت: علىٰ فلانة المضحكة. قال: «الحمد لله، إن الأرواح ...» وذكره. وأفادت هذه الروايةُ سببَ هذا الحديث.

(والحق في هذا أن المشاهدة) بالعيان **(والتجربة)** الصحيحة **(تشهد للائتلاف عند المناسبة، والتناسب في الطباع والأخلاق باطنًا وظاهرًا أمر مفهوم)** لا ينكَر **(وأما الأسباب التي أوجبت تلك المناسبةَ فليس)** يُسأل عنها، فإنه ليس **(في قوة البشر الاطِّلاع عليها)** والإحاطة بها، وهذا ليس فيه إلا التسليم **(وغاية هَذَيان المنجِّم)** وخرافاته **(أن يقول: إذا كان طالِعُه)** في الذابحة **(علىٰ تسديس طالعِ غيره أو تثليثه فهذا نظرُ الموافقة والمودة فيقتضي التناسب والتوادد، وإذا كان علىٰ مقابلته أو تربيعه اقتضىٰ العداوةَ والتباغض)** ويقولون: المقابلة مقاتلة، فكلما كان بعيدًا كان أوفق، وطالِعُ اليوم هو البرج الذي فيه الشمس، وطالِعُ الساعة هو برجها الذي هو مختصٌّ بها، ورب اليوم هو كوكبه، ورب الساعة هو كوكبها **(وهذا لو صدق بكونه كذلك في مجاري سنَّة الله تعالىٰ في خلق السموات والأرض لكان الإشكال فيه أكثر من الإشكال في أصل التناسب، ولا معنىٰ للخوض فيما لا ينكشف سرُّه للبشر، فما أوتينا من العلم إلا قليلاً)** بنص القرآن **(ويكفينا في التصديق بذلك التجربةُ)** الصحيحة **(والمشاهدة)** العيانية **(وقد ورد الخبر به، قال ﷺ: لو أن مؤمنًا دخل إلىٰ مجلس فيه مائة منافق ومؤمن واحد لجاء حتىٰ يجلس إليه، ولو أن منافقًا دخل إلىٰ مجلس فيه مائة مؤمن ومنافق واحد لجاء حتىٰ يجلس إليه)** قال العراقي[١]: رواه البيهقي في شعب الإيمان[٢] موقوفًا علىٰ ابن مسعود. وذكره صاحب الفردوس[٣] عن معاذ بن جبل، ولم يخرِّجه ولدُه في المسند. انتهىٰ.

قلت: حديث ابن مسعود أخرجه العسكري في الأمثال من طريق إبراهيم

---

(١) المغني ١/ ٤٦٩.

(٢) شعب الإيمان ١١/ ٣٣٩.

(٣) الفردوس بمأثور الخطاب ٣/ ٣٦٦.

الهجري عن أبي الأحوص عنه رفعه: «الأرواح جنود مجنَّدة، فتتشام كما تتشامُّ الخيلُ، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف، فلو أن رجلاً مؤمنًا جاء إلىٰ مجلس فيه مائة منافق وليس فيه إلا مؤمن واحد لجاء حتىٰ يجلس إليه، ولو أن منافقًا جاء إلىٰ مجلس فيه مائة مؤمن وليس فيه إلا منافق واحد لجاء حتىٰ يجلس إليه».

وأما حديث معاذ الذي أورده الديلمي بلا سند فلفظه: «لو أن رجلاً مؤمنًا دخل مدينة فيها ألف منافق ومؤمن واحد لشمَّ روحُه روحَ ذلك المؤمن» وعكسه.

(**وهذا يدل علىٰ أن شِبه الشيء منجذب إليه بالطبع وإن كان هو لا يشعر به. وكان مالك بن دينار**) أبو يحيىٰ البصري رحمه الله تعالىٰ (**يقول: لا يتفق اثنان في عِشرة**) ودوام صحبة (**إلا وفي أحدهما وصفٌ من الآخر**) يناسبه (**وإن أشكال الناس كأجناس الطير، ولا يتفق نوعان من الطير في الطيران**) في الهواء (**إلا وبينهما مناسبة**) تكون سببًا لاتفاقهما. كذا في القوت (**قال**) مالك: (**ورأىٰ رجل**) ولفظ القوت: فرأىٰ. يعني مالكًا (**يومًا غرابًا مع حمامة، فعجب من ذلك وقال: [كيف] اتفقا وليسا من شكل واحد**)؟ وكان يقول بالمناسبة، فكاد أن ينكر علىٰ ذلك، قال: (**ثم طارا، فإذا هما أعرجان**) أما الغراب فإنه يمشي مشية الأعرج، وأما الحمامة فكان أصابها العرج حقيقةً، فقوله «هما أعرجان» علىٰ التغليب، أو كان العرج فيهما حقيقةً (**فقال: من ههنا اتفقا**) كذا في القوت. وهذه الحكاية اشتهر بين الخواص نسبتُها للمصنف وأنه هو الذي كان يقول بالمناسبة، وهو الذي رأىٰ غرابًا وبلبلاً يمشيان متفقين في صحن المسجد الأقصىٰ، فلما رأوا ذلك أنكروا علىٰ المصنف، فتعجَّب من ذلك حتىٰ كاد أن يقول بعدم التناسب، فبينما كذلك إذ أخذ بحجر فرماهما به فطارا فإذا البلبل أعرج، فقال: من ههنا اتفقا. وقد نسبه الشيخ المناوي[1] هكذا،

(١) ذكر ذلك نقلا عن محيي الدين ابن عربي في كتاب الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية ١/ ٧٠٦. وكلام ابن عربي هذا مذكور في كتابه مواقع النجوم ص ٨٦ (ط - المكتبة العصرية)=

وأشرت إليه في مقدمة كتاب العلم، والصواب ما هنا، فليُتنبَّه لذلك، ولولا أن نُسَخ هذا الشرح قد انتشرت في الحجاز وبلاد الترك والتكرور والسودان لغيَّرتُ فيها وبدلت، ولكن كان ذلك قدرًا مقدورًا.

(**وكذلك قال بعض الحكماء: كل إنسان يألف إلىٰ شكله**) ولفظ القوت: مع شكله (**كما أن كل طير يألف مع جنسه**) يطير معه حيثما طار (**فإذا اصطحب اثنان برهة من زمان ولم يتشاكلا في الحال فلا بد أن يفترقا**) ولهذا قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالىٰ: العلم جهل عند أهل الجهل، كما أن الجهل جهل عند أهل العلم[1].

قال المناوي[2]: حكىٰ الشرواني أن تيمور لنك كان يحب رجلاً من معتقدي العجم ويتودَّد[3] إليه، فوجد الرجل في قلبه ميلاً لتيمور لنك، فتخوَّفَ وقال: ما المناسبة؟ فمنع تيمور لنك من دخوله عليه، فسأله عن سببه، فذكر ما خطر له، فقال له تيمور: بيني وبينك مناسبة وهي حبك آل بيت النبي، وأنا واللهِ أحبهم، وأنت رجل كريم، وأنا أحب الكرم، فهذه المناسبة المقتضية للميل لا ما فيَّ من الشر.

= لكنه ذكر في الفتوحات المكية ١/ ٣٩٧ أن الغزالي حكىٰ ذلك عن غيره، ونصه: «فصل الوضوء من حمل الميت، قالت به طائفة من العلماء، ومنع أكثر العلماء من ذلك، وبالمنع أقول، أما حكم الباطن في ذلك فإنه يتعلق بعلم المناسبة، فلا يجتمع شيء مع شيء إلا لمناسبة بينهما، قال أبو حامد الغزالي: رأىٰ بعض أهل هذا الشأن بالحرم غرابا وحمامة، ورأىٰ أن المناسبة بينهما تبعد، فتعجب وما عرف سبب أنس كل واحد منهما بصاحبه، فأشار إليهما فدرجا فإذا بكل واحد منهما عرج، فعرف أن العرج جمع بينهما».

(١) رواه البيهقي في المدخل إلىٰ السنن الكبرىٰ ٢/ ١٤٧ وفي مناقب الشافعي ٢/ ١٥١. وزاد: ثم أنشأ يقول:

ومنزلة الفقيه من السفيه ... كمنزلة السفيه من الفقيه
فهذا زاهد في قرب هذا ... وهذا فيه أزهد منه فيه

(٢) فيض القدير ٣/ ١٧٥.

(٣) في الفيض: يتردد.

قال: وحكىٰ بعضهم أن اثنين اصطحبا في سفينة، فقعد أحدهما علىٰ طرفها والآخر بوسطها، فسقط مَن علىٰ الطرف في البحر، فرمىٰ الآخر نفسه عليه، فأُخرجا بالحياة، فقال الأول للثاني: إني كنت بطرفها فوقعتُ فما لك أنت؟ قال: لما وقعتَ أنت غبتُ بك عني فحسبت أنك أني.

(**وهذا معنىٰ خفيٌّ تفطَّن له بعض الشعراء، حيث قال قائلهم**) ولفظ القوت: وقد أنشدنا بعض الشيوخ لبعض الأدباء:

(وقائل كيف تفرَّقتما فقلت قولاً فيه إنصاف
لم يكُ من شكلي ففارقتُه والناس أشكال وأُلأَف)[1]

الألأَف علىٰ وزن رمَّان جمع أليف (**فقد ظهر من هذا أن الإنسان قد يُحَب لذاته لا لفائدة تُنال منه في حال أو مآل بل لمجرَّد المجانسه**) والملاءمة (**والمناسبة في الطباع الباطنة والأخلاق الخفية**) التي لا تُدرَك بالحواس الظاهرة (**ويدخل في هذا القِسم الحبُّ للجمال إذا لم يكن المقصود**) منه (**قضاء الشهوة**) الإنسانية (**فإن الصورة الجميلة مستلذَّة في عينها**) وحقيقتها (**وإن قُدِّر فقدُ أصلِ الشهوه حتىٰ يستلذ النظر إلىٰ الفواكه**) المتنوعة (**والأنوار والأزهار**) والرياحين (**والتفاح المشرَّب بالحمرة وإلىٰ الماء الجاري**) سيَّما إذا كان متدفِّقًا (**والخضرة من غير غرض**) عارض (**سوىٰ عينها**) ولذا جُمعت الثلاثة في قوله:

ثلاثة يجلينَ عن القلب الحزن الماء والخضرة والوجه الحسن[2]

---

(١) نسبهما النويري في نهاية الأرب ٣/ ٨٤ لمحمد بن خازم الباهلي. ونسبهما ياقوت الحموي في معجم الأدباء ٦/ ٢٧٣٠ لمنصور بن المسلم بن علي بن أبي الخرجين الحلبي. والأول هو الصواب؛ لأن منصور بن المسلم توفي سنة ٥١٠، أي بعد صاحب القوت بزمان طويل.

(٢) البيت في معاهد التنصيص ١/ ٧٦ بدون نسبة، والشطر الأول فيه برواية:

ثلاثة تذهب عن قلبي الحزن

(وهذا الحب لا يدخل فيه الحب لله تعالىٰ بل هو حب بالطبع وشهوة النفس) الحيوانية (ويُتصوَّر ذلك ممَّن لا يؤمن بالله) ولا له حب في الله (إلا أنه إذا اتصل به غرض مذموم صار مذمومًا) في الحال (كحب الصورة الجميلة لقضاء الشهوة حيث لا يحل قضاؤها) بأن كان محرَّمًا عليه (وإن لم يتصل به غرض مذموم فهو مباح لا يوصف بحمد ولا بذم؛ إذ الحب إما محمود وإما مذموم وإما مباح لا يُحمد ولا يُذم) فالمحمود هو حب الله تعالىٰ، والمذموم ما تعلَّق به غرض مذموم، والمباح ما لم يتعلق به ذلك.

(القسم الثاني: أن يحبه لينال من ذاته غير ذاته، فيكون وسيلة إلىٰ محبوبٍ غيره، والوسيلة إلىٰ المحبوب محبوب) كما أنها إلىٰ المذموم مذموم (وما يحَب لغيره كان ذلك الغير هو المحبوب بالحقيقة، ولكن الطريق إلىٰ المحبوب محبوب) لكون ذلك موصلاً إلىٰ المحبوب (ولذلك أحب الناس الذهب والفضة ولا غرض فيهما؛ إذ لا يُطعَمان) أي لا يُذاقان (ولا يُلبَسان، ولكنهما وسيلة إلىٰ المحبوبات) فإنهما بمنزلة خواتيم الله في أرضه، فمَن أتىٰ بهما قُضيت حاجته (ومن الناس من يحَب) لغيره (كما يحَب الذهب والفضة من حيث إنه وسيلة إلىٰ المقصود) المحبوب (إذ يُتوصل به إلىٰ نيل جاه أو مال أو علم) وغير ذلك (كما يحب الرجل سلطانًا لانتفاعه بماله أو جاهه، كما يحب خواصَّه) والمتقربين إليه (لتحسينهم حاله عنده أو تمهيدهم أمره) وتسهيله (في قلبه، والمتوسَّل إليه إن كان مقصور الفائدة) تحصل (علىٰ الدنيا لم يكن حبه من جملة الحب في الله) عَزَّوَجَلَّ (وإن لم يكن مقصور الفائدة علىٰ الدنيا ولكنه ليس يقصد به إلا الدنيا كحب التلميذ لأستاذه فهو أيضًا خارج عن الحب لله) تعالىٰ (فإنه إنما يحبه ليحصل منه علىٰ العلم لنفسه، فمحبوبه العلم، فإذا كان لا يقصد العلم للتقرُّب إلىٰ الله تعالىٰ بل لينال منه المال والجاه والقبول عند الخلق فمحبوبه الجاه والمال والقبول، والعلم وسيلة إليه، والأستاذ وسيلة إلىٰ العلم) كما هو حال أكثر أهل هذا الزمان، بل وقبله بكثير (فليس في شيء

من ذلك حب الله عَزَّوَجَلَّ؛ **إذ يُتصور كل ذلك ممَّن لا يؤمن بالله تعالىٰ أصلاً. ثم ينقسم هذا أيضًا إلىٰ مذموم ومباح، فإن كان يُقصد به التوصل إلىٰ مقاصد مذمومة من قهر الأقران)** وكسر شوكتهم **(وجباية أموال اليتامىٰ وظلم الرعايا بولاية)** الأحكام مثل **(القضاء أو غيره)** كالأوقاف والمدارس **(كان الحب مذمومًا، وإن كان يُقصد به التوصل إلىٰ مباح فهو مباح، وإنما تكتسب الوسيلة الحكم والصفة من المقصد المتوصَّل إليه، فإنها)** أي الوسيلة **(تابعة له، غير قائمة بنفسها.**

القسم الثالث: أن يحبه لا لذاته بل لغيره، وذلك الغير ليس راجعًا إلىٰ حظوظه) الحاصلة **(في الدنيا، بل يرجع إلىٰ حظوظه في الآخرة، فهذا أيضًا ظاهر لا غموض فيه)** ولا دقة **(وذلك كمن يحب أستاذه وشيخه لأنه يتوصل به إلىٰ تحصيل العلم وتحسين العمل، ومقصوده من)** ذلك **(العلم والعمل الفوزُ في الآخرة، وهذا من جملة المتحابِّين في الله)** أي معدود فيهم **(وكذلك من يحب تلميذه لأنه يتلقَّف منه العلم)** المفيد، أي يتلقَّاه **(وينال بواسطته رتبة التعليم ويترقَّىٰ به إلىٰ درجة التعظيم في ملكوت السموات)** والأرض **(إذ قال عيسىٰ** عَلَيْهِ السَّلَامُ**: مَن عَلِمَ وعمل)** بما علم **(وعلَّم)** غيرَه **(فذلك يُدعَىٰ عظيمًا في ملكوت السموات)** وقد تقدم في كتاب العلم **(ولا يتم التعليم إلا بمتعلِّم، فهو)** أي التلميذ **(إذًا آلة في تحصيل هذا الكمال، فإن أحبه لأنه آلة له إذ جعل صدره مزرعة لحرثه الذي هو سبب رُقيِّه)** أي عروجه **(إلىٰ رتبة العَظَمة في ملكوت السماء فهو محب في الله تعالىٰ، بل الذي يتصدَّق بأمواله لله تعالىٰ ويجمع الضِّيفان)** جمع ضيف **(ويهيِّئ لهم الأطعمة اللذيذة الغريبة)** الشهيَّة **(تقرُّبًا إلىٰ الله سبحانه فأحب)** لذلك **(طباخًا لحُسن صنعته في الطبخ)** لهؤلاء **(فهو من جملة المحبِّين في الله تعالىٰ، وكذلك لو أحب مَن يتولَّىٰ له إيصال الصدقة إلىٰ المستحقِّين فقد أحبه في الله تعالىٰ، بل أزيد علىٰ هذا وأقول: إذا أحب من يخدمه بنفسه في غسل ثيابه وكنس بيته وطبخ طعامه ويفرِّغه بذلك للعلم والعمل ومقصوده من استخدامه في هذه الأعمال الفراغ للعبادة)** والتخلِّي لها عن الشواغل

(فهو محب في الله تعالىٰ. بل أزيد علىٰ هذا وأقول: إذا أحب من ينفق عليه من ماله ويواسيه بكسوته وطعامه ومسكنه) يأوي فيه (و) يكفيه (جميع أغراضه التي يقصدها في دنياه) من كفاية سائر المهمَّات (ومقصوده من جملة ذلك الفراغُ للعلم والعمل المقرِّب لله تعالىٰ) أي التفرُّغ لتحصيلهما (فهو محب في الله تعالىٰ) وظهر فيه تجلِّي اسمه «المُعين» (فقد كان جماعة من السلف) قد (تكفَّل بكفايتهم جماعةٌ من أهل الثروة) ذوي المال الكثير (وكان المواسي والمواسَىٰ جميعًا من المتحابِّين في الله تعالىٰ. بل نزيد علىٰ هذا ونقول: مَن نكح امرأة صالحة ليتحصَّن بها عن) طرد (وسواس الشيطان ويصون بها دينه) وعِرضه (أو ليولَد منها له ولد صالح يدعو له) من بعده (وأحب زوجته) تلك (لأنها آلته إلىٰ هذه المقاصد) الشريفة (الدينية فهو محب في الله تعالىٰ، ولذلك ورد في الأخبار وفور الأجر والثواب علىٰ الإنفاق علىٰ العيال، حتىٰ اللقمة) الواحدة (يضعها الرجل في في امرأته) تقدم في كتاب النكاح (بل نقول: كل مَن اشتهر بحب الله وحب رضاه وحب لقائه في الدار الآخرة فإذا) اتفق أنه (أحب غيرَه كان محبًّا في الله تعالىٰ؛ لأنه لا يُتصور أن يحب شيئًا إلا لمناسبته لِما هو محبوب عنده وهو رضا الله تعالىٰ. بل أزيد علىٰ هذا وأقول: إذا اجتمع في قلبه محبتان: محبة الله ومحبة الدنيا، واجتمع في شخص واحد المعنيان جميعًا حتىٰ صلُح لأنْ يتوصل به إلىٰ الله تعالىٰ) بهدايته وإرشاده (وإلىٰ الدنيا) بإعانته ومساعدته (فإذا أحبه لصلاحه للأمرين فهو من المحبِّين في الله تعالىٰ، كمن يحب أستاذه الذي يعلِّمه) أمور (الدين ويكفيه مهمَّات الدنيا بالمواساة في المال فأحبه من حيث إن في طبعه طلب الراحة في الدنيا و) نيل (السعادة في الآخرة وهي وسيلة إليهما فهو محب في الله تعالىٰ، وليس من شرط حب الله تعالىٰ أن لا يحب في العاجل حظًّا البتَّة؛ إذ الدعاء الذي أمر به الأنبياء عليهم السلام فيه جمعٌ بين الدنيا والآخرة، فمن ذلك قولهم: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝٢٠١﴾) [البقرة: ٢٠١] أخرجه البيهقي من حديث أنس أن النبي ﷺ كان

يقول ذلك في دعائه[١]. قال الحسن: الحسنة في الدنيا الزوجة الصالحة[٢]. وقد تقدم في كتاب العلم (**وقال عيسىٰ عليه السلام في دعائه**) فيما رُوي عنه: (**اللهم لا تشمت بي عدوي**) أي لا تُفرِح، والشماتة: الفرح ببليَّة تنزل بالغير[٣] (**ولا تسؤ بي صديقي، ولا تجعل مصيبتي في ديني، ولا تجعل الدنيا أكبر همِّي**) وقد وردت الاستعاذة من شماتة الأعداء عن نبيِّنا ﷺ فيما رواه النسائي[٤] والحاكم[٥] من حديث ابن عمرو مرفوعًا: كان يقول: «اللهم إني أعوذ بك من غَلَبَة الدَّين، وغلبة العدو، وشماتة الأعداء». وعند الحاكم[٦] من حديث ابن مسعود: «اللهم احفظني بالإسلام قائمًا وقاعدًا وراقدًا، ولا تشمت بي عدوًّا ولا حاسدا». والجملتان الأخيرتان قد وردتا أيضًا في جملة أدعيته ﷺ، فأخرج الترمذي[٧] والحاكم[٨] من حديث ابن عمر مرفوعًا: «اللهم اقسمْ لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك ...» إلىٰ آخره، وفيه: «ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همِّنا، ولا مبلغ علمنا» (**فدفعُ شماتة الأعداء من حظوظ الدنيا، ولم يقل: ولا تجعل الدنيا أصلاً من همي، بل قال: لا تجعل الدنيا أكبر همي**) فإن ذلك سبب الهلاك، وفي مفهومه أن قليل الهم مما لا بد منه في أمر المعاش مرخَّص فيه، بل مستحب (**وقال نبيُّنا ﷺ في دعائه: اللهم إني أسألك رحمة**) من عندك تهدي بها قلبي، وتجمع بها أمري، وتلُم

---

(١) سيأتي هذا الحديث في كتاب الصبر والشكر، وأنه رواه الشيخان.

(٢) هذا القول ذكره السيوطي في الدر المنثور ٢/ ٤٥٣ وعزاه لمحمد بن كعب القرظي. ونقل عن الحسن قولين: الأول: الحسنة في الدنيا العلم والعبادة، وفي الآخرة الجنة. الثاني: الحسنة في الدنيا الرزق الطيب والعلم النافع.

(٣) في لسان العرب ٢/ ٥١: «الشماتة: فرح العدو، وقيل: الفرح ببلية العدو، وقيل: الفرح ببلية تنزل بمن تعاديه».

(٤) سنن النسائي ص ٨٢٥.

(٥) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٧٢١.

(٦) السابق ١/ ٧١٤.

(٧) سنن الترمذي ٥/ ٤٨١ وقال: حسن غريب.

(٨) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٧١٧. وليس عنده (ولا تجعل مصيبتنا في ديننا).

بها شَعثي، وتُصلِح بها غائبي، وترفع بها شاهدي، وتزكّي بها عملي، وتلهمني بها رشدي، وتردُّ بها أُلفتي، وتعصمني بها من كل سوء، اللهم أعطني إيمانًا ويقينًا ليس بعده كفر، ورحمة **(أنال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة)** أي علوَّ القدْر فيهما ورفع الدرجات. قال العراقي[1]: رواه الترمذي من حديث ابن عباس في الحديث الطويل في دعائه بعد صلاة الليل، وقد تقدم.

قلت: وكذلك رواه محمد بن نصر في كتاب صلاة الليل والطبراني في الكبير والبيهقي في الدعوات من طريق داود بن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه عن جده. وقد مر ذلك في كتاب الأوراد بطوله.

(وقال) ﷺ: **(اللهم عافني من بلاء الدنيا وعذاب القبر)** قال العراقي[2]: رواه أحمد[3] من حديث بُسْر بن أبي أرطأة نحوه بسند جيد. انتهىٰ.

قلت: يشير إلىٰ قوله: «اللهم أحسِنْ عاقبتنا في الأمور كلِّها، وأجِرْنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة». وقد رواه كذلك أحمد وابن حبان[4] والطبراني[5].

وبسر بن أبي أرطاة عامري قرشي، مختلَف في صحبته، ولاَّه معاوية اليمن فأساء السيرة فيها، ونزل بآخرة خوفًا من بني العباس بإفريقية بأهله وولده، وهم هناك اليوم ببادية يُعرفون بأولاد علي.

قال الهيثمي[6]: رجال أحمد وأحد إسنادَي الطبراني ثقات.

---

(١) المغني ١/ ٤٧٠.

(٢) السابق ١/ ٤٧٠.

(٣) مسند أحمد ٢٩/ ١٧١.

(٤) صحيح ابن حبان ٣/ ٢٣٠.

(٥) المعجم الكبير ٢/ ٣٣.

(٦) مجمع الزوائد ١٠/ ٢٨٢.

والمراد[١] ببلاء الدنيا وخزيها: رزاياها ومصائبها وغرورها وغدرها وهوانها، وفي الفائق[٢]: هذا من جنس استغفار الأنبياء ممَّا علموا أنه مغفور لهم.

ومما يشهد لهذا المقام أيضًا ما رواه مسلم[٣] من حديث أبي هريرة رفعه: «اللهم أصلِحْ لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي ...» الحديث.

(وعلىٰ الجملة، فإذا لم يكن حب السعادة في الآخرة مناقضًا لحب الله تعالىٰ فحب السلامة) من آفات الدنيا **(والصحة)** في البدن **(والكفاية)** للمهمَّات **(والكرامة في الدنيا كيف يكون مناقضًا لحب الله تعالىٰ)** وقد ورد سؤال كلٍّ من ذلك في الأخبار **(والدنيا)** سُمِّيت لدنوِّها للآخرة **(والآخرة)** سُمِّيت لتأخرها عن خلق الدنيا بخمسين ألف سنة مما تعدُّون، كما نقله الشيخ الأكبر قُدِّس سره[٤]. وهما **(عبارة عن حالتين إحداهما أقرب من الأخرىٰ، فكيف يُتصور أن يحب الإنسان حظوظ نفسه غدًا ولا يحبها اليوم؟ وإنما يحبها غدًا لأن غدًا سيصير حالاً راهنة)** أي ثابتة

---

(١) فيض القدير ٢/ ١٠٣.

(٢) هذا الكلام ليس في الفائق، وإنما ذكره الزمخشري في الكشاف ١/ ٦٧٩ عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾ إلىٰ قوله: ﴿إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾﴾ [آل عمران: ١٩٢ - ١٩٤] ونصه: «فإن قلت: كيف دعوا الله بإنجاز ما وعد والله لا يخلف الميعاد؟ قلت: معناه طلب التوفيق فيما يحفظ عليهم أسباب إنجاز الميعاد، أو هو باب من اللجأ إلىٰ الله والخضوع له، كما كان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يستغفرون مع علمهم أنهم مغفور لهم، يقصدون بذلك التذلل لربهم والتضرع إليه واللجأ الذي هو سيما العبودية».

(٣) صحيح مسلم ٢/ ١٢٥٠.

(٤) الفتوحات المكية ١/ ١٣٦، ونصه: «... ولما انقضىٰ من مدة حركات الفلك الأول ثلاثة وستون ألف سنة مما نعد خلق الله الدار الآخرة الجنة والنار اللتين أعدهما الله لعباده السعداء والأشقياء، وكان بين خلق الدنيا وخلق الآخرة تسعة آلاف سنة مما نعد، ولهذا سميت آخرة لتأخر خلقها عن خلق الدنيا، وسميت الدنيا بالأولىٰ لأنها خلقت قبلها، قال الله تعالىٰ يخاطب نبيه: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴿٤﴾﴾».

دائمة، يقال: رهن الشيءُ رهونًا: إذا ثبت ودام، فهو راهن[1] **(فالحالة الراهنة لا بد أن تكون مطلوبة أيضًا، إلا أن الحظوظ العاجلة)** وهي الدنيوية **(منقسمة إلىٰ ما يضاد حظوظَ الآخرة ويمنع منها)** أي من طلبها وارتكابها **(وهو الذي احترز عنه الأنبياء)** عليهم السلام **(والأولياء)** الكرام **(وأمروا بالاحتراز عنها)** والتباعد منها **(وإلىٰ ما لا يضاد)** حظوظَ الآخرة **(وهي التي لم يمتنعوا منها كالنكاح الصحيح وأكل الحلال وغير ذلك مما يضاد حظوظ الآخرة، فحق العاقل أن يكرهه ولا يحبه)** ولا يختاره لنفسه **(أعني أن يكرهه بعقله)** واختياره **(لا بطبعه)** فإن الطبع مجبول علىٰ ارتكاب بعض أشياء لا يصادقه العقل فيه **(كما يكره التناول من طعام لذيذ)** غريب شهيٍّ **(لملك من الملوك يعلم أنه لو أقدم عليه لقُطعت يده أو حُزَّت رقبته)** أي فُصلت عن رأسه **(لا بمعنىٰ أن الطعام اللذيذ يصير بحيث لا يشتهيه بطبعه ولا يستلذُّ لو أكله، فإنَّ ذلك محال، ولكن علىٰ معنىٰ أنه يزجره عقله عن الإقدام عليه وتحصل فيه كراهية للضرر المتعلق به)** من قطع اليد أو حزِّ الرقبة **(والمقصود من هذا)** السياق **(أنه لو أحب أستاذه لأنه يعلِّمه)** أمور الدين **(ويواسيه)** مع ذلك بماله **(أو)** أحب **(تلميذه لأنه يتعلم منه و)** مع ذلك **(يخدمه)** في مهنة نفسه **(وأحدهما حظ عاجل والآخر آجِل فيكون في زمرة المتحابِّين في الله عَزَّوَجَلَّ ولكن بشرط واحد وهو أن يكون بحيث لو منعه العلم مثلاً)** ولم يُفِدْه به **(أو تعذَّر عليه)** أي علىٰ التلميذ **(تحصيله منه لنقص حبُّه بسببه فالقدْر الذي ينقص بسبب فقدِه فهو لله عَزَّوَجَلَّ، وله علىٰ ذلك القدر ثواب الحب في الله عَزَّوَجَلَّ، وليس بمستنكَر أن يشتد حبُّك لإنسان لجملة أغراض ترتبط لك به)** ما بين دنيوية وأخروية **(فإن امتنع بعضها نقص حبُّك)** بقدْر الفقد الحاصل من الامتناع **(وإن زاد زاد الحب)** بقدر وجدان الانتفاع **(فليس حبك للذهب كحبك للفضة إذا تساوىٰ مقدارهما)** في الثمن **(لأن الذهب يوصل إلىٰ أغراض هي أكثر مما توصل إليه الفضةُ)** مع خفة محمله وعدم تغيُّره

(١) انظر: تاج العروس ٣٥/ ١٢٤ - ١٢٥.

علىٰ طول المكث (**فإذًا يزيد الحب بزيادة الغرض، ولا يستحيل اجتماع الأغراض الدنيوية والأخروية**) معًا في شخص واحد (**فهو داخل في جملة الحب لله تعالىٰ وحده هو أن كل حب لولا الإيمان بالله واليوم الآخر لم يُتصور وجوده فهو حب في الله، وكذلك كل زيادة في الحب لولا الإيمان بالله تعالىٰ لم تكن تلك الزيادة**) ولم توجد (**فتلك الزيادة من الحب في الله تعالىٰ، وذلك وإن دقَّ فهو عزيز**) قليل الوجود (**قال**) أبو محمد أحمد [بن محمد] بن الحسين (**الجُرَيري**) بضم الجيم، منسوب إلىٰ جُرَير: قبيلة من بكر بن وائل، من كبار أصحاب الجنيد، وصحب سهلَ بن عبد الله، وأُقعد بعد الجنيد في مكانه، وكان كبير الحال، مات سنة ٣١١، ترجمه أبو نعيم[١] والقشيري[٢] (**تعامل الناس في القرن الأول**) وهو قبل المائة من الهجرة (**بالدين حتىٰ رق الدينُ**) أي ضعُف أمرُه (**وتعاملوا في القرن الثاني بالوفاء حتىٰ ذهب الوفاء، ثم**) تعاملوا (**في**) القرن (**الثالث بالمروءة حتىٰ ذهبت المروءة، ولم يبقَ**) بعد ذلك (**إلا الرغبة والرهبة**) ولقد استظرف من قال في ذهاب المروءة:

مررت علىٰ المروءة وهي تبكي فقلت لها وما تبكي الفتاة؟

فقالت كيف لا أبكي وأهلي جميعًا دون أهل الناس ماتوا[٣]

(**القسم الرابع: أن يحب لله وفي الله لا لينال منه علمًا أو عملاً أو يتوصل به إلىٰ أمر وراء ذاته، وهذا**) إن وُجد فهو (**أعلىٰ الدرجات**) عند القوم (**وهو أغمضها وأدقُّها، وهذا القسم أيضًا ممكن، فإن من آثار غلبة الحب أن يتعدَّىٰ من المحبوب إلىٰ كل ما يتعلق بالمحبوب ويناسبه**) ويلائمه (**ولو من بُعد، فإنَّ مَن أحب إنسانًا حبًّا شديدًا أحب محبَّ ذلك الإنسان، وأحب محبوبه، وأحب من يخدمه، وأحب من يثني علىٰ محبوبه**) بالخير (**وأحب من يتسارع إلىٰ رضا محبوبه**) بكل ما

---

(١) حلية الأولياء ١٠/ ٣٤٧ - ٣٤٨.

(٢) الرسالة القشيرية ص ٩٦.

(٣) لم أقف علىٰ قائل هذين البيتين.

أمكن (**حتىٰ قال بقية بن الوليد**) بن[١] صائد بن كعب بن حَريز الكَلاعي الحِمْيَري المِيتَمي، أبو يُحْمِد الحِمصي، من كبار المحدِّثين، استشهد به البخاري، وروىٰ له مسلم في المتابعات، واحتج به الباقون (**إن المؤمن إذا أحب المؤمنَ أحب كلبه**) والمعنىٰ: أحب كلَّ شيء يتعلق به حتىٰ كلبه (**وهو كما قال**) صحيح (**وتشهد له التجربة**) والاختبار (**في أحوال العشّاق**) المغلوبين في وجدهم (**وتدل عليه أشعار الشعراء**) جاهليةً وإسلامًا (**ولذلك يحفظ ثوب المحبوب**) والمراد: أثر من آثاره (**وتحفته**) التي يتحفه بها (**تذكرةً من جهته**) وفي بعض النسخ: ثوب المحبوب لذكره من جهته (**ويحب منزله**) الذي ينزله (**ومجلسه وجيرانه، حتىٰ قال مجنون بني عامر**) واسمه قيس بن الملوَّح، و«المجنون» لقبه:

(أمُرُّ علىٰ الديار ديار ليلىٰ) (أقبِّل ذا الجدار وذا الجدارا

وفي نسخة: علىٰ منازل آل ليلىٰ

وما حب الديار شغفنَ قلبي) (ولكن حب مَن سكن الديارا)[٢]

وفي نسخة: يهيِّج قلبي

ويُحكىٰ عنه أنه رآه رجل يكرم كلبًا، فسأله، فقال: رأيتُه يومًا في حي ليلىٰ.

(**فإذًا المشاهدة والتجربة تدل علىٰ أن الحب يتعدَّىٰ من ذات المحبوب إلىٰ ما يحيط به ويتعلق بأسبابه ويناسبه ولو من بُعد، وأكثر ذلك من خاصية فرط المحبة**) وغلبة الوجد (**فأصل المحبة لا يكفي فيه، ويكون اتساع الحب في تعدِّيه من المحبوب إلىٰ ما يكتنفه ويحيط به ويتعلق بأسبابه بحسب إفراط المحبة**) والوجد (**وقوتها**) وغلبته (**وكذلك حب الله تعالىٰ إذا قويَ وغلب علىٰ القلب**) واستقام به (**استولىٰ عليه**) وملكه بالكلية (**حتىٰ انتهىٰ إلىٰ حد الاستهتار**) وكشف الأستار

---

(١) تهذيب الكمال ٤/ ١٩٢ - ٢٠٠.

(٢) البيتان في ديوانه ص ١٣١.

(فيتعدَّىٰ إلىٰ كل موجود سواه) فيحبه لأجله وفيه **(فإنَّ كل موجود سواه أثر من آثار قدرته)** وعليه مسحة وحدانية **(ومَن أحب إنسانًا أحب خطه وصنعته وجميع أفعاله، ولذلك كان ﷺ إذا حُمل إليه باكورة من الفواكه)** وهو[1] من أول كل فاكهة ما عجَّل الإخراجَ، والجمع: البواكير والباكورات **(مسح بها عينيه وأكرمها وقال: إنه قريب عهد بربنا)** قال العراقي[2]: رواه الطبراني في الصغير[3] من حديث ابن عباس. ورواه أبو داود في المراسيل[4]، والبيهقي في الدعوات[5] من حديث أبي هريرة دون قوله: وأكرمها ... الخ، وقال: إنه غير محفوظ، وحديث أبي هريرة [في الباكورة] عند بقية أصحاب السنن[6] دون «مسح عينيه بها» وما بعده، وقال الترمذي: حسن صحيح.

(وحب الله تارةً يكون لصدق الرجاء في مواعيده وما يُتوقع في الآخرة من نعيمه، وتارة) يكون **(لِما سلف من أياديه)** أي سبق **(وصنوف نعمته)** الظاهرة والباطنة **(وتارة)** يكون **(لذاته لا لأمر آخر، وهو أدقُّ ضروب المحبة وأعلاها.**

---

(١) المصباح المنير ص ٥٩ نقلا عن أبي حاتم السجستاني.

(٢) المغني ١/ ٤٧٠.

(٣) المعجم الصغير ٢/ ٦٦، ولفظه: «كان النبي ﷺ إذا أُتي بالباكورة من الثمرة قبلها أو جعلها علىٰ عينيه، ثم أعطاها أصغر من يحضره من الولدان».

(٤) المراسيل ص ٣٣١ عن ابن شهاب الزهري بلفظ: «كان رسول الله ﷺ إذا أُتي بالباكورة من الفاكهة قبلها ووضعها علىٰ عينيه ثم أكل منها ثم قال: اللهم كما أطعمتنا أولها فأطعمنا آخرها، وبارك لنا فيها».

(٥) الدعوات الكبير ٢/ ١١٣ - ١١٥.

(٦) سنن الترمذي ٥/ ٤٤٩. سنن ابن ماجه ٥/ ٥٠. السنن الكبرىٰ للنسائي ٩/ ١٢١. وقد رواه أيضا مسلم في صحيحه ١/ ٦٢٠، ولفظه: «كان الناس إذا رأوا أول الثمر جاؤوا به إلىٰ النبي ﷺ، فإذا أخذه رسول الله ﷺ قال: اللهم بارك لنا في ثمرنا، وبارك لنا في مدينتنا، وبارك لنا في صاعنا، وبارك لنا في مدنا، اللهم إن إبراهيم عبدك وخليلك ونبيك وإني عبدك ونبيك، وإنه دعاك لمكة، وإني أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك لمكة، ومثله معه. ثم يدعو أصغر وليد له فيعطيه ذلك الثمر».

وسيأتي تحقيق ذلك في كتاب المحبة من ربع المنجيات إن شاء الله تعالىٰ. وكيفما اتفق حب الله تعالىٰ **فإذا قويَ تعدَّىٰ إلىٰ كل متعلق به ضربًا**) أي نوعًا **(من التعلُّق حتىٰ يتعدَّىٰ إلىٰ ما هو في نفسه مؤلم)** أي موجع **(مكروه، ولكن فرط الحب يُضعِف)** ويوهن **(الإحساسَ بالألم)** فلا يحس به أصلاً **(والفرح بفعل المحبوب وقصده إياه بالإيلام)** والإيجاع **(يغمر)** ويغلب **(إدراكَ الألم وذلك كالفرح بضربة من المحبوب)** بيده أو بعصا **(أو قرصة)** في عضو من أعضائه **(فيها نوع معاتبة، فإن قوة المحبة تثير فرحًا يغمر إدراك الألم فيه)** من تلك الضربة أو القرصة، وهنا مقام ضد ذلك وهو أن يؤلمه ضربُ الحبيب وإن كان خفيفًا لأنه لم يكن يَعْتَدْ منه ذلك، وعليه حُكي أن الحلاَّج لما صُلب أمروا برجمه، فرجمه الناس بحجارة، فلم يقل شيئًا، ورمته أخته - وكانت من المتعبدات العارفات - بحصبة صغيرة، فلما أصابته قال: آه، فتعجبت وقالت له: ما بالك لم تقل آه من تلك الحجارة؟ فقال لها: هؤلاء لا يعلمون ما بي، وأنتِ عارفة محبة، والضرب من الحبيب يوجِع. ومن هنا المَثَل علىٰ لسان العامة: «وردة الحبيب توجع»، أي ولو رماه بالوردة **(وقد انتهت محبة الله تعالىٰ بقوم إلىٰ أن قالوا: لا نفرِّق بين البلاء والنعمة، فإن الكل من لدنه)** أي من عنده **(ولا نفرح إلا بما فيه رضاه)** وعليه يُحمل ما مر عن الشيخ الأكبر قُدِّس سره في شرح حديث «بُعثت لأتمِّم مكارم الأخلاق»، وغير ذلك مما مر من ذِكر الاعتبارات في كتاب أسرار الصلاة والصوم والزكاة والحج **(حتىٰ قال بعضهم: لا أريد أن أنال مغفرة الله بمعصية الله)** وقد سقطت هذه الجملة من بعض النسخ **(وقال شقيق)** البلخي رحمه الله تعالىٰ:

(وليس لي في سواك حظ فكيفما شئتَ فاختبِرْني)

أورده القشيري في أول الرسالة[1] في ترجمة سمنون المحب أنه أنشد هذا

---

(١) الرسالة القشيرية ص ٨٨ - ٨٩.

البيت فأخذه الأُسْر[١] من ساعته، فكان يدور علىٰ المكاتب ويقول للصبيان: ادعوا لعمِّكم الكذاب (**وسيأتي تحقيق ذلك في كتاب المحبة**) إن شاء الله تعالىٰ (**والمقصود أن حب الله تعالىٰ إذا قويَ**) واستقام بالقلب (**أثمر حب كل من يقوم بحق عبادة الله تعالىٰ في علم أو عمل، وأثمر حب كل من فيه صفة مُرضية عند الله تعالىٰ من خُلُق حسن أو تأدُّب بأدب الشرع**) من أوامر ونواهٍ (**وما من مؤمن محب للآخرة ومحب لله تعالىٰ إلا إذا أُخبر عن حال رجلين أحدهما عالِم عابد**) أي قد جمع مع العبادة العلمَ (**والآخر جاهل فاسق**) أي قد جمع مع الجهل الفسقَ (**إلا وجد في نفسه ميلاً إلىٰ العالِم العابد، ثم يضعُف ذلك الميلُ ويقوَىٰ بحسب ضعف إيمانه وقوته، وبحسب ضعف حبه لله وقوته، وهذا الميل حاصل وإن كانا غائبينِ عنه**) في محل بعيد (**بحيث يعلم أنه لا يصيبه منهما خير ولا شر في الدنيا ولا في الآخرة، فذلك الميل هو حب في الله تعالىٰ ولله تعالىٰ من غير حظ**) مضمَر في نفسه (**فإنه إنما يحبه لأن الله سبحانه يحبه، ولأنه مَرضيٌّ عند الله تعالىٰ، ولأنه يحب الله تعالىٰ، ولأنه مشغول بعبادة الله عَزَّوَجَلَّ**) فهذه الأوصاف كلها مما تنشئ الحبَّ فيه (**إلا أنه إذا ضعُف**) ذلك الحبُّ (**لم يظهر أثره، ولا يظهر له ثواب واحد ولا أجر، وإذا قويَ حُمل علىٰ الموالاة**) والممالأة (**والنصرة والذب**) أي الدفع عنه (**بالنفس والمال واللسان، ويتفاوت الناس فيه بحسب تفاوتهم في حب الله تعالىٰ**) بحسب القوة والضعف (**ولو كان الحب مقصورًا علىٰ حظ**) من الحظوظ (**يُنال من المحبوب في الحال**) عاجلاً (**أو**) في (**المآل**) آجلاً (**لَما تُصوِّر حب الموتىٰ**) أي الذين مضوا إلىٰ رحمة الله تعالىٰ (**من العلماء**) العاملين (**والعبَّاد**) الصالحين (**ومن الصحابة**) الكرام (**والتابعين**) الأعلام (**بل من الأنبياء المنقرضين صلوات الله عليهم وسلامه أجمعين، وحب جميعهم مكنون في قلب كل مسلم متديِّن**) لا محالة (**ويتبيَّن ذلك بعصبيته**) وفي نسخة: بغضبه، وفي أخرىٰ: بغيظه (**عند طعن أعدائهم**) من ذوي

---

(١) الأسر: احتباس البول. تاج العروس ١٠/ ٤٨.

البدع الفاسدة (في واحد منهم) فيتعصَّب لهم، ويرد على طاعنهم (وبفرحه عند الثناء عليهم وذِكر محاسنهم) فينشرح صدره لذلك (وكل ذلك حب لله تعالىٰ؛ لأنهم خواص عِباد الله) وخُلَصائه ومختاروه (ومَن أحب ملكًا أو شخصًا جميلاً أحب خواصَّه وخدمه) وأتباعه (وأحب مَن أحبه) فمحب المحب حبيبٌ (إلا أنه يُمتحَن الحب بالمقابلة بحظوظ النفس، وقد يغلُب) الحبُّ (بحيث لا يبقىٰ للنفس حظ إلا فيما هو حظ المحبوب، وعنه عبَّر قول من قال:

أريد وصاله ويريد هجري فأترك ما أريد لِما يريد[١]

وكقول من قال):

إن كان يرضيكم ما قال حاسدنا (فما لجرح إذا أرضاكم ألم[٢]

وقد يكون الحب بحيث يُترك به بعض الحظوظ دون بعض كمن تسمح نفسه بأن يشاطر محبوبَه في نصف ماله أو في ثلثه أو في عُشره) أو في أقل أو في أكثر (فمقادير الأموال موازين المحبة) ولكن الذي لا يُبقِي له شيئًا هو أعلىٰ الرتب (إذ لا تُعرف درجة المحبوب إلا بمحبوب يُترك في مقابلته، فمَن استغرق الحبُّ جميعَ قلبه) وعَمَّه (لم يبقَ له محبوب سواه، فلا يملك لنفسه) وفي نسخة: دونه (شيئًا، مثل أبي بكر الصدِّيق رَضِّيَٱللَّهُعَنهُ فإنه لم يترك لنفسه أهلاً ولا مالاً، فسلَّم ابنته التي هي قرَّة عينه) وهي عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا؛ إذ زوَّجها له (وبذل جميع ماله) إنفاقًا عليه، فكانت يده ويد النبي ﷺ فيه سواء. أخرج ابن عدي[٣] من طريق الفضل بن المختار عن أبان عن أنس رفعه: قال

---

(١) هذا البيت نسبه الصفدي في الوافي بالوفيات ١٨/ ١٦٠ لعبد الرحمن بن مروان بن سالم التنوخي المعروف بابن المنجم (المتوفىٰ سنة ٥٥٧)، وقبله بيت آخر وهو:

حبيب لست أنظره بعيني وفي قلبي له حب شديد

وهذا بعيد؛ لأن الغزالي توفي وعمر ابن المنجم لم يتجاوز خمس عشرة سنة.

(٢) البيت للمتنبي، وهو في ديوانه ص ٣٣٣. وفيه: سركم، بدل: يرضيكم.

(٣) الكامل في الضعفاء ٦/ ٢٠٤١.

لأبي بكر: «يا أبا بكر، ما أطيب مالك! منه بلال مؤذِّني، وناقتي التي هاجرتُ عليها، وزوَّجتني ابنتك، وواسيتني بنفسك ومالك، كأني أنظر إليك على باب الجنة تشفع لأمتي». قال صاحب الميزان[١]: وهذا باطل. وأخرج ابن النجار في تاريخه[٢] من طريق عمر بن صبيح عن يزيد الرقاشي عن أنس رفعه: «إن أعظم الناس عليَّ منَّة أبو بكر، زوَّجني ابنته، وواساني بماله، وصاحبني بالغار، وإن أفضل أموال المسلمين مال أبي بكر، منه ناقتي التي هاجرتُ عليها، ومنه مؤذِّني بلال». عمر بن صبيح متروك **(قال ابن عمر** رضي الله عنهما: **بينما النبي** ﷺ **جالس وعنده أبو بكر)** رضي الله عنه **(عليه عباءة)** من صوف **(قد خلَّلها)** أي شكَّها **(على صدره بخلال إذ نزل جبريل** عليه السلام**، فأقرأه من الله السلامَ وقال له: يا رسول الله، ما لي أرى أبا بكر عليه عباءة قد خلَّلها على صدره بخلال؟ فقال: أنفق ماله عليَّ قبل الفتح. قال: فأقرِئه من الله السلامَ وقل له: يقول لك ربك: أراضٍ أنت عني في فقرك هذا أم ساخط؟ قال: فالتفت النبي** ﷺ **إلى أبي بكر** رضي الله عنه **وقال: يا أبا بكر، هذا جبريل يقرئك السلام من الله تعالى ويقول: أراضٍ أنت عني في فقرك هذا أم ساخط؟ قال: فبكى أبو بكر** رضي الله عنه **وقال: أعلى ربي أسخط؟! أنا عن ربي راضٍ، أنا عن ربي راضٍ)** ولقد استظرف بعض المتأخرين من الشعراء فأشار إلى هذه القصة في قوله يمدح أبا بكر رضي الله عنه:

صِهر النبي وصفوه وصديقه ... وصفيُّه وضجيعه تحت الثرى

والمنفق الأموال في مرضاته ... حتى تخلَّل بعد ذلك بالعبا[٣]

قال العراقي[٤]: رواه ابن حبان[٥] والعقيلي[٦] في كتاب الضعفاء، قال الذهبي

---

(١) ميزان الاعتدال للذهبي ٣/ ٣٥٩.

(٢) وكذلك ابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٠/ ٦٢.

(٣) لم أقف على قائل هذين البيتين.

(٤) المغني ١/ ٤٧١.

(٥) المجروحون من المحدثين ٢/ ١٧٦.

(٦) لم أقف عليه في ضعفاء العقيلي.

في الميزان[1]: وهو كذبٌ.

(فحصل من هذا) التفصيل والبيان (أن كل مَن أحب عالمًا أو عابدًا أو أحب شخصًا راغبًا في علم أو في عبادة أو في خير فإنما أحبه لله وفي الله، وله فيه من الأجر والثواب بقدر قوة حبه.

فهذا شرح الحب في الله ودرجاته، وبهذا يتضح البغض في الله تعالىٰ أيضًا، ولكن نزيده بيانًا).

---

(١) ميزان الاعتدال ٣/ ١٠٣.

بيان البغض في الله تعالى

(اعلمْ أن كل من يحب في الله لا بد وأن يبغض في الله، فإنك إن أحببت إنسانًا) لا تحبه إلا (لأنه مطيع لله تعالىٰ ومحبوب عند الله تعالىٰ فإن) اتفق أنه (عصاه) يومًا (فلا بد وأن تبغضه لأنه عاصٍ لله تعالىٰ وممقوت عند الله تعالىٰ) لا أنه إن عصاه مرة لا يقال في حقه إنه عاصٍ، كما ذكروا في قوله تعالىٰ: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾﴾ [طه: ١٢١] إذ لا يكون عاصيًا وممقوتًا إلا إذا دام ذلك الفعلُ منه، فكان الأَولىٰ للمصنف أن يقول: لأنه عصىٰ الله تعالىٰ فصار بذلك ممقوتًا عنده. ولكن هذه الدقيقة قد لا يُلتفَت إليها (ومَن أحب لسبب) من الأسباب (فبالضرورة يبغض لضده) إذا طرأ عليه (وهذان متلازمان لا ينفصل أحدهما عن الآخر) ولا ينفكّان غالبًا (وهو مطَّرد في الحب والبغض في العادات) أي في مجاريها (ولكن كل واحد من الحب والبغض دفين) أي مكتوم (في القلب) لا يُطَّلَع عليه (وإنما يترشَّح عند الغلبة) والقوة (ويترشَّح) أيضًا (بظهور أفعال المحبين والمبغضين في المقاربة والمباعدة، وفي المخالفة والموافقة، فإذا ظهر في الفعل سُمِّي موالاة ومعاداة، ولذلك قال الله تعالىٰ) لبعض أنبيائه: (هل واليتَ فيَّ وليًّا أو عاديت فيَّ عدوًّا، كما نقلناه) قريبًا (وهو واضح في حق من لم يظهر لك إلا طاعاته) وحُسن عبادته في مَراضي الله تعالىٰ (إذ تقدر علىٰ أن تحبه) لذلك (أو لم يظهر لك إلا فسقه وفجوره وأخلاقه السيئة فتقدر علىٰ أن تبغضه) لذلك (وإنما المشكل إذا اختلطت الطاعات بالمعاصي) واشتبه عليك الحالُ (فإنك تقول: كيف أجمع بين البغض والمحبة وهما متناقضان، وكذلك تتناقض ثمراتهما من الموافقة والمخالفة والموالاة والمُعاداة؟ فنقول: ذلك غير متناقض في حق الله تعالىٰ كما لا يتناقض في الحظوظ البشرية، فإنه مهما اجتمع في شخص واحد خصالٌ) متباينة (تحب) منها بعضَها

(وتكره) منها (بعضها فإنك تحبه من وجه وتبغضه من وجه) آخر (فمَن له زوجة حسناء) جميلة الصورة إلا أنها (فاجرة) لا تمنع يد لامس (أو ولد ذكي) عاقل (خدوم) كثير الخدمة (ولكنه فاسق فإنك تحبهما من وجه) جمالها وخدمته (وتبغضهما من وجه) فجورها وفسقه (وتكون معهما علىٰ حالة بين حالتين) من حب وبغض (إذ لو فُرض له ثلاثة أولاد أحدهم ذكي بارٌّ) بوالديه (والآخر بليد عاقٌّ) لوالديه (والآخر بليد بار أو ذكي عاق فإنه يصادف نفسه معهم علىٰ ثلاثة أحوال متفاوتة بحسب تفاوت خصالهم، فكذلك ينبغي أن يكون حالك بالإضافه إلىٰ مَن غلب عليه الفجورُ ومَن غلبت عليه الطاعة، ومن اجتمع عليه كِلاهما) أي الفجور والطاعة (متفاوتة علىٰ ثلاثة مراتب) متفاوتة (وذلك أن تعطَىٰ كل صفة حظها من الحب والبغض، والإعراض والإقبال، والصحبة والقطيعة، وسائر الأفعال الصادرة منه. فإن قلتَ: فكل مسلم فإسلامه طاعة منه) لأنه منقاد لطاعة الله تعالىٰ بإسلامه (فكيف أبغضه مع) وجود (الإسلام؟ فأقول: تحبه لإسلامه، وتبغضه لمعصيته، وتكون معه علىٰ حالة لو قِستَها بحال كافر أو فاجر أدركتَ تفرقة بينهما، وتلك التفرقة حب للإسلام وقضاء لحقِّه، وقدر الجناية علىٰ حق الله تعالىٰ والطاعة له كالجناية علىٰ حقك والطاعة لك، فمَن وافقك علىٰ غرض وخالفك في آخر فكنْ معه علىٰ حالة متوسطة بين الانقباض والاسترسال) وفي نسخة: والانبساط (وبين الإقبال والإعراض، وبين التودُّد إليه والتوحُّش منه، فلا تبالغ في إكرامه مبالغتك في إكرام من يوافقك علىٰ جميع أغراضك، ولا تبالغ في إهانته مبالغتك في إهانة مَن خالفك في جميع أغراضك، ثم ذلك التوسُّط تارةً يكون ميله إلىٰ طرف الإهانة عند غلبة الجناية) وفي نسخة: المخالفة. وفي نسخة أخرىٰ زيادة: وظلم النفس (وتارةً) يكون ميله (إلىٰ طرف المجاملة والإكرام عند غلبة الموافقة، فهكذا ينبغي أن يكون فيمن يطيع الله ويعصيه ويتعرَّض لرضاه مرة ولسخطه) مرة (أخرىٰ. فإن قلت: فبماذا يمكن إظهار البغض؟ فأقول: أما في القول فبكفِّ اللسان) أي منعِه (عن مكالمته ومحادثته) ومنادمته (مرة، وبالاستخفاف والتغليظ في القول) والتشديد

عليه (أخرىٰ. وأما في الفعل فبقطع السعي في إعانته مرة، وبالسعي في إساءته وإفساد مآربه) أي حاجاته (أخرىٰ، وبعض هذا أشد من بعض، وهو) يختلف (بحسب درجات الفسق والمعصية الصادرة منه، أما ما يجري مَجرىٰ الهفوة التي يعلم أنه متندِّم عليها ولا يصرُّ عليها) وإنما هي نادرة منه (فالأَولىٰ فيه الستر والإغماض) أي غض البصر عنه والستر عليه (وأما ما أصرَّ عليه من صغيرة أو كبيرة فإن كان ممَّن تأكَّدت بينك وبينه مودة وصحبة وإخوَّة فله حكم آخر، وسيأتي) بيانه (وفيه خلاف بين العلماء) يُذكَر في محله (وأما إذا لم تتأكد إخوَّته وصحبته فلا بد من إظهار أثر البغض إما في الإعراض والتباعُد عنه وقلة الالتفات إليه) بعدم المكالمة معه (وإما في الاستخفاف وتغليظ القول عليه) بالإنكار (وهذا أشد من الإعراض) والتباعُد (وهو بحسب غِلظ المعصية وخفَّتها. وكذلك في الفعل أيضًا رتبتان، إحداهما: قطع المعونة) الظاهرة (والرفق) في أمر المعيشة (والنصرة) علىٰ من يعاديه والذب (عنه، وهو أقل الدرجات. والأخرىٰ: السعي في إفساد أغراضه عليه كفعل الأعداء المبغضين، وهذا لا بد منه ولكن فيما يفسد عليه طريقَ المعصية) وذلك فيما يؤثِّر فيها (وأما ما لا يؤثِّر فيها فلا) لفوات المقصود فيه (مثاله) مثال (رجل عصىٰ الله تعالىٰ بشرب الخمر) مثلاً (وقد خطب امرأة لو تيسَّر له نكاحُها لكان مغبوطًا فيها بالمال والجمال والجاه إلا أن ذلك لا يؤثِّر في منعه من شرب الخمر ولا في بعث وتحريض عليه، فإذا قدرتَ علىٰ إعانته ليتم له غرضُه ومقصوده) من نكاح المرأة (وقدرتَ علىٰ تشويشه ليفوِّته) ذلك التشويشُ (غرضَه فليس) إلا أن تكون (لك) نية في (السعىٰ في تشويشه، وأما الإعانة فلو تركتَها إظهارًا للغضب عليه في فسقه فلا بأس) في ذلك (وليس يجب تركُها؛ إذ ربما تكون لك نية في أن تتلطَّف في إعانته وإظهار الشفقة عليه ليعتقد مودَّتك ويقبل نصحك، فهذا حسن، وإن لم يظهر لك ولكن رأيتَ أن تعينه علىٰ غرضه قضاءً لحق إسلامه فذلك ليس بممنوع بل هو الأحسن إن كانت معصيته بالجناية علىٰ حقك أو حقِّ من يتعلق بك، وفيه نزل قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَأْتَلِ﴾) أي لا يحلف (﴿أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ﴾) في الرزق

ومعرفة الله تعالىٰ، والمراد به أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (﴿أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ **إلىٰ قوله:** ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ وتمام الآية بعد قوله: ﴿أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [النور: ٢٢] (**إذ تكلم مسطح بن أثاثة**) بن عبَّاد بن المطلب بن عبد مَناف (**في قصة الإفك**) المشهورة المتفق عليها من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (**فحلف أبو بكر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **أن يقطع عنه رفقه**) وفي نسخة: نفقته (**وقد كان يواسيه بالمال، فنزلت**) هذه (**الآية**) من جملة الآيات في براءة عائشة، وهي ثمانية عشر آية (**مع عِظم معصية مسطح، وأيُّ معصية تزيد علىٰ التعرُّض لحرم رسول الله ﷺ وإطالة اللسان في مثل عائشة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا)

وهذه[1] القصة قد أخرجها عبد الرزاق[2] وأحمد[3] والبخاري[4] ومسلم[5] وعبد بن حميد وابن جرير[6] وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الشعب[7] كلهم من حديث عائشة، وهي طويلة، وفيها: قالت عائشة: فلما أنزل الله في براءتي ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ﴾ العشر الآيات، قال أبو بكر، وكان ينفق علىٰ مِسطح لقرابته منه وفقره: واللهِ لا أنفق علىٰ مسطح شيئًا أبدًا بعد الذي قال لعائشة. قالت: فأنزل الله: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ﴾ إلىٰ قوله ﴿رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾ قال أبو بكر: بلىٰ واللهِ، إني أحب أن يغفر الله لي. فرجع إلىٰ [مسطح] النفقةَ التي كان ينفق عليه، وقال: واللهِ لا أنزعها منه أبدًا. وأخرج البخاري والترمذي[8] وابن جرير وابن المنذر وابن

---

(١) الدر المنثور ١٠/ ٦٦٣ - ٦٨٩.

(٢) مصنف عبد الرزاق ٥/ ٤١٠.

(٣) مسند أحمد ٤٢/ ٤٠٤.

(٤) صحيح البخاري ٢/ ٢٥٤، ٣/ ١٢٣، ٢٦٤، ٢٦٩، ٤/ ٢٢٥.

(٥) صحيح مسلم ٢/ ١٢٧٥.

(٦) جامع البيان ١٧/ ١٩٧ - ٢١١.

(٧) شعب الإيمان ٩/ ٢٥٣.

(٨) سنن الترمذي ٥/ ٢٤١.

أبي حاتم وابن مردويه من حديثها، وفيه: وكان الذي تكلم فيه مِسطح وحسان بن ثابت والمنافق عبد الله بن أبيٍّ وهو الذي كان تولَّىٰ كِبْره مع حَمْنة بنت جحش. قالت: فحلف أبو بكر أن لا ينفع مسطحًا بنفقة[1] أبدًا، فأنزل الله: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ﴾ يعني أبا بكر ﴿أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ﴾ يعني مسطحًا، إلىٰ قوله: ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٢﴾﴾ قال أبو بكر: بلىٰ واللهِ [يا ربنا] إنَّا نحب أن تغفر لنا. وعاد له بما كان يصنع. وأخرج البخاري وأحمد[2] وسعيد بن منصور وابن المنذر وابن مردويه من حديث أم رومان، وفيه: وكان فيمن حدَّث الحديث رجل كان يعوله أبو بكر، فحلف أن لا يَصِله، فأنزل الله: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ﴾ الآية، فوصله أبو بكر. وأخرج ابن مردويه[3] من حديث ابن عباس، وفيه: كان أبو بكر يعطي مسطحًا ويَصِله ويبرُّه، فحلف أبو بكر أن لا يعطيه، فنزل ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ﴾ الآية. وعند الطبراني[4] وابن مردويه من حديث ابن عمر: فبعث أبو بكر إلىٰ مسطح: لا وصلتُك بدرهم أبدًا، ولا عطفت عليك بخير أبدًا. ثم طرده أبو بكر وأخرجه من منزله، فنزل القرآن: ﴿وَلَا يَأْتَلِ﴾ الآية، فقال أبو بكر: [أما إذ نزل] القرآن يأمرني فيك لأضاعفنَّ لك. وعند ابن أبي حاتم والطبراني[5] من حديث سعيد بن جبير: وكان مِسطح من المهاجرين الأولين، وكان ابن خالة أبي بكر، وكان يتيمًا في حِجره فقيرًا، فلما حلف أبو بكر أن لا يصله نزلت في أبي بكر ﴿وَلَا يَأْتَلِ﴾ الآية، فقال النبي ﷺ [لأبي بكر]: «أما تحب أن يغفر الله لك»؟ قال: بلىٰ يا رسول الله. قال: «فاعفُ واصفح». قال أبو بكر: قد عفوت وصفحت، لا أمنعه معروفًا بعد اليوم (**إلا أن الصدِّيق** رضي الله عنه **كان كالمجني عليه في نفسه في تلك الواقعة،**

---

(١) في الدر: بنافعة.

(٢) مسند أحمد ٤٤/ ٦٣٠.

(٣) وكذلك الطبراني في المعجم الكبير ٢٣/ ١٢٤.

(٤) المعجم الكبير ٢٣/ ١٢٥.

(٥) السابق ٢٣/ ١٥١.

والعفو عمَّن ظلم والإحسان إلىٰ مَن أساء من أخلاق الصدِّيقين) كما أن الإساءة إلىٰ مَن أحسنَ من أخلاق المتهوِّرين **(وإنما يحسُن الإحسانُ إلىٰ مَن ظلمك، فأما مَن ظلم غيرك وعصىٰ الله به فلا يحسُن الإحسانُ إليه؛ لأن في الإحسان إلىٰ الظالم إساءة إلىٰ المظلوم)** وكسرًا لجانبه **(وحق المظلوم أَولىٰ بالمراعاة، وتقوية قلبه بالإعراض عن الظالم أحَبُّ إلىٰ الله من تقوية قلب الظالم)** بالإحسان إليه **(فأما إذا كنت أنت المظلوم فالإحسان في حقك العفو والسماح، وطرق السلف قد اختلفت في إظهار البغض لله مع أهل المعاصي)** صغيرة أو كبيرة **(وكلهم اتفقوا علىٰ إظهار البغض للظَّلَمة والمبتدعة)** أي المتديِّنين بالبدع السيئة **(وكل مَن عصىٰ الله تعالىٰ بمعصية متعدِّية منه إلىٰ غيره، فأما مَن عصىٰ الله تعالىٰ في نفسه فمنهم مَن نظر بعين الرحمة إلىٰ العصاة كلِّهم)** نظرًا إلىٰ سعة رحمة الله وجميل إحسانه **(ومنهم مَن شدَّد الإنكار)** عليهم **(واختار المهاجرة)** عن مجالسته ومكالمته **(فقد كان أحمد بن حنبل)** رحمه الله تعالىٰ **(يهجر الأكابر في أدنىٰ كلمة)** يسمعها منه أو تبلغه عنه **(حتىٰ هجر يحيىٰ بن معين)** الإمام المشهور **(لقوله: إني لا أسأل أحدًا شيئًا، ولو حمل السلطان إليَّ شيئًا لأخذتُه)** وفي رواية: ولو أعطاني السلطان شيئًا لأخذته. وقد تقدم ذلك في الكتاب الذي قبله **(وهجر الحارث)** بن أسد **(المحاسبي)** رحمه الله تعالىٰ **(في تصنيفه في الرد علىٰ المعتزلة وقال: إنك لا بد تورد أولاً شبهتهم)** التي تحكَّموا بها **(وتحمل الناس علىٰ التفكُّر فيها ثم ترد عليهم)** فربما غبىٰ الطبعُ فتثبُت تلك الشبهةُ علىٰ ذهنه ولا يفهم الردَّ فيكون سببًا لفساد اعتقاده. وقد تقدم ذلك في كتاب العلم **(وهجر أبا ثور)** صاحب الشافعي **(في تأويله قوله ﷺ: إن الله خلق آدم علىٰ صورته)** قال العراقي[1]: رواه مسلم من حديث أبي هريرة[2]. قلت: وقد تقدم الكلام عليه في كتاب قواعد العقائد **(وهذا أمر يختلف باختلاف النية، وتختلف**

---

(١) المغني ١/ ٤٧١.

(٢) رواه عنه ٢/ ١٢١٠، ١٣٠٣ بلفظين: الأول: «إذا قاتل أحدكم أخاه فليجتنب الوجه، فإن الله خلق آدم علىٰ صورته». الثاني: «خلق الله عز وجل آدم علىٰ صورته طوله ستون ذراعا ...» الحديث.

النية باختلاف الحال، فإن كان الغالب على القلب النظر إلى اضطرار الخلق وعجزهم) الذي جُبلوا عليه **(وأنهم مسخَّرون لِما قُدِّر لهم)** من الأزل **(أورث هذا تساهلاً في المعاداة والبغض، وله وجه)** يُلمِح إلى الجواز **(ولكن قد تلتبس به المداهنةُ)** وهي تركُ دفعِ منكر وهو قادر عليه لقلة مبالاة بالدين أو حفظًا لجانب مرتكبه[1] **(فأكبر البواعث على الإغضاء عن المعاصي المداهنة ومراعاة القلوب والخوف من وحشتها ونفارها)** عنه **(وقد يلبِّس الشيطانُ ذلك على الغبي الأحمق)** ويسوِّله عليه **(بأن ينظر بعين الرحمة)** الإلهية **(ومحل ذلك أن ينظر إليه بعين الرحمة إن جنى على خاص حقه ويقول: إنه قد سُخِّر له، والقدَر لا ينفع منه الحذر)** ومنه القول المشهور: لا ينفع حذرٌ من قدَر. وقول العامة: المقدور ما منه مَهرب. وروى أبو نعيم في الحلية[2] من حديث خالد بن رافع رفعه: «لا تُكثِر همَّك، ما يُقدَّر يكن». وخالد بن رافع مختلَف في صحبته[3]. ورواه الأصبهاني في الترغيب[4] من حديث مالك بن عمرو به مرسلاً **(وكيف لا يفعله وقد كُتب عليه؟ فبمثل هذا قد تصح له نية في الإغماض عن الجناية على حق الله تعالى، وإن كان يغتاظ)** ويغضب **(عند الجناية على حقه)** خاصةً **(ويترحَّم عند الجناية على حق الله تعالى فهذا مداهن مغرور)** قد غرَّته الأماني **(بمكيدة من مكائد الشيطان، فليُنتبَّه له)** فإنه من الدقائق **(فإن قلتَ: فأقل الدرجات في إظهار البغض الهجرة)** أي المهاجرة بترك المكالمة

---

(١) عبارة الجرجاني في التعريفات ص ٢٢٠: «المداهنة هي أن ترى منكرا وتقدر على دفعه ولم تدفعه حفظا لجانب مرتكبه أو جانب غيره أو لقلة مبالاة في الدين».

(٢) لم يخرجه في الحلية، وإنما أخرجه في معرفة الصحابة ٢/ ٩٤٤ بلفظ: قال النبي ﷺ لابن مسعود: «لا تكثر همك، ما يقدر يكن، وما ترزق يأتك».

(٣) انظر: الإصابة ٣/ ٥٥. أسد الغابة ٢/ ١١٩. تجريد أسماء الصحابة للذهبي ١/ ١٥٠.

(٤) الترغيب والترهيب ٢/ ٢٠٠. ورواه في موضع آخر ٣/ ١٧٣ عن مالك بن عبادة الخافقي بلفظ: «مر رسول الله ﷺ بعبد الله بن مسعود وهو حزين فقال: لا تكثر همك، ما يقدر يكن، وما ترزق يأتك».

(والإعراض وقطع الرفق والإعانة، فهل يجب ذلك حتىٰ يعصىٰ العبدُ بتركه) أم لا؟ (فأقول: لا يدخل ذلك في ظاهر العلم تحت التكليف والإيجاب، فإنَّا نعلم أن الذين شربوا الخمر وتعاطوا الفواحش) من الزنا وغيره (في زمن رسول الله ﷺ و) في زمن (الصحابة) رضوان الله عليهم (ما كانوا يهجرون بالكلية) في الكلام والمعاشرة (بل كانوا منقسمين فيه إلىٰ من يُغلِظ القولَ عليه) ويشدِّد في النكير (ويُظهِر البغضَ له وإلىٰ من يرضىٰ عنه ولا يتعرَّض له وإلىٰ من ينظر إليه بعين الرحمة ولا يؤثر المقاطعة والتباعُد، فهذه دقائق دينية تختلف فيها طرائق السالكين لطريق الآخرة، ويكون عمل كل واحد علىٰ ما يقتضيه حالُه و) علىٰ ما يقتضيه (وقته) فكانوا يعملون كل شيء بمقتضاه (ومقتضَىٰ الأحوال في هذه الأمور إما مكروهة وإما مندوبة، فتكون في رتبة الفضائل، ولا تنتهي إلىٰ التحريم والإيجاب، فإن الداخل تحت التكليف أصل المعرفة لله تعالىٰ وأصل الحب واستيلاؤه) أي غلبته حتىٰ يملك (وذلك قد لا يتعدَّىٰ من المحبوب إلىٰ غيره، وإنما المتعدِّي إفراط الحب واستيلاؤه، وذلك لا يدخل في الفتوىٰ وتحت ظاهر التكليف في حق عوامِّ الخلق أصلاً) والله أعلم.

بيان مراتب الذين يبغَضون في الله وكيفية معاملتهم

(فإن قلتَ: إظهار البغض والعداوة بالفعل إن لم يكن واجبًا) شرعيًّا (فلا شك أنه مندوب إليه، والعصاة والفسَّاق علىٰ مراتب مختلفة) وضروب شتىٰ (فكيف ينال الفضل بمعاملتهم؟ وهل يسلك بجميعهم مسلكًا واحدًا أم لا؟ فاعلمْ أن المخالف لأمر الله تعالىٰ لا يخلو إما أن يكون مخالفًا في عقده) مع الله، أي فيما اعتقده بقلبه (أو في عمله) الظاهر (والمخالف في العقد) الباطني (إما أن يكون مبتدعًا وإما كافرًا، والمبتدع) كذلك لا يخلو (إما أن يكون داعيًا إلىٰ بدعته) غيرَه (أو ساكتًا) عن الدعوة (و) ذلك (السكوت إما لعجزه) في نفسه (أو باختياره، فأقسام الفساد في الاعتقاد ثلاثة، الأول: الكفر، والكافر) إما محارب أو ذمي (إن كان محاربًا) وهو الحربي (فهو مستحق للقتل والإرقاق) أي أخذُه علىٰ سبيل الرق، فإن أبىٰ قُتل (وليس بعد هذين) الأمرين (إهانة. وأما الذمي) الذي تحت عقد ذمة المسلمين وجوارهم (فإنه لا يجوز إيذاؤه إلا بالإعراض عنه والتحقير له) في المجالس (وبالاضطرار) أي الإلجاء (إلىٰ أضيق الطرق) إن[1] كان ماشيًا في طريق فيه زحمة بحيث لا يقع في وهدة ولا يصدمه نحو جدار، فإنَّ إيذاءهم بلا سبب لا يجوز، وإنما المراد: ولا تتركوا لهم صدر الطريق إكرامًا لهم، وفيه تنبيه علىٰ ضِيق مسلك الكفر وأنه يلجئ إلىٰ النار، فأذن بطريقه الحسي الدنيوي إلىٰ طريقه المعنوي الأخروي، وهذه سنَّة قد أُميتت من زمان، فمَن أحياها فله الأجر (وبترك المفاتحة بالسلام) فلا يقول: السلام عليكم، تحقيرًا لشأنهم، فيحرُم ابتداؤهم به علىٰ الأصح عند الشافعية. وفي الآثار لمحمد بن الحسن: يُكره أن يُبتدأ المشرك بالسلام، ولا بأس بالرد عليه، وهو قول أبي حنيفة رحمه الله تعالىٰ، ولا ما يقوم

---

(١) فيض القدير ٦/ ٣٨٦.

مقامه من التحايا كأنْ يقول له: صبَّحك الله بالخير، أو أسعد الله صباحك، أو مثل ذلك ممَّا جرت به العادات الآن (**فإذا قال**) مبادئًا: (**السلام عليك، قلتَ: وعليك**) وإنما وجب الردُّ بـ «عليك» فقط، ولا تعارضه آية ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ﴾ [مريم: ٤٧] وآية ﴿وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ٨٩﴾ [الزخرف: ٨٩] لأن هذا سلام متاركة ومنابذة لا سلام تحية وأمان. وقد وردت في كلٍّ منهما أخبار، فأخرج أحمد[١] ومسلم[٢] وأبو داود[٣] والترمذي[٤] من حديث أبي هريرة: «لا تبدؤوا اليهود ولا النصارىٰ بالسلام، وإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه إلىٰ أضيقه» (**والأولىٰ الكف عن مخالطته ومعاملته ومؤاكلته**) فإن في كلٍّ من ذلك نوع إعزاز له (**فأما الانبساط معه والاسترسال إليه كما يسترسل إلىٰ الأصدقاء فهو مكروه كراهة شديدة يكاد ينتهي ما يقوَىٰ منه إلىٰ حد التحريم، قال الله تعالىٰ**) في كتابه العزيز: (﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ﴾ والموادة مفاعَلة من الود، كما أن المحاددة من الحد وهو العداوة (**وقال ﷺ: المؤمن والمشرك لا تتراءىٰ ناراهما**) قال العراقي[٥]: رواه أبو داود[٦] والترمذي[٧] من حديث جرير: «أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهُر المشركين». قالوا: يا رسول الله، ولِمَ؟ قال: «لا تتراءىٰ ناراهما». ورواه النسائي[٨] مرسلاً، وقال البخاري: والصحيح أنه مرسل (**وقال الله تعالىٰ**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

---

(١) مسند أحمد ١٣/ ١٤، ٥٦، ١٤/ ٢٣٣.

(٢) صحيح مسلم ٢/ ١٠٣٦.

(٣) سنن أبي داود ٥/ ٤٣٣.

(٤) سنن الترمذي ٣/ ٢٥١، ٤/ ٤٢٩.

(٥) المغني ١/ ٤٧١.

(٦) سنن أبي داود ٣/ ٢٧٥.

(٧) سنن الترمذي ٣/ ٢٥٢ - ٢٥٣.

(٨) سنن النسائي ص ٧٣٠ عن قيس بن أبي حازم بلفظ: «إني بريء من كل مسلم مع مشرك، ألا لا تتراءىٰ ناراهما».

لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ **الآية)** [الممتحنة: ١] أي لا تتخذوهم أولياء لكم، ولا توالوهم، ولا تخالطوهم.

(الثاني: المبتدع الذي يدعو إلىٰ بدعته، فإن كانت البدعة بحيث يكفُر بها فأمرُه أشد من) أمر **(الذمي؛ لأنه لا يُقَرُّ بجزية، ولا يُتسامَح بعقد ذمة)** بخلاف الذمي **(وإن كان)** ابتداعه **(ممَّا لا يكفُر به فأمره بينه وبين الله أخف من أمر الكافر لا محالة، ولكن الأمر في الإنكار عليه أشد منه علىٰ الكافر؛ لأن شر الكافر غير متعدٍّ)** إلىٰ الغير **(فإن المسلمين اعتقدوا كفره فلا يلتفتون إلىٰ قوله؛ إذ لا يدَّعي لنفسه الإسلام واعتقاد الحق، وأما المبتدع الذي يدعو)** الغير **(إلىٰ البدعة ويزعم أن ما يدعو إليه حق فهو سبب لغواية الخلق)** وإضلالهم **(فشره متعدٍّ، فالاستحباب في إظهار بغضه ومعاداته)** ومجافاته **(والانقطاع عنه وتحقيره والتشنيع عليه ببدعته وتنفير الناس عنه أشد، وإن سلَّم)** عليه **(في خلوة)** عن الناس **(فلا بأس بردِّ جوابه، فإن علم أن الإعراض عنه والسكوت عن جوابه يقبِّح في نفسه بدعتَه)** التي هو فيها **(ويؤثِّر)** ذلك **(في زجره)** وردعه **(فترك الجواب أَولىٰ)** من الرد عليه **(لأن جواب السلام وإن كان واجبًا فيسقط بأدنىٰ غرض فيه مصلحة)** مهمة **(حتىٰ يسقط)** هذا الواجبُ **(بكون الإنسان في الحمَّام أو في قضاء الحاجة)** وقد سئل السِّراج العبَّادي عن قولهم: ردُّ السلام لا يجب في اثنين وعشرين موضعًا ضمَّنها قولُ القائل:

رد السلام واجب إلا علىٰ ... مَن في صلاة أو بأكل شُغِلا[1]

---

(١) هذا البيت ضمن منظومة قصيرة في المواضع التي لا يجب فيها رد السلام، وهي:

رد السلام واجب إلا علىٰ ... من في صلاة أو بأكل شغلا
أو شرب أو قراءة أو أدعية ... أو ذكر أو في خطبة أو تلبية
أو في قضاء حاجة الإنسان ... أو في إقامة أو الأذان
أو سلم الطفل أو السكران ... أو شابة يخشىٰ بها افتتان
أو فاسق أو ناعس أو نائم ... أو حالة الجماع أو محاكم
أو كان في الحمام أو مجنونا ... هي اثنتان بعدها عشرونا

... إلىٰ آخره، فأجاب: أما قاضي الحاجة فيُكره له الرد، وأما مَن في الحمَّام فيُستحب له الرد ولا يجب، ولا يسلِّم علىٰ الفاسق والمبتدع ولا يجب الرد (**وغرض الزجر أهم من هذه الأغراض**) التي ذكروا في إسقاط الوجوب (**وإن كان في ملأ**) أي جماعة (**فتركُ الجواب أولىٰ لتنفير الناس عنه، وتقبيحًا لبدعته في أعينهم**) وتحقيرًا لشأنه (**وكذلك الأولىٰ كفُّ الإحسان إليه و**) منع (**الإعانة له**) في مهمَّاته (**ولا سيَّما فيما يظهر للخلق، قال ﷺ: مَن انتهر صاحب بدعة ملأ الله قلبه أمنًا وإيمانًا، ومن أهان صاحبَ بدعة أمَّنه الله يوم الفزع الأكبر، ومَن ألانَ له أو أكرمه أو لقيه ببِشر فقد استخفَّ بما أُنزل علىٰ محمد**) ﷺ. وفي نسخة: بما أنزل الله علىٰ محمد ﷺ. قال العراقي[1]: رواه أبو نعيم في الحلية[2] والهروي في ذم الكلام[3] من حديث ابن عمر بسند ضعيف.

قلت: ورواه أبو نصر السِّجْزي في الإبانة من حديث ابن عمر وابن عباس مرفوعًا: «مَن وقَّر صاحب بدعة فقد أعان علىٰ هدم الإسلام». ورواه أبو نصر أيضًا وابن عدي[4] وابن عساكر[5] من حديث عائشة مرفوعًا، ورواه ابن عدي[6] أيضًا من حديث ابن عباس مرفوعًا.

(**الثالث: المبتدع العامِّي الذي لا يقدر علىٰ الدعوة**) أي دعاء الناس إلىٰ

= وقد نسبها السخاوي في الضوء اللامع ١/ ٢٨٦ وابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب ٩/ ٣٦٣ لشهاب الدين أحمد بن الحسين ابن أرسلان المقدسي الشافعي المتوفي سنة ٨٤٤ هـ، ونسبها الشبراملسي في حاشية نهاية المحتاج ٨/ ٥٢ لجلال الدين السيوطي.

(١) المغني ١/ ٤٧١.

(٢) حلية الأولياء ٨/ ٢٠٠.

(٣) ذم الكلام ٤/ ١٦٩.

(٤) الكامل في الضعفاء ٢/ ٧٣٦.

(٥) تاريخ دمشق ١٤/ ٤، ٢٦/ ٤٥٦، ٤٨/ ٣٤٨.

(٦) الكامل في الضعفاء ٢/ ٤٩٨.

بدعته (**ولا يُخاف الاقتداء به، فأمره أهون**) وأخفُّ (**فالأولىٰ أن لا يعالَج بالتغليظ**) عليه (**والإهانة**) له (**بل يتلطَّف به بالنصح**) والإرشاد إلىٰ الحق (**فإن قلوب العوام سريعة التقلُّب**) لأنها ساذجة لم يرسخ فيها شيءٌ (**فإن لم ينفع النصح**) فيه (**وكان في الإعراض عنه تقبيح لبدعته في عينه**) وتحقير لشأنها (**تأكَّد الاستحبابُ في الإعراض**) عنه (**فإن علم أن ذلك لا يؤثِّر فيه لجمود طبعه**) وبلادة ذهنه (**ورسوخ عقده في قلبه فالإعراض أَولىٰ؛ لأن البدعة إذا لم يبالَغ في تقبيحها**) والحط من شأنها (**شاعت بين الخلق**) وطار شررُها (**وعمَّ فسادُها**) وتحقَّقت الغواية بها (**وأما العاصي بفعله وعمله لا باعتقاده فلا يخلو إما أن يكون بحيث يتأذَّىٰ به غيرُه كالظلم والغصب وشهادة الزور والغِيبة والتضريب بين الناس والمشي بالنميمة وأمثالها**) من المعاصي (**إذا كان ممَّا لا يقتصر عليه ويؤذي غيرَه فذلك ينقسم إلىٰ ما يدعو غيرَه إلىٰ الفساد كصاحب الماخور**) وهو مجلس الفسَّاق[1] (**الذي يجمع بين الرجال والنساء**) في الحرام (**ويهيِّئ أسباب الشرب والفساد**) لأهل الفساد (**أو لا يدعو غيرَه إلىٰ فعله**) بل يقتصر (**كالذي يشرب أو يزني، وهذا الذي لا يدعو غيرَه**) لا يخلو (**إما أن يكون عصيانه بكبيرة أو صغيرة، وكل واحد إما أن يكون مصرًّا عليها أو غير مصرٍّ، فهذه التقسيمات تتحصَّل منها ثلاثة أقسام، ولكل قسم منها رتبة**) معلومة معينة (**وبعضها أشد من بعض، فلا نسلك بالكل مسلكًا واحدًا**) ولكن نفصِّل ونقول:

(**القسم الأول، وهو أشدُّها**) أي أشد الأقسام الثلاثة (**ما يتضرَّر به الناس كـ**) حال (**الظلم والغصب وشهادة الزور والغِيبة والنميمة، فهؤلاء الأولىٰ الإعراض عنهم**) بالكلية (**وترك مخالطتهم والانقباض عن معاملتهم؛ لأن المعصية شديدة فيما يرجع إلىٰ إيذاء الخلق**) إذ ليس بعد الشرك أشد من الإضرار (**ثم هؤلاء**

---

(١) في تاج العروس ١٤/ ٩٢: «الماخور: بيت الريبة ومجمع أهل الفسق والفساد، ومجلس الخمارين. ومن يلي ذلك البيت ويقود إليه يسمىٰ أيضا ماخورا، معرب: مَيْ خُور، أي شارب الخمر، فتكون تسمية المحل به مجازا. أو عربية من مخرت السفينة: إذا أقبلت وأدبرت، سمي بذلك لتردد الناس إليه، فهو مجاز أيضا. والجمع: مواخر ومواخير».

ينقسمون إلىٰ من يظلم في الدماء) أي بقتل النفوس **(وإلىٰ من يظلم في الأموال)** أي يأخذها من غير حق **(وإلىٰ من يظلم في الإعراض)** أي يهتكها **(وبعضها أشد من بعض)** فإنَّ قتل النفوس أشد من أخذ الأموال، وأخذ الأموال أشد من الوقوع في الأعراض **(والاستحباب في إهانتهم)** وإذلالهم **(والإعراض عنهم مؤكَّد جدًّا، ومهما كان يتوقع من)** تلك **(الإهانة زجرًا لهم أو لغيرهم كان الآمر فيه آكَد وأشد.**

الثاني: صاحب الماخور) أي مجلس الفسَّاق **(الذي يهيِّئ أسباب الفساد)** بالجمع بين الرجال والنساء **(ويسهِّل سبيلَه)** أي الفساد **(علىٰ الخلق)** وفي نسخة: ويسهِّل طرقها علىٰ الخلق. أي الأسباب **(فهذا لا يؤذي الخلق في دنياهم ولكن يجتاح)** أي يستأصل **(بفعله دينَهم)** ويهلكهم. وفي بعض النسخ: يختلس، بدل «يجتاح» **(وإن كان علىٰ وفق رضاهم فهو قريب من الأول ولكنه أخف منه، فإن المعصية بين الله تعالىٰ وبين العبد إلىٰ العفو أقرب)** بناءً علىٰ أن حقوق الله مبنيَّة علىٰ المسامحة، علىٰ قول **(ولكنه من حيث إنه متعدٍّ علىٰ الجملة إلىٰ غيره فهو شديد)** لأجل تعدِّيه **(وهذا أيضًا يقتضي الإهانةَ والإعراض والمقاطعة وترك جواب السلام)** له **(إذا ظن أن فيه نوعًا من الزجر له أو لغيره.**

الثالث: الذي يفسق في نفسه بشرب خمر أو ترك واجب أو مقارفة محظور) شرعي **(يخصُّه)** في نفسه **(فالأمر فيه أخف، ولكنه في وقت مباشرته إن صُودِفَ يجب منعُه بما يمتنع به منه)** بأيِّ حال كان **(ولو بالضرب)** إن امكن **(والاستخفاف)** والإزراء **(فإن النهي عن المنكر واجب، فإذا نزع عنه وعلم أن ذلك من عادته)** اللازمة **(وهو مصرٌّ عليه فإن تحقَّق أن نصحه يمنعه من العَوْد إليه وجب النصحُ)** حينئذٍ **(وإن لم يتحقق ولكنه كان يرجوه)** منه **(فالأفضل النصح والزجر بالتلطُّف أو بالتغليظ إن كان هو الأنفع، فأما الإعراض عن جواب سلامه والكف عن مخالطته حيث يعلم أنه مصرٌّ)** عليه **(وأن النصح ليس ينفعه فهذا فيه نظرٌ، وسِيَر العلماء فيه)** أي طرائقهم **(مختلفة، والصحيح أن ذلك يختلف باختلاف نية الرجل، فعند هذا**

يقال: **الأعمال بالنيات**) وقد رواه هكذا الإمام أبو حنيفة وابن حبان في صحيحه من حديث عمر، والمشهور في لفظه: «إنما الأعمال بالنيات»، وقد تقدم، وسيأتي لذلك شرح وتفصيل في محلِّه (**إذ في الرفق والنظر بعين الرحمة إلىٰ الخلق نوع من التواضع**) لجلال الله وكبريائه (**وفي العنف والإعراض نوع من الكِبْر والعُجْب، والمستفتَىٰ فيه القلب**) الذي رُدَّ إليه الأمر فيه (**فما يراه أميَلُ إلىٰ هواه ومقتضَىٰ طبعه فالأَولىٰ ضده**) وخلافه (**إذ قد يكون استخفافه وعنفه عن**) باعث (**كِبْر وعُجْب والتذاذ بإظهار العلو**) عليه (**والإدلال بالصلاح**) أي بصلاح نفسه (**وقد يكون رفقه**) ولينه (**عن**) باعث (**مداهنة واستمالة قلبٍ للوصول به إلىٰ غرض**) من الأغراض الدنيوية (**أو لخوف من تأثير وحشة ونفرة في مال أو جاه**) سواء علم ذلك (**بظن قريب أو بعيد، وكل ذلك تردُّد علىٰ إشارات الشيطان**) ورموزه وتخيُّلاته (**وبعيد عن أعمال الآخرة، فكل راغب في أعمال الدين مجتهد مع نفسه في التفتيش**) والبحث والتنقير (**عن هذه الدقائق**) الخفية (**ومراقبة هذه الأحوال**) المختلفة (**والقلب هو المستفتَىٰ فيه**) فيما يَرِدُ عليه (**وقد يصيب الحقَّ في اجتهاده**) إن وافاه التوفيق (**وقد يخطئ**) عن الإصابة (**وقد يُقدِم علىٰ اتِّباع هواه**) بما يهواه (**وهو عالِم به، وقد يُقدِم وهو بحكم الغرور ظانٌّ أنه عامل لله وسالك طريق الآخرة**) وهو مغرور بما ظن (**وسيأتي بيان هذه الدقائق في كتاب الغرور من ربع المهلكات**) إن شاء الله تعالىٰ (**ويدل علىٰ تخفيف الأمر في الفسق القاصر الذي هو بين العبد وبين الله**) تعالىٰ (**ما رُوي أن شارب خمر ضُرب مرَّات بين يدي رسول الله ﷺ وهو يعود**) إلىٰ الشرب (**فقال واحد من الصحابة: لعنه الله، ما أكثر ما يشرب! فقال رسول الله ﷺ: لا تكن عونًا للشيطان علىٰ أخيك**) قال العراقي[١]: رواه البخاري[٢] من حديث أبي هريرة.

قلت: لفظه: «لا تكونوا عون الشيطان علىٰ أخيكم»، رواه من طريق

---

(١) المغني ١/ ٤٧١ - ٤٧٢.

(٢) صحيح البخاري ٤/ ٢٤٧.

محمد بن إبراهيم التيمي عن أبي سلمة عن أبي هريرة. وأخرج أبو محمد الحارثي في مسنده[١] من طريق حمزة بن حبيب الزيَّات والحسن بن الفرات وأبي يوسف وسعيد بن أبي الجهم ومحمد بن ميسر الصغاني كلهم عن أبي حنيفة عن يحيىٰ بن عبد الله الجابر عن أبي ماجد الحنفي عن ابن مسعود قال: إن أول حد أقيمَ في الإسلام لسارق أُتي به النبي ﷺ، فلما قامت عليه البينة قال: «انطلِقوا به فاقطعوه». فلما انطُلق به ليُقطَع نظروا إلىٰ وجه النبي ﷺ كأنما أُسيفَ عليه الرماد، فقال بعض جلسائه: واللهِ يا رسول الله لكأن هذا قد اشتد عليك. قال: «وما يمنعني أن لا يشتد عليَّ أن تكونوا أعوان الشياطين علىٰ أخيكم ...» الحديث. وسيأتي في ذكر حقوق المسلم مفصَّلاً (أو لفظ) آخر (هذا معناه) قال ذلك تأدُّبًا (**وكأنَّ هذا إشارة إلىٰ أن الرفق أولىٰ من العنف والتغليظ.**

---

(١) مسند أبي حنيفة للحارثي ص ٢٥٠ - ٢٥١.

بيان الصفات المشروطة فيمن تختار صحبته

اعلمْ أنه لا يصلُح للصحبة كلُّ إنسان، قال ﷺ: المرء علىٰ دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالِل) قال العراقي[١]: رواه أبو داود[٢] والترمذي[٣] وحسَّنه والحاكم[٤] من حديث أبي هريرة وقال: صحيح إن شاء الله.

قلت: وكذلك رواه الطيالسي[٥] والبيهقي[٦] والقضاعي[٧] من طريقه والعسكري كلهم من طريق موسي بن وَرْدان عن أبي هريرة. وتوسَّع ابن الجوزي فأورده في الموضوعات[٨]. ورواه العسكري من طريق سليمان بن عمرو النخعي عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس مرفوعًا، ولفظه: «المرء علىٰ دين خليله، ولا خير لك في صحبة من لا يري لك الخير مثل الذي ترىٰ له». ورواه ابن عدي في كامله[٩]، وسنده ضعيف، وهو في الشعب للبيهقي بلفظ «من يخالُّ» بلام

---

(١) المغني ١/ ٤٧٢.

(٢) سنن أبي داود ٥/ ٢٨٧.

(٣) سنن الترمذي ٤/ ١٨٧.

(٤) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٢٨٥.

(٥) مسند الطيالسي ٤/ ٢٩٩.

(٦) شعب الإيمان ١٢/ ٤٤.

(٧) مسند الشهاب ١/ ١٤٢.

(٨) لم يورده في الموضوعات، وإنما أورده في العلل المتناهية ٢/ ٧٢٤ من طريقين وقال: «هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ، أما الأول فقال ابن حبان: موسىٰ بن وردان يروي المناكير عن المشاهير. وأما الثاني فإن إبراهيم بن أبي يحيىٰ قد كذبه مالك ويحيىٰ بن معين وغيرهما».

(٩) هذا الحديث رواه ابن عدي في الكامل ٣/ ١٠٩٧ من طريق سليمان بن عمرو النخعي عن أبي حازم عن سهل بن سعد الساعدي. أما حديث أنس الذي أشار إليه الشارح فرواه ٣/ ١٠٩٩ بلفظ: «الناس سواء كأسنان المشط، وإنما يتفاضلون بالعافية، والمرء كثير بأخيه يرفده ويحمله، ولا خير في صحبة من لا يرىٰ لك مثل ما ترىٰ له».

واحدة مشدَّدة.

وفي هذا المعنىٰ قال الشاعر:

عن المرء لا تسأل وأبصِرْ قرينه فكل قرين بالمُقارَن يقتدي[١]

(فلا بد أن يتميز بخصال وصفات يُرغَب في صحبته بسببها، وتُشترط تلك الخصال بحسب الفوائد المطلوبة من الصحبة؛ إذ معنىٰ الشرط: ما لا بد منه للوصول إلىٰ المقصود) ويكون كالعلامة عليه **(فبالإضافة إلىٰ المقصود تظهر الشروط)** وتبان العلامات **(وتُطلَب من الصحبة فوائد دينية ودنيوية، أما الدنيوية فكالانتفاع بالمال أو الجاه أو مجرَّد الاستئناس بالمشاهدة)** لوجهه هو **(وبالمجاورة)** حيث يسكن **(وليس ذلك من غرضنا. وأما الدينية فتجتمع فيها أيضًا أغراض مختلفة)** باختلاف الأشخاص والأحوال **(إذ منها الاستفادة من العلم والعمل، ومنها الاستفادة من الجاه تحصُّنًا به عن إيذاء من يشوِّش القلب)** ويفرِّقه **(ويصد عن العبادة، ومنها استفادة المال للاكتفاء به عن تضييع الأوقات في طلب الأقوات)** فإنَّ تحصيل القوت يستدعي أوقاتًا إن هو تأخر عنها لم يحصل علىٰ مقصوده فيضيِّعها فيما يشغله عن عبادة الله **(ومنها الاستعانة في المهمَّات)** أي الأمور اللازمة **(فيكون عُدَّة في المصائب)** يستعين به في دفع النوازل **(وقوة في الأحوال، ومنها التبرُّك بمجرد الدعاء)** الصالح **(ومنها انتظار الشفاعة في)** الدار **(الآخرة، فقد قال بعض السلف: استكثِرْ من الإخوان، فإن لكل مؤمن)** عند الله **(شفاعة، فلعلك تدخل في شفاعة أخيك)** نقله صاحب القوت. وقد رُوي ذلك مرفوعًا، أخرج[٢] ابن النجار في تاريخه من حديث أنس بسند ضعيف مرفوعًا: «استكثِروا من الإخوان، فإن لكل

---

(١) اختلف في نسبة هذا البيت، فنسبه البعض لطرفة بن العبد، وهو في ديوانه ص ٣٢. ونسبه الأكثرون لعدي بن زيد العبادي، وهو في ديوانه ص ١٠٦ (ط - وزارة الثقافة والإرشاد العراقية).

(٢) فيض القدير ١/ ٥٠٠.

مؤمن شفاعة»[١]. والمراد به الاستكثار من مؤاخاة الأخيار، فإن لم يكونوا أخيارًا فينبغي الإقلال منهم، كما قال ابن الرومي[٢]:

عدوك من صديقك مستفاد فلا تستكثرنَّ من الصِّحاب

فإن الداء أكثر ما تراه يكون من الطعام أو الشراب

(**ورُوي في غريب التفسير في قوله تعالىٰ:** ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾) [النساء: ١٧٣] هكذا في النسخ، وهذه الآيه في سورة النساء، وأخرج[٣] ابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني[٤] وابن مردويه وأبو نعيم في الحلية[٥] والإسماعيلي في معجمه[٦] بسند ضعيف عن ابن مسعود رفعه قال: «أجورهم: يدخلهم الجنة، ويزيدهم من فضله: الشفاعة فيمن وجبت لهم النار ممَّن صنع إليهم المعروف في الدنيا». وأما صاحب القوت فقال: وروينا عن رسول الله ﷺ حديثًا غريبًا في تفسير قوله تعالىٰ، يعني في الشوري: ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ [الشورىٰ: ٢٦] (**قال: يشفِّعهم في إخوانهم فيدخلهم الجنة معهم**) قلت: أخرجه ابن جرير[٧] من طريق قتادة عن أبي إبراهيم اللخمي في قوله: ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ قال: يشفَّعون في إخوان إخوانهم (**ويقال: إذا غفر الله للعبد شُفِّع في إخوانه**) نقله صاحب القوت (**ولذلك حثَّ جماعةٌ من السلف علىٰ الصحبة والألفة والمخالطة، وكرهوا**

---

(١) ورواه الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب ١/ ٨١ بلفظ: «أكثروا من المعارف من المؤمنين، فإن لكل مؤمن شفاعة عند الله يوم القيامة».

(٢) البيتان في ديوانه ١/ ١٤٩.

(٣) الدر المنثور ٥/ ١٤٢.

(٤) المعجم الكبير ١٠/ ٢٤٨.

(٥) حلية الأولياء ٤/ ١٠٨، ٧/ ١٢٨.

(٦) معجم شيوخ الإسماعيلي ٢/ ٥٦٩ (ط - مكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة).

(٧) جامع البيان ٢٠/ ٥٠٧.

العزلة والانفراد) منهم ابن المسيب والشعبي وابن أبي ليلىٰ وهشام بن عروة وابن شُبرمة وشُرَيح وابن عيينة وابن المبارك والشافعي وابن حنبل، كما سيأتي ذلك في أول كتاب العزلة **(فهذه فوائد تستدعي كلٌّ فائدة شروطًا لا تحصل إلا بها ويخفىٰ تفصيلُها)** وفي نسخة: ولا يخفَىٰ **(وأما علىٰ الجملة فينبغي أن يكون فيمن تؤثَر)** أي تُختار **(صحبته خمس خصال: أن يكون عاقلاً، حَسن الخُلق، غير فاسق، ولا مبتدع، ولا حريص علىٰ الدنيا)** وفي القوت: وإياك أن تصحب من الناس خمسة: المبتدع، والفاسق، والجاهل، والحريص علىٰ الدنيا، والمغتاب؛ فإنَّ هؤلاء مَفسدة للقلوب، مَذهبة للأحوال، مَضرَّة في الحال والمآل **(أما العقل فهو رأس المال)** أي بمنزلته **(وهو الأصل)** وبتمامه تمام الدين، فقد روىٰ البيهقي[1] من حديث أنس: «وما تم دينُ إنسان قط حتىٰ يتم عقلُه» **(ولا خير في صحبة الأحمق)** أي فاسد العقل **(فإلىٰ القطيعة والوحشة ترجع عاقبتُها)** أي تلك الصحبة **(وإن طالت، قال عليٌّ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**)** فيما نُسب إليه، وفي القوت: روىٰ الأصمعي عن مجالد عن الشعبي قال: قال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لرجل وقد كره صحبة رجل أحمق، فقال:

(لا تصحب أخا الجهل وإياك وإياه
فكم من جاهل أردَىٰ حكيما حين آخاه)

معنىٰ أردَىٰ: أهلك

(يُقاس المرء بالمرء إذا ما المرء ماشاه)

وفي نسخة: إذا ما هو ماشاه، والمُماشاة: الاستواء في المشي

(وللشيء من الشيء مقاييس وأشباه
وللقلب علىٰ القلب دليل حين يلقاه[2]

---

(١) شعب الإيمان ١٠/ ٤٠٦.

(٢) الأبيات في ديوان علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ص ٢٠٥ بزيادة بيتين آخرين، الأول: =

كيف والأحمق قد يضرك وهو يريد منفعتك وإعانتك من حيث لا يدري) وروىٰ جعفر الصادق عن أبيه: إياك والأحمق، فإنه يريد أن ينفعك فيضرك **(ولذلك قيل:**

آني لآمَنُ من عدو عاقل وأخاف خِلاً يعتريه جنونُ

فالعقل فن واحد وطريقه أدري وأرصد والجنون فنون[1]

ولذلك قيل: مقاطعة الأحمق قربان إلىٰ الله) تعالىٰ، وقد جاء في بعض الأخبار[2]: إياك أن تصحب جاهلاً فتجهل بصحبته أو غافلاً عن مولاه متبعًا لهواه فيصدك عن سبيله فتردىٰ، كما قال تعالىٰ: ﴿فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [يونس: ٨٩] **(وقال)** سفيان **(الثوري)** رحمه الله تعالىٰ: **(النظر في وجه الأحمق خطيئة مكتوبة)** كذا في القوت **(ونعني بالعاقل: الذي يفهم الأمور)** بنور عقله **(علىٰ ما هي عليها أما بنفسه)** أي من جوهر طبعه وهو الوهب الإلهي **(وإما إذا فُهِّم وعُلِّم)** أي علَّمه الغير وفهَّمه ففهم وعَلِم، وهذا هو العقل المكتسَب **(وأما حُسن الخُلُق فلا بد منه)** في الصاحب **(إذ رُب عاقل يدرك الأشياء)** بنفوذ بصيرته **(علىٰ ما هي عليها ولكن إذا غلبه غضبٌ أو شهوة أو جبن)** استرسل مع نفسه و**(أطاع هواه وخالف ما هو المعلوم عنده؛ لعجزه عن قهر صفاته)** الرديَّة **(وتقويم أخلاقه)** السيئة **(فلا خير في صحبته)** أيضًا **(وأما الفاسق المصرُّ علىٰ الفسق فلا فائدة في صحبته)** أيضًا **(لأن من يخاف الله)** ويخشاه **(لا يصر علىٰ كبيرة)** أصلاً **(ومَن لا يخاف الله)** تعالىٰ **(لا تؤمَن غائلته)** أي داهيته **(ولا يوثَق بصداقته، بل يتغيَّر بتغيُّر**

كحذو النعل بالنعل إذا ما النعل حاذاه

والثاني:

وفي العين غني للعيـ ن إن تنطق وأفواه

(١) لم أقف علىٰ قائل هذين البيتين.

(٢) هذا ليس خبرا ولا أثرا، وإنما هو كلام أبي طالب المكي في القوت.

الأغراض) ومنه قول العامة: الذي لا يخاف الله خَفْ منه **(وقال تعالىٰ:** ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ﴾) [الكهف: ٢٨] أي لا توافقه ولا ترافقه **(وقال عَزَّوَجَلَّ:** ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾﴾ [طه: ١٦] أي تكون رديًا، أو فتهلك **(وقال تعالىٰ:** ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾﴾ [النجم: ٢٩] ففي دليله الإقبالُ بالصحبة علىٰ مَن أقبل إلىٰ ذكره والإعراض عمَّن أعرض عن وجهه، فلا تصحبنَّ إلا مقبلاً إليه **(وقال تعالىٰ:** ﴿ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ﴾ [لقمان: ١٥] أي رجع **(وفي مفهوم ذلك زجرٌ عن)** مصاحبة **(الفسَّاق)** والغافلين **(وأما المبتدع ففي صحبته خطر سراية البدعة وتعدِّي شؤمها إليه، فالمبتدع مستحق للهجرة والمقاطعة)** وعدم المصافاة **(وكيف تؤثَر صحبته وقد قال عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **في الحث علىٰ طلب التديُّن في الصديق فيما رواه سعيد بن المسيب)** ولفظ القوت: وفي وصية عمر ابن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ التي رويناها عن يحيىٰ بن سعيد الأنصاري عن سعيد بن المسيب قال: قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قلت: وسعيد بن المسيب لم يدرك عمر باتفاق المحدِّثين، إلا أنه كان راوية أخباره؛ لكثرة تتبُّعه لها **(عليك بإخوان الصدق تعِشْ في أكنافهم، فإنهم زينة في الرخاء وعدَّة في البلاء، وضعْ أمرِ أخيك علىٰ أحسنه حتىٰ يجيئك ما يغلبك منه، واعتزل عدوك، واحذر صديقك)** من القوم **(إلا الأمين، ولا أمين إلا من يخشىٰ الله، ولا تصحب الفاجر فتتعلَّم من فجوره، ولا تطلعه علىٰ سرِّك، واستشِرْ في أمرك الذين يخشون الله تعالىٰ)** كذا في القوت. وقال أبو نعيم في الحلية[1]: حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا محمد بن أبي سهل، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا عبد الله بن إدريس، عن محمد بن عجلان، عن إبراهيم بن مرة، عن محمد بن شهاب قال: قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لا تعترض فيما لا يعنيك، واعتزلْ عدوك، واحتفظ من خليك إلا الأمين فإن الأمين من القوم لا يعادله شيء، ولا تصحب الفاجر فيعلِّمك من فجوره، ولا

---

(١) حلية الأولياء ١/ ٥٥.

تُفْشِ إليه سرك، واستشِرْ في أمرك الذين يخشون الله عَزَّوَجَلَّ (**وأما حُسن الخُلق فقد جمعه علقمة**) بن[١] عمرو بن الحصين (**العُطاردي**) أبو الفضل الكوفي، صدوق له غرائب، روىٰ له ابن ماجه، مات سنة ست وخمسين [ومائة] (**في وصيته لابنه لما حضرته الوفاة قال**) ولفظ القوت: وحدثونا عن إبراهيم بن سعيد قال: حدثنا يحيىٰ بن أكثم قال: حدثت المأمون أمير المؤمنين فقلت له: حدثني سفيان بن عيينة عن عبد الملك بن أبجر قال: لما حضرت علقمة العطاردي الوفاةُ دعا بابنه فقال: (**يا بني، إن عرضت لك إلىٰ صحبة الرجال حاجةٌ فاصحب مَن إذا خدمتَه صانك، وإن صحبتَه زانَك، وإن قعدتْ بك مؤنةٌ مانَك، اصحبْ من إذا مددت يدك بخير مدَّها، وإن رأىٰ منك حسنة عدَّها، وإن رأىٰ منك سيئة سدَّها، اصحب من إذا سألته أعطاك، وإن سكتَّ ابتداك، وإن نزلت بك نازلةٌ واساك، اصحب من إذا قلتَ قولاً صدَّق قولك، وإن حاولتما أمرًا أمرك، وإن تنازعتما آثرَك**)[٢] قال المصنف زيادة علىٰ صاحب القوت: (**وكأنه جمع بهذا جميع حقوق الصحبة وشرط أن يكون قائمًا بجميعها**) ثم قال صاحب القوت: (**قال ابن أكثم**) هو[٣] أبو محمد يحيىٰ بن أكثم بن محمد بن قطن التميمي المروزي، القاضي المشهور، فقيه صدوق، إلا أنه رُمي بسرقة الحديث، ولم يقع ذلك له وإنما كان يرىٰ الرواية بالإجازة والوجادة، روىٰ له الترمذي، مات سنة ثلاث وأربعين [ومائتين] عن ثلاث وثمانين سنة (**قال المأمون**) يعني أمير المؤمنين عبد الله بن هارون: (**فأين هذا؟ فقيل له: أتدري لِمَ أوصاه بذلك؟ قال: لا. قال: لأنه أراد أن لا يصحب أحدًا**) أي لأنه لا يجده جامعًا لهذه الأوصاف. وتُروَىٰ هذه الوصية بلفظ آخر[٤]: **لا تصحب من الناس إلا من إن**

---

(١) تقريب التهذيب ص ٦٨٨.

(٢) رواه أبو عبد الرحمن السلمي في آداب الصحبة ص ١١٠ - ١١١ مع اختلاف في بعض سياقه، ورواه ابن أبي الدنيا بنحوه في كتاب الإخوان ص ٩٦.

(٣) تقريب التهذيب ص ١٠٤٩.

(٤) في القوت: «وأوصىٰ بعض السلف ابنه فقال: يا بني، لا تصحب ...» الخ.

افتقرت قرُب منك، وإن استغنيت لم يطمع فيك، وإن علتْ مرتبته لم يرتفع عليك، وإن ابتذلتَ له صانك، وإن احتجت إليه مانَك، وإن اجتمعت معه زانَك، فإن لم تجد هذا فلا تصحب أحدًا.

(**وقال بعض الأدباء: لا تصحب من الناس إلا من**) كان على هذا الوصف: (**يكتم سرك، ويستر عيبك، ويكون معك في النوائب**) أي الشدائد (**ويؤثرك بالرغائب، وينشر حسنتك، ويطوي سيئتك، فإن لم تجده فلا تصحب إلا نفسك**) أي اعتزلْ عنهم. نقله صاحب القوت. قال: وقد أنشدنا بعض العلماء لبعض الأدباء:

وندمان أخي ثقةً كان حديثه خبره
يسرُّك حُسنُ ظاهره وتحمد منه مُختبرَه
يساعد خِلَّه كرمًا وفي أخلاقه أَثَره
ويطوي سره أبدًا وحسنًا إن طُوي نشره
ويستر عيب صاحبه ويستر أنه ستره[1]

(**وقال علي** رضي الله عنه) ولفظ القوت: وروينا عن الحسن بن علي رضي الله عنهما في وصف الأخ كلامًا رجزًا جامعًا مختصرًا:

(إن أخاك الحق من كان معك ومن يضر نفسه لينفعك
ومن إذا ريب الزمان صدَّعك شتَّت شمل نفسه ليجمعك)[2]

(١) البيت الأول والثاني والخامس في ديوان أبي الفتح محمود بن الحسين الكاتب المعروف بكشاجم ص ١٩٩ (ط - مكتبة الخانجي).

(٢) البيتان في ديوان علي رضي الله عنه ص ٦٢.

ويُروَىٰ: إن أخاك الصدق، بدل: الحق. وشتَّت فيك شمله. ومنهم مَن نسبه للإمام الشافعي.

(**وقال بعض العلماء: لا تصحب إلا أحد رجلين: رجل تتعلَّم منه شيئًا من أمر دينك فينفعك، أو رجل تعلِّمه شيئًا من أمر دينه فيقبل منك، والثالث فاهرب منه**) نقله صاحب القوت[1]. ومثله قول أبي الدرداء: كنْ عالِمًا أو متعلمًا، ولا تكن ثالثًا فتهلك.

(**وقال بعضهم: الناس أربعة: فواحد حلو كله فلا تشبع منه**) ولفظ القوت: فهذا لا يُشبَع منه (**وآخر مرٌّ كله فلا تأكل منه**) ولفظ القوت: فهذا لا يؤكل منه (**وآخر فيه حموضة فخذ من هذا قبل أن يأخذ منك، وآخر فيه ملوحة فخذ منه وقت الحاجة فقط**) ولفظ القوت: فخذ منه إذا احتجتَ إليه.

(**وقال جعفر الصادق**) ولفظ القوت: وروينا عن جعفر بن محمد الصادق قال: قال محمد بن علي: يا بنيَّ (**لا تصحب**) ولفظ القوت: لا تصحبنَّ من الناس (**خمسة**) الأول: (**الكذاب فإنك منه علىٰ غرور، وهو مثل السَّراب**) الذي يلمع من حر الشمس فيُرَىٰ أنه ماء وليس كذلك (**يقرِّب منك البعيدَ ويبعِّد منك القريب. و**) الثاني: (**الأحمق، فإنك لستَ منه علىٰ شيء، يريد أن ينفعك فيضرك. و**) الثالث: (**البخيل، فإنه يقطع بك أحوج ما تكون إليه. و**) الرابع: (**الجبان، فإنه يُسلِمك ويفر عند الشدة. و**) الخامس: (**الفاسق، فإنه يبيعك بأكلة أو أقل منها. فقيل**) ولفظ القوت: قلت: (**وما أقل منها؟ فقال: الطمع فيها ثم لا ينالها**) وقال أبو نعيم في الحلية[2]: حدثنا محمد بن علي بن حبيش، حدثنا أحمد بن يوسف ابن الضحَّاك،

---

(١) ولفظه عنده: «الناس ثلاثة، فاصحب رجلين واهرب من الثالث: رجل أعلم منك فاصحبه تتعلم منه، ورجل أنت أعلم منه يقبل منك فاصحبه تعلمه، ورجل معجب بنفسه لا علم عنده ولا تعلُّم فاهرب من هذا».

(٢) حلية الأولياء ٣/ ١٨٣ - ١٨٤.

حدثنا محمد بن يزيد، حدثنا محمد بن عبد الله القرشي، حدثنا محمد بن عبد الله الزبيري، عن أبي حمزة الثمالي، حدثني أبو جعفر محمد بن علي قال: أوصاني أبي فقال: لا تصحبنَّ خمسًا، ولا تحادثهم، ولا ترافقهم في الطريق. قال: قلت: جُعلتُ فداك يا أبتِ، مَن هؤلاء الخمسة؟ قال: لا تصحبنَّ فاسقًا، فإنه يبيعك بأكلة فما دونها. قال: قلت: يا أبت، فما دونها؟ قال: يطمع فيها ثم لا ينالها. قال: قلت: يا أبت، ومَن الثاني؟ قال: لا تصحبنَّ البخيل، فإنه يقطع بك في ماله أحوج ما كنت إليه. قال: قلت: يا أبت، ومَن الثالث؟ قال: لا تصحبنَّ كذابًا، فإنه بمنزلة السراب يبعِّد منك القريبَ ويقرِّب منك البعيدَ. قلت: يا أبت، ومَن الرابع؟ قال: لا تصحبنَّ أحمق، فإنه يريد أن ينفعك فيضرك. قال: قلت: يا أبت، ومَن الخامس؟ قال: لا تصحبنَّ قاطع رحم، فإني وجدتُه ملعونًا في كتاب الله تعالىٰ في ثلاثة مواضع.

(وقال) أبو القاسم (**الجنيد**) قُدِّس سره: (**لأن يصحبني فاسق حَسن الخُلق أحب إليَّ من أن يصحبني قارئ**) أي فقيه (**سيِّئ الخُلق**) نقله صاحب القوت.

(وقال) أحمد (**ابن أبي الحواري: قال لي أستأذي أبو سليمان**) الداراني رحمه الله تعالىٰ: (**يا أحمد، لا تصحب إلا أحد رجلين: رجل ترتفق به في أمر دنياك، أو رجل تريد بصحبته المنفعة في أمر آخرتك، والاشتغال بغير هذين حمق كبير**) نقله صاحب القوت.

(وقال) أبو محمد (**سهل بن عبد الله**) التستري رحمه الله تعالىٰ: (**اجتنِبْ صحبة ثلاثة من أصناف الناس: الجبابرة الغافلين، والقرَّاء المداهنين، والمتصوِّفة الجاهلين**)[1] نقله صاحب القوت. والمراد بالجبابرة: الظَّلَمة، ووصفهم بالغافلين لغفلتهم عن الله تعالىٰ، وهو وصفٌ لازم لهم. وأراد بالقرَّاء المداهنين: العلماء

(١) هذا الكلام نسبه أبو عبد الرحمن السلمي في طبقات الصوفية ص ٣٦ وابن السمعاني في معجم شيوخه ٢/ ٦١٧ (ط - دار عالم الكتب) ليحيىٰ بن معاذ الرازي.

المخالطين لأهل الأموال فيصانعونهم بالمداهنة في الأعمال. وأراد بالمتصوفة الجاهلين: المتزيين بزي أهل الله وهم جاهلون في السلوك، فهؤلاء مَضرتهم أكثر من منفعتهم.

(واعلمْ أن هذه الكلمات أكثرها غير محيط بجميع أغراض الصحبة، و) إنما **(المحيط ما ذكرناه من ملاحظة المقاصد ومراعاة الشروط بالإضافة إليها، فليس ما يُشترط للصحبة في مقاصد الدنيا مشروطًا في)** مقاصد **(الصحبة للآخرة، والإخوة كما قال شقيق)** البلخي رحمه الله تعالىٰ: **(الإخوان ثلاثة: أخ لآخرتك، وأخ لدنياك، وأخ لتأنس به)** هذا الكلام لم أجده في ترجمة شقيق في الحلية ولا في غيرها، والذي في القوت: وقال بشر بن الحارث: يكون للرجل ثلاثة إخوان: أخ لآخرته، وأخ لدنياه، وأخ يأنس به. فأخبر أن أخ المؤانسة قد لا يكون متقرِّبًا عابدًا، وأن الأُنس مخصوص، يقال: لا يوجد إلا في كريم. وكان يوسف بن أسباط يعزِّز مَن فيه أُنس من الإخوان، فكان يقول: ما في المصيصة ثلاثة يؤنَس بهم. واعلم أن الأنس لا يوجد في كل عالِم، ولا في كل عاقل، ولا في كل عابد زاهد، ويحتاج الأنس إلىٰ وجود معانٍ تكون في الوليِّ، فإذا اجتمعت فيه كمُل فيه الأنس، وارتفعت عنه الوحشة والحشمة، ومن لم تكن فيه لم يوجد فيه أنسٌ، ومَن لم تكمُل فيه وُجد فيه بعض الأنس، وإذا حصل الأنس ففيه الرَّوح من الكروب، والاستراحة من الغم، والسكون والطمأنينة في القلب، فلذلك عزَّ مَن يوجد فيه الأنس لعزة خصاله، وهي سبع: علم، وعقل، وأدب، وحُسن خُلق، وسخاء نفس، وسلامة قلب، وتواضع. فإن فُقد بعضها لم يجد خلاًّ يأنس بكماله من قِبَل أن أضدادها وحشة كلها، فاعرفْ هذا.

(وقلَّما تجتمع هذه المقاصد في واحد، بل تتفرَّق علىٰ جمع فتتفرَّق الشروط فيهم لا محالة، وقد قال المأمون) أمير المؤمنين عبد الله بن هارون: **(الإخوان ثلاثة، أحدهم مثله مثل الغذاء)** للجسد **(لا يُستغنَىٰ عنه، والآخَر مثله مثل الدواء يُحتاج**

إليه في وقت دون وقت، والثالث مثله مثل الداء لا يُحتاج إليه قط. ولكن العبد قد يُبتلَىٰ به، وهو الذي لا أنس فيه ولا نفع) عنده، والأول نعمة من الله سبحانه على العبد، فيه ألفة وأنس، ومعه غنيمة ونفع. كذا في القوت.

(وقد قيل: مَثَل جملة الناس كمثل) جملة **(الشجر والنبات، فمنه ما له ظل وليس له ثمر، وهو مثل الذي يُنتفَع به في الدنيا دون الآخرة)** شبَّهه بالشجرة التي لها ظل من غير ثمر، فيُنتفَع بظله ولكن لا ثمرة له في العقبَىٰ، وكذلك المشبَّه به يُحتاج إليه في وقت **(فإنَّ نفع الدنيا كالظل السريع الزوال)** ولذا قيل: إنما الدنيا كظل زائل **(ومنه ما له ثمر وليس له ظل، وهو مثل الذي يصلُح للآخرة دون الدنيا. ومنه ما له ثمر وظل جميعًا)** فهذا الذي يصلُح للدين والدنيا، وهو أعزُّها **(ومنه ما ليس له واحد منهما)** لا ظل ولا ثمر، وهذا هو الذي لا يُحتاج إليه **(كأم غَيْلان)**[1] وهي شجرة الغضا، شائكة، لا يُنتفَع بها، وتُعرَف أيضًا بشوك البرِّيَة، وإنما عُرفت بأم غيلان لِما تزعم العرب أنها مأوىٰ شياطين الجن **(تمزِّق الثياب ولا طعم لها ولا شراب)** فهؤلاء من الناس من يضر ولا ينفع، ويكثر ولا يدفع **(ومثله في الحيوان)** مثل **(الفأرة والعقرب)** أي فإنهما مضرَّان لا نفع فيهما للإنسان مطلقًا **(كما قال)** الله **(تعالىٰ: ﴿ يَدۡعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقۡرَبُ مِن نَّفۡعِهِۦۚ لَبِئۡسَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَلَبِئۡسَ ٱلۡعَشِيرُ ﴿١٣﴾ ﴾** [الحج: ١٣] **و)** في وصفهم **(قال الشاعر)** وهو المؤمل:

(الناس شتىٰ إذا ما أنت ذقتهم ... لا يستوون كما لا يستوي الشجر

هذا له ثمر حلو مذاقته ... وذاك ليس له ظل ولا ثمر)[2]

---

(١) أم غيلان هي الشجرة المعروفة باسم: السنط الصمغي، وتسمىٰ أيضا: الطلح المغربي.

(٢) البيتان في لباب الآداب للثعالبي ص ١٨١ (ط - دار الكتب العلمية) مع بيتين آخرين قبله برواية:

إذا مرضنا أتيناكم نعودكم ... وتذنبون فنأتيكم فنعتذر

لا تحسبوني غنيا عن مودتكم ... إني إليكم وإن أثريت مفتقر

الناس شتىٰ إذا ما أنت ذقتهم ... لا يستوون كما لا يستوي الشجر

ولفظ القوت:

ذا رب ظل وهذا عنده ثمر   وذاك ليس له ظل ولا ثمر

ويوجد في بعض نسخ الكتاب: وذاك ليس له طعم ولا ثمر. وفي أخرىٰ: ولا أثر.

(**فإذًا من لم يجد له رفيقًا يؤاخيه ويستفيد منه أحدَ هذه المقاصد**) دينية ودنيوية (**فالوحدة أولىٰ به**) وأرفق لحاله (**قال أبو ذر** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: **الوحدة خير من الجليس السوء، والجليس الصالح خير من الوحدة**) هكذا هو في القوت موقوفًا علىٰ أبي ذر، قال الحافظ ابن حجر: وهو المحفوظ (**ويُروَىٰ مرفوعًا**) إلىٰ رسول الله ﷺ، أخرجه الحاكم[1] في المناقب والبيهقي[2] وأبو الشيخ والعسكري في الأمثال من طريق صدقة بن أبي عمران عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «الوحدة خير من جليس السوء، والجليس الصالح خير من الوحدة، وإملاء الخير خير من السكوت، والسكوت خير من إملاء الشر». قال الذهبي: لم يصحَّ، ولا صَحَّحه الحاكم. وقال الحافظ ابن حجر[3]: سنده حسن. وقد أغفله العراقي فلم يورده. وصدقة[4] بن أبي عمران، قاضي الأهواز، كوفي، صدوق، روىٰ له البخاري تعليقًا ومسلم وابن ماجه (**وأما الديانة وعدم الفسق فقال الله تعالىٰ:** ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾) [لقمان: ١٥] ففي مفهومه زجرٌ عن مصاحبة أهل الفسق والفجور، كما تقدم: فلا تصحبنَّ إلا مقبلاً عليه (**ولأن مشاهدة الفسق و**) معاشرة (**الفسّاق تهوِّن أمر المعاصي علىٰ**

هـذا لـه ثمـر حلـو مذاقتـه   وذا يمـر فـلا يحلـو لـه ثمـر

وقال: إنها أمير شعره ودرة تاجه. والمؤمل هو المؤمل بن أميل بن أسيد المحاربي الكوفي، من شعراء الدولة العباسية، توفي في خلافة هارون الرشيد.

(١) المستدرك علىٰ الصحيحين ٣/ ٤٢٠.

(٢) شعب الإيمان ٧/ ٥٩.

(٣) فتح الباري ١١/ ٣٣٩.

(٤) تقريب التهذيب ص ٤٥١.

القلب، وتبطل نفرةَ القلب عنها) فالأحرىٰ عدم مشاهدتهم وأحوالهم في حال من الأحوال **(قال سعيد بن المسيب)** رحمه الله تعالىٰ: **(لا تنظروا إلىٰ الظَّلَمة فتحبط أعمالكم الصالحة)** كذا في القوت **(بل هؤلاء)** الظلمة والفسَّاق **(لا سلامة في مخالطتهم، وإنما السلامة في الانقطاع عنهم)** وقد **(قال الله تعالىٰ)** وهو أحسن الواصفين في وصف أوليائه المتقين: (﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾ [الفرقان: ٦٣] **أي سلامة، والألف بدل من الهاء)** لازدواج الكلم **(ومعناه: إنَّا سلمنا من إثمكم، وأنتم سلمتم من شرنا)** كذا في القوت.

(فهذا ما أردنا أن نذكره من معاني الإخوة وشروطها وفوائدها، فلنشرع في ذكر حقوقها ولوازمها وطرق القيام بحقها).

ثم قال المصنف مشيرًا إلىٰ الشرط الخامس: **(وأما الحريص علىٰ الدنيا فصحبته سم قاتل؛ لأن الطباع مجبولة علىٰ التشبُّه والاقتداء)** في الأحوال والأوصاف **(بل الطبع يسرق من الطبع من حيث لا يريده صاحبه)** ومنه قول العامة: الطبع سرَّاق **(فمجالسة الحريص علىٰ الدنيا تحرِّك الحرصَ)** علىٰ الدنيا **(ومجالسة الزاهد تزهِّد في الدنيا)** وتقلِّلها في عينه **(فلذلك تُكره صحبة طلاَّب الدنيا، وتُستحب صحبة الراغبين في الآخرة)** فقد[1] روىٰ الطبراني في الكبير[2] والخرائطي في مكارم الأخلاق[3] والعسكري في الأمثال من حديث أبي جحيفة: «جالِسوا العلماء، وسائِلوا الكُبَراء، وخالِطوا الحكماء». رووه من طريق أبي مالك النخعي عن سلمة بن كهيل عن أبي جحيفة به مرفوعًا. ورواه العسكري أيضًا من طريق إسحاق بن الربيع العصفري حدثنا أبو مالك به نحوه، ومن طريق مسعر [عن سلمة] عن أبي جحيفة قال: كان يقال: جالِس الكبراء، وخالط العلماء،

---

(١) المقاصد الحسنة ص ١٧٠ - ١٧١.

(٢) المعجم الكبير ٢٢/ ١٢٥.

(٣) مكارم الأخلاق ص ٢٤١، ولفظه: «جالسوا الكبراء، وسائلوا العلماء، وخاطبوا الأمراء».

وخالِل الحكماء. موقوف[١]. وفي [الباب] حديث ابن عباس: قيل: يا رسول الله، مَن نجالس؟ قال: «مَن ذكَّركم اللهَ رؤيتُه، وزاد في علمكم منطقُه، وذكَّركم الآخرةَ عملُه». رواه العسكري في الأمثال[٢].

(قال علي رضي الله عنه: أحيوا الطاعات بمجالسة من يُستحيا منه)[٣] وذلك لأن الصحبة مؤثِّرة، فإذا جالَسَ مَن يحتشم منه وجد لذة الحشمة والوقار في نفسه فيسري ذلك في طاعاته.

(وقال أحمد بن حنبل رحمه الله: ما أوقعني في بليَّة إلا صحبة مَن لا أحتشم منه[٤]**.**

وقال لقمان) الحكيم لابنه وهو يعظه: **(يا بنيَّ، جالِس العلماء وزاحمهم بركبتيك، فإنَّ القلوب تحيا بالحكمة كما تحيا الأرض الميتة بوابل المطر)** رواه مالك في الموطأ[٥]، وقد تقدم في كتاب العلم. وروى[٦] الديلمي من حديث أنس:

---

(١) ورواه أيضا ابن عبد البر في جامع بيان العلم ١/ ٥٠٨.

(٢) وكذلك عبد بن حميد في مسنده ١/ ٤٨٢، وأبو يعلىٰ في مسنده ٤/ ٣٢٦، والضياء في الأحاديث المختارة ١١/ ٢١٧، وابن عدي في الكامل ٦/ ٢٣٢٤. وعندهم كلهم: أي جلسائنا خير؟ بدل: من نجالس. وعند ابن أبي الدنيا في كتاب الأولياء ص ١٧: ألا أخبركم بخير جلسائكم؟ من ذكركم ... الخ.

(٣) هذا الأثر رواه القشيري في الرسالة ص ٣٧٢ من طريق أبي عبد الرحمن السلمي عن أبي نصر الوزيري عن محمد بن عبد الله بن محمد قال: حدثنا الغلابي قال: حدثنا محمد بن مخلد عن أبيه قال: قال بعض الحكماء: أحيوا الحياء بمجالسة من يستحيا منه. ورواه البيهقي في شعب الإيمان ١١/ ٣٥٧ عن ابن الأعرابي قال: كان يقال: أحيوا الحياء بمجالسة من يستحيا منه.

(٤) رواه السلمي في آداب الصحبة ص ٥٤ - ٥٥.

(٥) الموطأ ٢/ ١٠٠٢ بلاغا بلفظ: «يا بني، جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فإن الله يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الله الأرض الميتة بوابل السماء».

(٦) كنز العمال ٩/ ٣٧.

«جالِس العلماءَ تُعرَف في السماء، ووقِّرْ كبيرَ المسلمين تجاورني في الجنة». ومن[1] حديث ابن عباس: «مجالسة العلماء عبادة».

---

(١) الفردوس بمأثور الخطاب ٤/ ١٥٦.

الباب الثاني:

في حقوق الإخوة والصحبة

وفي بعض النسخ: حقيقة، بدل: حقوق.

(اعلمْ أن عقد الإخوَّة رابطة بين الشخصين) معنوية **(كعقد النكاح بين الزوجين)** به يستحلُّ الزوج من قرينه ما لم يكن له حلالاً من قبل، فكذلك يستحلُّ المؤاخي من أخيه بذلك العقد ما لم يكن جائزًا من قبل **(فكما يقتضي النكاحُ حقوقًا يجب الوفاء بها)** من الطرفين **(قيامًا بحق النكاح - كما سبق ذِكرُه في كتاب آداب النكاح - فكذا)** آداب **(عقد الإخوَّة، فلأخيك عليك حق في المال وفي النفس وفي اللسان وفي القلب بالعفو والدعاء والإخلاص والوفاء والتخفيف وترك التكلُّف والتكليف، وذلك يجمعه ثمانية حقوق:**

الحق الأول: في المال، قال رسول الله ﷺ: مَثَل الأخوين مثل اليدين تغسل إحداهما الأخرىٰ) رواه أبو نعيم في الحلية من حديث سلمان بلفظ: «مثل المؤمن وأخيه كمثل الكفَّين تنقِّي إحداهما الأخرىٰ». وهو في أول الحربيات من قول سلمان موقوف عليه، وقد تقدم هذا قريبًا في الباب الذي قبله **(وإنما شبَّههما باليدين)** وبالكفَّين **(لا باليد والرِّجل لأنهما يتعاونان علىٰ غرض واحد، وكذلك الأخوانِ إنما تتم إخوَّتُهما إذا توافقا في مقصد واحد، فهما من وجه كالشخص الواحد، وهذا يقتضي المساهمةَ)** أي المقاسمة **(في السَّرَّاء والضَّرَّاء والمشاركة في المآل والحال وارتفاع الاختصاص والاستئثار)** فلا يختصُّ أحد دون صاحبه، ولا يطلب إيثار نفسه عليه **(والمواساة بالمال مع الإخوان علىٰ ثلاث مراتب، أدناها أن تُنزِله منزلة**

عبدك) الذي اشتريتَه بمالك **(وخادمك)** الذي يخدمك بالأجرة **(فتقوم بحاجته)** الضرورية **(من فضل مالك، فإذا سنحت له حاجة)** أي عرضت **(وكانت عندك فضلة)** من مال **(علىٰ حاجتك أعطيتَه)** إياها **(ابتداءً)** أي بادئ ذي بدء **(ولم تحوجه إلىٰ السؤال)** أي سؤاله منك ذلك **(فإن أحوجتَه إلىٰ السؤال فهو غاية التقصير في حق الإخوَّة)** وهذه هي المرتبة الدنيا **(الثانية)** وهي الوسطىٰ **(أن تنزله منزلة نفسك، وترضىٰ بمشاركته إياك في مالك ونزوله منزلتك حتىٰ تسمح بمشاطرته في المال)** بأن يكون لك منه شطر وله شطر **(قال الحسن)** البصري رحمه الله تعالىٰ: **(كان أحدهم يشق إزاره بينه وبين أخيه)** نقله صاحب القوت **(الثالثة - وهي العليا - أن تؤثره علىٰ نفسك)** وتختاره عليها **(وتقدِّم حاجته علىٰ حاجتك، وهذه رتبة الصدِّيقين ومنتهَىٰ درجات المتحابِّين)** في الله تعالىٰ **(ومن تمام هذه الرتبة الإيثارُ بالنفس أيضًا)** أي يؤثر نفسه علىٰ نفس أخيه في الموت **(كما رُوي أنه سُعِي بجماعة من الصوفية إلىٰ بعض الخلفاء)** لكلام بلغه عنهم **(فأمر بضرب رقابهم، وفيهم أبو الحسين)** أحمد[1] بن محمد **(النوري)** رحمه الله تعالىٰ، صحب السري وابن أبي الحواري، وكان من أقران الجنيد، مات سنه خمس وتسعين ومائتين **(فبادر إلىٰ السيَّاف ليكون هو أول مقتول)** دون إخوانه **(فقيل له في ذلك، فقال: أحببت أن أوثر إخواني بالحياة في هذه اللحظة)** اللطيفة. فبلغ ذلك الخليفةَ فعفا عنهم **(فكان ذلك سبب نجاة جميعهم، في حكاية طويلة)** هذا محصلها.

(فإن لم تصادف نفسَك في رتبة من هذه الرتب مع أخيك فاعلمْ أن عقد الإخوَّة لم ينعقد بعدُ في الباطن، وإنما الجاري بينكما مخالطة رسمية) ظاهرية **(لا وَقْع لها)** ولا تأثير **(في العقل والدين، فقد قال ميمون بن مِهران)** الجَزَري[2] كوفي، نزل الرقة، ثقة فقيه، ولي لعمر بن عبد العزيز الجزيرةَ، روىٰ له البخاري في الأدب

---

(١) الرسالة القشيرية ص ٨٣.

(٢) تقريب التهذيب ص ٩٩٠.

المفرد والباقون (**مَن رضي من الإخوان بترك الإفضال فليؤاخِ أهلَ القبور**) كذا في القوت. وأخرجه صاحب الحلية[١] من طريق المعافىٰ بن عمران عن ميمون بن مهران قال: مَن رضي من صلة الإخوان بلا شيء فليؤاخِ أهل القبور.

(**وأما الدرجة الدنيا**) وهي التي ذُكرت (**فليست أيضًا مرضية**) مقبولة (**عند ذوي الدين، رُوي أن عتبة الغلام**) أحد مشايخ وقته (**جاء إلىٰ منزل رجل كان قد آخاه**) أي اتخذه أخًا في الله تعالىٰ (**فقال**) له: (**أحتاج من مالك إلىٰ أربعة آلاف**) درهم (**فقال: خذ ألفين. فأعرض عنه وقال: آثرتَ الدنيا علىٰ الله**) تعالىٰ؟! (**أما استحييتَ أن تدَّعي الإخوة في الله وتقول هذا**)؟! نقله صاحب القوت.

(**ومن كان في الدرجة الدنيا من الإخوة ينبغي أن لا تعامله في الدنيا، قال أبو حازم**) سلمة بن دينار الأعرج المدني: (**إذا كان لك أخ في الله فلا تعامله في أمور دنياك**) نقله صاحب القوت (**وإنما أراد به من كان في هذه الرتبة**) التي ذكرناها وهي الرتبة الدنيا.

(**وأما الرتبة العليا فهي التي وصف الله المؤمنين بها في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾**) أي أمورهم، ذكر جماعها كالشيء الواحد شورىٰ بينهم أي مشاع غير مقسوم ولا يُستبد به، وأحدهم فيه سواء (﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣٨﴾ [الشورىٰ: ٣٨] **أي كانوا خلطاء في الأموال، لا يميِّز بعضُهم رحله عن بعض**) كذا في القوت (**وكان فيهم من لا يصحب من قال: مالي**) وفي بعض النسخ: نعلي (**لأنه أضافه إلىٰ نفسه**) أي ففيه نوع استبداد. ولفظ القوت: ومن أخلاق السلف قال: لم يكن أحدنا يقول في رحله: هذا لي وهذا لك، بل كان كل من احتاج إلىٰ شيء استعمله من غير مؤامرة. وأورده القشيري في الرسالة نحوه عن إبراهيم بن شيبان[٢].

---

(١) لم أقف عليه في الحلية، وقد رواه ابن المقري في معجمه ص ٤٠، ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٦١/ ٣٦٢.

(٢) الرسالة القشيرية ص ٤٨٧، ونصه: «وحكي عن إبراهيم بن شيبان أنه قال: كنا لا نصحب من يقول: نعلي».

(وجاء فتح) بن سعيد **(الموصلي)** تقدمت ترجمته في كتاب العلم **(إلىٰ منزل أخ له، وكان غائبًا، فأمر أهله فأخرجت صندوقه، ففتحه وأخرج)** من كيسه **(حاجته، فأخبرت الجارية مولاها)** ولفظ القوت: فذهبت الجارية إلىٰ مولاها فأعلمتْه **(فقال)** لها: **(إن صدقتِ)** أي إن كنت صادقة **(فأنت حرة لوجه الله تعالىٰ سرورًا بما فعل)**[1] نقله صاحب القوت.

(وجاء) رجل **(آخر إلىٰ أبي هريرة** رضي الله عنه **فقال: إني أريد أن أواخيك في الله تعالىٰ. فقال: أتدري ما حق الإخاء. قال: عرِّفني. قال: أن لا تكون أحق بدينارك ودرهمك مني. قال)** الرجل: **(لم أبلغ هذه المنزلةَ بعدُ. قال: فاذهب عني)** نقله صاحب القوت.

(وقال علي بن الحسين) بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم **(لرجل)** من جلسائه: **(هل يُدخِل أحدكم يده في كم صاحبه)** ولفظ القوت: أخيه **(أو كيسه فيأخذ منه ما يريد من غير إذنه؟ قال: لا. قال: فلستم بإخوان)**[2] نقله صاحب القوت.

(ودخل قوم علىٰ) أبي سعيد **(الحسن)** البصري **(فقالوا: يا أبا سعيد، أصلَّيت؟ قال: نعم. قالوا: فإن أهل السوق لم يصلُّوا بعدُ. قال: ومن يأخذ دينه عن أهل السوق)** قال: فإن أهل السوق **(بلغني أن أحدهم يمنع أخاه الدرهم)** نقله

---

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٨/ ٢٩٣ وابن أبي الدنيا في كتاب الإخوان ص ٢٠٥ والخطيب في تاريخ بغداد ٤/ ٣٦٩ عن رباح بن الجراح العبدي قال: جاء فتح الموصلي إلىٰ صديق له يقال له عيسىٰ التمار، فلم يجده في المنزل، فقال للخادم: أخرجي إليَّ كيس أخي. فأخذ منه درهمين، وجاء عيسىٰ إلىٰ منزله، فأخبرته الجارية بمجيء فتح وأخذه الدرهمين، فقال: إن كنت صادقة فأنت حرة. فنظر فإذا هي صادقة، فعتقت.

(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٣/ ١٨٧ وابن أبي الدنيا في كتاب الإخوان ص ٢٠٣ عن عبيد الله بن الوليد قال: قال لنا أبو جعفر محمد بن علي: يدخل أحدكم يده في كم صاحبه فيأخذ ما يريد؟ قلنا: لا. قال: فلستم بإخوان كما تزعمون.

صاحب القوت. زاد المصنف: (**قاله كالمتعجب منه**[١]).

و) قال محمد بن نصر: (**جاء رجل إلىٰ إبراهيم بن أدهم وهو يريد بيت المقدس، فقال: إني أريد أن أرافقك. فقال له إبراهيم: علىٰ أن أكون أملَك لشيئك منك. قال: لا. قال: فأعجبني صدقك**)[٢] كذا في القوت. وقال موسىٰ بن طريف: (**كان إبراهيم بن أدهم إذا رافقه رجل لم يخالفه، وكان لا يصحب إلا من يوافقه**) كذا في القوت. وأخرجه أبو نعيم في الحلية مثله. قال موسىٰ بن طريف: (**و**) بلغني أنه (**صحبه**) في بعض أسفاره (**رجل شَرَّاك**) وهو الذي يعمل الشُّرُك للنعال (**فأهدىٰ رجل إلىٰ إبراهيم في بعض المنازل**) في قرية من قرىٰ حمص، وكانت هناك ساقية ماء، وإلىٰ جانبها دار فيها غرفة، فلما نزل إبراهيم هناك وتوضأ وصفَّ قدميه للصلاة بصر به صاحبُ الغرفة، فأرسل إليه (**قصعة فيها ثريد**) وخبز عِراق، فوُضعت بين أيديهم، فانفتل من الصلاة وقال: مَن بعث؟ قالوا: صاحب المنزل. قال: ما اسمه؟ قالوا: فلان ابن فلان. فأكل وأكلوا، فلما أراد أن يردَّ القصعة (**ففتح جراب رفيقه**

---

(١) رواه عبد الله بن أحمد بن حنبل في زوائد الزهد ص ٢٣٤ عن الزبير الحنظلي قال: قلت للحسن: أصليت يا أبا سعيد؟ قال: لا. قلت: إن أهل السوق قد صلوا. فقال: إن أهل السوق لا خير فيهم، بلغني أن أحدهم يمنع أخاه الدرهم. ورواه البيهقي في شعب الإيمان ١٣/ ٣٢٢ عن محمد بن الزبير قال: قال الحسن: أهل السوق لا خير فيهم، بلغني أن أحدهم يرد أخاه من أجل الدرهم. وهكذا رواه يعقوب بن سفيان في المعرفة والتاريخ ٢/ ٤٢ لكنه زاد في أوله: قيل للحسن: لو صليت، إن أهل السوق قد صلوا. فقال: إن أهل السوق ... فذكره.

(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٨/ ٢٨ من طريقين: الأول: عن عصام بن رواد بن الجراح عن أبيه قال: قال رجل لإبراهيم بن أدهم: قصدتك يا أبا إسحاق من خراسان لأصحبك. فقال له إبراهيم: علىٰ أن أكون بمالك أحق به منك. قال: لا. قال إبراهيم: قد صدقتني، فنعم الصاحب أنت. الثاني: عن يوسف بن أسباط قال: قال رجل لإبراهيم بن أدهم: أحب أن أسافر معك. قال: علىٰ أن أكون أملك لشيئك منك. فقال: لا. قال: أعجبني صدقك. وفي الرسالة القشيرية ص ٤٨٨ - ٤٨٩: «قيل: كان إبراهيم بن أدهم إذا صحبه أحد شارطه علىٰ ثلاثة أشياء: أن تكون الخدمة والأذان له، وأن تكون يده في جميع ما يفتح الله تعالىٰ عليهم من الدنيا كيدهم. فقال له يوما رجل من أصحابه: أنا لا أقدر علىٰ هذا. فقال: أعجبني صدقك.

وأخذ حزمة من شُرُك) بضمتين جمع شِراك، ككتاب وكُتُب (**فجعلها في القصعة وردَّها إلىٰ صاحب الهدية، فلما جاء رفيقه**) صاحب الشُّرُك (**قال: أين الشُّرُك؟ قال: ذلك الثريد الذي أكلته أيّ شيء كان؟ قال: كنت تعطيه شراكين أو ثلاثة. قال: اسمحْ يُسمَح لك**) هكذا في القوت، وبعضه في الحلية[1]. وقوله «اسمح يُسمح لك» حديث مرفوع رواه ابن عباس، وقد تقدم في كتاب الكسب والمعاش (و) قال موسىٰ بن طريف: وبلغني أنه، يعني إبراهيم بن أدهم (**أعطىٰ مرة حمارًا كان لرفيقه بغير إذنه رجلاً رآه راجلاً**) أي ماشيًا علىٰ رجليه (**فلما جاء رفيقه**) وأُخبر به (**سكت ولم يكره ذلك**) كذا في القوت.

وفي الحلية[2] من طريق أحمد بن أبي الحواري قال: حدثني أخي محمد قال: دخل داود بن الجرَّاح الرملة علىٰ برذون بلا سرج، فقيل له: أين سرجك؟ قال: ذهب به شيخنا[3] إبراهيم بن أدهم. قال أحمد: وكان أُهديَ له طبق تين وعنب، فأخذ السرج ووضعه علىٰ الطبق، ومرة أخرىٰ أُهدي له مثله[4]، فنزع فروه فوضعه علىٰ الطبق.

ومن طريق محمد بن خلف العسقلاني قال: سمعت روَّاد بن الجرَّاح يقول: خرجت مع إبراهيم للغزو، ففقدت سرجي، فقلت: أين سرجي؟ فقالوا: إن إبراهيم بن أدهم أُتيَ بهدية، فلم يجد ما يكافئ فأخذ سرجك فأعطاه. قال: فرأيت روَّادًا سُرَّ به.

(**وقال ابن عمر** رضي الله عنهما: **أُهدي لرجل من الصحابة رأس شاة، فقال: أخي فلان أحوج إليه مني**) فبعث به إليه (**فبعثه الثاني إلىٰ آخر، فلم يزل يبعث به واحد إلىٰ آخر**

---

(١) حلية الأولياء ٧/ ٣٧٣ - ٣٧٤ مطولًا عن علي بن بكار.

(٢) حلية الأولياء ٧/ ٣٨٤.

(٣) في الحلية: سخاء.

(٤) في الحلية: سلة.

حتىٰ رجع إلىٰ الأول بعد أن تداوله سبعة) تقدم هذا في كتاب العلم. وهذه المعاملة وقعت لأهل الصُّفَّة، وهذا هو الإيثار المشار إليه بقوله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩].

(ورُوي أن مسروقًا) بن الأجدع بن مالك الهَمْداني الكوفي **(ادَّان دَينًا ثقيلاً، وكان علىٰ أخيه خيثمة)** بن عبد الرحمن بن أبي سبرة الجُعفي الكوفي **(دَين)** كذلك **(قال)** الراوي: **(فذهب مسروق فقضىٰ دين خيثمة وهو لا يعلم، وذهب خيثمة وقضىٰ دين مسروق وهو لا يعلم)** كذا في القوت.

(ولما آخىٰ النبيُّ ﷺ بين عبد الرحمن بن عوف) القرشي الزُّهري، أحد العشرة الكرام، رضي الله عنه **(و)** بين **(سعد بن الربيع)** بن عمرو الأنصاري الخزرجي، عقبي بدري، نقيب الحارث بن الخزرج **(آثره بالمال والأهل)** وفي بعض النسخ: بالمال والنفس. وهكذا هو في القوت **(فقال عبد الرحمن)** وفي بعض النسخ: فقال سعد. فاعترض عليه العراقي، كما سيأتي **(بارك الله لك فيما آثرت به. وكأنَّه قَبِله ثم آثره به، وذلك مساواة، والبداية إيثار، والإيثار أفضل من المساواة)** ولفظ القوت: فآثره بما به آثره، فكأنَّه استأنف هبته له؛ لأنه قد كان ملَّكه إياه لسخاوته وحقيقة زهده وصدق مودته، فكانت المساواة لسعد، والإيثار لعبد الرحمن، فزاد عليه، وهذا من فضل المهاجرين علىٰ الأنصار؛ إذ كانت المساواة دون الإيثار.

قال العراقي[١]: المعروف أن سعد بن الربيع هو الذي عرض نفسه ونصف ماله وإحدىٰ زوجتيه علىٰ عبد الرحمن بن عوف فقال له عبد الرحمن: بارك الله لك في أهلك ومالك، هكذا رواه البخاري[٢] من حديث أنس.

---

(١) لم أجد كلام العراقي هذا في المغني، وإنما اقتصر فيه ١/ ٤٧٣ علىٰ قوله: (رواه البخاري من حديث أنس).

(٢) صحيح البخاري ٢/ ٧٣، ٣/ ٣٨، ٧٩، ٣٥٦، ٣٧٩.

قلت: وهذا علىٰ ما في نسخة: قال سعد، والذي في أيدينا: قال عبد الرحمن، فلا إشكال.

(**وقال أبو سليمان الداراني**) رحمه الله تعالىٰ، ولفظ القوت: وقد كان مضاء بن عيسىٰ وسليمان يقولان: مَن أحب رجلاً ثم قصَّر في حقه فهو كاذب في حبه [وكان أبو سليمان الداراني يقول: هو صادق في حبه] مفرِّط في حقه[1]. ثم قال: (**لو أن الدنيا كلَّها لي**) أي في حوزتي (**فجعلتُها في فم أخ من إخواني لاستقللتها له**)[2] أي لوجدتُها قليلة (**وقال أيضًا: إني لألقم أخًا من إخواني اللقمة فأجد طعمها في حلقي**) كذا في القوت.

(**ولما كان**) إطعام الطعام و(**الإنفاق علىٰ الإخوان أفضل من الصدقات علىٰ الفقراء**) وعلىٰ العطاء للأجانب بمنزلة تضعيف الثواب في الأهل والقرابات (**قال علي كرم الله وجهه**) ورضي عنه (**لَعشرون درهمًا أعطيها أخي في الله أَحَبُّ إليَّ من أن أتصدَّق بمائة درهم علىٰ المساكين**) كذا في القوت.

(**وقال أيضًا: إني لأصنعُ**) ولفظ القوت: لئن أصنع (**صاعًا من طعام أجمع عليه إخواني في الله عَزَّوَجَلَّ أحب إليَّ من أن أعتق رقبة**) وتقدم في كتاب الزكاة.

(**واقتدىٰ الكل**) منهم (**في الإيثار بالنبي ﷺ، فإنه دخل غيضة**) هي الشجر الملتف (**مع بعض أصحابه**) ولفظ القوت: ورُوي أن النبي ﷺ صحبه رجلٌ في طريق، فدخل غيضة (**فاجتنىٰ منها سواكين**) من أراك (**أحدهما معوج والآخر مستقيم، فدفع المستقيم إلىٰ صاحبه**) وحبس المعوج لنفسه (**فقال له: يا رسول الله،**

---

(١) رواه ابن قدامة في كتاب المتحابين في الله ص ٧٨ - ٧٩ من طريق أحمد بن أبي الحواري قال: سمعت مضاء بن عيسىٰ وأبا صفوان بن عوانة يقولان: من أحب رجلا وقصر في حقه فهو كاذب في حبه. فحدثت به أبا سليمان فقال: ما صنعا شيئا، هو صادق في حبه، مقصر في حقه، ما أحب إلا الله عَزَّوَجَلَّ.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الإخوان ص ٢٤٥ بلفظ: «لو أن الدنيا كلها لي في لقمة ثم جاءني أخ لأحببت أن أضعها في فيه».

كنتَ واللهِ أحق بالمستقيم مني. فقال: ما من صاحب يصحب صاحبًا ولو ساعة من نهار إلا سُئل عن صحبته هل أقام فيها حق الله أو أضاعه) كذا أورده صاحب القوت. قال العراقي[١]: لم أقف له على أصل. انتهى. قلت: وقد يُستأنس له بما تقوله العامة: النبي سأل عن صحبة ساعة **(فأشار بهذا إلى أن الإيثار هو القيام بحق الله في الصحبة.**

وخرج رسول الله ﷺ إلى بئر يغتسل عندها، فأمسك حذيفة بن اليمان) رضي الله عنه **(الثوب)** على النبي ﷺ **(ونشره)** أي ستره به **(حتى اغتسل، ثم جلس حذيفة ليغتسل، فتناول النبي ﷺ الثوب وقام يستر حذيفة عن الناس، فأبى حذيفة وقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لا تفعل. فأبى ﷺ إلا أن يستره بالثوب حتى اغتسل)** هكذا أورده صاحب القوت. قال العراقي: لم أقف له على أصل[٢]. ا.هـ. قلت: أخرجه ابن أبي عاصم في الوحدان.

(وقال ﷺ: ما اصطحب اثنان قط إلا كان أحبهما إلى الله أرفقهما بصاحبه) وفي نسخة: أوفقهما. تقدم[٣] هذا الحديث في الباب الذي قبله بلفظ: أشدهما حبًّا لصاحبه.

(ورُوي أن مالك بن دينار) أبا يحيى **(ومحمد بن واسع)** بن جابر الأزدي أبا بكر **(دخلا منزل الحسن)** البصري **(وكان)** الحسن **(غائبًا، فأخرج محمد بن واسع سلَّة فيها طعام من تحت سرير الحسن، فجعل يأكل، فقال له مالك: كُفَّ)** أي احبسْ **(يدك حتى يجيء صاحب المنزل)** يعني الحسن **(فلم يلتفت محمد إلى قوله وأقبل على الأكل، وكان محمد أبسط منه)** أي أكثر بسطًا من مالك **(وأحسن خُلقًا)** وفي بعض نسخ القوت: وأحسن ظنًّا **(فدخل الحسن فقال: يا مُوَيلِك)**

---

(١) المغني ١/ ٤٧٣.

(٢) الذي في المغني ١/ ٤٧٣: «لم أجده أيضا».

(٣) المغني ١/ ٤٧٣ - ٤٧٤.

تصغير مالك، يريد مالك بن دينار **(هكذا كنا)** وفي بعض النسخ: ما هكذا كنا، كنا **(لا يحتشم بعضُنا من بعض حتىٰ ظهرتَ أنت وأصحابك)**[١] يعني بقوله «هكذا كنا»: أهل الصُّفَّة؛ لأن يسارًا والد الحسن كان مولىٰ لأم سلمة زوج النبي ﷺ، وكان خادمًا للصُّفَّة. وقوله «ظهرت أنت وأصحابك» يعني الصوفية الذين ظهروا بعد القرن الذي كانوا بعد أهل الصفة، لبسوا الصوف تشبُّهًا بسيما أهل الصفة وتأسِّيًا بشمائلهم فنُسبوا إليهم **(وأشار بهذا إلىٰ أن الانبساط في بيوت الإخوان من الصفاء في الإخوَّة)** أي من علاماته الدالة عليه **(وكيف لا وقد قال الله تعالىٰ:** ﴿أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾**)** [النور: ٦١] فقد ضم الصديق إلىٰ الأهل ووصله بهم، ثم رفع الأخ وقدَّمه علىٰ الصديق، وكان يقال: صحبة سنة أخوَّة، ومعرفة عشر سنين قرابة **(إذ كان الأخ يدفع مفاتيح)** خزائن **(بيته إلىٰ أخيه)** ويتصرف في الحضر ويتقلب في السفر **(ويفوِّض إليه التصرف كما يريد)** فيقول له: حكمك فيما أملك كحكمي، ومِلكي له كملكك **(وكان)** أخوه يتضايق و**(يتحرَّج عن الأكل)** فيقتر علىٰ نفسه لأجل غَيبة أخيه ويقول: لو كان حاضرًا لاتسعتُ وأكلت [رغدًا] ولا أدري مقدار ما أذن فيه، ولعله يكره إن أكثرتُ. وذلك **(بحكم التقوىٰ)** والورع الذي فيه والنصح والإيثار لأخيه **(حتىٰ أنزل الله تعالىٰ هذه الآية)** رحمة علىٰ تضايقهم وشكرًا لتورُّعهم **(وأذن لهم في الانبساط في طعام الإخوان والأصدقاء)** فقال جل وعلا: ﴿وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ أي لا إثم ولا ضيق ﴿أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ﴾ ثم نسَّق الأقارب علىٰ ترتيب الأحكام، وضم إليهم الأخ لما وصفه بتمليكه مفاتحه أخاه، فأقام ذلك مقام أخيه؛ لأنه أقام أخاه

---

(١) رواه ابن قدامة في المتحابين في الله ص ٨٠ عن عبد الواحد بن زياد قال: دخلت أنا ومالك بن دينار ومحمد بن واسع وفرقد السبخي علىٰ الحسن، فإذا هو قائم يصلي، وفي البيت سلة من رطب، فمد محمد بن واسع يده إليها فجرها وجعل يأكل منها، فقال له مالك: مه. فكلمه بالفارسية، أي لا تأكل حتىٰ يأذن صاحبك. فأقبل محمد بن واسع يأكل منها ولا يلتفت إلىٰ قوله، فالتفت الحسن إليهم وقال: ويحك يا مويلك! هكذا كنا لا يحتشم بعضنا من بعض حتىٰ فجعتنا أنت وأصحابك.

مقامه فقال: ﴿أَوۡ مَا مَلَكۡتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ﴾ ثم أخَّر الصديقَ بعده؛ إذ لم يكن بحقيقة وصفه، ثم قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَأۡكُلُواْ جَمِيعًا﴾ بحضرة الإخوان ﴿أَوۡ أَشۡتَاتًا﴾ في حال تفرُّقهم، فسوَّىٰ بين غَيبتهم ومشهدهم لتسوية إخوانهم بينهم وبين أملاكهم، واستواء قلوبهم مع ألسنتهم في البذل والمحبة لتناول المبذول، وهذا تحقيق وصفه لهم في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣٨﴾ [الشورىٰ: ٣٨] أي هم في الأمر والإنفاق سواء.

(الحق الثاني: في الإعانة بالنفس في قضاء الحاجات والقيام بها قبل السؤال) من أخيه **(وتقديمها علىٰ الحاجات الخاصة)** المتعلقة بنفسه **(وهذه أيضًا لها درجات كما للمواساة بالمال)** مراتب **(فأدناها القيام بالحاجة عند السؤال والقدرة)** عليه **(ولكن مع البشاشة والاستبشار وإظهار الفرح)** والسرور لذلك **(وقبول المنَّة)** ومن هنا **(قال بعضهم: إذا استقضيت أخاك الحاجةَ)** أي طلبتَ منه قضاءها **(فلم يقضِها فذكِّرْه)** مرة **(ثانية، فلعله أن يكون قد نسي)** أي أنساه الشيطان عنها **(فإن لم يقضِها)** فعاودْه ثالثة، فقد يكون شُغل عنها بعذر، فإن لم يقضِها بعد ذلك **(فكبِّرْ عليه واقرأ عليه هذه الآية: ﴿وَٱلۡمَوۡتَىٰ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾)** [الأنعام: ٣٦] كذا في القوت. أي صوِّره في نفسك كأنه ميت فصلِّ عليه صلاة الجنازة بالتكبيرات، وإنما شبَّهه بالموتىٰ إذ لا أنس فيه كما أن الميت لا يُستأنَس به.

(وقضىٰ ابن شبرمة) هو[1] عبد الله بن شُبرمة بن الطُّفَيل بن حسان الضَّبِّي الكوفي القاضي، فقيه أهل الكوفة، عِداده في التابعين، كان عفيفًا، صارمًا، عاقلاً، ناسكًا، ثقة في الحديث، شاعرًا، حَسن الخُلق، جوادًا، مات سنة أربع وأربعين [ومائة] استشهد به البخاري، وروىٰ له الباقون سوىٰ الترمذي **(حاجة لبعض إخوانه كبيرة، فجاءه بهدية)** جليلة **(فقال)** ابن شبرمة: **(ما هذا؟ فقال: لِما أسديتَه إليَّ)** يعني مكافأة لما قضىٰ له الحاجة **(فقال: خذ مالك عفاك الله، إذا سألتَ أخاك**

(١) تهذيب الكمال ١٥/ ٧٦ - ٨٠.

حاجة فلم يجهد نفسه في قضائها) أي لم يُتعِب **(فتوضأ)** وضوءك **(للصلاة وكبَّرَ عليه أربع تكبيرات وعُدَّه في الموتىٰ)**[١] نقله صاحب القوت.

(وقال جعفر بن محمد) بن علي بن الحسين ﷺ: **(إني لأسارع في قضاء حوائج أعدائي مخافة أن أردَّهم فيستغنوا عني)**[٢] كذا في القوت.

(هذا في الأعداء فكيف في الأصدقاء؟! و) قد **(كان في السلف من يتفقَّد عيال أخيه وأولاده بعد موته أربعين سنة، يقوم بحاجاتهم، ويتردَّد كل يوم عليهم، ويمونهم بماله، فكانوا لا يفقدون من أبيهم إلا عينه)** أي ذاته **(بل كانوا يرون منه ما لم يروه من أبيهم في حياته)** وفي نسخة: ما لم يروا. ولفظ القوت: ومن حُسن الإخاء مع الوفاء أن يكون له بعد موته ولأهله من بعده كما كان له في حياته، وكذلك قال بعض الأدباء[٣]: قليل الوفاء بعد الوفاة خير من كثيره في حال الحياة. وكذلك كان السلف مما ذكره الحسن وغيره قالوا: كان أحدهم يخلف أخاه في عياله بعد موته أربعين سنة لا يفقدون إلا وجهه[٤]. انتهىٰ. وقال في موضع آخر: **(وكان الواحد منهم يتردَّد إلىٰ باب دار أخيه)** من حيث لا يعلم **(ويسأل ويقول لأهله: هل لكم**

---

(١) رواه الرافعي في التدوين ٣/ ٣٣١. ورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٤/ ٣٠٧. ورواه البيهقي في شعب الإيمان ١٣/ ٣٢٦ مختصرا.

(٢) رواه السلمي في آداب الصحبة ص ١٠٢.

(٣) هو أبو بكر محمد بن داود الأصبهاني الظاهري في كتابه الزهرة ١/ ٤٧٢ (ط - مكتبة المنار بالأردن).

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق ص ٩٩ وابن المبارك في الزهد ص ٢١٣ وابن المقري في معجمه ص ٣٠٩ عن الحسن البصري بلفظ: إن كان الرجل ليخلف أخاه في أهله بعد موته أربعين سنة. ورواه أحمد في الزهد ص ٢١١ بلفظ: أدركت أقواما إن كان الرجل ليخلف أخاه في أهله أربعين عاما. ورواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٦/ ٢٧٠ بلفظ: والله لقد أدركت أقواما كان أحدهم يخلف أخاه في أهله أربعين عاما ينفق عليهم. ورواه وكيع في الزهد ص ٣٠٦ - ٣٠٧ (ط - مكتبة الدار بالمدينة المنورة) بلفظ: لقد أدركت أقواما إن كان الرجل ليخلف أخاه في أهله أربعين عاما، وإن أهل البيت ليبتلون بالسائل ما هو من الجن ولا من الإنس.

حاجة؟ هل لكم ملح؟ هل لكم زيت) ولفظ القوت: هل عندكم دقيق؟ ألكم زيت؟ تحتاجون إلىٰ كذا وكذا؟ فإن قالوا: عندنا، قال: أروني حتىٰ أنظر إليه، وإن قالوا: ليس عندنا شيء **(وكان يقوم بها)** باشتراء المطلوب، كل ذلك **(من حيث لا يعرفه أخوه)** ولم يكن الأخ يفرِّق بين عياله وعيال أخيه، يقاسمهم المؤنة، ويلقَىٰ أخاه فلا يُعلِمه بذلك **(وبهذا تظهر الشفقة، والإخوَّة إذا لم تثمر الشفقةَ حتىٰ يشفق علىٰ أخيه كما يشفق علىٰ نفسه فلا خير فيها)** إنما هي رسمية لا يُعبأ بها **(وقال ميمون بن مهران)** الجَزَري، تقدم ذِكره قريبًا: **(من لم تنتفع بصداقته لم تتضرَّر بعداوته)**[١] نقله صاحب القوت.

(وقال ﷺ: ألا إن لله أواني) جمع آنية **(في أرضه وهي القلوب، وأَحَبُّ القلوبِ إلىٰ الله)** أي أكثرها حبًّا عنده **(أصفاها وأصلبها وأرقها)** قال المصنف: **(أصفاها من الذنوب، وأصلبها في الدين، (وأرقها علىٰ الإخوان)** قال العراقي[٢]: رواه الطبراني[٣] من حديث أبي عنبة الخَوْلاني، إلا أنه قال: ألينها وأرقها. وإسناده جيد.

قلت: أبو عنبة اسمه عبد الله بن عنبة، قيل: كان صلىٰ القِبلتين جميعًا، وقيل: وُلد في عهده ﷺ، بل صحب معاذ بن جبل، روىٰ عنه أبو الزاهرية وبكر بن زُرعة ومحمد بن زياد الألهاني[٤]. ولفظ حديثه: «إن لله تعالىٰ آنية من أهل الأرض، وآنية ربكم قلوب عباده الصالحين، وأحبُّها إليه ألينها وأرقُّها». وفي إسناده بقية بن الوليد وهو مدلِّس، ولكنه صرَّح بالتحديث فيه. قال المناوي في شرحه[٥]: إذا رقَّ القلب ولانَ انجلىٰ وصار كالمرآة الصقيلة، فإذا أشرقت عليه أنوار الملكوت أضاء

---

(١) هذا الأثر أورده ابن عبد البر في الانتقاء ص ١٥٩ من قول الإمام الشافعي، ولفظه: «من لم تنفعك صداقته فلا تغتم بعداوته».

(٢) المغني ١/ ٤٧٤.

(٣) مسند الشاميين ٢/ ١٩.

(٤) انظر: أسد الغابة ٣/ ٣٥٤. الإصابة ١١/ ٢٧١.

(٥) فيض القدير ٢/ ٤٩٦.

الصدرَ وامتلأ من شعاعها فأبصرت عينُ الفؤاد باطنَ أمر الله في خلقه فيؤدِّيه ذلك إلىٰ ملاحظة نور الله، فإذا لاحظه فذلك قلب استكمل الزينة والبهاء بما رُزق من الصفاء فصار محلَّ نظرِ الله من بين خلقه، فكلما نظر إلىٰ قلبه زاده به فرحًا وله حبًّا [وعزًّا] واكتنفه بالرحمة، وأراحه من الزحمة(١). انتهىٰ.

(وبالجملة، فينبغي أن تكون حاجة أخيك مثل حاجتك أو أهم من حاجتك، وأن تكون متفقِّدًا لأوقات الحاجة، غير غافل عن أحواله كما لا تغفل عن أحوال نفسك، وتغنيه عن السؤال) ابتداءً منه (وإظهار الحاجة إلىٰ الاستعانة) بك (بل تقوم بحاجته كأنك لا تدري أنك قمتَ بها، ولا ترىٰ لنفسك حقًّا) عليه (بسبب قيامك بتلك الحاجة، بل تتقلَّد منَّة بقبوله سعيك في حقه وقيامك بأمره) وأنه له الفضل في ذلك (ولا ينبغي أن تقتصر علىٰ قضاء الحاجة) فقط (بل تجتهد في البداية بالإكرام بالزيارة) وفي نسخة: بالزيادة (والإيثار والتقديم علىٰ الأقارب والولد، كان الحسن) البصري رحمه الله تعالىٰ (يقول: إخواننا) في الله تعالىٰ (أحَبُّ إلينا من أهلينا وأولادنا، لأن أهلينا وأولادنا يذكِّروننا بالدنيا، وإخواننا يذكِّروننا بالآخرة) كذا في القوت، ولفظه: وكان الحسن وأبو قلابة يقولان: إخواننا أحب إلينا من أهلينا وأولادنا ... إلىٰ آخره. وقال أحدهما: لأن الأهل والولد من الدنيا، والإخوان في الله من آلة الآخرة.

وفي موضع آخر: فينبغي أن يؤثر أخاه بنفسه وماله إن احتاج إلىٰ ذلك، فإن لم يكن [في هذه المنزلة وهو مقام الصدِّيقين] فيساويه في حاله [وهذا من مقام الصادقين] وهذا أقل منازل الإخوَّة، وهو من أخلاق المؤمنين، وإنما آخَىٰ رسولُ الله ﷺ بين الغني والفقير ليساوىٰ الغني الفقير فيعتدلان، وينبغي أن يقدِّمه علىٰ أهله وولده، وأن يحبه فوق محبتهم؛ لأن محبة أولئك من الدنيا وللنفس والهوىٰ، ومحبة الإخوان من الآخرة ولله تبارك وتعالىٰ وفي الدين، وأمور الدين

---

(١) بعده في الفيض: وملأه من أنوار العلوم.

والآخرة مقدَّمة عند المتقين، وكان عبد الله بن الحسن البصري يصرف إخوان الحسن إذا جاؤوه لطول لبثهم عنده ولشدة شغله بهم، فيقول لهم: لا تملُّوا الشيخَ. فكان الحسن إذا علم ذلك يقول: دعهم يا لكع، فإنهم أحب إليَّ منكم، هؤلاء يحبوني لله عَزَّوَجَلَّ، وأنتم تريدوني للدنيا. وقال أبو معاوية الأسود: إخواني كلهم خير مني. قيل: وكيف ذاك؟ قال: كلهم يرىٰ لي الفضل عليه، ومَن فضَّلني علىٰ نفسه فهو خير مني[1].

(وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالىٰ: **(مَن شيَّع أخاه في الله بعث الله له ملائكة من تحت عرشه يوم القيامة يشيِّعونه إلىٰ الجنة)**[2] كذا في القوت. ومعنىٰ التشييع: أن يتبعه عند رحيله إكرامًا له.

(وفي الأثر: ما زار رجل أخاه في الله شوقًا إلىٰ لقائه) ولفظ القوت: شوقًا إليه ورغبةً في لقائه **(إلا ناداه مَلَكٌ من خلفه: طِبْتَ وطاب مَمْشاك وطابت لك الجنة)** تقدم في الباب الذي قبله، وسيأتي في حقوق المسلم ما يقرُب منه.

(وقال عطاء) بن[3] أبي رباح المكي، ثقة فقيه فاضل، مات سنة أربع عشرة [ومائة] **(تفقَّدوا إخوانكم بعد ثلاث، فإن كانوا مرضىٰ فعودوهم، أو كانوا مشاغيل فأعينوهم، أو كانوا نسوا فذكِّروهم)**[4] نقله صاحب القوت. أي إذا لم يأتك أخوك بعد مضيٍّ ثلاث ليالٍ وجب عليك تفقُّدُه، فإنه لا يخلو من إحدىٰ الحالات الثلاث: إما مريض أو مشغول أو نسي الصحبة والإخوَّة، فالمريض يُعاد، والمشغول يُعان، والناسي يذكَّر.

وقد رُوي هذا في المرفوع من حديث أنس: كان النبي ﷺ إذا فقد الرجلَ من

---

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٨/ ٢٧٢، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٦/ ١٨.

(٢) رواه ابن وهب في الجامع في الحديث ١/ ٢٥٣.

(٣) تقريب التهذيب ص ٦٧٧.

(٤) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٥/ ١٩٨.

إخوانه ثلاثة أيام سأل عنه، فإن كان غائبًا دعا له، وإن كان شاهدًا زاره، وإن كان مريضًا عاده. أخرجه أبو يعلىٰ في مسنده[١] من طريق عبَّاد بن كثير عن ثابت عن أنس.

وأخرج البيهقي في الشعب عن الأعمش قال: كنا نقعد في المجلس، فإذا فقدنا الرجلَ ثلاثة أيام سألنا عنه، فإن كان مريضًا عُدْناه[٢].

(وذُكر) في بعض الأخبار **(أن ابن عمر)** ﵄ **(كان يلتفت يمينًا وشِمالاً بين يدي النبي ﷺ)** ولفظ القوت: وقد روينا عن النبي ﷺ أنه رأىٰ ابن عمر يلتفت يمينًا وشمالاً **(فسأله عن ذلك، فقال)**: يا رسول الله **(أحببتُ رجلاً، فأنا أطلبه ولا أراه. فقال)**: يا عبد الله **(إذا أحببتَ أحدًا فسَلْه عن اسمه واسم أبيه وعن منزله، فإن كان مريضًا عُدْتَه، وإن كان مشغولاً أعنتَه)** كذا في القوت **(وفي رواية: وعن اسم جده وعشيرته)** قال العراقي[٣]: رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق[٤] والبيهقي في شعب الإيمان[٥] بسند ضعيف، ورواه الترمذي[٦] من حديث يزيد بن نعامة وقال: غريب، ولا نعلم ليزيد بن نعامة سماعًا من النبي ﷺ. انتهىٰ.

قلت: وقد وقع لنا حديث مسلسل بقولهم «لقيتُ فلانًا فسألني عن اسمىٰ ونسبي وكنيتي وعن الموضع الذي أنا ساكنه» من طريق أبي الحسين محمد ابن النضر الموصلي عن هُدبة بن خالد عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس رفعه:

---

(١) مسند أبي يعلىٰ ٦/ ١٥٠.

(٢) هذا الأثر ساقط من طبعة مكتبة الرشد، وهو في طبعة دار الكتب العلمية ٦/ ٥٤٢.

(٣) المغني ١/ ٤٧٤.

(٤) مكارم الأخلاق ص ٢٥١. وزاد في آخره: وإن كان غائبا حفظته في أهله.

(٥) شعب الإيمان ١١/ ٣٢٩، وفي آخره: وإن مات شهدته.

(٦) سنن الترمذي ٤/ ١٩٩، ولفظه: «إذا آخىٰ الرجل الرجل فليسأله عن اسمه واسم أبيه وممن هو، فإنه أوصل للمودة».

«يا أنس، أكثِرْ من الأصدقاء، فإنكم شفعاء بعضكم في بعض». هكذا أورده ابن ناصر الدين في مسلسلاته، ورواه كذلك أبو جعفر محمد بن علي الهمذاني وأبو الحسين المبارك بن عبد الجبار الصيرفي وأبو مسعود سليمان بن إبراهيم الأصبهاني الحافظ[1] في مسلسلاتهم من طرق مدارها علىٰ هدبة.

(**وقال**) عامر بن شُراحيل (**الشعبي**) رحمه الله تعالىٰ (**في الرجل يجالس الرجل**) فيسأله عنه (**فيقول: أعرف وجهه ولا أعرف اسمه: تلك معرفة النَّوْكَىٰ**)[2] أي الحمقىٰ. كذا في القوت.

(**و**) يُروَىٰ عن الضحاك: (**قيل لابن عباس**) ﷺ: (**مَن أحب الناس إليك؟ قال: جليسي**)[3] كذا في القوت.

(**وقال**) ابن عباس أيضًا. ولفظ القوت: وكان يقول: (**ما اختلف رجل إلىٰ مجلسي ثلاثًا من غير حاجة تكون له إليَّ فعلمتُ ما مكافأته من الدنيا**) كذا في القوت. وذكر المزي[4] في ترجمة ابن شبرمة أنه كان إذا اختلف إليه الرجل ثلاثة

---

(١) وكذلك تاج الدين عبد الخالق بن أسد الحنفي في معجمه ص ١٦٩ (ط - دار البشائر الإسلامية).

(٢) رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق ص ٢٥١.

(٣) رواه ابن المبارك في الزهد والرقائق ص ٢١٥ والبخاري في الأدب المفرد ص ٣٣٤ والخرائطي في مكارم الأخلاق ص ٢٣٥ من طريق محمد بن عباد بن جعفر أنه سمع ابن عباس يقول: أكرم الناس عليَّ جليسي. ورواه البخاري في الأدب المفرد ص ٣٣٤ من طريق عبد الله بن أبي مليكة عن ابن عباس قال: أكرم الناس علي جليسي أن يتخطىٰ رقاب الناس حتىٰ يجلس إليَّ. ورواه البيهقي في شعب الإيمان ١٢/ ١١١ ويعقوب بن سفيان في المعرفة والتاريخ ١/ ٥٣٣ - ٥٣٤ من طريق ابن أبي مليكة بلفظ: قيل لابن عباس: من أكرم الناس عليك؟ قال: الجليس الذي يتخطىٰ الناس حتىٰ يجلس إلي، لو استطعت أن لا يقع الذباب علىٰ وجهه لفعلتُ. ورواه الخرائطي في مكارم الأخلاق ص ٢٣٥ من طريق عبد الرحمن بن السائب عن ابن عباس قال: أكرم الناس علي جليسي، إن الذباب ليقع عليه فيؤذيني.

(٤) تهذيب الكمال ١٥/ ٧٩ نقلا عن معرفة الثقات للعجلي ٢/ ٣٤.

أيام دعاه فقال له: أراك قد لزمتَنا منذ ثلاثة أيام، عليك خراج نتكلم فيه[١].

(وقال سعيد بن العاص) بن[٢] سعيد بن العاص بن أميَّة القرشي الأموي، أبو عثمان، ويقال: أبو عبد الرحمن، المدني، والد عمرو الأشدق ويحيىٰ، وهو سعيد بن العاص الأصغر، قُتل أبوه يوم بدر مشركًا، ولجده أبي أُحَيحة سعيد بن العاص ذِكرٌ في فتح خيبر، قال محمد بن سعد[٣]: قُبض النبي ﷺ وهو ابن تسع سنين. وقال ابن عبد البر[٤]: كان من أشراف قريش، جمع السخاء والفصاحة، وهو أحد الذين كتبوا المصحف لعثمان، واستعمله عثمان علىٰ الكوفة، وغزا طبرستان فافتتحها وكذا جُرجان في خلافة عثمان، واستعمله معاوية أيضًا علىٰ المدينة. قال البخاري[٥]: قال مسدَّد: مات سعيد وأبو هريرة وعائشة وعبد الله بن عامر سنة سبع أو ثمان وخمسين. روىٰ له مسلم والترمذي والنسائي **(لجليسي عليَّ ثلاث: إذا دنا رحَّبت به، وإذا حدَّث أقبلت عليه، وإذا جلس أوسعت له)**[٦] نقله صاحب القوت. ويُحكَىٰ عن سعيد هذا أنه كان يدعو إخوانه وجيرانه في كل جمعة، فيصنع لهم الطعام، ويخلع عليهم الثياب الفاخرة، ويأمر لهم بالجوائز الواسعة، ويبعث إلىٰ عيالاتهم بالبر الكثير، وكان يوجِّه مولىٰ له في كل ليلة جمعة فيدخل المسجد ومعه صُرَر فيها دنانير، فيضعها بين يدي المصلِّين، وكان قد كثُر المصلُّون في كل ليلة

---

(١) تمام الأثر في معرفة الثقات: «أو دين أو حاجة فنسعىٰ لك فيها؟ فلا يكلمه في شيء إلا قضاه، ثم يقول: إنهم لا يأتوننا إلا لننفعهم في أمر دنياهم، لا يأتوننا لنشفع لهم في آخرتهم ﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ۝٣٧﴾».

(٢) تهذيب الكمال ١٠/ ٥٠١ - ٥١٠.

(٣) الطبقات الكبرىٰ ٧/ ٣٥.

(٤) الاستيعاب ١/ ٣٧٤.

(٥) التاريخ الكبير ٣/ ٥٠٢، ولكن فيه: عبد الله بن عباس، بدل: عبد الله بن عامر. وهو خطأ، فإن ابن عباس توفي سنة ٦٨.

(٦) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢١/ ١٣٧.

جمعة في مسجد الكوفة[١].

(**وقد قال تعالىٰ**) في معرض الوصف والمدح لأصحاب حبيبه ﷺ: (﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩] **إشارة إلىٰ الشفقة**) علىٰ الإخوان (**والإكرام**) لهم (**ومن تمام الإشفاق أن لا ينفرد بطعام لذيذ**) شهيٍّ عن أخيه (**أو بحضور في مَسرَّة دونه بل يتنغَّص لفراقه، ويستوحش بانفراده عن أخيه**) ولفظ القوت: وقال بعض الأدباء: إذا ائتلف الإخوان جماعة ثم اجتمع بعضهم علىٰ لذة وفُقد البعض نقص من اللذة بمقدار مَن نقص منهم.

(**الحق الثالث: علىٰ اللسان بالسكوت مرة وبالنطق أخرىٰ، أما السكوت فهو أن يسكت عن ذكر عيوبه**) ومساوئه (**في حضرته**) أي حضوره (**وغيبته، بل يتجاهل عنها**) أي يتكلَّف الجهلَ (**ويسكت عن الرد عليه فيما يتكلم به، فلا يماربه**) أي لا يخاصمه (**ولا يناقشه**) أي لا يستقصيه في الحساب (**وأن يسكت عن التجسُّس عليه**) وهو تجسُّس الأخبار والتفحُّص عن بواطنها (**و**) عن (**السؤال عن**) ما يكتمه من (**أحواله**) الباطنة (**وإذا رآه في حاجة**) هو مشغول بها (**أو**) ماشيًا في (**طريق ولم يفاتحه بذكر غرضه**) ابتداءً منه (**و**) ذكر (**مصدره ومورده**) أي صدوره ووروده (**فلا يسأله عنه، فربما يثقل عليه ذِكرُه أو يحتاج إلىٰ أن يكذب فيه**) وفي القوت: وليتَّقِ أن يعاشر أخاه بخمس خصال فليست من الأدب ولا المروءة، أولها: أن لا يلزمه بما يكره ممَّا يشق عليه، والثانية: أن لا يسمع فيه بلاغة ولا يصدِّق فيه مقالة، والثالثة: أن لا يُكثِر مسألته من أين تجيء وإلىٰ أين تذهب؟ والرابعة: أن لا يتجسَّس عليه، والخامسة: أن لا يتحسَّس عنه[٢]، فقد روينا كراهة هذه الخمس في سِيَر السلف، وقال محمد بن سيرين: لا تلزم أخاك بما يشق عليه[٣]. وقال مجاهد:

---

(١) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢١/ ١٣٢.

(٢) بعده في القوت: «والفرق بينهما أن التجسس يكون في قفو الآثار، والتحسس يكون في تطلع الأخبار».

(٣) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٢/ ٢٦٤، والخرائطي في مكارم الأخلاق ص ٢٣٦.

إذا رأيت أخاك في طريق فلا تسأله من أين جئتَ وإلىٰ أين تذهب، فلعله يكره أن يصدُقك في ذلك أو يَكذبك فتكون قد حملتَه علىٰ الكذب[١] **(وأن يسكت عن الأسرار التي يبثُّها إليه)** أي ينشرها **(ولا يبثها إلىٰ غيره البتَّة)** أي لا يفشيها **(ولا إلىٰ أخص أصدقائه)** وأصدق أحبابه **(ولا يكشف شيئًا منها ولو بعد القطيعة)** والمجافاة **(والوحشة)** والنفرة. وهذا في الأمور التي لو فُرض أنه اطَّلع علىٰ ذلك لتكدَّر خاطرُه **(فإن ذلك)** أي إفشاء السر إلىٰ الغير **(من لؤم الطبع وخبث الباطن)** وهو دليل عليهما **(وأن يسكت عن القدح في أحبابه وأهله وولده)** فلا يتكلم فيهم بما يسؤهم، وكثير[٢] يتقرَّب إلىٰ صاحبه بذلك، وهو خطأ تنشأ عنه المفاسد، ولو فُرض فيه مصالح فلا توازي مفاسدَه، ودَرْؤها أَولىٰ **(وأن يسكت عن حكاية قدح غيره فيه، فإن الذي يسبُّك مَن بلَّغك)** ومنه قولهم: ما سبَّك إلا من بلَّغك[٣] **(وقال أنس)** بن مالك رضي الله عنه: **(كان النبي ﷺ لا يواجه أحدًا بما يكرهه)** أي لا يشافهه به لئلا يشوش عليه، فإنه كان واسع الصدر جدًّا، غزير الحياء. قال العراقي[٤]: رواه أبو

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد ص ٢٣١، ٣٣٨ والبيهقي في شعب الإيمان ١٢/ ١١٦ بلفظ: يكره أن يحد الرجل إلىٰ أخيه النظر أو يتبعه بصره إذا ولىٰ أو يسأله من أين جئت وأين تذهب. ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه ٨/ ٦١٩ بلفظ: إذا لقيت أخاك فلا تسأله من أين جئت ولا أين ذهبت، ولا تحد النظر إلىٰ أخيك. ورواه هناد بن السري في الزهد ٢/ ٦٤٨ بلفظ: لا تحد النظر إلىٰ أخيك، ولا تسأله من أين جئت وأين ذهبت.

(٢) فيض القدير ٥/ ١٩١.

(٣) هذا المثل ذكره أحمد تيمور باشا في الأمثال العامية ص ٤٨٥ بلفظ: «ما شاتمك إلا مبلغك». وقال: أي لم يشتمك إلا من بلغك ونقل إليك ما قيل فيك، ولولاه لم تسمع ما تكره. يضرب في ذم النميمة، وفي معناه قول بعضهم:

لعمـرك مـا سـب الأمير عـدوه ... ولكنمـا سـب الأميـر المبلـغ

ومن أمثال العرب: من سبك؟ قال: من بلغني. أي الذي بلغك ما تكره هو الذي قاله لك؛ لأنه لو سكت لم تعلم.

(٤) المغني ١/ ٤٧٤.

داود[١] والترمذي في الشمائل[٢] والنسائي في اليوم والليلة[٣] بسند ضعيف. انتهىٰ.
قلت: وكذلك رواه أحمد[٤] والبخاري في الأدب المفرد[٥]، ولفظهم جميعًا: كان لا يواجه أحدًا في وجهه بشيء يكرهه. وسببه أن رجلاً دخل وبه أثر صفرة، فلما خرج قال: «لو أمرتم هذا أن يغسل هذا عنه» **(والتأذِّي يحصل أولاً من المبلِّغ)** له ذلك **(ثم من القائل)** وهي مرتبة ثانية **(نعم، لا ينبغي أن يخفي ما يسمع من الثناء عليه)** والمدح فيه **(فإن السرور به يحصل من المبلِّغ للمدح أولاً ثم من القائل)** ثانيًا **(وإخفاء ذلك من)** داء **(الحسد)** وهو مذموم **(وبالجملة، فليسكت عن كل كلام يكرهه جملةً وتفصيلاً)** قليلاً وكثيرًا **(إلا إذا وجب عليه النطق بأمر بمعروف أو نهي عن منكر ولم يجد رخصة)** شرعية **(في السكوت، فإذ ذاك لا يبالي بكراهته)** ولو تغيَّر عليه **(فإن ذلك إحسان إليه في التحقيق وإن كان يظن أنها إساءة)** له **(في الظاهر)** ومنهم من قال: يكتبه في لوح فيعرضه عليه لعله يعتبر فيرتدع عنه، فهذا هو أَولىٰ الأشياء وأبعدُ من غرور المواجهة **(أما ذِكر مساوئه وعيوبه ومساوئ أهله فهو من الغِيبة)** لأنه ذِكرٌ له بما يكرهه **(وذلك حرام في حق كل مسلم، ويزجرك عنه أمران، أحدهما: أن تطالع أحوال نفسك)** خاصةً **(فإن وجدتَ فيها شيئًا واحدًا مذمومًا فهوِّن علىٰ نفسك ما تراه من أخيك)** المؤمن **(وقدِّرْ)** في نفسك **(أنه عاجز عن قهر نفسه في تلك الخصلة الواحدة كما أنك عاجز فيما أنت مبتلىٰ به)** واقع فيه **(فلا تستثقلْه بخصلة واحدة مذمومة)** قال الحسن البصري: **(فأيُّ الرجال المهذَّب)**[٦]

---

(١) سنن أبي داود ٤/ ٤٥٣.
(٢) الشمائل المحمدية ص ١٦٨.
(٣) السنن الكبرىٰ ٩/ ٩٨.
(٤) مسند أحمد ١٩/ ٣٦٦، ٢٠/ ٣٥، ٧٧.
(٥) الأدب المفرد ص ١٣٥.
(٦) رواه عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد ص ٢١٦ عن ثابت البناني قال: قلت للحسن: يا أبا سعيد، رأيتك في المنام تقول الشعر. فقال: وأي الرجال المهذب. وقوله (أي الرجال المهذب) جزء من بيت شعر للنابغة الذبياني، تمامه: =

هيهات! (وكل ما لا تصادفه من نفسك في حق الله تعالىٰ فلا تنتظره من أخيك في حق نفسك، فليس حقك عليك بأكثر من حق الله عليك. والأمر الثاني: أنك تعلم أنك لو طلبتَ) أخًا (منزَّهًا من كل عيب) وزَلَل (اعتزلت عن الخلق كافةً) وجانبتَهم (ولم تجد) في الدنيا (مَن تصاحبه أصلاً) وأعياك طلبُه، ومنه قول الحريري[1]:

واعلمْ بأنك إن طلبـ ـتَ مهذَّبًا رُمْتَ الشَّطَطْ

(فما من الناس أحد إلا وله محاسن ومساوئ، فإذا غلبت المحاسنُ المساوئ فهو الغاية) القصوىٰ (والمنتهَىٰ) في الرغبات. ولفظ القوت: فمَن ظهرت محاسنه فغلبت مساوئه فهو المؤمن المقتصد (فالمؤمن الكريم أبدًا يحضر في نفسه محاسنَ أخيه لينبعث في قلبه التوقيرُ) أي التعظيم (والود والإكرام) وفي نسخة: والاحترام (وأما المنافق اللئيم فإنه أبدًا يلاحظ المساوئ والعيوب) ولفظ القوت: فالأخ الشفيق الرفيق الكريم يذكر أحسن ما يعلم في أخيه، والمنافق اللئيم يذكر أسوأ ما يعلم فيه (قال ابن المبارك) رحمه الله تعالىٰ: (المؤمن يطلب المعاذير، والمنافق يطلب العثرات) كذا في القوت.

(وقال الفضيل) بن عياض رحمه الله تعالىٰ: (الفتوة الصفح عن زلأت الإخوان)[2] كذا في القوت.

(ولذلك قال ﷺ: استعيذوا بالله من جار السوء الذي إذا رأىٰ خيرًا ستره،

ولست بمستبق أخا لا تلمه علىٰ شعث أي الرجال المهذب

وهو في ديوانه ص ٢٨ (ط - دار الكتب العلمية).

(١) مقامات الحريري ص ١٩٨ [المقامة الشعرية].

(٢) رواه السلمي في آداب الصحبة ص ٤٦ ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٨/ ٤٣٠ بلفظ: الفتوة العفو عن عثرات الإخوان.

وإذا رأىٰ شرًّا أظهره) قال العراقي[١]: رواه البخاري في التاريخ[٢] من حديث أبي هريرة بسند ضعيف. وللنسائي[٣] من حديث أبي هريرة وأبي سعيد بسند صحيح: «تعوَّذوا بالله من جار السوء في دار المقام». انتهىٰ.

قلت: ورواه الحاكم[٤] من حديث أبي هريرة بلفظ: استعيذوا بالله من شر جار المقام، فإن جار المسافر إذا شاء أن يزايل زايَلَ». ورواه أيضًا بلفظ: «اللهم إني أعوذ بك من جار السوء في دار المقامة، فإن جار البادية يتحوَّل».

وروىٰ الطبراني في الكبير[٥] من حديث عُقبة بن عامر: «اللهم إني أعوذ بك من يوم السوء، ومن ليلة السوء، ومن ساعة السوء، ومن صاحب السوء، ومن جار السوء في دار المقامة».

وأخرج ابن النجار من حديث سعيد المقبري مرسلاً: «اللهم إني أعوذ بك من خليل ماكر عيناه ترياني وقلبه يرعاني، إن رأىٰ حسنة دفنها، وإن رأىٰ سيئة أذاعها»[٦].

وأما حديث النسائي الذي أشار إليه العراقي فقد أخرجه أيضًا البيهقي في

---

(١) المغني ١/ ٤٧٤ - ٤٧٥.

(٢) التاريخ الكبير ٦/ ٤٩٥ بلفظ: «تعوذوا من ثلاث الفواقر: من مجاورة جار السوء إن رأىٰ خيرا دفنه وإن رأىٰ شرا أذاعه، ومن زوجة سوء إن دخلت ألسبتك وإن غبت خانتك، ومن إمام سوء إن أحسنت لم يقبل وإن أسأت لم يغفر».

(٣) سنن النسائي ص ٨٢٩ من حديث أبي هريرة فقط.

(٤) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٧٢٣.

(٥) المعجم الكبير ١٧/ ٢٩٤.

(٦) رواه الطبراني في الدعاء ص ١٤٢٥ موصولا من حديث أبي هريرة. ورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٧/ ١٠٧ وهناد في الزهد ص ٥٠٥، ٦٤٥ والخطابي في العزلة ص ١٢٤ من دعاء داود عليه السلام.

الشعب[1]، وزاد هو والنسائي أيضًا بعد قوله «دار المقام»: فإن الجار البادي يتحول عنك.

وروىٰ البيهقي[2] أيضًا في معناه بسنده إلىٰ الحسن قال: قال لقمان لابنه: يا بنيَّ، حملتُ الجندل [والحديد] وكل ثقيل فلم أحمل شيئًا أثقل من جار السوء، وذقت المرار فلم أذق شيئًا أمرّ من الصبر[3].

وروىٰ البيهقي[4] أيضًا من حديث أبي هريرة: «تعوَّذوا بالله من ثلاث فواقر: جار سوء إن رأىٰ خيرًا كتمه، وإن رأىٰ شرًّا أذاعه ...» الحديث، وسنده ضعيف.

(وما من شخص إلا ويمكن تحسين حاله بخصال فيه، ويمكن تقبيحه أيضًا) بخصال أخرىٰ فيه (و) هذا المعنىٰ سبب قول النبي ﷺ: «إن من البيان لَسحرًا»؛ إذ كل حديث (رُوي) وفي آخره سبب يكون أوله خَرْج [الحديث] عليه وهو **(أن رجلاً أثنىٰ علىٰ رجل عند رسول الله ﷺ، فلما كان من الغد ذمَّه، فقال ﷺ: أنت بالأمس تثني عليه واليوم تذمه. فقال: واللهِ لقد صدقتُ عليه بالأمس وما كذبت عليه اليوم، إنه أرضاني بالأمس فقلت أحسن ما علمت فيه، وأغضبني اليوم فقلت أقبح ما علمت فيه. فقال ﷺ)** عند ذلك: **(إن من البيان لَسحرًا. وكأنه كره ذلك فشبَّهه بالسحر)** لأن السحر حرام. أي[5] إن بعض البيان سحر؛ لأن صاحبه يكشف بحسن بيانه عن حقيقة المشكل فيستميل القلوب كما يُستمال بالسحر، فلما كان في البيان من صنوف التركيب وغرائب التأليف ما يجذب السامعَ إلىٰ حدٍّ يكاد يشغله عن غيره شبَّهه بالسحر الحقيقي.

---

(١) شعب الإيمان ١٢/ ١٠٠.

(٢) السابق ٦/ ٥١٣.

(٣) في الشعب: الفقر.

(٤) السابق ١٢/ ١٠١.

(٥) فيض القدير ٢/ ٥٢٤.

قال العراقي[١]: رواه الطبراني في الأوسط[٢] والحاكم في المستدرك[٣] من حديث أبي بكرة، إلا أنه ذكر المدح والذم في مجلس واحد لا يومين. ورواه الحاكم من حديث ابن عباس أطول منه بسند ضعيف أيضًا. انتهىٰ.

قلت: «إن من البيان لسحرًا» رواه أحمد[٤] والبخاري[٥] في النكاح والطب وأبو داود[٦] في الأدب والترمذي[٧] في البر، كلهم من حديث ابن عمر، وعزاه صاحب المشارق إلىٰ عليٍّ، ووهم فيه، فإن البخاري لم يخرجه عنه.

وأما حديث ابن عباس فأخرجه أحمد[٨] وأبو داود[٩] بلفظ: «إن من البيان سحرًا، وإن من الشعر حكمًا». وأما القصة ففي قدوم وفد تميم وفيهم الزبرقان وعمرو بن الأهتم، وأنهما خطبا ببلاغة وفصاحة، ثم قال الزبرقان: يا رسول الله، أنا سيد بني تميم، والمطاع فيهم، والمُجاب لديهم، أمنعهم من الظلم، وآخذ لهم بحقوقهم، وهذا يعلم ذاك. فقال عمرو: إنه لَشديد العارضة، مانع لجانبه، مطاع في ناديه. فقال الزبرقان: واللهِ لقد علم مني أكثر ممَّا قال، ما منعه أن يتكلم به إلا الحسد. فقال عمرو: أنا أحسدك؟! فواللهِ إنك للئيم الخال، حديث المال، ضعيف العطن، أحمق الولد[١٠]، واللهِ يا رسول الله لقد صدقتُ فيما قلت أولاً، وما كذبت فيما قلت آخرًا، ولكني رجل

---

(١) المغني ١/ ٤٧٥.

(٢) المعجم الأوسط ٧/ ٣٤١.

(٣) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٤٥ - ٤٦.

(٤) مسند أحمد ٨/ ٢٧٥، ٩/ ١٨٨، ٢١٧، ٤٩٨.

(٥) صحيح البخاري ٣/ ٣٧٤، ٤/ ٤٩.

(٦) سنن أبي داود ٥/ ٣٥٥.

(٧) سنن الترمذي ٣/ ٥٥٢.

(٨) مسند أحمد ٤/ ٤٨٦، ٥/ ٢٦، ٥٢، ١٥٦، ١٩٤.

(٩) سنن أبي داود ٥/ ٣٥٧.

(١٠) في المستدرك: «حديث المال، أحمق الموالد، مضيع في العشيرة».

إنْ أُرضيت قلت أحسن ما علمت، وإن أُغضبت قلت أقبح ما وجدت، ولقد صدقت في الأولىٰ والأخرىٰ. فقال ﷺ: «إن من البيان سحرًا».

قال الميداني[١]: هذا المَثَل [يُضرب] في استحسان المنطق وإيراد الحُجة البالغة.

(**ولذلك قال ﷺ في خبر آخر: البَذاء والبيان شُعبتان من النفاق**) البَذاء كسحاب: الكلام القبيح يكون تارةً من القوة الشهوية كالرفث والسخف، ومن القوة الغضبية تارةً، فمتىٰ كان معه استعانة بالقوة المفكِّرة كان معه السباب، ومتىٰ كان من مجرد الغضب كان صوتًا مجردًا لا يفيد نطقًا كما يُرَىٰ ممَّن فار غضبُه وهاج هائجُه. قاله الراغب[٢]. والبيان[٣] هو التعمُّق [والمبالغة] في إظهار الفصاحة في المنطق وتكلُّف البلاغة في أساليب الكلام.

قال العراقي[٤]: رواه الترمذي[٥] وقال: حسن غريب، والحاكم[٦] وقال: صحيح علىٰ شرط الشيخين، من حديث أبي أمامة [بسند ضعيف].

(**وفي حديث آخر**) قال ﷺ: (**إن الله كره لكم البيان كل البيان**) أي[٧] لأنه يجرُّ إلىٰ أن يرىٰ الواحد منا لنفسه فضلاً علىٰ مَن تقدَّمه في المقال ومزية عليه في العلم أو الدرجة عند الله لفضل خُصَّ به عنهم فيحتقر مَن تقدَّمه، ولا يعلم المسكين أن قلة كلام السلف إنما كان ورعًا وخشية لله تعالىٰ، ولو أرادوا الكلام وإطالته لَما

---

(١) مجمع الأمثال ١/ ٧.

(٢) الذريعة إلىٰ مكارم الشريعة ص ١٨٣ - ١٨٤.

(٣) فيض القدير ٢/ ٢٥١.

(٤) المغني ١/ ٤٧٥.

(٥) سنن الترمذي ٣/ ٥٥١.

(٦) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٤٨، ١٠٨.

(٧) فيض القدير ٢/ ٢٥١.

عجزوا، غير أنهم إذا ذكروا عظمة الله تلاشت عقولهم وانكسرت قلوبهم وقصرت ألسنتهم، والبيان: جمع الفصاحة في اللفظ والبلاغة في المعنىٰ.

قال العراقي(١): رواه ابن السني في كتاب «رياضة المتعلمين» من حديث أبي أمامة بسند ضعيف. انتهىٰ.

قلت: ورواه الطبراني في الكبير(٢) كذلك، وفي(٣) سنده عفير بن معدان، وهو ضعيف.

(ولذلك قال الشافعي) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولفظ القوت: وقد قال الشافعي رحمه الله تعالىٰ في وصف العدالة قولاً حسنًا استحسنه العلماء، حُدثنا عن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال: سمعت الشافعي يقول: **(ما أحد من المسلمين يطيع الله عَزَّوَجَلَّ فلا يعصيه، ولا أحد يعصي الله عَزَّوَجَلَّ فلا يطيعه)** ولفظ القوت: حتىٰ لا يعصيه، وحتىٰ لا يطيعه، في الموضعين **(فمن كانت طاعاته أغلب من معاصيه فهو عدل)** لفظ القوت: فهو العدل. قال ابن عبد الحكم: وهذا كلام الحُذَّاق.

(وإذا جُعل مثل ذلك عدلاً في حق الله) تعالىٰ **(فبأن تراه عدلاً في حق نفسك ومقتضَىٰ إخوَّتك أَولىٰ، وكما يجب عليك السكوت بلسانك عن مساوئه يجب عليك السكوت بقلبك، وذلك بترك إساءة الظن)** فيه **(فسوء الظن غِيبة بالقلب، وهو منهيٌّ عنه أيضًا)** لأن لفظ «الغيبة» شامل للكل **(وحقه)** عليك **(أن لا تحمل فعله علىٰ وجه فاسد ما أمكنك أن تحمله علىٰ وجه حسن)** أي ما وجدتَ سبيلاً إليه **(فأما إن انكشف)** لك **(بيقين وشاهدته)** بعينك **(فلا يمكنك أن لا تُعلِمه، وعليك أن تحمل ما تشاهد علىٰ سهو ونسيان إن أمكن)** كما هو الأليق بحال المؤمن **(وهذا**

---

(١) لم يخرج العراقي هذا الحديث في المغني، والكلام المذكور نقله عنه المناوي في الفيض.

(٢) المعجم الكبير ٨/ ١٩٤ - ١٩٥.

(٣) مجمع الزوائد ٨/ ٢١٦.

الظن ينقسم إلىٰ ما يسمَّىٰ تفرُّسًا وهو أن يستند إلىٰ علامة) تدل عليه **(فإن ذلك يحرك الظنَّ تحريكًا ضروريًّا لا يقدر علىٰ دفعه، وإلىٰ ما منشؤه سوء اعتقادك فيه حتىٰ إذا صدر منه)** وفي نسخة: حتىٰ يصدر منه **(فعلٌ له وجهان فيحملك سوءُ الاعتقاد فيه علىٰ أن تُنزِله علىٰ الوجه الأردأ)** أي الأقبح **(من غير علامة)** هناك **(تخصه بها، وذلك جناية عليه بالباطن، وذلك حرام في حق كل مؤمن؛ إذ قال ﷺ)** ولفظ القوت: وكذلك الفرق بين الفراسة وسوء الظن أن الفراسة ما توسَّمتَه من أخيك بدليل يظهر لك أو شاهِد يبدو منه أو علامة تشهدها فيه فتتفرَّس من ذلك فيه، ولا تنطق به إن كان سوءًا، ولا تظهره، ولا تحكم عليه، ولا تقطع به فتأثم، وسوء الظن ما تظننته من سوء رأيك فيه أو لأجل حقد في نفسك عليه أو لسوء نية تكون منك أو خبث حال فيك تعرفها من نفسك فتحمل حال أخيك عليها وتقيسه بك، فهذا هو سوء الظن والإثم وهو غيبة القلب، وذلك المحرَّم؛ لقول النبي ﷺ: **(إن الله قد حرَّم علىٰ المؤمن من المؤمن دمه وماله وعِرضه وأن يظن به ظن السوء)** قال العراقي[1]: رواه الحاكم في التاريخ من حديث ابن عباس[2] دون قوله «وعرضه»، ورجاله ثقات، إلا أن أبا علي النيسابوري قال: ليس هذا عندي من كلام النبي ﷺ، إنما هو عندي من قول ابن عباس. ولابن ماجه[3] نحوه من حديث

---

(١) المغني ١/ ٤٧٥.

(٢) وكذلك البيهقي في شعب الإيمان ٩/ ٧٦، وتمامه: «نظر رسول الله ﷺ إلىٰ الكعبة فقال: مرحبا بك من بيت ما أعظمك وأعظم حرمتك، وللمؤمن أعظم حرمة عند الله منك، إن الله حرم منك واحدة، وحرم من المؤمن ثلاثا: دمه وماله وأن يظن به ظن السوء». ورواه الطبراني في المعجم الكبير ١١/ ٣٧ بلفظ: «نظر رسول الله ﷺ إلىٰ الكعبة فقال: لا إله إلا الله، ما أطيبك وأطيب ريحك وأعظم حرمتك، والمؤمن أعظم حرمة منك، إن الله ﷻ جعلك حراما، وحرم من المؤمن ماله ودمه وعرضه وأن نظن به ظنا سيئا».

(٣) سنن ابن ماجه ٥/ ٤٣٠، ولفظه: «رأيت رسول الله ﷺ يطوف بالكعبة ويقول: ما أطيبك وأطيب ريحك، ما أعظمك وأعظم حرمتك، والذي نفس محمد بيده لحرمة المؤمن أعظم عند الله حرمة منك، ماله ودمه وأن نظن به إلا خيرا».

ابن عمر. ولمسلم[1] من حديث أبي هريرة: «كل المسلم علىٰ المسلم حرام دمه وماله وعِرضه».

(وقال ﷺ: **إياكم والظن**) أي[2] احذروا اتباع الظن، أو احذروا سوء الظن بمن لا يُساء الظن به [من العدول] والظن: تهمة تقع في القلب بلا دليل، وإنما ينشأ الظن الخبيث من القلب الخبيث، وفيه يقول الشاعر[3]:

إذا ساء فعلُ المرء ساءت ظنونُه ... وصدَّق ما يعتاده من توهُّمِ

وعادَىٰ محبِّيه بقول عدوِّه ... وأصبح في ليل من الشك مظلم

(**فإن الظن**) أقام المُظهَر مقام المضمَر؛ إذ القياس: فإنه؛ لزيادة تمكُّن المسنَد إليه في ذِكر السامع حثًّا علىٰ الاجتناب (**أكذبُ الحديثِ**) أي حديث النفس؛ لأنه يكون بإلقاء الشيطان في نفس الإنسان، واستُشكل تسمية الظن حديثًا، وأجيبَ بأن المراد عدم مطابقته الواقع قولاً أو غيره، أو ما ينشأ عن الظن فوُصف الظن به مجازًا.

قال العراقي[4]: متفق عليه[5] من حديث أبي هريرة. انتهىٰ.

قلت: وكذلك رواه مالك[6] وأحمد[7] وأبو داود[8] والترمذي[9]، وللحديث

(١) صحيح مسلم ٢/ ١١٩٣.
(٢) فيض القدير ٣/ ١٢٢ - ١٢٣. فتح الباري ١٠/ ٤٩٦ - ٤٩٩.
(٣) هو المتنبي، والبيتان في ديوانه ص ٤٥٩ - ٤٦٠.
(٤) المغني ١/ ٤٧٥.
(٥) صحيح البخاري ٣/ ٣٧٣، ٤/ ١٠٣، ٢٣٥. صحيح مسلم ٢/ ١١٩٢ - ١١٩٣.
(٦) الموطأ ٢/ ٩٠٨.
(٧) مسند أحمد ١٣/ ٢٤٧، ٤٧٦، ١٤/ ١٩٩، ١٦/ ٦٠، ٩٩، ١٧٧، ٢٤٣، ٤١١، ٥٥٧.
(٨) سنن أبي داود ٥/ ٣٢٠.
(٩) سنن الترمذي ٣/ ٥٢٧.

بقية يأتي ذِكرُها بعده وهو قوله: ولا تجسَّسوا ... الخ.

(**وسوء الظن يدعو إلىٰ التجسس والتحسس**) بالجيم والحاء (**وقد قال ﷺ: لا تجسَّسوا، ولا تحسَّسوا، ولا تَقاطعوا، ولا تَدابروا، وكونوا عِباد الله إخوانًا**) وهذه بقية الحديث الذي تقدم قبله، ولفظه: «ولا تجسَّسوا - بالجيم - ولا تحسَّسوا - بالحاء - ولا تَنافسوا - ويُروَىٰ: ولا تَناجَشوا - ولا تَحاسدوا، ولا تَباغضوا، ولا تَدابروا، وكونوا عباد الله إخوانًا، ولا يخطب الرجل علىٰ خِطبة أخيه حتىٰ ينكح أو يترك». وقد تقدم أنه أخرجه مالك وأحمد والشيخان والترمذي من حديث أبي هريرة.

(**والتجسُّس**) بالجيم يُستعمل (**في تطلُّع الأخبار**) وتعرُّفها بتلطُّف، ومنه: الجاسوس (**والتحسُّس**) بالحاء (**بالمراقبة بالعين**) وأصله طلبُ الشيء بحاسَّته كاستراق السمع وإبصار الشيء خُفيةً، وقيل: الأول التفحُّص عن عورات الناس وبواطن أمورهم بنفسه أو بغيره، والثاني أن يتولاَّه بنفسه، وقيل: الأول يختص بالشر، والثاني أعم. وقوله «ولا تقاطعوا»، قال ابن العربي في العارضة[1]: المقاطعة: ترك الحقوق الواجبة بين الناس، تكون عامة وتكون خاصة، والتدابُر: أن يولي كلٌّ منهما صاحبه دُبره محسوسًا بالأبدان أو معقولاً بالعقائد والآراء والأقوال. انتهىٰ. وقوله «وكونوا عباد الله إخوانًا» بحذف حرف النداء، أي: يا عباد الله. «إخوانًا» أي: اكتسِبوا ما تصيرون به إخوانًا ممَّا ذُكر وغيره، فإذا تركتم ذلك كنتم إخوانًا، وإذا لم تتركوه صِرتم أعداء.

(**فسترُ العيوب والتجاهل والتغافُل عنها سمة**) أي علامة (**أهل الدين**) ويُستثنَىٰ منه ما لو تعيَّن طريقًا لإنقاذ محترم من هلاك أو نحوه، كأن يخبر ثقةٌ بأن فلانًا خلا برجل ليقتله أو بامرأة ليزني بها، فيشرع التجسسُ، كما نقله النووي[2] عن

---

(١) عارضة الأحوذي ٨/ ١١٧.

(٢) شرح صحيح مسلم ٢/ ٣٣ - ٣٤. روضة الطالبين ١٠/ ٢٢٠.

الأحكام السلطانية[1] واستجادَه.

(**ويكفيك تنبيهًا علىٰ كمال الرتبة في ستر القبيح وإظهار الجميل أن الله وُصف به في الدعاء فقيل له**) ولفظ القوت: ومن علامة التقىٰ حُسن المقال عند التفرُّق وجميل البِشر بعد التقاطع، أنشدنا بعض العلماء لبعض الحكماء:

إن الكريم إذا تقضَّىٰ ودُّه ... يُخفِي القبيحَ ويُظهِر الإحسانا

وترىٰ اللئيم إذا تصرَّم حبلُه ... يُخفِي الجميلَ ويُظهِر البُهتانا[2]

فوصفُ الكريم في هذا المعنىٰ التخلُّق بخُلق الربوبية، ألم تسمع إلىٰ الدعاء المأثور عن رسول الله ﷺ في أوله: (**يا مَن أظهر الجميلَ وستر القبيح**) ولم يؤاخذ بالجريرة، ولم يهتك الستر. انتهىٰ. (**والمَرضيُّ عند الله تعالىٰ من تخلَّق بأخلاقه**) وتحلَّىٰ بأوصافه (**فإنه**)عَزَّوَجَلَّ (**ستَّار العيوب وغفار الذنوب ومتجاوز عن العبيد**) لا يؤاخذ علىٰ الجريرة (**فكيف لا تتجاوز أنت**) أيها المؤمن أيضًا (**عمَّن هو مثلك**) في القدر والمقام (**أو فوقك وما هو بكل حال عبدك ولا مخلوقك**) وأنما أنت وإياه في العبودية سواء، فليس من حقيقة الصداقة أن تؤاخذه بعيوبه، كيف (**وقد قال عيسىٰ** عليه السلام **للحواريين**) من أصحابه: (**كيف تصنعون إذا رأيتم أخاكم نائمًا وقد كشفت الريح عنه ثوبه؟ قالوا: نستره ونغطيه. قال: لكنكم تكشفون عورته**) ولفظ القوت: بل تكشفون عورته (**فقالوا: سبحان الله! ومن يفعل هذا؟ فقال: أحدكم يسمع من**)

---

(١) الأحكام السلطانية للماوردي ص ٣٣٠، ونصه: «وأما ما لم يظهر من المحظورات فليس للمحتسب أن يتجسس عنها، ولا أن يهتك الأستار حذرا من الاستتار بها، فإن غلب علىٰ الظن استسرار قوم بها لأمارات دلت وآثار ظهرت فذلك ضربان، أحدهما: أن يكون ذلك في انتهاك حرمة يفوت استدراكها، مثل أن يخبره من يثق بصدقه أن رجلا خلا بامرأة ليزني بها، أو برجل ليقتله، فيجوز له في مثل هذه الحالة أن يتجسس ويقدم علىٰ الكشف والبحث، حذرا من فوات ما لا يستدرَك من انتهاك المحارم وارتكاب المحظورات».

(٢) لم أقف علىٰ قائل هذين البيتين.

ولفظ القوت: في (**أخيه الكلمة فيزيد عليها ويشيِّعها**) أي يتبعها (**بأعظم منها**) كذا في القوت، وزاد: وهذا مَخرجه من الحسد الكائن في النفس والغل المستكن في القلب أن يزيد على الشيء ممَّا يسمع أو يتبعه بمثله فيُظهر هذا غله، وهذا هو الذي استعاذ منه المؤمنون في قولهم: ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الحشر: ١٠].

(**واعلمْ أنه لا يتم إيمانُ المرء ما لم يحب لأخيه ما يحب لنفسه**) وقد روى أحمد[١] والشيخان[٢] وأبو داود[٣] والنسائي[٤] وابن ماجه[٥] من حديث أنس: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» أي لا يتم إيمانُه (**وأقل درجات الإخوَّة أن يعامل أخاه بما يحب أن يعامله**) أي نفسه (**به، ولا شك أنه**) أي أخاه المؤمن (**ينتظر منه ستر العورة والسكوت عن المساوئ والعيوب**) والفضائح (**ولو ظهر له منه**) بعض ما يكره و(**نقيض ما**) كان (**ينتظره**) منه (**اشتد عليه غضبه وغيظه، فما أبعده**) عن الإنصاف (**إذا كان ينتظر منه ما لا يضمره له ولا يعزم عليه لأجله، وويل له في نص كتاب الله تعالى، حيث قال:** ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ①﴾ **الآية**) إلى آخرها وهو قوله: ﴿الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ② وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ③﴾ [المطففين: ١ - ٣] والويل كلمة تحسُّر وتحزُّن، وقيل: اسم وادٍ في جهنم (**فكل من يلتمس من الإنصاف أكثر ممَّا تسمح به نفسه فهو داخل تحت مقتضى هذه الآية**) فأقل درجاته التساوي، كما قال الحريري[٦]:

وكِلْتُ للخِل كما كالَ لي ... على وفاء الكيل أو بَخْسِه

---

(١) مسند أحمد ٢٠/ ١٩٣، ٣٩٤، ٢١/ ٢٢٨، ٣٥٣، ٣٨٩، ٤٦١.

(٢) صحيح البخاري ١/ ٢١. صحيح مسلم ١/ ٤٠ - ٤١.

(٣) لم أقف عليه في سنن أبي داود.

(٤) سنن النسائي ص ٧٦٢، ٧٦٥.

(٥) سنن ابن ماجه ١/ ٩٠.

(٦) مقامات الحريري ص ٣٨ [المقامة الدمياطية].

(**ومنشأ التقصير في ستر العورة والسعي في كشفها الداء الدفين في الباطن وهو الحقد**) المستكن في القلب (**والحسد، فإن الحسود والحقود يمتلئ باطنه بالخبث، ولكنه يحبسه في باطنه ويخفيه**) عن الإظهار (**ولا يبديه**) لأخيه (**مهما لم يجد له مجالاً، فإذا وجد الفرصة انحلَّت الرابطة وارتفع الحياء**) وظهر المخبَّأ (**وترشَّح الباطن بخبثه الدفين**) المستكن (**ومهما انطوىٰ الباطن علىٰ حقده وحسده**) وعلم من نفسه ذلك (**فالانقطاع أَولىٰ**) ولهذا السبب انقطع جماعة من الصالحين عن إخوانهم، وكانوا إذا سُئلوا عن سبب الانقطاع يقولون: ما كل ما يُعلَم يقال، وليس كل عذر يُبدَىٰ (**قال بعض الحكماء: ظاهر العتاب خير من مكنون الحقد**[١]**، ولا يزيد لطف الحسود إلا وحشة منه**) ولفظ القوت: ولا يزيدك لطف الحقود إلا وحشة منه (**ومَن في قلبه سخيمة علىٰ مسلم فإيمانه ضعيف، وأمره مخطر، وقلبه خبيث لا يصلح للقاء الله تعالىٰ، وقد روىٰ عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه**) ولفظ القوت: وقد روينا في الحقد علىٰ الإخوان لفظة شديدة، وهو ما حدثونا عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه. قلت: عبد[٢] الرحمن بن جُبَير بن نُفَير بن مالك بن عامر الحَضْرمي، يكنىٰ أبا حُميد، ويقال: أبا حمير، روىٰ عن أبيه جبير بن نفير، وعنه صفوان بن عمرو وأبو حمزة عيسىٰ ابن سُلَيم ومحمد بن الوليد الزُّبَيدي ومعاوية بن صالح بن حُدَير الحضرمي ويحيىٰ بن جابر الطائي ويزيد بن حِمْيَر، قال أبو زُرعة والنسائي: ثقة، وقال أبو حاتم: صالح الحديث[٣]. مات سنة ثماني

---

(١) روىٰ السلمي في كتاب الفتوة ص ٨١ (ط - دار الرازي) من طريق عبد الله بن الحجاج مولىٰ المهدي عن إبراهيم بن شكلة قال: إذا آخيت أخا فلا تشك في أنه يخطئ ويصيب، ويحسن ويسيء، ويحفظ ويضيع، فوطن نفسك علىٰ الشكر إذا حفظ، وعلىٰ الصبر إذا ضيع، وعلىٰ المكافأة إذا أحسن، وعلىٰ الإساءة إذا أساء، فإن في معاتبة الصديق استدامة للود، وقد قيل: ظاهر العتاب خير من مكتوم الحقد. وهذا القول أورده الميداني في مجمع الأمثال ١/ ٤٤٥ بلفظ: ظاهر العتاب خير من باطن الحقد. وقال: «هذا قريب من قولهم: يبقىٰ الود ما بقي العتاب».

(٢) تهذيب الكمال ١٧/ ٢٦ - ٢٨.

(٣) قولا أبي زرعة وأبي حاتم ذكرهما ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٥/ ٢٢١.

عشرة ومائة في خلافة هشام، روىٰ له الجماعة إلا البخاري. وأما أبوه[١] فإنه يكنىٰ أبا عبد الرحمن، ويقال: أبا عبد الله، شامي حِمصي، أدرك زمان النبي ﷺ وروىٰ عنه مرسلاً، وهو من كبار تابعي أهل الشام، مات سنة خمس وسبعين[٢]، روىٰ له الجماعة إلا البخاري (**أنه قال: كنت باليمن، ولي جار يهودي يخبرني عن التوراة، فقَدِم علىٰ اليهودي**) ولفظ القوت: فقدم علينا (**يهودىٰ من سفر، فقلت: إن الله تعالىٰ قد بعث فينا نبيًّا، فدعانا إلىٰ الإسلام فأسلمنا، وقد أنزل علينا كتابًا مصدِّقًا للتوراة. فقال اليهودي: صدقتَ، ولكنكم لا تستطيعون أن تقوموا بما جاءكم به، إنَّا نجد نعته ونعت أمَّته في التوراة أنه لا يحل لامرئ**) يعني منهم (**أن يخرج من عتبة بابه وفي قلبه سخيمة علىٰ أخيه المسلم**) هكذا أورده صاحب القوت.

(**ومن ذلك: أن يسكت عن إفشاء سره الذي استودعه إياه، وله أن ينكره**) من أصله (**وإن كان كاذبًا**) في إنكاره (**فليس الصدق واجبًا في كل مقام**) بل في بعض المواضع يُستحسَن الكذب شرعًا (**فإنه كما يجوز للرجل أن يخفي عيوب نفسه و**) أن يخفي (**أسراره وإن احتاج إلىٰ الكذب فله أن يفعل ذلك في حق أخيه، فإن أخاه نازل منزلته، وهما كشيء واحد لا يختلفان إلا بالبدن**) أي هما من حيث البدن شخصان في رأي العين، ومن حيث الروح كشيء واحد في كمال الموافقة (**فهذه حقيقة الإخوَّة**) وفضيلة الصداقة (**وكذلك لا يكون بالعمل بين يديه مرائيًا وخارجًا عن أعمال السر إلىٰ أعمال العلانية، فإن معرفة أخيه بعمله كمعرفته بنفسه من غير فرق، وقد قال ﷺ: مَن ستر عورة أخيه ستره الله في الدنيا والآخرة**) قال العراقي[٣]: رواه ابن ماجه[٤] من حديث ابن عباس، وقال: يوم القيامة، ولم يقل: في الدنيا.

---

(١) تهذيب الكمال ٤/ ٥٠٩ - ٥١٢.

(٢) ويقال: مات في سنة ثمانين.

(٣) المغني ١/ ٤٧٦.

(٤) سنن ابن ماجه ٤/ ١٦١.

ولمسلم[1] من حديث أبي هريرة: «مَن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة». وللشيخين[2] من حديث ابن عمر: «مَن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة[3]». انتهىٰ.

قلت: لفظ حديث ابن عباس عند ابن ماجه: «مَن ستر عورة أخيه المسلم ستر الله عورته يوم القيامة، ومَن كشف عورة أخيه المسلم كشف الله عورته حتىٰ يفضحه بها [في بيته]».

وروىٰ عبد الرزاق[4] من حديث عقبة بن عامر: «مَن ستر مؤمنًا في الدنيا علىٰ عورة ستره الله يوم القيامة».

وروىٰ أبو نعيم[5] من حديث ثابت بن مخلد: «مَن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة».

وزاد عبد الرزاق[6] وأحمد[7] وابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج[8] والخطيب[9] من حديث مَسلمة بن مخلَّد: «ومَن فكَّ عن مكروب فك الله عنه كُربة من كُرَب يوم القيامة ...» الحديث.

وروىٰ الخرائطي في مكارم الأخلاق[10] حديث ابن عمر: «مَن ستر مسلمًا

---

(١) صحيح مسلم ٢/ ١٢٤٢.

(٢) صحيح البخاري ٢/ ١٩٠، ٤/ ٢٨٧. صحيح مسلم ٢/ ١١٩٩.

(٣) الذي في الصحيحين والمغني: ستره الله يوم القيامة.

(٤) مصنف عبد الرزاق ١٠/ ٢٢٨ - ٢٢٩.

(٥) معرفة الصحابة ١/ ٤٨٣.

(٦) مصنف عبد الرزاق ١٠/ ٢٢٨.

(٧) مسند أحمد ٢٨/ ١٥٨.

(٨) قضاء الحوائج ص ٨٤.

(٩) تاريخ بغداد ١٥/ ٢٠٠.

(١٠) مكارم الأخلاق ص ١٤٤.

ستره الله يوم القيامة».

وروىٰ أحمد[1] عن رجل من الصحابة: «مَن ستر أخاه المسلم في الدنيا ستره الله يوم القيامة».

وروىٰ عبد الرزاق[2] من حديث عقبة بن عامر: «مَن ستر أخاه في فاحشة رآها عليه ستره الله في الدنيا والآخرة».

(**وفي خبر آخر: فكأنما أحيا موءودة**) قال العراقي[3]: رواه أبو داود[4] والنسائي[5] والحاكم[6] من حديث عقبة بن عامر: «مَن رأىٰ عورة فسترها كان كمن أحيا موءودة». زاد الحاكم: من قبرها. وقال: صحيح الإسناد. انتهىٰ.

قلت: ورواه أيضًا البخاري في الأدب المفرد[7] بهذه الزيادة.

وروىٰ أحمد[8] وابن ماجه[9] من حديثه أيضًا بلفظ: «مَن ستر علىٰ مؤمن عورة فكأنما أحيا موءودة من قبرها».

ورواه بهذا اللفظ ابن مردويه والبيهقي[10] والخرائطي في مكارم الأخلاق[11]

---

(١) مسند أحمد ٢٧/ ١٤١، ٣٨/ ٢٤٣.

(٢) مصنف عبد الرزاق ١٠/ ٢٢٨.

(٣) المغني ١/ ٤٧٦.

(٤) سنن أبي داود ٥/ ٣٠٩.

(٥) السنن الكبرىٰ ٦/ ٤٦٤ - ٤٦٥.

(٦) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٥٣٩.

(٧) الأدب المفرد ص ٢٢٨.

(٨) مسند أحمد ٢٨/ ٥٦٦، ٥٦٨.

(٩) لم أقف عليه في سنن ابن ماجه.

(١٠) شعب الإيمان ١٢/ ١٥٦.

(١١) مكارم الأخلاق ص ١٤٤.

وابن عساكر[١] وابن النجار من حديث جابر.

ورواه الطبراني في الأوسط[٢] من حديث مَسلمة بن مخلد.

ورواه الطبراني في الكبير[٣] والضياء في المختارة من حديث رجل من الصحابة اسمه جابر بن شهاب[٤] كان ينزل مصر بلفظ: «مَن ستر علىٰ مؤمن عورة فكأنما أحيا ميتًا».

ورواه الخرائطي في مكارم الأخلاق[٥] من حديث عقبة بلفظ: «مَن ستر علىٰ مؤمن خزية فكأنما أحيا موءودة من قبرها».

ولابن حبان[٦] والبيهقي[٧] من حديثه: «مَن ستر عورة مؤمن فكأنما استحيا موءودة في قبرها».

وعند البيهقي[٨] من حديث أبي هريرة: «مَن ستر علىٰ مؤمن فاحشة فكأنما أحيا موءودة».

(**وقال ﷺ: إذا حدَّث الرجل بحديث**) وفي[٩] رواية: الحديث، وفي أخرىٰ: إذا حدَّث رجل رجلاً حديثًا (**ثم التفت**) يمينًا وشمالاً فظهر من حاله بالقرائن أن قصده أن لا يطَّلع علىٰ حديثه غير الذي حدَّثه به (**فهي**) أي الكلمة التي حدثه بها

(١) تاريخ دمشق ٥١/ ١٣٥.

(٢) المعجم الأوسط ٨/ ١١٤.

(٣) المعجم الكبير ٧/ ٣٧٤.

(٤) كذا هنا، وهو خطأ. والصواب: عن جابر بن عبد الله عن شهاب رجل من الصحابة.

(٥) مكارم الأخلاق ص ١٤٦.

(٦) صحيح ابن حبان ٢/ ٢٧٤.

(٧) السنن الكبرىٰ ٨/ ٥٧٥.

(٨) شعب الإيمان ١٢/ ١٥٦.

(٩) فيض القدير ١/ ٣٢٩.

(أمانة) عند المحدِّث، فيجب عليه كتمُها؛ إذ التفاته بمنزلة استكتامه بالنطق.

قال العراقي[١]: رواه أبو داود والترمذي من حديث جابر، وقال: حسن. انتهىٰ.

قلت: أخرجه أبو داود[٢] في الأدب، والترمذي[٣] في البر والصلة، وكذلك أخرجه أحمد[٤] والضياء في المختارة وصحَّحه. وأخرجه أبو يعلىٰ[٥] من حديث أنس، وفيه جُبارة بن المغلِّس ضعيف، وبقية رجاله ثقات[٦].

(وقال) ﷺ: (المجالس بالأمانة) فلا[٧] يشيع حديثَ جليسه إلا فيما يحرُم سترُه من الإضرار بالمسلمين، ولا يبطن غير ما يُظهِره. رواه ابن ماجه[٨] من حديث جابر، والخطيب[٩] من حديث علي، وأورده القضاعي في الشهاب[١٠] وكذا الديلمي والعسكريُّ كلهم من طريق حسين بن عبد الله بن ضُمَيرة عن أبيه عن جده عن علي، وقال الحافظ في الفتح[١١]: سنده ضعيف. فلا يُلتفت إلىٰ قول شرَّاح الشهاب كأبي بكر العامري البغدادي والحضرمي: إنه صحيح. ويُروَىٰ بزيادة: (إلا ثلاثة مجالس: مجلس يُسفَك فيه دم حرام) أي يُراق دم سائل من مسلم بغير حق

---

(١) المغني ١/ ٤٧٦.

(٢) سنن أبي داود ٥/ ٣٠٢.

(٣) سنن الترمذي ٣/ ٥٠٩.

(٤) مسند أحمد ٢٢/ ٣٦٢، ٢٣/ ١٠٥، ٢٩٧.

(٥) مسند أبي يعلىٰ ٧/ ١٧٩.

(٦) مجمع الزوائد ٨/ ١٨٤.

(٧) فيض القدير ٦/ ٢٦١ - ٢٦٢.

(٨) لم أقف عليه في سنن ابن ماجه.

(٩) تاريخ بغداد ١٢/ ٤٩٨.

(١٠) مسند الشهاب ١/ ٣٨.

(١١) فتح الباري ١١/ ٨٥.

(ومجلس يُستحل فيه فرْج حرام) أي [وطئه] علىٰ وجه الزنا **(ومجلس يُستحل فيه مال من غير حِلِّه)** سواء من مال مسلم أو ذمي، فمن قال في مجلس: أريد قتل فلان أو الزنا بفلانة أو [أخذ] مال فلان ظلمًا، لا يجوز للمستمعين حفظُ سره، بل عليهم إفشاؤه دفعًا للمفسدة[١]، والمراد[٢] منه أن المؤمن [ينبغي] إذا حضر مجلسًا ووجد أهله علىٰ منكر أن يستر عوراتهم، ولا يشيع ما رأىٰ منهم، إلا أن يكون أحد هذه الثلاثة فإنه فساد كبير، وإخفاؤه إضرار عظيم.

قال العراقي[٣]: رواه أبو داود[٤] من حديث جابر من رواية ابن أخيه - غير مسمىٰ - عنه. انتهىٰ.

قلت: ولفظه في الأدب: «إلا ثلاثة مجالس: سفك دم حرام [أو فرج حرام] أو اقتطاع مال بغير حق». قال المنذري[٥]: ابن أخي جابر مجهول. قال: وفيه أيضًا عبد الله بن نافع الصائغ، روىٰ له مسلم وغيره، وفيه كلام. ا.هـ. ولكن سكوت أبي داود عليه يدل علىٰ حسنه. والله أعلم.

ورواه[٦] أبو الشيخ في كتاب التوبيخ من حديث عثمان بن عفان وابن عباس بلفظ: «إنما المجالس بالأمانة». والمعنىٰ: المجالس الحسنة إنما هي المصحوبة بالأمانة.

---

(١) انظر: شرح مشكاة المصابيح للطيبي ١٠/ ٣٢٢٦.

(٢) من هنا إلىٰ قوله (إضرار عظيم) نقله صاحب الفيض عن كتاب تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة للقاضي البيضاوي ٣/ ٢٧٠.

(٣) المغني ١/ ٤٧٧.

(٤) سنن أبي داود ٥/ ٣٠٢.

(٥) الترغيب والترهيب ص ٧٩٩.

(٦) فيض القدير ٢/ ٥٦٩.

والحديث لم أقف عليه في كتاب التوبيخ.

(وقال ﷺ: إنما يتجالس المتجالسان بالأمانة، ولا يحل لأحدهما أن يفشي علىٰ صاحبه ما يكره) كذا في القوت.

قال العراقي[١]: رواه أبو بكر ابن لال في «مكارم الأخلاق» من حديث ابن مسعود بإسناد ضعيف. ورواه ابن المبارك في الزهد[٢] من حديث أبي بكر بن حزم مرسلاً. وللحاكم[٣] من حديث ابن عباس بلفظ: [«إنكم تجالسون بينكم بالأمانة».

قلت: وحديث ابن مسعود رواه أيضًا أبو الشيخ في الثواب بلفظ][٤]: «إنما يتجالس المتجالسان بأمانة الله تعالىٰ، فلا يحل لأحدهما أن يفشي علىٰ صاحبه ما يخاف». وفي سنده وسند ابن لال عبد الله بن محمد بن المغيرة، قال الذهبي في الضعفاء[٥]: قال العقيلي[٦]: يحدث بما لا أصل له، وقال ابن عدي[٧]: عامة أحاديثه لا يتابَع عليها.

وأما مرسل أبي بكر بن حزم فقد رواه البيهقي في الشعب[٨] وقال: هذا مرسل جيد.

---

(١) المغني ١/ ٤٧٧.

(٢) الزهد والرقائق ص ٢١٩.

(٣) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٤٠٤. وزاد في المغني: «وصححه». والحاكم لم يصححه، وقد قال الذهبي في التلخيص: مصادف بن زياد متروك، ومحمد بن معاوية كذبه الدارقطني، فبطل الحديث.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من المطبوعة، واستدركته من المغني وفيض القدير ٢/ ٥٦٩.

(٥) لم يذكر الذهبي قول العقيلي في المغني ١/ ٥٠٦، ولا في ديوان الضعفاء ص ٢٢٧، وإنما اقتصر علىٰ قول ابن عدي فقط. ولم يذكره أيضا في ترجمته من ميزان الاعتدال ٢/ ٤٨٧.

(٦) الضعفاء الكبير ٣/ ٧٠٣.

(٧) الكامل في الضعفاء ٤/ ١٥٣٥. وزاد: «ومع ضعفه يكتب حديثه».

(٨) شعب الإيمان ١٣/ ٥٠٠.

(**وقيل لبعض الأدباء: كيف حفظك للسر؟ قال: أنا قبره**) كذا في القوت[١]. أي أنا أكتمه كما يكتم القبر على الميت.

(**وقد قيل: صدور الأحرار قبور الأسرار**)[٢] هو قول مشهور على ألسنة الناس.

(**وقيل: إن قلب الأحمق في فيه**) أي فمه (**ولسان العاقل في قلبه**)[٣] وهذا أيضًا مشهور من قول الحكماء، وقد نظموا هذا المعنى في أبيات مشهورة (**أي لا يستطيع الأحمق إخفاء ما في نفسه فيبديه**) للناس (**من حيث لا يدري به**) أي لا يدري طرق المَضرَّة فيه (**فمن ههنا تجب مقاطعة الحمقى**) والبعد عنهم (**والتوقِّي عن صحبتهم**) وعِشرتهم (**بل عن مشاهدتهم**) فإنه ضرر صِرف.

(**وقد قيل لآخر: كيف حفظك للسر؟ فقال: أجحد المخبِر**) أي أُنكِر معرفتَه (**وأحلف للمستخبر**) نقله صاحب القوت[٤].

---

(١) في كتاب الموشى ص ٤٨: «قيل لأعرابي: كيف حفظك للسر؟ فقال: أنا لحده». وكذا ذكره الميداني في مجمع الأمثال ١/ ٣٩٦، ولكن فيه: كيف كتمانك للسر؟ وفي العقد الفريد لابن عبد ربه ١/ ٦٣: «وقيل لآخر: كيف كتمانك للسر؟ قال: ما قلبي له إلا قبر».

(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٩/ ٣٧٧، ١٠/ ٢٤٣ عن ذي النون المصري.

(٣) من أقوال علي بن أبي طالب رضي الله عنه، كما ذكره أبو سعد الآبي في كتاب نثر الدر في المحاضرات ١/ ٣٢٦ (ط - الهيئة المصرية العامة للكتاب). وهو في نهج البلاغة بلفظ: «لسان المؤمن من وراء قلبه، وقلب المنافق من وراء لسانه». قال ابن أبي الحديد في شرحه ٥/ ٢٣٣ - ٢٣٤ (ط - دار الكتاب العربي ببغداد): «فإن قلت: المسموع المعروف: لسان العاقل من وراء قلبه وقلب الأحمق من وراء لسانه. كيف نقله إلى المؤمن والمنافق؟ قلت: لأنه قل أن يكون المنافق إلا أحمق، وقل أن يكون العاقل إلا مؤمنا، فلأكثرية ذلك استعمل لفظ المؤمن وأراد العاقل، ولفظ المنافق وأراد الأحمق».

(٤) وذكره أيضا: ابن عبد ربه في العقد الفريد ١/ ٦٢، وابن قتيبة في عيون الأخبار ١/ ٩٨، والقالي في أماليه ٢/ ١٧٧، وأبو الطيب الوشاء في الموشى ص ٤٨.

(وقال آخر) وقد سُئل عن حفظ السر فقال: **(أستره وأستر أني أستره.**

وعبَّر عنه ابن المعتز فقال) هو المنتصر بالله عبد الله بن المعتز بالله أبي عبد الله محمد بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد العباسي، الشاعر المفلق، ووالده ثالث عشر خليفة. ولفظ القوت: ومن أحسن ما سمعت في حفظ السر ما حدثني بعض أشياخنا عن إخوان له دخلوا علىٰ عبد الله بن المعتز، فاستنشدوه شيئًا من شعره في حفظ السر، فأنشدهم علىٰ البديهة:

(ومستودِعي سرًّا تبوَّأت كَتْمَه

فأودعتُه صدري فكان له) ولفظ القوت: فصار له **(قبرا**

وقال آخر وأراد الزيادة عليه) ولفظ القوت: فخرجنا من عنده، فاستقبلنا محمد بن داود الأصبهاني، فسألنا من أين جئنا، فأخبرناه بما أنشدنا ابنُ المعتز في السر، فاستوقفنا، ثم أطرق مليًّا ثم قال: اسمعوا قولي:

(وما السر في صدري كثاوٍ بقبره لأني أرىٰ المقبور ينتظر النشرا

ولكنني أنساه حتىٰ كأنني بما كان منه لم أُحِطْ ساعةً خُبْرا

ولو جاز كتمُ السر بيني وبينه عن السر والأحشاء لم تعلم السرَّا

وأفشىٰ بعضهم سرًّا له إلىٰ أخيه ثم قال له: حفظتَ؟ فقال: بل نسيتُ) كذا في القوت.

(وكان أبو سعيد الثوري) هو سفيان بن سعيد، والكنية المشهور بها: أبو عبد الله، وعليها اقتصر المزي في تهذيب الكمال[1] **(يقول: إذا أردتَ أن تؤاخي رجلاً)** أي تعقد بينك وبينه عقدة إخوَّة **(فأغضبْه ثم دُسَّ عليه من يسأله عنك وعن**

---

(١) تهذيب الكمال ١١/ ١٥٤.

أسرارك، فإن قال خيرًا وكتم سرك فاصحبْه) نقله صاحب القوت غير قوله «وعن أسرارك» «وكتم سرك»، وزاد: وقال غيره: لا تؤاخِ أحدًا حتىٰ تبلوه وتفشي إليه سرًّا ثم اجْفِه واستغضِبْه وانظر فإن أفشاه عليك فاجتنبْه.

(**وقيل لأبي يزيد**) طيفور بن عيسىٰ البسطامي قُدِّس سره: (**مَن أصحب من الناس؟ فقال: من يعلم منك ما يعلم الله**) عَزَّوَجَلَّ (**ثم يستر عليك كما يستر الله**) عَزَّوَجَلَّ. كذا في القوت.

(**وقال ذو النون**) المصري قُدِّس سره: (**لا خير**) لك (**في صحبة من لا يحب أن يراك إلا معصومًا**) كذا في القوت. أي مبرَّءًا من العيوب، وهذا لا يتفق.

(**ومَن أفشىٰ السر عند الغضب فهو لئيم؛ لأن إخفاءه عند الرضا تقتضيه الطباعُ السليمة كلُّها**) وإنما محل الامتحان عند الغضب، فإفشاؤه عنده من علامات اللؤم وخبث الطبع وسوء السريرة (**وقد قال بعض الحكماء: لا تصحب من يتغيَّر عليك عند أربع: عند غضبه ورضاه، وعند طمعه وهواه**) كذا في القوت. أي فليكن حاله عند غضبه كحاله في رضاه، وحاله عند طمعه كحاله عند هواه، وإليه أشار بقوله: (**بل ينبغي أن يكون صدق الإخوَّة ثابتًا علىٰ اختلاف هذه الأحوال**) كيفما تحوَّلت (**ولذلك قيل:**

وترىٰ الكريم إذا تصرَّم وصلُه ... يخفي القبيحَ ويُظهِر الإحسانا

وترىٰ اللئيم إذا تقضَّىٰ وصلُه ... يخفي الجميل ويُظهِر البهتانا)

هكذا هو في القوت، وقد تقدم ذلك قريبًا.

(**وقال العباس**) بن[1] عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي، رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عم رسول الله ﷺ، وهو أصغر أعمامه، توفي سنة اثنتين وثلاثين عن ثمان وثمانين

(١) تهذيب الكمال ١٤/ ٢٢٥ - ٢٣٠. أسد الغابة ٣/ ١٦٣ - ١٦٦.

وقد كُفَّ بصره، وقال المدائني: يكنىٰ أبا الفضل، قال الزبير بن بكَّار: كان أسن من رسول الله ﷺ بثلاث سنين. روىٰ له الجماعة (**لابنه عبد الله**) هو الحبر ترجمان القرآن، رضي الله عنه (**إني أرىٰ هذا الرجل - يعني عمر**) بن الخطاب (رضي الله عنه - **يقدِّمك علىٰ الأشياخ**) ويقرِّبك دونهم (**فاحفظ عني خمسًا**) وفي رواية: ثلاثًا (**لا تفشينَّ له سرًّا، ولا تغتابنَّ عنده أحدًا، ولا يجرِّبنَّ عليك كذبًا**) فهذه الثلاثة، وزاد في بعض الروايات: (**ولا تعصينَّ له أمرًا، ولا يطَّلعنَّ منك علىٰ خيانة. قال الشعبي**) لفظ القوت: قال: فقلت للشعبي وقد رواه: (**كل كلمة من هذه الخمس خير من ألف**) قال: كل كلمة خير من عشرة آلاف. هذا لفظ القوت. وقال أبو نعيم في الحلية[1]: حدثنا الحسن بن محمد بن كَيْسان، حدثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي، حدثنا علي بن المديني، حدثني أبو أسامة، حدثني مجالد، حدثنا عامر الشعبي، عن ابن عباس قال: قال لي أبي: أيْ بنيَّ، أرىٰ أمير المؤمنين يقرِّبك ويدعوك ويستشيرك مع أصحاب رسول الله ﷺ، فاحفظ عني ثلاث خصال: اتق الله، لا يجرِّبنَّ عليك كذبًا، ولا تفشينَّ له سرًّا، ولا تغتابنَّ عنده أحدًا. قال عامر الشعبي: [فقلت لابن عباس]: كل واحدة خير من ألف. قال: كل واحدة خير من عشرة آلاف.

(**ومن ذلك: السكوت عن المُماراة**) أي المخاصمة (**والمدافعة في كل ما يتكلم به أخوك، قال ابن عباس**) رضي الله عنه: (**لا تُمارِ سفيهًا فيؤذيك**) أي بالرد عليك (**ولا حليمًا فيقليك**) أي يبغضك (**وقد قال ﷺ: مَن ترك المِراء وهو مبطل بُني له بيت في رَبَض الجنة**) أي فيما حولها (**ومَن تركه وهو محقٌّ بُني له بيت في أعلىٰ الجنة**) وفي رواية: «بُني له في وسطها، ومَن حسَّن خُلُقَه بُني له في أعلاها». ورواه ابن مَنْده من حديث مالك بن أوس بن الحدثان عن أبيه، وقد تقدم في كتاب العلم.

(**هذا مع أنَّ تركه**) حالة كونه (**مبطلاً**) وهو يعلم ذلك (**واجب**) في حقه (**وقد**

---

(١) حلية الأولياء ١/ ٣١٨.

جُعل ثواب المحقِّ أعظم لأن السكوت عن الحق) وهو يعلم به (**أشد علىٰ النفس من السكوت علىٰ الباطل، وإنما الأجر علىٰ قدْر النَّصَب**) أي التعب والمشقة، وقد جاء في حديث صحيح أن النبي ﷺ قال لعائشة بعد اعتمارها: «إن لكِ من الأجر علىٰ قدْر نَصَبك ونفقتكِ». قال النووي[١]: وظاهره أن الثواب والفضل في العبادة بكثرة النَّصَب والنفقة. قال الحافظ ابن حجر[٢]: وهو كما قال، ولكنه ليس بمطَّرِد (**وأشد الأسباب لإثارة نار الحقد بين الإخوان المماراة والمناقشة**) أي الاستقصاء (**فإنها عين التدابُر والتقاطع، فإن التقاطُع يقع أولاً بالآراء ثم بالأقوال ثم بالأبدان**) وكل ذلك منهيٌّ عنه (**وقد قال ﷺ: لا تَدابروا، ولا تَباغضوا، ولا تَقاطعوا، ولا تَحاسدوا، وكونوا عباد الله إخوانًا**) وهذا بعض من حديث أبي هريرة السابق ذِكره قبل هذا بنحو سبعة أحاديث: «إياكم وسوء الظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تجسَّسوا، ولا تحسَّسوا، ولا تَقاطعوا، ولا تَدابروا ...» إلىٰ آخره، وأوله متفق عليه من حديثه كما تقدم.

وروىٰ الطبراني في الكبير[٣] من حديث أبي أيوب: «لا تَدابروا، ولا تَقاطعوا، وكونوا عباد الله إخوانًا، هجرة المؤمنين ثلاث، فإن تكلَّما وإلا أعرض الله عَزَّوَجَلَّ عنهما حتىٰ يتكلما».

وأخرج مالك[٤] والطيالسي[٥] وأحمد[٦] والشيخان[٧] وأبو داود[٨]

---

(١) شرح صحيح مسلم ٨/ ٢١٣. وقال بعده: «والمراد النصب الذي لا يذمه الشرع، وكذا النفقة».

(٢) فتح الباري ٣/ ٧١٦. وقال بعده: «فقد يكون بعض العبادة أخف من بعض وهو أكثر فضلا وثوابا بالنسبة إلىٰ الزمان». ثم ذكر أمثلة لذلك.

(٣) المعجم الكبير ٤/ ١٤٥.

(٤) الموطأ ٢/ ٩٠٧.

(٥) مسند الطيالسي ٣/ ٥٦٣ - ٥٦٤.

(٦) مسند أحمد ١٩/ ١٢٨، ٢٠/ ١١٩، ٣٤٨، ٤١١، ٢١/ ٦٤، ٣٧٥، ٤١٩.

(٧) صحيح البخاري ٤/ ١٠٣، ١٠٥. صحيح مسلم ٢/ ١١٩١.

(٨) سنن أبي داود ٥/ ٣١٨.

والترمذي[١] من حديث أنس: «لا تَباغضوا، ولا تَقاطعوا، ولا تَدابروا، ولا تَحاسدوا، وكونوا عباد الله إخوانًا كما أمركم الله، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام».

وأخرج ابن أبي شيبة في المصنَّف[٢] من حديث أبي بكر: «لا تَحاسدوا، ولا تَباغضوا، ولا تَقاطعوا، ولا تَدابروا، وكونوا عباد الله إخوانًا».

وروىٰ أحمد[٣] ومسلم[٤] من حديث أبي هريرة: «لا تَحاسدوا، ولا تَناجشوا، ولا تَباغضوا، ولا تَدابروا، ولا يَبِعْ بعضكم علىٰ بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانًا (**المسلم أخو المسلم، لا يظلمه**) ولا يُسلِمه (**ولا يحرمه، ولا يخذله**) وفي رواية: «لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، التقوىٰ ههنا – وأشار إلىٰ صدره [ثلاث مرات] (**بحسب المرء من الشر أن يحقر أخاه المسلم**) كل المسلم علىٰ المسلم حرامٌ دمه وماله وعِرضه».

(**وأشد الاحتقار المماراة، فإن مَن رد علىٰ غيره كلامَه فقد نسبه إلىٰ الجهل والحمق**) وهو فساد جوهر العقل (**أو إلىٰ الغفلة والسهو عن فهم الشيء علىٰ ما هو عليه، وكل ذلك استحقار**) له (**وإيغار للصدر**) يقال: أوغر صدرَه: إذا ملأه غيظًا (**وإيحاش. وفي حديث أبي أُمامة**) صُدَيّ[٥] بن عَجلان (**الباهلي**) رضي الله عنه، سكن الشام، ومات بها سنة ست وثمانين (**قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتمارىٰ، فغضب وقال: ذروا المِراء**) أي اتركوه (**فإن نفعه قليل، وإنه يهيِّج العداوةَ بين الإخوان**) كذا في القوت، إلا أنه قال: ذروا المِراء لقلة خيره، ذروا المراء فإن

---

(١) سنن الترمذي ٣/ ٤٩١.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة ٨/ ٣٨٤.

(٣) مسند أحمد ١٣/ ١٥٩، ١٤/ ٣٣٨.

(٤) صحيح مسلم ٢/ ١١٩٣.

(٥) تقريب التهذيب ص ٤٥٢.

نفعه قليل ... والباقي سواء.

قال العراقي[١]: رواه الطبراني في الكبير[٢] من حديث أبي أمامة وأبي الدرداء وواثلة وأنس دون ما بعد قوله «لقلة خيره»، ومن هنا إلىٰ آخر الحديث رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي أمامة فقط، وإسنادهما ضعيف. ا.هـ.

قلت: وروىٰ الديلمي[٣] من حديث معاذ: «دعوا الجدال والمِراء لقلة خيرهما، فإن أحد الفريقين كاذب فيأثم الفريقان».

(**وقال بعض السلف: مَن لاحَىٰ**) من المُلاحاة وهي المخاصمة. ولفظ القوت: مَن لاجَ، من الملاجة بمعناه (**الإخوان وماراهم قلَّت مروءته**) وفي نسخة:

---

(١) المغني ١/ ٤٧٧.

(٢) المعجم الكبير ٨/ ١٧٨، ولفظه: «خرج علينا رسول الله ﷺ يوما ونحن نتمارىٰ في شيء من أمر الدين، فغضب غضباً شديدًا لم يغضب مثله، ثم انتهرنا فقال: «مهلًا يا أمة محمد، إنما هلك من كان قبلكم بهذا، أخذوا المراء لقلة خيره، ذروا المراء فإن المؤمن لا يماري، ذروا المراء فإن المماري قد نمت خسارته، ذروا المراء فكفاك إثمًا أن لا تزال مماريًا، ذروا المراء فإن المماري لا أشفع له يوم القيامة، ذروا المراء فأنا زعيم بثلاث أبيات في الجنة في رباضها ووسطها وأعلاها لمن ترك المراء وهو صادق، ذروا المراء فإن أول ما نهاني عنه ربي بعد عبادة الأوثان المراء وشرب الخمر، ذروا المراء فإن الشيطان قد يئس أن يعبد، ولكنه قد رضي منكم بالتحريش وهو المراء، ذروا المراء فإن بني إسرائيل افترقوا علىٰ إحدىٰ وسبعين فرقة، والنصارىٰ علىٰ ثنتين وسبعين فرقة، كلهم علىٰ الضلالة إلا السواد الأعظم . قالوا: يا رسول الله، ومن السواد الأعظم؟ قال: من كان علىٰ ما أنا عليه وأصحابي، من لم يمار في دين الله ومن لم يكفر أحدًا من أهل التوحيد بذنب غفر له. ثم قال: إن الإسلام بدأ غريباً، وسيعود غريباً . قالوا: يا رسول الله، ومن الغرباء؟ قال: الذين يصلحون إذا فسد الناس، ولا يمارون في دين الله، ولا يكفرون أحدًا من أهل التوحيد بذنب». أما قوله (لقله خيره فإن نفعه قليل ويهيج العداوة بين الإخوان) فهو في تاريخ دمشق ٣٣/ ٣٦٨ - ٣٧٠ من رواية الصحابة الأربعة.

(٣) الفردوس بمأثور الخطاب ٢/ ٢١١.

مودته (**وذهبت كرامته**)[١] زاد في القوت: وفي حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ [عن رسول الله ﷺ] قال: «مَن عامَلَ الناسَ فلم يظلمهم وحدَّثهم فلم يكذبهم ووعدهم فلم يُخلِفهم فهو ممَّن كمُلت مروءته وظهرت عدالته ووجبت إخوَّته وحرُمت غِيبتُه».

(**وقال عبد الله بن الحسن**) هكذا هو في القوت، وهو يحتمل أن يكون ابن الحسن بن علي بن أبي طالب ثقة روى له الأربعة، أو عبد الله بن الحسن البصري (**إياك ومُماراة الرجال، فإنك لن تعدم مكر حليم أو مفاجأة لئيم**)[٢] هكذا نص القوت، وفي نسخ الكتاب: فإنك لن تعدم تكرم حليم. وهو غلط.

(**وقال بعض السلف: أعجزُ الناس مَن قصَّر في طلب الإخوان، وأعجز منه مَن ضيع مَن ظفر به منهم**)[٣] كذا في القوت.

(**وكثرة المُماراة توجب التضييعَ والقطيعة وتورث العداوة، وقد قال الحسن**) البصري: (**لا تشتروا عداوة رجل بمودة ألف رجل**)[٤] كذا في القوت، إلا أنه قال: لا تشترِ.

(**وعلى الجملة، فلا باعث على المماراة إلا إظهار التميُّز بمزيد العقل**

---

(١) هذا الأثر رواه ابن بطة في الإبانة الكبرى ٢/ ٥٣١ (ط - دار الراية) عن بعض الأعراب، قال: «حدثنا أبو محمد السكري قال: حدثنا أبو يعلى المنقري قال: سمعت الأصمعي قال: سمعت أعرابياً يقول: من لاحى الرجال وماراهم قلت مروءته وهانت كرامته، ومَن أكثر من شيء عُرف به».

(٢) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٧/ ٣٨٠، ٣٨٨ عن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، ولكن فيه: معاداة، بدل: مماراة. ورواه ابن حبان في روضة العقلاء ص ٩٨، وفيه: «قال عبد الله بن الحسن لابنه محمد: إياك ومعاداة الرجال، فإنها لا تعدمك مكر حليم أو مباذاة جاهل». ورواه السلمي في الفتوة ص ٩١ عن صالح بن حمزة.

(٣) رواه ابن حبان في روضة العقلاء ص ١٠٣ من طريق الأصمعي قال: قال رجل من الأعراب: من أعجز الناس ... فذكره، وفي آخره: فأضاع مودتهم، وإنما يحسن الاختيار لغيره من أحسن الاختيار لنفسه. وأورده الماوردي في أدب الدنيا والدين ص ١٧٥ عن خالد بن صفوان بن الأهتم المنقري.

(٤) رواه ابن حبان في روضة العقلاء ص ٩٤ عن إسماعيل بن أبي خالد البجلي الكوفي.

والفضل واحتقار المردود عليه بإظهار جهله) والإزراء به **(وهذا يشتمل على)** أوصاف ذميمة مثل **(التكبُّر والاحتقار والإيذاء والوسم بالحمق والجهل، ولا معنى للمعاداة إلا هذا، فكيف تضامه الإخوَّة)** الإلهية **(والمصافاة)** والصداقة **(وقد روى ابن عباس)** ﷺ **(عن النبي ﷺ أنه قال: لا تمارِ أخاك)** أي[١] لا تخاصمه **(ولا تمازحه)** بما يتأذَّى به **(ولا تعدْه موعدًا فتخلفه)** قال الطيبي[٢]: إن رُوِي منصوبًا كان جوابًا للنهي على تقدير «أن» فيكون مسببًا عما قبله، أو مرفوعًا فالمنهيُّ الوعد المستعقب للإخلاف، أي لا تعده موعدًا فأنت تخلفه، على أنه جملة خبرية معطوفة على إنشائية. والوفاء بالوعد سنَّة مؤكدة، وقيل: واجب.

قال العراقي[٣]: رواه الترمذي[٤] وقال: غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. يعني من حديث ليث بن أبي سُلَيم، وضعَّفه الجمهور. انتهى.

قلت: رواه هكذا في البر والصلة من طريق ليث بن أبي سليم، قال الذهبي: فيه ضعفٌ من جهة حديثه[٥].

وروى أبو نعيم في الحلية[٦] من حديث معاذ بن جبل بسند ضعيف: «إذا أحببتَ رجلاً فلا تُمارِه ولا [تُجارِه ولا] تشاره، ولا تسأل عنه أحدًا فعسى أن توافق له عدوًّا فيخبرك بما ليس فيه فيفرِّق ما بينك وبينه».

(وقال ﷺ: إنكم لا تَسَعون الناسَ بأموالكم) بفتح[٧] السين، أي لا تطيقون

---

(١) فيض القدير ٦/ ٤٢١.

(٢) الكاشف عن حقائق السنن ١٠/ ٣١٤٣.

(٣) المغني ١/ ٤٧٨.

(٤) سنن الترمذي ٣/ ٥٣١.

(٥) عبارة الذهبي في ديوان الضعفاء ص ٣٣٣: «حسن الحديث، ومن ضعفه فإنما ضعفه لاختلاطه بآخرة».

(٦) حلية الأولياء ٥/ ١٣٦.

(٧) فيض القدير ٢/ ٥٥٧.

أن تعمُّوا. وفي رواية: إنكم لن تَسَعوا، أي لا يمكنكم ذلك (**ولكن يسعهم منكم بسطُ الوجه وحُسن الخُلق**) وفي رواية: فسعوهم بأخلاقكم. وذلك لأن استيعاب عامَّتهم بالإحسان بالفعل غير ممكن، فأمر بجبر ذلك بالقول حسبما نطق به ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣] قال العسكري في الأمثال بعد أن أخرجه نقلاً عن الصولي قال: لو وُزنت كلمته ﷺ بأحسن كلام الناس كلهم لرجحت على ذلك. يعني بها هذا الحديث. وقال[١] الحرالي: السعة: المزيد على الكفاية من نحوها إلى أن ينبسط إلى ما وراء امتدادًا ورحمة وعلمًا، ولا تقع السعة إلا مع إحاطة العلم والقدرة وكمال الحلم والإفاضة في وجوه الكفايات ظاهرًا[٢] وباطنًا، عمومًا وخصوصًا، وذلك ليس إلا لله، أما المخلوق فلم يكد يصل إلى حظ من السعة، أما ظاهرًا فلم تقع منه ولا تكاد، وأما باطنًا بخصوص حسن الخُلق فعساه يكاد. انتهى. وكان إبراهيم بن أدهم يقول: إن الرجل لَيدرك بحسن خُلقه ما لا يدركه بماله؛ لأن المال عليه فيه زكاة وصلة أرحام وأشياء أُخَر، وخلقه ليس عليه فيه شيء.

قال العراقي[٣]: رواه أبو يعلى الموصلي[٤] والطبراني في مكارم الأخلاق[٥] وابن عدي في الكامل[٦] وضعَّفه والحاكم[٧] وصحَّحه والبيهقي في الشعب[٨] من

---

(١) نظم الدرر للبقاعي ٢/ ١٢٤.

(٢) في نظم الدرر: «وكمال الحلم وإفاضة الخير والنعمة لمقتضى كمال الرحمة ولمسرى النعمة في وجوه الكفايات ظاهرا ...» الخ.

(٣) المغني ١/ ٤٧٨.

(٤) مسند أبي يعلى ١١/ ٤٢٨.

(٥) مكارم الأخلاق ص ٣١٨.

(٦) الكامل في الضعفاء ٤/ ١٤٨١.

(٧) المستدرك على الصحيحين ١/ ٢٠١.

(٨) شعب الإيمان ١٠/ ٤٠٢.

حديث أبي هريرة. انتهىٰ.

قلت: وكذا رواه البزار[١] وأبو نعيم[٢]، وأما البيهقي فإنه أخرجه من طريق الطبراني وقال: تفرَّد به عبد الله بن سعيد المقبري عن أبيه، ورُوي من وجه آخر ضعيف عن عائشة. انتهىٰ. وفي الميزان[٣]: عبد الله بن سعيد هذا واهٍ بمرة، وقال الفَلاَّس: منكر الحديث متروك، وقال يحيىٰ[٤]: استبانَ لي كذبُه [في مجلس] وقال الدارقطني: متروك ذاهب. وساق له أخبارًا منها هذا، ثم قال: وقال [فيه] البخاري: تركوه. وأما سند أبي يعلىٰ فقال العلائي: إنه حسن.

(والمُماراة مضادة لحسن الخلق) كادا لا يجتمعان (وقد انتهىٰ السلف في الحذر عن المماراة والحض علىٰ المساعدة) وعدم الاختلاف (إلىٰ حد لم يروا السؤال أصلاً، وقالوا: إذا قلت لأخيك: قم، فقال: إلىٰ أين؟ فلا تصحبه) فإنَّ فيه نوع مخالفة في الظاهر، وهذا وأمثاله وإن كان جائزًا في الشرع ولكن لأهل الباطن فيه خصوص وتقييد، يرون مخالفته خروجًا عن الحد (و) كذا (قالوا): بل (ينبغي أن يقوم) في أول وهلة (ولا يسأل) ولا يتردَّد. ولفظ القوت: وينبغي أن يخالفه في شيء، ولا يعترض عليه في مراد، قال بعض العلماء: إذا قال الأخ لأخيه: قم بنا، فقال: إلىٰ أين؟ فلا تصحبه.

(وقال أبو سليمان الداراني) رحمه الله تعالىٰ: (كان لي أخ بالعراق، فكنت أجيئه في النوائب) أي الشدائد (فأقول: أعطني من مالك شيئًا، فكان يلقي إليَّ الكيس) الذي فيه المال (فآخذ منه ما أريد، فجئته ذات يوم فقلت: أحتاج إلىٰ شيء. فقال: كم تريد؟ فخرجت حلاوة إخائه من قلبي) كذا في القوت.

---

(١) مسند البزار ١٥/ ١٧٧، ١٦/ ١٩٣.

(٢) حلية الأولياء ١٠/ ٢٥.

(٣) ميزان الاعتدال ٢/ ٤٢٩.

(٤) هو ابن سعيد القطان، كما في الضعفاء الصغير للبخاري ص ٦٨.

(وقال آخر: إذا طلبتَ من أخيك مالاً فقال: ماذا تصنع به؟ فقد ترك حق الإخاء) ولفظ القوت: إذا قال: أعطني من مالك، فقال: كم تريد؟ أو ما تصنع به؟ لم يقُم بحق الإخاء.

(واعلمْ أن قُوام الإخوة) وأساسها **(بالموافقة في الكلام والفعل والشفقة، قال أبو عثمان الحيري)** سعيد[1] بن إسماعيل، المقيم بنيسابور، صحب شاه الكِرْماني ويحيىٰ بن معاذ الرازي، ثم ورد نيسابور علىٰ أبي حفص الحدَّاد، وأقام عنده، وبه تخرَّج، مات سنة ٢٩٨. قال القشيري في الرسالة: وكان يقال: في الدنيا ثلاثة لا رابع لهم: أبو عثمان بنيسابور، والجنيد ببغداد، وابن الجَلاَّء بالشام **(موافقة الإخوان خير من الشفقة عليهم)**[2] أي التي فيها المخالفة **(وهو كما قال.**

الحق الرابع: علىٰ اللسان بالنطق) لكونه آلة له **(فإن الإخوة كما تقتضي السكوتَ عن المكاره تقتضي أيضًا النطق بالمَحابِّ)** جمع محبوب **(بل هو أخص بالإخوة)** أي من خصوصيَّاتها **(لأن مَن قنع بالسكوت صحب أهلَ القبور)** وجاورَهم **(وإنما يُراد الإخوان ليُستفاد منهم لا ليُتخلَّص عن أذاهم، والسكوت معناه كف الأذىٰ، فعليه أن يتودَّد إليه بلسانه، ويتفقَّده في أحواله التي يجب أن يُتفقَّد فيها)** وفي نسخة: أن يتفقَّده فيها **(كالسؤال عن عارض إن عرض له)** أي حادث حدث له **(وإظهار شَغْلِ القلب بسببه، و)** إظهار **(استبطاء العافية عنه)** من وجه لا يكون فيه كاذبًا **(وكذا جملة أحواله التي يكرهها ينبغي أن يُظهِر بلسانه)** نطقًا **(وأفعاله كراهتها، وجملة أحواله التي يُسَرُّ بها)** ويفرح **(ينبغي أن يُظهِر بلسانه مشاركته له في السرور بها)** ليتم بذلك معنىٰ إخوته في الله ورسوله **(فمعنىٰ الإخوة في الله (المساهمة)** أي المقاسمة **(في السَّرَّاء والضَّرَّاء)** والمَنشط والمَكره **(وقد**

---

(١) الرسالة القشيرية ص ٨١.

(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ١٠/ ٢٤٤، والبيهقي في شعب الإيمان ١١/ ٥٤، والخطيب في تاريخ بغداد ١٠/ ١٤٥.

قال ﷺ: **إذا أحب أحدكم أخاه)** أي لِما فيه من الصفات المُرضية **(فليخبرْه)** ندبًا مؤكدًا، أي أنه يحبه. قال العراقي[١]: رواه أبو داود[٢] والترمذي[٣] وقال: حسن صحيح، والحاكم[٤] من حديث المقدام بن معدي كَرِب. انتهىٰ.

قلت: وكذلك رواه أحمد[٥] والبخاري في الأدب المفرد[٦] والنسائي[٧] وابن حبان[٨]، كلهم من طريق حبيب بن عبيد عن المقدام، والمقدام صحابي، له وفادة، نزل حِمص، ومات سنة سبع وثمانين[٩]. فلفظ أبي داود: «فليخبره أنه يحبه». ولفظ البخاري: «فليُعلِمْه أنه أحبه». ولفظ الترمذي: «فليعلمه إياه». ولفظ النسائي: «فليعلمه ذلك».

ورواه ابن حبان[١٠] أيضًا من حديث أنس، والبخاري في الأدب[١١] أيضًا من حديث رجل من الصحابة.

---

(١) المغني ١/ ٤٧٨.

(٢) سنن أبي داود ٥/ ٤٠٦.

(٣) سنن الترمذي ٤/ ١٩٩.

(٤) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٢٨٦.

(٥) مسند أحمد ٢٨/ ٤٠٨.

(٦) الأدب المفرد ص ١٦٥.

(٧) السنن الكبرىٰ ٩/ ٨٧.

(٨) صحيح ابن حبان ٢/ ٣٣٠.

(٩) انظر: الاستيعاب ٢/ ٢٨٤. الإصابة ٩/ ٢٧٤. أسد الغابة ٥/ ٢٤٤.

(١٠) صحيح ابن حبان ٢/ ٣٣١، ولفظه: «كنت جالسا عند النبي ﷺ إذ مر رجل، فقال رجل من القوم: يا رسول الله، إني لأحب هذا الرجل. قال: هل أعلمته ذاك؟ قال: لا. قال: قم أعلمه. فقام إليه فقال: يا هذا، والله إني لأحبك. قال: أحبك الذي أحببتني له».

(١١) الأدب المفرد ص ١٦٥ من طريق مجاهد قال: لقيني رجل من أصحاب النبي ﷺ، فأخذ بمنكبي من ورائي فقال: أما إني أحبك، فقلت: أحبك الذي أحببتني له. قال: لو لا أن رسول الله ﷺ قال: إذا أحب الرجل الرجل فليخبره أنه أحبه. ما أخبرتك».

وأخرج البيهقي في الشعب[١] من حديث ابن عمر: «إذا أحب أحدكم عبدًا فليخبرْه، فإنه يجد مثل الذي يجد له».

وأخرج أحمد[٢] والضياء في المختارة من حديث أبي ذر: «إذا أحب أحدكم صاحبه فليأتِه في منزله فليخبره أنه يحبه لله».

(**وإنما أمر بالإخبار**) والإعلام (**لأن ذلك يوجب زيادةَ حب**) له، وهو إحساس بوصلة لا يدرك كُنْهها (**فإنه إن عرف أنك تحبه**) استمال قلبه إليك و(**أحبك بالطبع لا محالة، وإذا عرفتَ أنه أيضًا يحبك زاد حبُّك لا محالة**) وعلىٰ كل حال فاجتلاب الود حاصلٌ (**فلا يزال الحب يتزايد من الجانبين ويتضاعف**) وتجتمع الكلمة وينتظم الشمل إلىٰ أن ينقلب ذاتيًا، وذلك حين يعرىٰ عن المقاصد (**والتَّحابُّ بين المؤمنين مطلوب في الشرع ومحبوب في الدين، ولذلك علم فيه الطريق، فقال ﷺ: تهادوا تحابُّوا**) رواه أبو هريرة، وأخرجه البيهقي وغيره، وقد تقدم الكلام عليه في آخر الكتاب الذي قبله. أي تهادوا بينكم تزدادوا محبة مع بعضكم. وعند الطبراني[٣] من حديث أم حكيم: «تهادوا، فإن الهدية تضعِّف الحب وتذهب بغوائل الصدر». وعند البيهقي[٤] من حديث أنس: «تهادوا، فإن الهدية تذهب بالسخيمة». إلىٰ غير ذلك من الأخبار الواردة ممَّا تقدم ذِكرُ بعضها.

(**ومن ذلك: أن يدعوه بأحب أسمائه إليه**) وكذا بأحب ألقابه وكُناه (**في**) حال (**غَيبته وحضوره**) فإن هذا مما يورث انشراحَ صدره لأخيه وميل قلبه فيكون سببًا لتزايد المحبة المطلوبة (**قال عمر رضي الله عنه: ثلاثة يصفين لك ودَّ أخيك**) أي ثلاث

---

(١) شعب الإيمان ١١/ ٣٢٢، ولكن بلفظ: «إذا أحب أحدكم أخاه فليعلمه فإنه يجد له مثل الذي عنده».

(٢) مسند أحمد ٣٥/ ٢٢٠، ٤٠٥.

(٣) المعجم الكبير ٢٥/ ١٦٣.

(٤) شعب الإيمان ١١/ ٣٠٣.

خصال مَن عمل بهنَّ صفا له ودُّ أخيه: **(أن تسلِّم عليه إذا لقيتَه أولاً)** أي تفاتحه بالسلام، فإنه تحية المؤمن، وعلامة علىٰ صفاء الود **(وتوسع له في المجلس)** إذا قَدِم عليك وأنت جالس فتزحزح له عن مجلسك وتقول له: ههنا يا أبا فلان **(وتدعوه بأحب أسمائه إليه)**[1] مما سمَّاه به أبواه. وقد تقدم مثل ذلك قريبًا من كلام سعيد بن العاص كان يقول: لجليسي عليَّ ثلاث: إذا دنا رحبَّت به، وإذا حدَّث أقبلت عليه، وإذا جلس أوسعت له.

(ومن ذلك: أن تثني عليه بما تعرف من محاسن أفعاله عند من يريد هو الثناء عنده، فإن ذلك من أعظم الأسباب في جلب المحبة) والطبع مجبول علىٰ حب مَن فعل مثل ذلك، كما هو مشاهَد **(وكذلك الثناء علىٰ أولاده وأهله)** وقرابته الأدنينَ وأتباعه وحَشَمه **(وصنعته)** التي هو فيها **(وفعلِه، حتىٰ علىٰ عقله وخلقه وهيئته)** الظاهرة **(وخطه)** إن كان جيدًا **(وشِعره)** إن كان موزونًا **(وتصنيفه)** في أيِّ فن كان **(وجميع ما يفرح به، وذلك)** كله **(من غير كذب وإفراط)** في المدح لئلا ينقلب إلىٰ ضده **(ولكن تحسين ما يقبل التحسينَ لا بد منه)** كأن يقول: إن أولادك وأهلك أحسن من غيرهم في هذا الزمان، وإن صنعتك هذه لا بأس بها ما اتَّقيت الله فيها، وإن فعلك لَحسنٌ، وإن عقلك ذكي، وهيئتك هذه تدل علىٰ حسن الخُلق في الباطن، وإن هذا الخط جليٌّ واضح صحيح يؤدي إلىٰ المعنىٰ بأقرب طريق، وإن شِعرك فيه حكمة، وإن تصنيفك مفيد في الباب، جامع للفروع المحتاج إليها. وأقل الدرجات في ذلك أن يكون المؤمن قد عوَّد لسانَه بالطيِّب من القول. وأخرج أبو نعيم في الحلية في ترجمة مالك بن دينار أن عيسىٰ عليه السلام مر مع الحواريين علىٰ جيفة كلب، فكلهم قد أسرع السيرَ ووضع يده علىٰ أنفه إلا عيسىٰ عليه السلام فإنه سار

---

(١) رواه ابن المبارك في الزهد والرقائق ص ١٣٤، وابن وهب في الجامع ص ٣٢٤، وعبد الرزاق في مصنفه ١١/ ٤٤، والسلمي في آداب الصحبة ص ٥٧، وابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق ص ١٠٠.

ورواه الحاكم في المستدرك ٣/ ٥٢٧ والطبراني في المعجم الأوسط ٨/ ١٩٢ مرفوعا من حديث عثمان بن طلحة الحجبي.

علىٰ سكينة، فلما تجاوزوا قالوا: ما أنتن ريحه! فقال عيسىٰ عليه السلام: ما أحسن بياض أسنانه! فقيل له في ذلك، فقال: لا أعوِّد لساني الذم[1]. ومر عمر رضي الله عنه علىٰ قوم يصطلون بالنار، فقال: السلام عليكم يا أهل النور. ولم يقل: أهل النار (**وآكَدُ من ذلك أن تبلغه ثناء مَن أثنىٰ عليه، مع إظهار الفرح به**) والسرور له (**فإن إخفاء ذلك**) من (**محض الحسد**) وخالص الغِل المستكن في الصدر.

(**ومن ذلك: أن تشكره علىٰ صنيعه في حقك**) من المعروف والبر والصلة (**بل علىٰ نيَّته**) بأن نوىٰ أن يعمل معك معروفًا (**وإن لم يتم ذلك**) وفي نسخة: وإن لم يتمم (**قال علي** رضي الله عنه: **مَن لم يحمد أخاه علىٰ حسن النية لم يحمده علىٰ حسن الصنيعة**)[2] وله شاهد من حديث جابر: «من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ...» الحديث، أخرجه الديلمي[3].

(**وأعظم من ذلك تأثيرًا في جلب المحبة**) وتحصيل المودة (**الذَّب**) أي الدفع (**عنه في**) حال (**غيبته مهما قُصد**) أي قصده غيره (**بسوء**) من إذاية وغيرها (**أو تُعرِّض لعِرضه بكلام**) قبيح لا يليق بمثله (**صريح أو تعريض، فحق الإخوة**) الإلهية (**التشمير في الحماية**) له (**والنصرة**) والإعانة (**وتبكيت المتعنِّت**) وتسكيته عنه (**وتغليظ القول عليه**) مع إراءة الغضب والحدة؛ ليرتدع عنه (**والسكوت عن ذلك يوغر الصدرَ**) أي يملؤه حرارةً (**وينفِّر القلبَ**) ويوحشه (**ويقصِّر في حق الإخوة**) المطلوب منه (**وإنما شبَّه رسولُ الله ﷺ الأخوين باليدين تغسل إحداهما الأخرىٰ**) وهو من حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه، رُوي مرفوعًا وموقوفًا كما تقدم

---

(١) لم أجده في الحلية بهذا السياق، وإنما رواه ٢/ ٣٨٢ مختصرا بلفظ: «مر عيسىٰ ابن مريم مع الحواريين علىٰ جيفة كلب، فقال الحواريون: ما أنتن ريح هذا! فقال عيسىٰ: ما أشد بياض أسنانه. يعظهم وينهاهم عن الغيبة».

(٢) ذكره السلمي في آداب الصحبة ص ٤٧ بلا إسناد.

(٣) الفردوس بمأثور الخطاب ٣/ ٦٢٨.

ذلك قبله (**لينصر أحدهما الآخر وينوب عنه**) في مهمَّاته (**وقد قال رسول الله ﷺ: المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يُسلِمه**) رواه مسلم من حديث أبي هريرة، وقد تقدم قريبًا (**وهذا**) أي سكوته عن النصرة له (**من الإسلام والخذلان؛ لأن إهماله**) أي تركه (**ليمزق عِرضه كإهماله ليمزق لحمه**) سواءً (**وأخسِسْ بأخ يراك والكلاب**) قد أحاطت بك تنوشك و(**تفترسك وتمزق لحمك**) بأنيابها (**وهو ساكت لا تحركه الشفقة**) الإسلامية (**والحمية**) الأخوية (**ليدفع عنك**) شرَّهم (**وتمزيق الأعراض أشد على النفوس من تمزيق اللحوم، ولذلك شبَّهه الله تعالىٰ بأكل لحوم الميتة فقال**) عز من قائل: (﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات: ١٢] **والمَلَك الذي يمثّل في المنام**) لأحدنا (**ما تطالعه الروح**) أي تشاهده (**من اللوح المحفوظ بالأمثلة المحسوسة**) في الظاهر (**يمثّل الغِيبة بأكل لحوم الميتة، حتىٰ إن مَن رأىٰ أنه يأكل لحم ميت فإنه يغتاب الناس**) هكذا اتفق عليه أئمة التعبير أخذًا من الآية (**لأن ذلك المَلَك في تمثيله يراعي المشاركة والمناسبة بين الشيء وبين أمثاله في المعنىٰ الذي يجري من المثال مَجرىٰ الروح لا في ظاهر الصورة**) كما عُلم ذلك في فن التعبير (**فإذًا حماية الإخوان**) ونصرتهم (**بدفع ذم الأعداء وتعنيف المعنفين**) وفي بعض النسخ: وتعنت المتعنتين (**واجب في عقد الإخوة، فقد قال مجاهد**) بن جبر المكي رحمه الله تعالىٰ: (**لا تذكر أخاك في غيبته إلا بما تحب أن يذكرك به في غيبتك**) كذا في القوت، ولفظه: قال ابن عباس في وصيته لمجاهد: ولا تذكر أخاك إذا تغيَّب عنك إلا بمثل ما تحب أن تُذكَر به إذا غبتَ، واعْفِه مما تحب أن تعفَىٰ منه[1] (**فإذًا لك فيه معياران، أحدهما: أن تقدِّر**) في

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في الصمت ص ٩٥ عن مجاهد قال: سمعت ابن عباس يقول: خمس لهن أحسن من الدهم الموقفة: لا تتكلم فيما لا يعنيك فإنه فضل ولا آمن عليك الوزر، ولا تتكلم فيما يعنيك حتىٰ تجد له موضعاً فإنه رب متكلم في أمر يعنيه قد وضعه في غير موضعه فيعنت، ولا تمار حليماً ولا سفيهًا، فإن الحليم يقليك، وإن السفيه يؤذيك، واذكر أخاك إذا تغيب عنك بما تحب أن يذكرك به، واعفه عما تحب أن يعفيك منه، واعمل عمل رجل يرىٰ أنه مجازىٰ بالإحسان،=

نفسك **(أن الذي قيل فيه لو قيل فيك وكان أخوك حاضرًا ما الذي كنت تحب أن يقوله فيك أخوك، فينبغي أن تعامل المتعرِّض لعِرضه به)** المعيار **(الثاني: أن تقدِّر)** في نفسك **(أنه حاضر من وراء جدار)** أو ستارة **(ليسمع قولك)** وفي نسخة: يتسمَّع عليك **(ويظن أنك لا تعرف حضوره)** هناك **(فما كان يتحرك في قلبك من النصرة له بمَسمع منه ومرأىٰ)** أي بحيث كان يسمعه ويراه **(فينبغي أن تكون في غيبته كذلك، فقد قال بعضهم: ما ذُكر لي أخ بغيب إلا تصوَّرتُه)** ولفظ القوت: تمثَّلته **(جالسًا)** عندي **(فقلت فيه ما أحَبَّ)** هو **(أن يسمعه)** مني **(لو حضر)** كذا في القوت.

(وقال آخر: ما ذُكر أخ لي إلا تصوَّرت في نفسي صورته) ولفظ القوت: نفسه وصورته **(فقلت فيه مثل ما أحِبُّ أن يقال فيَّ)** كذا في القوت.

(وهذا من صدق الإسلام) وكمال الإيمان **(وهو أن لا يرىٰ لأخيه إلا ما يراه لنفسه)** في سائر الشؤون. ولفظ القوت: فهذا حقيقة في صدق الإسلام، لا يكون مسلمًا حتىٰ يرضىٰ لأخيه ما يرضىٰ لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه **(وقد نظر أبو الدرداء)** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **(إلىٰ ثورين يجريان في قَرَن)** محرَّكة: هو الحبل يُقرَن به بين اثنين. وفي بعض النسخ: في فدان. وهو الخشب الذي يوضع علىٰ رقبتَي الثورين. ولفظ القوت: إلىٰ ثورين يحرثان **(فوقف أحدهما يحك جسمه)** لفظ القوت: جلده **(فوقف الآخر)** لوقوفه **(فبكىٰ)** أبو الدرداء **(وقال: هكذا الإخوان في الله تعالىٰ يعملان لله تعالىٰ)** ويتعاونان علىٰ أمر الله تعالىٰ **(فإذا وقف أحدهما وافقه الآخر)** ولفظ القوت: وقف الآخر لوقوفه.

وفي الحلية[1] لأبي نعيم من طريق سفيان الثوري، عن الأعمش، عن عمرو

= مأخوذ بالإجرام. وفي الزهد لأبي داود ص ٢٩٣ وشعب الإيمان للبيهقي ٧/ ٧٠ والتوبيخ لأبي الشيخ ص ٢٥٢ أن هذه الوصية من ابن عباس لوبرة بن عبد الرحمن المسلي، مع اختلاف في بعض العبارات.

(١) حلية الأولياء ١/ ٢٠٩.

ابن مرة، عن سالم بن أبي الجعد قال: مر ثوران علىٰ أبي الدرداء وهما يعملان، فقام أحدهما ووقف الآخر، فقال أبو الدرداء: إن في هذا لَمعتبَرًا.

(**وبالموافقة يتم الإخلاص، ومن لم يكن مخلصًا في إخائه فهو منافق**) باطنه مخالف لظاهره (**والإخلاص**) كما قال بعض الصوفية: (**استواء الغيب والشهادة، واستواء الخلوة والجماعة، واستواء اللسان والقلب، واستواء السر والعلانية. والاختلاف والتفاوت في شيء من ذلك**) مما ذُكر (**مماذقة في الود**) قد شابه بكدر (**وهو دَخَلٌ في الدين ووليجة في طريق المؤمنين**) وفي نسخة: المسلمين. ولفظ القوت: فمن حقيقة المؤاخاة في الله عَزَّوَجَلَّ إخلاص المودة له بالغيب والشهادة، واستواء القلب مع اللسان، واعتدال السر مع العلانية، وفي الجماعة والخلوة، فإذا لم يختلف ذلك فهو إخلاص الإخوة، وإن اختلف ذلك ففيه مداهنة في الإخوة ومماذقة في المروءة[1]، وذلك دَخَلٌ في الدين ووليجة في طريق المؤمنين، ولا يكون ذلك مع حقيقة الإيمان (**ومن لم يقدر**) وفي نسخة: ومن لا يقدر (**من نفسه علىٰ هذا**) ولم يوفَّق (**فالانقطاع والعزلة**) والانفراد (**أَولىٰ به من المؤاخاة والمصاحبة، فإن حق الصحبة ثقيل لا يطيقه إلا محقق**) ملك زمامَ نفسه وأرشدها إلىٰ سلوك طريق الآخرة (**فلا جَرَمَ أجرُه جزيل**) وثوابه نبيل (**لا يناله إلا موفَّق**) وإليه يلحظ ما تقدم من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قال لها رسول الله ﷺ: «أجركِ علىٰ قدْر نَصَبكِ» (**ولذلك قال ﷺ: أبا هِر، أحسِنْ مجاورة مَن جاورك تكن مسلمًا، وأحسِنْ مصاحبة مَن صاحَبَك تكن مؤمنًا**) قال العراقي[2]: رواه الترمذي[3] وابن ماجه[4] - واللفظ له - من حديث أبي هريرة بالشطر الأول فقط، وقال الترمذي: مؤمنًا، قال: «وأحِبَّ

---

(١) في القوت: المودة.

(٢) المغني ١/ ٤٧٨ - ٤٧٩.

(٣) سنن الترمذي ٤/ ١٤٠ وقال: غريب.

(٤) سنن ابن ماجه ٥/ ٦٢٠.

للناس ما تحب لنفسك تكن مسلمًا». وقال ابن ماجه: مؤمنًا. قال الدارقطني[١]: والحديث غير ثابت. ورواه القضاعي في مسند الشهاب[٢] بلفظ المصنف.

وسيأتي للمصنف في ذكر حقوق المسلم قريبًا.

(فانظر كيف جعل الإيمان جزاء الصحبة، والإسلام جزاء الجوار، والفرق بين فضل الإيمان وفضل الإسلام علىٰ حد الفرق بين المشقة في القيام بحق الصحبة والقيام بحق الجوار، فإن الصحبة تقتضي حقوقًا كثيرة في أحوال متقاربة مترادفة، بل علىٰ الدوام، و) إن **(الجوار لا يقتضي إلا حقوقًا قريبة في أوقات متباعدة لا تدوم)** وسيأتي المزيد في ذلك عند بيان حقوق الجوار قريبًا.

(ومن ذلك: التعليم والنصيحة) له **(فليست حاجة أخيك إلىٰ العلم بأقل من حاجته إلىٰ المال)** وفي القوت: حقيقة الحب في الله عَزَّوَجَلَّ أن يؤثر أخاه بالدين والدنيا إذا كان محتاجًا إليهما كنفسه **(فإن كنت غنيًّا بالعلم فعليك مواساته من فضلك، وإرشاده إلىٰ كل ما ينفعه في الدين والدنيا)** وفي القوت: وينبغي أن يعلِّمه ما جهل مما هو به أعلم، فيعينه بعلمه كما يعينه بماله، فإن فقر الجهل أشد من فقر المال، وإن الحاجة إلىٰ العلم ليست بدون الحاجة إلىٰ المال، وكان الفضيل يقول: إنما سُمِّي الصديق لتصدُّقه، والرفيق لترفُّقه، فإن كنت أغنىٰ منه فارفقه بمالك، وإن كنت أعلم منه فارفقه بعلمك[٣] **(فإن علَّمته وأرشدته فلم يعمل بمقتضَىٰ العلم**

---

(١) العلل ٧/ ٢٦٣ - ٢٦٥.

(٢) مسند الشهاب ١/ ٣٧١ - ٣٧٢.

(٣) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٨/ ١١٢ من طريق عبد الصمد بن يزيد قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول: إنما سمي الصديق لتصدقه، وإنما سمي الرفيق لترفقه، ليس في السفر وحده بل في السفر والحضر. قلنا: يا أبا علي، فسر لنا هذا. قال: أما الصديق فإذا رأيت منه أمرا تكرهه فعظه ولا تدعه يتهور، وأما الرفيق فإن كنت أعقل منه فارفقه بعقلك، وإن كنت أحلم منه فارفقه بحلمك، وإن كنت أعلم منه فارفقه بعلمك، وإن كنت أغنىٰ منه فارفقه بمالك.

فعليك نصحه) وذلك **(بأن تذكِّره آفات ذلك الفعل وفوائد تركه، وتخوِّفه بما يكرهه في الدنيا والآخرة ليكفَّ عنه)** وفي نسخة: لينزجر عنه **(وتنبِّهه على عيوبه، وتقبِّح القبيحَ في عينه، وتحسِّن الحسنَ، ولكن ينبغي أن يكون ذلك في سر لا تُطلِع عليه أحدًا، فما كان على الملأ)** هم جماعة الناس **(فهو توبيخ وفضيحة، وما كان في السر فهو شفقة ونصيحة)** ولفظ القوت: وينبغي أن ينصح له فيما بينه وبينه، ولا يوبِّخه بين الملأ، ولا يُطلِع على عيبه أحدًا، فقد قيل: إن نصائح المؤمنين في آذانهم. انتهى **(إذ قال ﷺ: المؤمن مرآة المؤمن)** قال العراقي[١]: رواه أبو داود[٢] من حديث أبي هريرة بإسناد حسن. انتهى.

قلت: رواه من طريق الوليد بن رباح عن أبي هريرة. وهو[٣] عند العسكري في الأمثال من أوجه عن أبي هريرة، لفظه في بعضها: «إن أحدكم مرآة أخيه، فإذا رأى شيئًا فليُمِطْه»[٤]. قال الحافظ السخاوي: وفي الباب عن أنس من طريق شريك بن أبي نمر، أخرجه الطبراني[٥] والبزار[٦] والقضاعي[٧]، وعن الحسن من قوله، أخرجه ابن المبارك في البر[٨] **(أي يرى منه ما لا يرى من نفسه، فيستفيد المؤمن من أخيه**

---

(١) المغني ١/ ٤٧٩.

(٢) سنن أبي داود ٥/ ٣٢١، ولفظه: «المؤمن مرآة المؤمن، والمؤمن أخو المؤمن، يكف عليه ضيعته، ويحوطه من ورائه».

(٣) المقاصد الحسنة ص ٤٣٩.

(٤) وهو أيضا عند الترمذي في سننه ٣/ ٤٨٧ بلفظ: «إن أحدكم مرآة أخيه، فإن رأى به أذى فليمطه عنه».

(٥) المعجم الأوسط ٢/ ٣٢٥.

(٦) مسند البزار ١٢/ ٣٢٨.

(٧) مسند الشهاب ١/ ١٠٦.

(٨) لم أقف عليه في البر والصلة، وهو في الزهد والرقائق ص ٢١٤ بلفظ: «إن المؤمن شعبة من المؤمن، إن به حاجته، إن به علته، يفرح لفرحه، ويحزن لحزنه، وهو مرآة أخيه، إن رأى منه ما لا يعجبه سدده وقومه ووجهه، وحاطه في السر والعلانية، إن لك من خليلك نصيبا، وإن لك نصيبا من ذكر من أحببت، فتنقوا الإخوان والأصحاب والمجالس».

معرفة عيوب نفسه، ولو انفرد لم يستفد، كما يستفيد بالمرآة الوقوف علىٰ عيوب صورته الظاهرة) وأنشد بعضهم في معناه:

صديقي مرآة أميط بها الأذىٰ وعضب حسام إن مُنعت حقوقي

وإن ضاق أمرٌ أو ألمَّت ملمَّةٌ لجأت إليه دون كل شقيق[1]

(وقال الشافعي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**: مَن وعظ أخاه سرًّا فقد نصحه وزانه، ومَن وعظه علانيةً فقد فضحه وشانَه**[2].

وقيل لمِسْعَر) بن[3] كِدام بن ظُهَير بن عُبَيدة بن الحارث بن هلال بن عامر ابن صعصعة الهلالي العامري الكوفي، يكنىٰ أبا سلمة، قال ابن معين: ثقة. مات سنة خمس وخمسين ومائة[4]، روىٰ له الجماعة **(أتحب من يخبرك بعيوبك؟ فقال: إن نصحني فيما بيني وبينه فنعم)** أي نِعم ما فعل **(وإن قرعني في الملأ فلا)** نقله صاحب القوت.

(وقد صدق) مسعر فيما قاله **(فإن النصح علىٰ الملأ إفضاح، و)** لذلك **(الله** عَزَّ وَجَلَّ **يعاتب المؤمن)** ولفظ القوت: رجلاً من المؤمنين **(يوم القيامة تحت كَنَفه وفي ظل ستره)** ولفظ القوت: ويسبل عليه ستره **(فيوقفه علىٰ ذنوبه سرًّا، وقد يُدفَع)** ولفظ القوت: ومنهم من يُدفَع **(كتاب عمله مختومًا إلىٰ الملائكة الذين يحفُّون به إلىٰ الجنة، فإذا قاربوا)** دخول **(باب الجنة أعطَوه الكتاب مختومًا ليقرأه)** ولفظ القوت: فإذا قاربوا دخول الجنة دفعوا إليهم الكتب مختمة فيقرؤونها **(وأما أهل المقت فينادَون علىٰ رؤوس الأشهاد)** وفي القوت: وأما أهل التوبيخ **(وتُستنطَق**

---

(١) لم أقف علىٰ قائل هذين البيتين.

(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٩/ ١٤٠، ومن طريقه البيهقي في مناقب الشافعي ٢/ ١٩٨.

(٣) تهذيب الكمال ٢٧/ ٤٦١ - ٤٦٩.

(٤) وقيل: سنة ثلاث وخمسين ومائة.

جوارحهم بفضائحهم، فيزدادون بذلك خزيًا وافتضاحًا) ولفظ القوت بعد قوله «الأشهاد»: فلا تخفَىٰ علىٰ أهل الموقف فضيحتُهم، فيزداد ذلك في عذابهم **(ونعوذ بالله من الخزي يوم العرض الأكبر. فالفرق بين التوبيخ والنصيحة بالإسرار والإعلان)** وكذلك بين العتاب والنصيحة، وكذلك بين الفضيحة والنصيحة، فما كان في السر فهو نصيحة، وما كان في العلانية فهو توبيخ وعتاب وفضيحة، وقلَّما تصح فيه النية لوجه الله تعالىٰ؛ لأن فيه شناعة **(كما أن الفرق بين المداراة والمداهنة بالغرض الباعث علىٰ الإغضاء، فإن أغضيتَ لسلامة دينك ولِما تترقَّبه من إصلاح أخيك)** بصلاح قلبه وسلامته من الإثم **(بالإغضاء)** وأردتَ به وجه الله **(فأنت مُدارٍ، وإن أغضيت لحظ نفسك واجتلاب شهوتك)** من دنيا وغيرها **(وسلامة جاهك)** من الانحطاط **(فأنت مداهن)** وكذلك الفرق بين الغِبطة والحسد، وبين الفراسة وسوء الظن، بما سيأتي بيان كلٍّ من ذلك في موضعه. قال صاحب القوت: فهذه خمس معانٍ وأضدادها بينها فرقٌ عند العلماء، فاعرفْ ذلك **(وقال ذو النون)** المصري رحمه الله تعالىٰ: **(لا تصحب مع الله إلا بالموافقة)** في أمره ونهيه **(ولا مع الخَلق إلا بالمناصحة)** لهم وعدم غشِّهم **(ولا مع النفس إلا بالمخالفة)** لها؛ لأنها مائلة بطبعها إلىٰ كل لذيذ، ونافرة بطبعها من كل كريه **(ولا مع الشيطان إلا بالعداوة)** له، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ﴾ [فاطر: ٦] أخرجه القشيري في الرسالة(١).

(فإن قلت: فإذا كان في النصح ذِكرُ العيوب ففيه إيحاش للقلب، فكيف يكون ذلك من حق الإخوَّة؟ فاعلم أن الإيحاش إنما يحصل بذكر عيب يعلمه أخوك من نفسه) أنه فيه ذلك العيب **(فأما تنبيهه علىٰ ما لا يعلمه فهو من الشفقة)** وفي نسخة: فهو عين الشفقة **(وهو استمالة للقلوب)** أي طلب لميلها إلىٰ الحق **(أعني قلوب العقلاء)** الصافية النقيَّة **(وأما الحمقىٰ)** الذين فسد جوهر عقلهم **(فلا يُلتفت إليهم،**

---

(١) الرسالة القشيرية ص ٤٨٩.

فإنَّ من ينبِّهك علىٰ فعل مذموم تعاطيتَه أو صفة مذمومة اتَّصفت بها لتزكِّي نفسك عنها) وتطهِّرها عن المَذامِّ **(كان كمن ينبِّهك علىٰ حية أو عقرب تحت ذيلك)** وأنت لا ترىٰ **(وقد همَّت بإهلاكك، فإن كنت تكره ذلك فما أشد حمقك)**! وما أبلد فهمك! **(والصفات المذمومة عقارب وحيَّات، وهي في الآخرة مهلكات، فإنها تلدغ القلوب والأرواح، وألمها أشد مما يلدغ الظواهرَ والأجساد)** لأنها حينئذٍ لا تقبل الرُّقَىٰ **(وهي مخلوقة من نار الله الموقَدة)** التي[١] أوقدها الله تعالىٰ، وما أوقده لا يطفئه غيره، التي لا تطَّلع إلا علىٰ الأفئدة، أي لا تعلو إلا علىٰ أوساط القلوب وتشتمل عليها، وتخصيصها بالذكر لأن الفؤاد ألطف ما في البدن وأشده تألُّمًا، أو لأنه محل العقائد الزائغة ومنشأ الأعمال القبيحة. وأخرج[٢] عبد بن حميد وابن أبي حاتم عن محمد بن كعب القُرَظي في قوله: ﴿ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧﴾ [الهمزة: ٧] قال: تأكل كل شيء منه حتىٰ تنتهي إلىٰ فؤاده[٣] **(ولذلك كان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يستهدي ذلك من إخوانه ويقول: رحم الله امرءًا أهدىٰ إلىٰ أخيه عيوبه)** ولفظ القوت: أهدىٰ إلىٰ أخيه [عيوب] نفسه **(وكذلك قال عمر لسلمان)** الفارسي ﷺ **(وقد قَدِم عليه)** من بعض أعماله: **(ما الذي بلغك عني مما تكره؟ فاستعفَىٰ)** أي طلب العفوَ **(فألحَّ عليه)** في القول **(فقال: بلغني أن لك حُلَّتين تلبس إحداهما بالنهار والأخرىٰ بالليل)** والحُلَّة إزار ورِداء **(وبلغني أنك جمعت بين إدامين علىٰ مائدة واحدة. فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أما هاتان فقد كُفيتهما، فهل بلغك غيرَهما؟ فقال: لا**[٤]**.**

---

(١) تفسير البيضاوي ٥/ ٣٣٧.

(٢) الدر المنثور ١٥/ ٦٤٨.

(٣) بعده في الدر: فإذا بلغت فؤاده ابتدئ خلقه. وهذا التفسير أخرجه أيضا ابن أبي الدنيا في كتاب صفة النار [ضمن موسوعة كتب ابن أبي الدنيا] ص ٤٦٤ (ط - دار أطلس الخضراء بالرياض).

(٤) رواه البيهقي في شعب الإيمان ١٣/ ١٩٢ - ١٩٣ من طريق ثابت البناني قال: كتب عمر بن الخطاب إلىٰ سلمان: أن زرني. فخرج سلمان إليه، فلما بلغ عمر قدومه قال لأصحابه: هذا سلمان قد قدم فانطلقوا نتلقاه. فلقيه عمر فالتزمه وساءله، ثم رجعا إلىٰ المدينة، فقال له عمر: يا أخي، أبلغك عني شيء تكرهه كما أخبرتني به؟ قال: لولا أنك عزمت ما أخبرتك، بلغني عنك =

وكتب **حذيفة**) بن قتادة (**المرعشي**) رحمه الله تعالىٰ (**إلىٰ يوسف بن أسباط**) رحمه الله تعالىٰ، وكِلاهما من رجال الحلية: (**بلغني أنك بعت دينك بحبَّتين**) من درهم، وذلك أنك (**وقفت علىٰ**) دكَّان (**صاحب لبن فقلت**) له: (**بكم هذا**) اللبن؟ (**فقال: بسدس**) درهم (**فقلت له: لا**) بل هو (**بثُمن**) درهم (**فقال**) اللبَّان: (**هو لك**) أي صار مِلكك (**وكان يعرفك**) أي لصلاحك ومنزلتك (**اكشف عن رأسك قناع الغافلين، وانتبه عن رقدة الموتىٰ، واعلمْ أن مَن قرأ القرآن ولم يستغنَ به وآثر الدنيا لم آمَن أن يكون بآيات الله من المستهزئين، وقد وصف الله الكافرين ببغضهم للناصحين إذ قال**: ﴿وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ۝٧٩﴾)[1] [الأعراف: ٧٩].

وأخرج أبو نعيم في الحلية[2] من طريق أبي يوسف الغسولي قال: كتب حذيفة المرعشي إلىٰ يوسف بن أسباط: أما بعد، فإن من قرأ القرآن وآثر الدنيا علىٰ الآخرة فقد اتخذ القرآن هزوًا، ومن كانت النوافل أحب إليه من ترك الدنيا لم آمن أن يكون مخدوعًا[3]، والحسنات أضرُّ علينا من السيئات، والسلام.

ولفظ القوت: وقال جعفر بن برقان: قال لي ميمون بن مهران: قل لي في وجهي ما أكره، فإن الرجل لا ينصح أخاه حتىٰ يقول له في وجهه ما يكره[4]. فإن كان أخوه الذي نصح له صادقًا في حاله أحبه علىٰ نصحه، فإن لم يحبه وكره ذلك منه دل علىٰ كذب الحال، قال الله تعالىٰ في وصف الكاذبين: ﴿وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ۝٧٩﴾.

= شيء كرهته، بلغني أنك تجمع علىٰ مائدتك السمن واللحم، وبلغني أن لك حلتين حلة تلبسها في أهلك وحلة تخرج فيها. فقال: هل غير هذا؟ فقال: لا. قال: كفيت هذا، أظنه قال: لا أعود إليه أبدا.

(١) رواه ابن العديم في بغية الطلب في تاريخ حلب ٥/ ٢١٤٧.

(٢) حلية الأولياء ٨/ ٢٦٨.

(٣) في الحلية: محروما.

(٤) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٤/ ٨٦، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٦١/ ٣٦٥.

(وهذا في عيب هو غافل عنه، فأما ما علمتَ أنه يعلمه من نفسه فإنما هو مقهور عليه من طبعه، فلا ينبغي أن تكشف فيه ستره إن كان) هو **(يخفيه)** عن الناس **(وإن كان يظهره)** لهم **(فلا بد من التلطُّف في النصح)** من لِين القول **(بالتعريض مرة وبالتصريح أخرىٰ)** كل ذلك **(إلىٰ حد لا يؤدي إلىٰ)** مرتبة **(الإيحاش، فإن علمت أن النصح غير مؤثِّر فيه وأنه مضطر من طبعه)** المجبول عليه **(إلىٰ الإصرار عليه فالسكوت عنه أَولىٰ. وهذا كله فيما يتعلق بمصالح أخيك في دينه ودنياه، وأما ما يتعلق بتقصيره في حقك فالواجب فيه الاحتمال والعفو والصفح والتغاضي عنه)** وفي نسخة: والتعامي عنه **(فالتعرُّض لذلك ليس من النصح)** الواجب **(في شيء. نعم، إن كان)** حاله **(بحيث يؤدي استمراره عليه إلىٰ القطيعة)** والهجران **(فالعتاب في السر خير من القطيعة، والتعريض به خير من التصريح، والكتابة)** في صحيفة **(خير من المشافهة)** ففي القوت: ومن أخلاق السلف: كان الرجل إذا كره من أخيه خُلقًا عاتبه فيما بينه وبينه أو كاتَبَه في صحيفة **(والاحتمال خير من الكل؛ إذ ينبغي أن يكون قصدك من أخيك إصلاح نفسك بمراعاتك إياه وقيامك بحقه واحتمالك تقصيره لا الاستعانة به والاسترفاق منه. وقال أبو بكر الكِناني)** اسمه[1] محمد بن علي، بغدادي الأصل، صحب الجنيد والخرَّاز والنوري، وجاور بمكة إلىٰ أن مات سنة ٣٢٢. ترجمه القشيريُّ في الرسالة، وقال[2] في باب الصحبة: سمعت أبا حاتم السجستاني الصوفي يقول: سمعت أبا نصر السَّرَّاج يقول: سمعت الرقي يقول: سمعت الكناني يقول: **(صحبني رجل، فكان علىٰ قلبي ثقيلاً)** بغير سبب أعرفه، ففكَّرت في سببه فلم أعرفه **(فوهبته يومًا شيئًا)** لتطيب به نفسه **(علىٰ أن يزول)** ولفظ الرسالة: فوهبت له شيئًا ليزول **(ما في قلبي)** من ثقله؛ لخبر «تهادوا تحابوا» **(فلم يَزُل، فأخذت بيده يومًا إلىٰ البيت)** ولفظ الرسالة: فحملته إلىٰ بيتي **(وقلت له: ضع**

---

(١) الرسالة القشيرية ص ١٠٩.

(٢) السابق ص ٤٨٨.

رِجلك علىٰ خدي. فأبىٰ، فقلت: لا بد. ففعل، فزال ذلك من قلبي) هذا منشؤه اتهام النفس في سوء أخلاقها وكراهتها لغير سبب، فيهادي العبد نفسه بمثل ذلك. ولفظ الرسالة بعد قوله «ففعل»: واعتقدت أن لا يرفع رجله عن خدي حتىٰ يرفع الله عن قلبي ما كنت أجده، فلما زال عن قلبي ما كنت أجده قلت له: ارفع رجلك الآن. وذكره صاحب العوارف وقال: ومن آدابهم أنهم إذا استثقلوا صاحبًا يتَّهمون أنفسهم ويتسببَّون في إزالة ذلك من بواطنهم؛ لأن انطواء الضمير علىٰ مثل ذلك وليجة في الصحبة. ثم ساق هذه القصة، ثم قال في آخرها: قال الرقي: قصدت من الشام إلىٰ الحجاز حتىٰ سألت الكناني عن هذه الحكاية.

(وقال أبو عبد الله الرباطي) وفي نسخة: أبو علي الرباطي **(صحبت عبد الله الرازي)** له ذِكرٌ في الرسالة. وفي بعض النسخ: المروزي، بدل: الرازي **(وكان يدخل البادية)** أي علىٰ قدم التجريد **(فقال: علىٰ أن تكون أنت الأمير)** وأنا المأمور **(أو أنا)** الأمير وأنت المأمور **(فقلت: بل أنت)** الأمير وأنا المأمور **(فقال: وعليك الطاعة)** والانقياد لي **(فقلت: نعم. فأخذ مِخلاة ووضع فيها الزاد ووضعه علىٰ ظهره)** أي الزاد **(فقلت له: أعطني)** إياه **(قال: ألست قلتَ أنت الأمير)**؟ قال الله تعالىٰ: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ﴾ [النساء: ٥٩] **(فعليك الطاعة)** وعدم المخالفة. قال: **(فأخذنا المطرُ ليلةً)** من الليالي **(فوقف علىٰ رأسي حتىٰ الصباح، وعليه كساء، وأنا جالس يمنع عني المطر، فكنت أقول مع نفسي: ليتني مت ولم أقل أنت الأمير)** هكذا تكون الصحبة والمرافقة. كذا ساقه القشيري في باب الصحبة[١] من الرسالة، وما عرفتُ حال أبي علي الرباطي وشيخه، وفي [تقريب] التهذيب[٢]: أحمد بن سعيد بن إبراهيم الرباطي، أبو عبد الله المروزي، ثقة حافظ، مات سنة ٢٤٦، روىٰ له البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي. فلعل أبا علي المذكور من قرابة هذا.

---

(١) بل في باب أحكامهم في السفر ص ٤٨١.

(٢) تقريب التهذيب ص ٨٩.

(**الحق الخامس: العفو عن الزلاَّت**) أي السقطات (**والهفوات، وهفوة الصديق لا تخلو إما أن تكون في دينه بارتكاب معصية**) لله تعالىٰ (**أو**) تكون (**في حقك بتقصيره في الإخوة**) أي في أداء حقوقها (**أما ما يكون في الدين من ارتكاب معصية والإصرار عليها**) وعدم الإقلاع عنها (**فعليك التلطُّف في نصحه**) أي تنصحه بلطافة (**بما يقيم أوده**) أي عوجه (**ويجمع شمله**) المتفرق (**ويعيد إلىٰ الصلاح والورع حالَه، فإن لم تقدر**) علىٰ ذلك (**وبقي مصرًّا**) علىٰ حاله (**فقد اختلفت طرق الصحابة**) رضوان الله عليهم (**والتابعين**) رحمهم الله تعالىٰ (**في إدامة حق مودته أو مقاطعته**) مطلقًا (**فذهب أبو ذر**) الغفاري رضي الله عنه (**إلىٰ الانقطاع فقال: إذا انقلب أخوك عما كان عليه**) من الاستقامة (**فأبغضْه من حيث أحببته. ورأىٰ ذلك من مقتضَىٰ الحب في الله والبغض في الله**) ولفظ القوت: قد اختلف مذهب الصحابة في الأخ يحب أخاه في الله عز وجل ثم ينقلب الآخر عما كان عليه ويتغير هل يبغضه بعد ذلك أم لا؟ فكان أبو ذر رضي الله عنه يقول ... فساقه.

(**وأما أبو الدرداء وجماعة من الصحابة**) رضي الله عنهم (**فذهبوا إلىٰ خلافه، فقال أبو الدرداء**) رضي الله عنه: (**إذا تغير أخوك وحالَ عما كان عليه فلا تدعه**) أي لا تترك صحبته (**لأجل ذلك**) أي تغيُّره عما كان عليه (**فإن أخاك يعوج مرة ويستقيم أخرىٰ**) نقله صاحب القوت. وزاد: وكان يقول: دارِ أخاك ولا تطع فيه حاسدًا فتكون مثله[1].

(**وقال إبراهيم**) بن يزيد (**النخعي**) التابعي: (**لا تقطع أخاك ولا تهجره عند الذنب يذنبه، فإنه يرتكبه اليوم ويتركه غدًا**) نقله صاحبا القوت والعوارف.

(**وقال أيضًا: لا تحدِّث الناس بزلة العالِم، فإن العالِم يزل الزلة ثم يتركها**)

---

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ١/ ٢١٥، ولفظه: «معاتبة الأخ خير لك من فقده، ومن لك بأخيك كله، أعط أخاك ولِن له، ولا تطع فيه حاسدا فتكون مثله، غدا يأتيك الموت فيكفيك فقده، وكيف تبكيه بعد الموت وفي حياته ما قد كنت تركت وصله». وهكذا رواه ابن وهب في الجامع ص ٣٠٥ وأبو داود في الزهد ص ٢٢٣، ولكن عندهما: كاشحا، بدل: حاسدا.

كذا في القوت، إلا أنه قال: لا تحدثوا. بلفظ الجمع. وزلة العالِم: فعلته الخطيئة جهرًا؛ إذ بزلَّته يزل عالَم كثير؛ لاقتدائهم به.

(وفي الخبر) عن رسول الله ﷺ: **(اتقوا زلَّة العالِم ولا تقطعوه، وانتظِروا فيئته)** كذا في القوت. أي[1] رجوعه وتوبته عما لابسَه من الزلل.

قال العراقي[2]: رواه البغوي في المعجم وابن عدي في الكامل[3] من حديث عمرو بن عوف المزني، وضعَّفاه. انتهىٰ.

قلت: وكذلك رواه الحُلْواني والبيهقي[4]، كلهم من طريق كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني عن أبيه عن جده، والحديث ضعيف لضعف كثير، ففي الكاشف[5]: واهٍ، وقال أبو داود: كذاب. وفي الميزان[6] عن الشافعي[7]: ركن من أركان الكذب. وضرب أحمد علىٰ حديثه[8]. وقال الدارقطني وغيره: متروك. وقال ابن حبان[9]: له عن أبيه عن جده نسخة موضوعة. وقال ابن عدي: عامة ما يرويه لا يتابَع عليه.

(وفي حديث عمر) بن الخطاب (رضي الله عنه **وقد سأل عن أخ كان)** قد **(آخاه)** أي عقد الإخوةَ بينه وبينه **(فخرج إلىٰ الشام، فسأل عنه بعضَ مَن قدم عليه)** من الشام **(فقال: ما فعل أخي؟ فقال: ذاك أخو الشيطان. قال: مَه! قال: إنه قارَفَ الكبائرَ)** أي

---

(١) فيض القدير ١/ ١٤٠ - ١٤١.

(٢) المغني ١/ ٤٧٩.

(٣) الكامل في الضعفاء ٦/ ٢٠٨١.

(٤) السنن الكبرىٰ ١٠/ ٣٥٦.

(٥) الكاشف للذهبي ٢/ ١٤٥.

(٦) ميزان الاعتدال ٣/ ٤٠٧.

(٧) رواه عنه البيهقي في المناقب ١/ ٥٤٧.

(٨) العلل ومعرفة الرجال للإمام أحمد ٣/ ٢١٣ (ط - دار الخاني بالرياض).

(٩) المجروحون من المحدثين ٢/ ٢٢٦.

ارتكبها (**حتىٰ وقع في**) شرب (**الخمر. قال: إذا أردت الخروج إلىٰ الشام فآذنِّي**) أي أعلِمْني بخروجك. قال: (**فكتب**) معه (**عند خروجه إليه: بسم الله الرحمن الرحيم** ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾ [غافر: ١ - ٣] **الآية**) أي إلىٰ آخرها (**ثم عاتبه بعد ذلك وعذله**) أي نصحه، فوصل إليه (**فلما قرأ الكتاب بكىٰ وقال: صدق الله**) عَزَّوَجَلَّ (**ونصحني عمر. فتاب ورجع**) هكذا أورده صاحب القوت. وهذه القصة في تفسير غافر من الكشاف[1] بلفظ: روىٰ أن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ افتقد رجلاً ذا بأس شديد من أهل الشام، فقيل له: إنه يتابع الشراب. فقال عمر لكاتبه: اكتب: من عمر إلىٰ فلان، سلام عليك، وأنا أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿حمٓ ۝١﴾ إلىٰ قوله ﴿ٱلْمَصِيرُ ۝٣﴾ وختم الكتاب، وقال لرسوله: لا تدفعه إليه حتىٰ يكون صاحيًا. ثم أمر مَن عنده بالدعاء بالتوبة له، فلما أتته الصحيفة جعل يقرؤها ويقول: قد وعدني الله أن يغفر لي، وحذَّرني عذابه. ولم يزل يردِّدها حتىٰ بكىٰ، ثم نزع فأحسن النزعَ وحسنت توبته، فلما بلغ عمر أمره قال: هكذا فاصنعوا إذا رأيتم أخاكم قد زل زلة فسدِّدوه ووفِّقوه وادعوا له بالتوبة، ولا تكونوا أعوانًا للشيطان عليه.

وقال الشهاب السهروردي في العوارف بعد أن أخرج هذه الحكاية: وهذا الخلاف في المفارقة ظاهرًا وباطنًا، والملازمة باطنًا إذا وقعت المباينة ظاهرًا فتختلف باختلاف الأشخاص، ولا يُطلَق القول فيه إطلاقًا من غير تفصيل، فمن الناس من كان تغيُّره رجوعًا عن الله تعالىٰ وظهور حكم سوء السابقة، فيجب بغضُه وموافقة الحق فيه، ومن الناس من كان تغيُّره عثرة حدثت وفترة وقعت يُرجَىٰ عَوْده، فلا ينبغي أن يُبغَض، ولكن يُبغَض عمله في الحالة الحاضرة، ويُلحَظ بعين الود منتظَرًا له الفرج والعَود إلىٰ أوطان الصلح. انتهىٰ.

---

(١) الكشاف للزمخشري ٥/ ٣٢٨. وهذه القصة رواها أيضا أبو نعيم في حلية الأولياء ٤/ ٩٧، والثعلبي في الكشف والبيان ٨/ ٢٦٥.

وهذا التفصيل حسن، وعلى الأول يُحمَل قول أبي ذر رضي الله عنه، وسيأتي للمصنف ما يشهد لهذا التفصيل.

(و) من آدابهم في الصحبة: الاستغفار للإخوان بظهر الغيب، والاهتمام لهم مع الله تعالى في دفع المكاره عنهم (**حُكي أن أخوين**) في الله تعالى (**ابتُلي أحدهما بهوى**) أي بحب صورة حسنة (**فأظهرَ عليه**) أي على سرِّه (**أخاه**) إذ كانوا لا يكتمون عن الأخ شيئًا من أحوالهم (**وقال له: إني اعتللت**) أي أصابتني علةُ العشق (**فإن شئتَ أن لا تقعد على صحبتي لله تعالى فافعل**) أي لأني صرت مشغولاً بما أنا فيه، فلا أطيق حمل أعباء الأخوَة ولا على أداء حقوقها (**فقال: ما كنت لأحل عقد إخوَّتك**) في الله (**لأجل خطيئتك**) التي أصابتك (**أبدًا**) قال: (**ثم اعتقد أخوه بينه وبين الله تعالى**) أي عزم على (**أن لا يأكل ولا يشرب حتى يعافي الله أخاه من هواه**) الذي ابتُلي به. قال: (**فطوى أربعين يومًا، في كلها يسأله عن هواه**) كيف أنت منه؟ (**فكان يقول: القلب مقيم على حاله**) قال: (**وما زال هو**) أي أخوه الآخر (**ينحَلُ**) ويسقم (**من الجوع والغم حتى زال الهوى من قلب أخيه بعد الأربعين**) يومًا. قال: (**فأخبره بذلك، فأكل وشرب بعد أن كاد يتلف هزالاً وضرًّا**) أي من قلة الأكل والشرب والغم على أخيه. هكذا أورده صاحب القوت، وتبعه صاحب العوارف.

(**وهكذا حُكي**) ولفظ القوت: وبمعناه حُدِّثت (**عن أخوين من السلف أحدهما انقلب عن الاستقامة**) أي تغيَّر حالُه عما كان فيه (**فقيل لأخيه**) التقي: (**ألا تقطعه وتهجره**)؟ أي تترك صحبته (**فقال: أحوج ما كان إليَّ في هذا الوقت لمَّا وقع في عثرته أن آخذ بيده**) وأعينه (**وأتلطَّف له في المعاتبة، وأدعو له بالعَود إلى ما كان عليه**) من الاستقامة. نقله صاحبا القوت والعوارف.

(**وذُكر في الإسرائيليات**) ولفظ القوت: وفيما روينا من الإسرائيليات. أي في الكتب التي أنزلها الله تعالى على أنبياء بني إسرائيل (**أن أخوين عابدين كانا في جبل**) أي كانا يأويان إلى جبل فيعبدان الله فيه، فاتفق أنه (**نزل أحدهما**) من الجبل

(ليشتري من المِصر) أي القرية القريبة من الجبل **(لحمًا بدرهم)** ليتقوَّيا به علىٰ عبادة الله تعالىٰ **(فرأىٰ بغيًّا)** أي زانية **(عند اللَّحّام)** أي الجزّار الذي يبيع اللحم **(فرمقها)** بعينه **(وعشقها)** وأصل البلاء من النظر. ولفظ القوت: فهويها **(واجتذبها إلىٰ خلوة فواقعها)** أي غلب عليه الشيطان حتىٰ اتفق وإياها فأتت به إلىٰ منزلها فاختلىٰ معها **(ثم أقام عندها ثلاثًا، واستحيا أن يرجع إلىٰ أخيه حياءً من جنايته)** أي من أجل جنايته. وفي بعض النسخ: بجنايته **(قال: فافتقده أخوه)** الذي في الجبل **(واهتمَّ لشأنه، فنزل إلىٰ المدينة، فلم يزل يسأل عنه حتىٰ دُلَّ عليه)** وأُخبر بمكانه **(فدخل عليه وهو جالس معها، فاعتنقه، وجعل يقبِّله ويلتزمه، وأنكر الآخر أنه يعرفه قط لفرط استحيائه منه، فقال: قم يا أخي، فقد علمت بشأنك وقصتك، وما كنتَ قط أحب إليَّ ولا أعز عليَّ من ساعتك هذه)** ولفظ القوت: وما كنتَ أعز عليَّ وأحب منك في يومك هذا ولا ساعتك هذه **(فلما رأىٰ أن ذلك لم يسقطه من عينه قام فانصرف معه)** هكذا أورده صاحب القوت.

(فهذه طريقة قوم، وهي ألطف وأفقه من طريق أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، وطريقته أحسن وأسلم)** ولفظ القوت: فهذا من أحسن النيَّات، وهو من طريق العارفين من ذوىٰ الآداب والمروءات.

(فإن قلت: فلِمَ قلت) إن **(هذا ألطف وأفقه، ومقارف هذه المعصية لا تجوز مؤاخاته)** في الله تعالىٰ **(ابتداءً)** أي في بادئ الأمر **(فلِمَ لا تجب مقاطعته انتهاءً)** أي في آخر الأمر عند انكشاف حاله **(لأن الحكم إذا ثبت لعلة فالقياس أن يزول)** ذلك الحكم **(بزوالها)** أي تلك العلة **(وعلة عقد الإخوة التعاون في الدين)** والمثابرة علىٰ أموره **(ولا يستمر ذلك مع مقارفة المعصية)** وارتكابها **(فأقول)** في الجواب: **(أما كونه ألطف فلِما فيه من الرفق والاستمالة والتعطُّف المفضي)** كل واحد من ذلك **(إلىٰ الرجوع)** إلىٰ الحق **(والتوبة)** عن المعصية **(لاستمرار الحياء عند دوام الصحبة)** والرفقة **(ومهما قوطِعَ)** بالمباينة **(وانقطع طمعُه عن الصحبة**

أصرَّ) علىٰ المعصية (**واستمر**) علىٰ حالته التي هو فيها (**وأما كونه أفقه فمن حيث إن الإخوة عقد**) بين المتواخيين (**ينزل منزلة القرابة**) القريبة (**فإذا انعقدت تأكَّد الحقُّ ووجب الوفاءُ بموجِب العقد**) المذكور، وصيغته أن يقول: آخيتك في الله ورسوله، أو اتخذتك أخًا في الله ورسوله، أو مثل ذلك (**ومن الوفاء به أن لا يهمَل**) أي لا يُترك (**أيام حاجته وفقره**) واحتياجه (و) لا خفاء أن (**فقر الدين أشد من فقر المال**) لأن ثلمة المال تُسد بأدنىٰ شيء، وثلمة الدين لا جبر لها، ففقير الدين أبدًا فقير ولو كان متموِّلاً (**وقد أصابته جائحة**) هي الداهية المستأصِلة (**وألمَّت به**) أي نزلت (**آفة افتقر بسببها في دينه**) وعري عنه (**فينبغي أن يراقَب ويراعَىٰ**) حاله (**ولا يهمَل**) بالكلية (**بل لا يزال يُتلطَّف به ليُعان علىٰ الخلاص من الواقعة التىٰ ألمَّت به**) علىٰ وجه يُرتضَىٰ (**فالإخوة عُدَّة للنائبات، و**) عصمة عند (**حوادث الزمان**) وغيره (**وهذا**) الذي هو فيه (**من أشد النوائب، والفاجر إذا صحب تقيًّا فهو**) في صحبته إياه (**ينظر إلىٰ خوفه**) من الله تعالىٰ (**ومداومته**) عليه (**فيرجع**) عن فجوره (**علىٰ قرب، ويستحي من الإصرار**) عليه (**بل الكسلان**) عن العمل (**يصحب الحريص في العمل فيحرص حياءً منه. قال**) أبو[1] سليمان (**جعفر بن سليمان**) الضُّبَعي البصري، مولىٰ بني الحَرِيش، كان ينزل في بني ضُبَيعة فنُسب إليهم، روىٰ عن ثابت البُناني، قال أحمد[2]: لا بأس به. وقال ابن سعد[3]: ثقة يتشيَّع، مات سنة ثمان وسبعين ومائة. روىٰ له الجماعة إلا البخاري (**مهما فترت في العمل نظرت إلىٰ محمد بن واسع**) البصري الزاهد (**وإقباله علىٰ الطاعة فيرجع نشاطي إلىٰ العمل وفارقني الكسلُ، وعملت علىٰ ذلك أسبوعًا**) كذا في القوت.

وقال أبو نعيم في الحلية[4]: حدثنا أحمد بن محمد بن سنان، ثنا محمد بن

---

(١) تهذيب الكمال ٥/ ٤٣ - ٥٠.

(٢) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٢/ ٤٨١.

(٣) الطبقات الكبرىٰ ٩/ ٢٨٩.

(٤) حلية الأولياء ٢/ ٣٤٧.

إسحاق، ثنا هارون بن عبد الله، ثنا سيَّار، ثنا جعفر قال: كنت إذا وجدت من قلبي قسوة نظرت إلىٰ [وجه] محمد بن واسع نظرة، وكنت إذا رأيت [وجه] محمد بن واسع حسبت أن وجهه وجه ثكلىٰ.

وفي القوت: قال موسىٰ بن عقبة: كنت ألقىٰ الأخ من إخواني مرةً فأقيم عاقلاً بلقائه أيامًا[1].

(وهذا التحقيق، وهو أن الصداقة لُحمة كلُحمة النسب) كذا في القوت **(والقريب لا يجوز أن يُهجَر بالمعصية، ولذلك قال الله** عَزَّوَجَلَّ **لنبيِّه** ﷺ **في) حق (عشيرته)** وقرابته (﴿فَإِنْ عَصَوْكَ﴾) ولم يتبعوك (﴿فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ [الشعراء: ٢١٦] **ولم يقل)**: فقل **(إني بريء منكم، مراعاةً لحقِّ القرابة ولُحمة النسب)** نقله صاحب القوت. وقال صاحب العوارف: ففيه أنه لا يبغض الأخ بعد الصحبة ولكن يبغض عمله. وفيه تقوية لِما ذهب إليه أبو الدرداء وغيرُه من الصحابة **(وإلىٰ هذا أشار أبو الدرداء)** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **(لمَّا قيل له: ألا تبغض أخاك وقد فعل كذا)** ولفظ القوت: وروينا عن أبي الدرداء أن شابًّا غلب علىٰ مجلسه حتىٰ أحبه أبو الدرداء، فكان يقدمه علىٰ الأشياخ ويقرِّبه، فحسدوه، وأن الشاب وقع في كبيرة من الكبائر، فجاؤوا إلىٰ أبي الدرداء فحدَّثوه وقالوا له: لو أبعدتَه **(فقال)**: سبحان الله! لا نترك صاحبنا لشيء من الأشياء. ولفظ العوارف: قيل: كان شاب يلازم مجلس أبي الدرداء، وكان أبو الدرداء يميِّزه علىٰ غيره، فابتُلي الشاب بكبيرة من الكبائر، فانتهىٰ إلىٰ أبي الدرداء ما كان منه، فقيل له: لو أبعدتَه وهجرته. فقال: سبحان الله! لا يُترك الصاحب لشيء كان فيه. انتهىٰ. ثم قال صاحب القوت: وروينا عن بعض التابعين

---

(١) رواه ابن حبان في روضة العقلاء ص ٩٢. ورواه أيضا ص ٩٣ عن سفيان الثوري بلفظ: لربما لقيت الأخ من إخواني فأقيم شهرا عاقلا بلقائه. ورواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٧/ ٥٣ بنحوه عن سفيان. ولكن وقع فيه (غافلا) وهو تحريف. ورواه البيهقي في شعب الإيمان ٦/ ٣٧٩ عن أيوب السختياني بلفظ: إني لألقىٰ الأخ من إخواني فأكون عاقلا أياما.

وعن الصحابة في مثل ذلك وقد قيل له فيه (**فقال: إنما أبغض عمله، وإلا فهو أخي**) فانظر كيف خلط المصنف بين قولين.

وقال أبو نعيم في الحلية[1]: حدثنا سليمان بن أحمد، ثنا إسحاق بن إبراهيم، ثنا عبد الرزاق، عن معمر، عن أيوب، عن أبي قِلابة أن أبا الدرداء مر علىٰ رجل قد أصاب ذنبًا، فكانوا يسبُّونه، فقال: أرأيتم لو وجدتموه في قليب ألم تكونوا مستخرجيه؟ قالوا: بلىٰ. قال: فلا تسبُّوا أخاكم، واحمدوا الله الذي عافاكم. قالوا: أفلا تبغضه؟ قال: إنما أبغض عمله، فإذا تركه فهو أخي.

(**وإخوة الدين آكَدُ من إخوة القرابة، ولذلك قيل لحكيم**) مرة: (**أيُّما أحب إليك أخوك**) أي في النسب (**أو صديقك**)؟ أي في المحبة (**فقال: إنما أحب أخي إذا كان صديقًا لي**)[2] كذا في القوت. أشار بذلك إلىٰ تأكيد حق الصداقة والأخوة في الله.

(**وكان الحسن**) البصري رحمه الله تعالىٰ (**يقول: كم من أخ لم تلده أمُّك**)[3] كذا في القوت. وقد صار هذا مثلاً في تأكيد حق الصداقة. وأورده الحريري في مقاماته[4] بلفظ: فرُب أخ لم تلده أمك.

---

(١) حلية الأولياء ١/ ٢٢٥.

(٢) أورده الزمخشري في ربيع الأبرار ١/ ٣٦٦ عن خالد بن صفوان. وأورده ابن عبد ربه في العقد الفريد ٢/ ١٦٤ وابن قتيبة في عيون الأخبار ٣/ ٩، ١٠٣ عن بزرجمهر الحكيم الفارسي.

(٣) رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق ص ٢٩٥، والبيهقي في شعب الإيمان ١١/ ٣٤٠، وابن أبي الدنيا في كتاب الإخوان ص ١٣٣. ورواه ابن سعد في الطبقات الكبرىٰ ٨/ ٤٥٤ من طريق غالب القطان قال: جئت إلىٰ الحسن بكتاب عبد الملك بن أبي بشير، فقال: اقرأه. فقرأته فيه دعاء، فقال الحسن: رب أخ لك لم تلده أمك. وفي مجمع الأمثال للميداني ١/ ٢٩١: «يروىٰ هذا المثل للقمان بن عاد». ثم ذكر قصة طويلة في ذلك تشتمل علىٰ أقوال للقمان ذهبت أمثالا.

(٤) مقامات الحريري ص ٣٧٠ [المقامة البكرية].

(ولذلك قيل: القرابة تحتاج إلىٰ مودة، والمودة لا تحتاج إلىٰ قرابة)[١].

وقال أكثم بن صيفي لبنيه: يا بَني، تقاربوا في المودة، ولا تتَّكلوا علىٰ القرابة[٢]. وقد قيل لأبي حازم: ما القرابة؟ قال: المودة[٣]. كذا في القوت.

وفي هذا قال العَتَّابي[٤]:

ولقد بلوتُ الناس ثم خبرتهم ... ووصلت ما قطعوا من الأسباب

فإذا القرابة لا تقرِّب قاطعًا ... وإذا المودة أقرب الأنساب

(وقال جعفر الصادق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: مودة يوم صلة، ومودة شهر قرابة، ومودة سنة رحم ماسَّة مَن قطعها قطعه الله)[٥] كذا في القوت. ومعنىٰ ماسَّة: أي قريبة.

(فإذًا الوفاء بعقد الأخوة إذا سبق انعقادها واجب، وهذا جوابنا عن ابتداء المؤاخاة مع الفاسق، فإنه لم يتقدم له حقٌّ) يراعَىٰ لأجله **(فإن تقدمت له قرابة)** من النسب **(فلا جَرَم لا ينبغي أن يقاطَع)** ويهاجَر **(بل يحامَل)** ويُتحمَّل **(والدليل علىٰ ذلك أن ترك المؤاخاة والصحبة ابتداءً ليس بمذموم ولا مكروه، بل قال قائلون: الانفراد)** عنه **(أَولىٰ، وأما قطع الأخوة عن دوامها فمنهيٌّ عنه)** شرعًا **(ومذموم في نفسه)** وحدِّ ذاته **(ونسبته إلىٰ تركها ابتداءً كنسبة الطلاق إلىٰ ترك النكاح)** فترك

---

(١) أورده ابن عبد ربه في العقد الفريد ٢/ ١٦٤ عن أكثم بن صيفي. ورواه الخطيب في تاريخ بغداد ١٢/ ٣٧٩ عن أبي حازم الأعرج.

(٢) أورده الزمخشري في ربيع الأبرار ١/ ٣٦١ والثعالبي في التمثيل والمحاضرة ص ٣٦ (ط - الدار العربية للكتاب) عن قس بن ساعدة. وذكره الميداني في مجمع الأمثال ١/ ١٥٠ من أمثال المولدين.

(٣) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٣/ ٢٤٤، وابن أبي الدنيا في كتاب الإخوان ص ١٣٢، والخطيب في تاريخ بغداد ١٢/ ٣٨٠.

(٤) هو كلثوم بن عمرو التغلبي المتوفي سنة ٢٢٠ هـ.

(٥) ذكره السلمي في آداب الصحبة ص ١٠٨ بلا إسناد.

النكاح ليس بمنهيٍّ عنه (**والطلاق أبغض إلىٰ الله تعالىٰ من ترك النكاح**) وقد ورد في الخبر: «أبغض الحلال إلىٰ الله الطلاق»، وتقدم في كتاب أسرار النكاح (**وقال ﷺ: شِرار عباد الله المشّاؤون بالنميمة، المفرِّقون بين الأحبَّة**) الباغون البرآء والعَنَت. هكذا هو في القوت.

قال العراقي[١]: رواه أحمد[٢] من حديث أسماء بنت يزيد بسند ضعيف. انتهىٰ.

قلت: البُرَآء[٣] جمع بريء، وهو والعَنَت منصوبان مفعولان لـ «الباغون». والعنت محرَّكة: المشقَّة والفساد والهلاك والإثم والغلط والزنا. والباغون: الطالبون[٤]. ويُروَىٰ هذا الحديث بلفظ: «خيار أمَّتي الذين إذا رُءوا ذُكر اللهُ، وشِرار أمَّتي المشَّاؤون ...» الخ. وهكذا رواه أحمد[٥] من حديث عبد الرحمن ابن غُنْم، قال المنذري: فيه شهر ين حوشب، وُثِّق وضُعِّف، وبقية إسناده محتجٌّ بهم في الصحيح[٦]. ورواه الطبراني في الكبير من حديث عُبادة بن الصامت، قال الهيثمي[٧]: فيه يزيد بن ربيعة، وهو متروك. قال المنذري: وحديث عبد الرحمن أصح، ويقال: له صحبة. وأخرجه البيهقي في الشعب[٨] من حديث ابن عمر بلفظ: «خياركم الذين إذا رُءوا ذُكر الله بهم، وشِراركم المشَّاؤون ...» الخ، وفيه ابن لهيعة

---

(١) المغني ١/ ٤٧٩.

(٢) مسند أحمد ٤٥/ ٥٧٥، ٥٧٧.

(٣) فيض القدير ٣/ ٤٦٢، ٤٦٥.

(٤) النهاية لابن الأثير ٣/ ٣٠٦.

(٥) مسند أحمد ٢٩/ ٥٢١.

(٦) الترغيب والترهيب ص ١٠٤٢، وعبارته: «رواه أحمد عن شهر عن عبد الرحمن بن غنم، وبقية إسناده محتج بهم في الصحيح».

(٧) مجمع الزوائد ٨/ ١٧٦.

(٨) شعب الإيمان ٩/ ٧٧.

وابن عجلان، ضعيفان. وأخرجه كذلك الحاكم وأبو الشيخ في التوبيخ[١]، زاد الأخير في آخر الحديث: «يحشرهم الله في وجوه الكلاب».

(**وقال بعض السلف في ستر زلاَّت الإخوان**) ولفظ القوت: وفي أثر عن بعض العلماء في مثل زلاَّت الإخوان قال: (**ودَّ الشيطانُ أن يلقي علىٰ أخيكم مثل هذا حتىٰ تهجروه وتقطعوه، فماذا اتقيتم من محبة عدوكم**)؟ يعني الشيطان (**وهذا لأن التفرُّق بين الأحباب من مَحابِّ الشيطان**) أي مما يحبه ويرغِّب إليه (**كما أن مقارفة العصيان من**) جملة (**مَحابِّه، فإذا حصل للشيطان أحد غرضَيْه**) الذي هو مقارفة المعصية (**فلا ينبغي أن يضاف إليه**) غرضه (**الآخر**) الذي هو مفارقة الأحبَّة وتركُ الصداقة (**وإلىٰ هذا أشار ﷺ في الذي شتم الرجل الذي أتىٰ فاحشة**) قيل: سرقة (**إذ قال: مَه**) أي اكففْ عن قولك (**وزجره**) عنه (**وقال: لا تكونوا أعوانًا**) وفي لفظ: عونًا (**للشيطان علىٰ أخيكم**) رواه البخاري من حديث أبي هريرة، وقد تقدم الكلام عليه في الباب الذي قبله مبسوطًا.

(**فهذا كله يبيِّن الفرقَ بين الدوام والابتداء؛ لأن مخالطة الفُسَّاق**) ومَن علىٰ طريقتهم (**محذورة، ومفارقة الإخوان والأحباب أيضًا محذورة، وليس مَن سَلِمَ من معارضة غيره كالذي لم يَسلم، وفي الابتداء قد سلم**) عن المعارضة (**فرأينا أن المهاجَرة والتباعد هو الأَولىٰ، وفي الدوام تعارضا، فكان الوفاء بحق الأخوة أَولىٰ. هذا كله في زلَّته في دينه، أما زلته في حقه بما يوجب إيحاشَه**) وفوات أُنسه (**فلا خلاف في أن الأَولىٰ العفو والاحتمال**) والصفح والتجاوز (**بل كل ما يحتمل تنزيله علىٰ وجه حسن**) لائق (**ويُتصوَّر تمهيد عذره فيه قريب أم بعيد فهو واجب بحق الأخوة، فقد قيل: ينبغي أن تستنبط لزلة أخيك سبعين عذرًا، فإن لم يقبله قلبك فرُدَّ اللوم علىٰ نفسك فقل لقلبك: ما أقساك! يعتذر إليك أخوك سبعين عذرًا فلا تقبله،**

---

(١) التوبيخ والتنبيه ص ٢٣٧ عن العلاء بن الحارث معضلا بلفظ: «الهمازون واللمازون المشاؤون بالنميمة الباغون البرآء العنت يحشرهم الله في وجوه الكلاب».

فأنت المعيب لا أخوك) وهذا القول قد نُقل بمعناه عن ابن سيرين، فإنه كان يقول: يحتمل الرجل لأخيه إلىٰ سبعين زلّة ويطلب له المعاذير، فإن أغناه ذلك وإلا قال: لعل لأخي عذرًا غاب عني[١].

وأما ردُّ اللوم علىٰ النفس فهو عند اتهامها في سوء أخلاقها وكراهتها لغيرها لسبب أو لغير سبب، فينبغي أن يرد اللوم عليها حينئذٍ؛ لأن ذلك من وساوس الشيطان، فيداوي العبد نفسه بردِّ اللوم عليها، وقد وقع ذلك للعارفين بالله كثيرًا، فمنها ما تقدم للمصنف في حكاية أبي بكر الكناني قريبًا.

(**فإن ظهر عيبٌ بحيث لم يقبل التحسينَ**) أصلاً (**فينبغي أن لا تغضب إن قدرتَ**) علىٰ ذلك (**ولكن ذلك لا يمكن، وقد قال**) الإمام (**الشافعي**) رضي الله عنه فيما أخرجه الآبري وأبو نعيم[٢] والبيهقي[٣] كلهم في مناقبه بأسانيدهم إلىٰ الربيع وأحمد بن سنان كلاهما عن الشافعي أنه قال: (**مَن استُغضب فلم يغضب فهو حمار، ومن استُرضي فلم يرضَ فهو شيطان**) وأراد بكونه حمارًا: أنه بليد لا يعي.

وأخرج البيهقي في الشعب[٤] عن جعفر الصادق قال: من لم يغضب عند التقصير لم يكن له شكر عند المعروف.

(**فلا تكن حمارًا**) بليدًا (**ولا شيطانًا**) مريدًا (**واسترضِ قلبك بنفسك نيابةً عن**

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان ١٠/ ٥٥٩ وابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٢/ ١٤٩ بلفظ: «إذا بلغك عن أخيك شيء فالتمس له عذرا، فإن لم تجد له عذرا فقل: لعل له عذرا». وروي نحوه عن أبي قلابة الجرمي، رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٢/ ٢٨٥ وابن أبي الدنيا في مداراة الناس ص ٤٨ بلفظ: «إذا بلغك عن أخيك شيء تكرهه فالتمس له العذر جهدك، فإن لم تجد له عذرا فقل في نفسك: لعل لأخي عذرا لا أعلمه». ورواه البيهقي في الشعب ١٠/ ٥٥٩ بنحوه عن جعفر بن محمد الصادق.

(٢) حلية الأولياء ٩/ ١٤٣.

(٣) مناقب الشافعي ٢/ ٢٠٢.

(٤) شعب الإيمان ١١/ ٣٩٩.

أخيك، واحترزْ أن تكون شيطانًا إن لم تقبل) فقد يكون الغضب محمودًا في بعض الأحيان، وبه تكمُل الخليقةُ الإنسانية، وقال الراغب[١]: الغضب في الإنسان نار تشتعل، والناس مختلفون، فمنهم كالحلفاء سريع الوقود سريع الخمود، وبعضهم كالغضىٰ بطيء الوقود بطيء الخمود، وبعضهم سريع الوقود بطيء الخمود، وبعضهم علىٰ عكس ذلك وهو أحمدهم ما لم يكن مفضيًا به إلىٰ زوال حميته وفقدان غيرته، واختلافهم تارةً يكون بحسب الأمزجة، وتارة بحسب اختلاف العادة، وأسرع الناس غضبًا الصبيان والنساء، وأكثرهم ضجرًا الشيوخ.

(وقال الأحنف) بن قيس التميمي، تقدمت ترجمته مرارًا **(حق الصديق أن تحتمل منه ثلاثًا: ظلم الغضب)** أي إذا غضب عليك فاحتمله؛ إذ هو نار تشتعل، وإخمادها السكوت والاحتمال **(وظلم الدالَّة)** بتشديد اللام اسم من الإدلال، أي إذا أدل عليك فاحتملْه **(وظلم الهفوة)** أي الكلمة القبيحة تبدر من لسانه، فاحتمله أيضًا؛ إذ يُرجَىٰ له الرجوع في كلٍّ من الثلاثة. نقله صاحب القوت فقال: وحدثونا عن الأصمعي قال: حدثنا العلاء بن جرير عن أبيه قال: قال الأحنف بن قيس: من حق الصديق أن تحتمل له ثلاثًا أن تتجاوز عن ظلم الغضب وظلم الهفوة وظلم الدالَّة[٢].

(وقال آخر: ما شتمت أحدًا قط؛ لأنه إن شتمني كريم فأنا أحق مَن غفرها له) وتجاوز عنها **(أو لئيم فلا أجعل عِرضي له غرضًا)** يهدفه بسهام شتمِه **(ثم تمثَّل)** بقول الشاعر **(وقال:**

وأغفرُ زلأَت الكريم ادِّخاره وأُعرِضُ عن شتم اللئيم تكرُّما)

وفي نسخة: وأغفر عوراء الكريم. والعوراء هي الكلمة القبيحة. ولفظ

---

(١) الذريعة إلىٰ مكارم الشريعة ص ٢٣٦ - ٢٣٧.

(٢) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٤/ ٣٤٢.

القوت: وكان أسماء بن خارجة الفزاري يقول: ما شتمت أحدًا قط؛ لأنه إنما يشاتمني أحد رجلين: كريم كانت منه هفوة وزلة فأنا أحق مَن غفرها وأثاب عليها بالفضل فيها، أو لئيم فلم أكن أجعل عِرضي له غرضًا ثم تمثَّل:

وأغفرُ عوراء الكريم اصطناعه ... وأُعرِضُ عن ذات اللئيم تكرُّما[1]

قال: وأنشدونا لمحمد بن عامر[2] في الإخوان:

ولا تعجل علىٰ أحد بظلم ... فإن الظلم مرتعه وخيمُ

ولا تَفْحَش وإن مُلئتَ غيظًا ... علىٰ أحد فإن الفُحش لُومُ

ولا تقطع إخاءك عند ذنب ... فإن الذنب يغفره الكريم

ولكن دارِ عورته برُقَع ... كما قد يُرقع الخَلِق القديمُ

(وقد قيل) في هذا المعنىٰ:

(خذ من خليلك ما صفا ... ودَعِ الذي فيه الكدرْ

(١) رواه ابن أبي الدنيا في الحلم ص ٧٤ (ط - مؤسسة الكتب الثقافية).

ورواه - دون الشعر - ابن عساكر في تاريخ دمشق ٩/ ٥٤، والدينوري في المجالسة وجواهر العلم ٢/ ٣٣٦، وابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج ص ٥٦، والزبير بن بكار في الموفقيات ص ٣٣٢.

أما البيت فهو لحاتم الطائي في ديوانه ص ٨١ (ط - دار صادر) برواية:

وأغفر عوراء الكريم ادخاره ... وأصفح عن شتم اللئيم تكرما

(٢) كذا هنا تبعا لما في القوت، والصواب: محمد بن عيسىٰ بن طلحة بن عبيد الله التيمي. والأبيات في شعب الإيمان للبيهقي ٩/ ٥٥١، والحلم لابن أبي الدنيا ص ٧٢، ومعجم الشعراء للمرزباني ص ٤٠٧، والوافي بالوفيات للصفدي ٤/ ٢٠٨، وروضة العقلاء لابن حبان ص ١٤٠. وزادوا كلهم بيتين آخرين، وهما:

ولا تجزع لريب الدهر واصبر ... فإن الصبر في العقبىٰ سليم

فما جزع بمغنٍ عنك شيئا ... ولا ما فات ترجعه الهموم

فالعمر أقصر من معاتبة الخليل علىٰ الغِيَرْ[١]

وفي القوت: وعن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله تعالىٰ: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ﴾ [الأعراف: ١٩٩] قال: خذ من أخلاق الناس ومن أعمالهم ما ظهر من غير تجسُّس[٢]. وقد أنشدونا لبعض الحكماء في ذلك شعرًا ... فساقه.

(**ومهما اعتذر إليك أخوك**) سواء (**كاذبًا كان**) في اعتذاره (**أو صادقًا فاقبل ذلك منه**) فقد روىٰ الديلمي[٣] عن أنس في حديث رفعه: «ومَن اعتذر قَبِلَ اللهُ معذرتَه».

وأنشد البيهقي في الشعب[٤] لبعضهم:

اقبلْ معاذير مَن يأتيك معتذرًا إن بَرَّ عندك فيما قال أو فجرا

فقد أطاعك مَن أرضاك ظاهرُه وقد أجلَّك من يعصيك مستترا[٥]

وفي كتاب المجالسة[٦] من طريق محمد بن سلام قال: قال بعض الحكماء:

---

(١) البيتان لأبي الفتح محمود بن الحسين الكاتب المعروف بكشاجم، وهما في ديوانه ص ١٩٦. وفيه: زمانك، بدل: خليلك. وفيه أيضا: الزمان، بدل: الخليل.

(٢) رواه الطبري في جامع البيان ١٠/ ٦٤١.

(٣) وكذلك أبو يعلىٰ في مسنده ٧/ ٣٠٢، بلفظ: «ومن اعتذر إلىٰ الله قبل الله منه عذره». ورواه أيضا الدولابي في الكنىٰ والأسماء ٢/ ٦٠٤، ٧٨١.

(٤) شعب الإيمان ١٣/ ٥٠٥.

(٥) اختلف في نسبة هذين البيتين، فنسبهما ابن عساكر في تاريخ دمشق ٥/ ٨٩ والذهبي في سير أعلام النبلاء ١٣/ ٣١٠ لهلال بن العلاء الباهلي. ونسبهما القرشي في الجواهر المضية ٣/ ٦٨ لأبي جعفر محمد بن أحمد بن محمود النسفي الفقيه. ونسبهما محمد بن داود في كتاب الزهرة ١/ ٢١٠ للبحتري، وليسا في ديوانه. ونسبهما ابن أبي حجلة في ديوان الصبابة ص ١٣٥ لابن المعتز، وليسا في ديوانه. ونسبهما ياقوت في معجم الأدباء ١/ ٦٦ - ٦٧ لنفطويه. وهما في العقد الفريد لابن عبد ربه ٢/ ١٨ بلا نسبة.

(٦) المجالسة وجواهر العلم ٦/ ٣٨٣.

أقل الاعتذار موجِب للقبول، وكثرته ريبة.

(قال ﷺ: مَن اعتذر إليه أخوه) أي[١] طلب قبول معذرته، ويقال: اعتذر عن فعله: أظهر ما يمحو به الذنب[٢] **(فلم يقبل)** منه **(عذره فعليه مثل إثم صاحب المكس)** هو ما يأخذه أعوان السلطان ظلمًا عند البيع والشراء[٣]، وفيه إيذان بعِظَم جُرم المكس وأنه من الجرائم العظام. قال الراغب[٤]: وجميع المعاذير لا تنفكُّ عن ثلاثة أوجه: إما أن يقول: لم أفعل، أو فعلت لأجل كذا، فيبيِّن ما يخرجه عن كونه ذنبًا، أو يقول: فعلت ولا أعود، فمَن أنكر وأنبأ عن كذب ما نُسب إليه فقد برئت ساحته، وإن فعل وجحد فقد يُعَدُّ التغابي عنه كرمًا، ومَن أقرَّ فقد استوجب العفوَ بحسن ظنِّه بك، وإن قال: فعلت ولا أعود، فهذا هو التوبة، وحق الإنسان أن يقتدي بالله في قبولها. انتهىٰ. أي إن من صفات الله تعالىٰ قبول الاعتذار والعفو عن الزلاَّت، فمَن أبىٰ واستكبر عن ذلك فقد عرَّض نفسَه لغضب الله ومقته.

قال العراقي[٥]: رواه ابن ماجه[٦] وأبو داود في المراسيل[٧] من حديث جودان، واختُلف في صحبته، وجهَّله أبو حاتم، وباقي رجاله ثقات. ورواه الطبراني في الأوسط[٨] من حديث جابر بسند ضعيف. انتهىٰ.

قلت: وأخرجه كذلك الضياء في المختارة وابن حبان في روضة العقلاء[٩]

---

(١) فيض القدير ٦/ ٧٣.

(٢) في الفيض: أظهر عذره.

(٣) المصباح المنير ص ٥٧٧.

(٤) الذريعة إلىٰ مكارم الشريعة ص ٢٣٢.

(٥) المغني ١/ ٤٧٩ - ٤٨٠.

(٦) سنن ابن ماجه ٥/ ٢٨٧.

(٧) المراسيل ص ٣٥١.

(٨) المعجم الأوسط ٨/ ٢٨٣.

(٩) روضة العقلاء ص ١٨٣.

من طريق وكيع عن سفيان عن ابن جريج عن ابن مينا عن جُودان، وهو بالضم صحابي، ويقال: ابن جودان، نزل الكوفة، وذكره البغوي في معجم الصحابة[١] وقال: ليس له غيره. وأخرجه أيضًا الباوَرْدي وابن قانع[٢] والبيهقي[٣] وأبو نعيم[٤]. وفي الإصابة[٥]: قال ابن حبان: إن كان ابن جريج سمعه فهو حسن غريب[٦]. وأنكره أبو حاتم وقال: لا صحبة له. ثم لفظ الجماعة: «مَن اعتذر إليه أخوه بمعذرة فلم يقبلها كان عليه من الخطيئة مثل صاحب مكس».

وأما حديث جابر فأخرجه أيضًا سمويه في فوائده والحارث بن أبي أسامة[٧] والبيهقي في الشعب[٨].

وفي الباب عن عائشة بلفظ: «مَن اعتذر إليه أخوه المسلم من ذنب قد أتاه فلم يقبل منه لم يَرِدْ عليَّ الحوض [غدًا]». رواه أبو الشيخ[٩].

(وقال ﷺ: **المؤمن سريع الغضب، سريع الرضا**) كذا في القوت، وزاد: فهذه بهذه.

---

(١) معجم الصحابة ١/ ٥٠٦.

(٢) معجم الصحابة ١/ ١٥٦.

(٣) شعب الإيمان ١٠/ ٥٥٤.

(٤) معرفة الصحابة ٢/ ٦٣٢ - ٦٣٣.

(٥) الإصابة في تمييز الصحابة ٢/ ١١٧.

(٦) عبارة ابن حبان في روضة العقلاء: «أنا خائف أن يكون ابن جريج دلس هذا الخبر بأن سمعه من ابن مينا فهو حديث حسن».

(٧) بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث ٢/ ٨٣٦.

(٨) شعب الإيمان ١٠/ ٥٥٧.

(٩) كنز العمال ٣/ ٣٧٨. ورواه أيضا الطبراني في المعجم الأوسط ٦/ ٢٤١، وابن الشجري في الأمالي الخميسية ٢/ ١٢٢.

قال العراقي[١]: لم أجده هكذا، وللترمذي[٢] وحسَّنه من حديث أبي سعيد الخُدري: «ألا إن بني آدم خُلقوا علىٰ طبقات شتىٰ ...» الحديث، وفيه: «ومنهم سريع الغضب سريع الفيء، فتلك بتلك». انتهىٰ

قلت: وله شاهد من حديث عليٍّ: «خيار أمَّتي أَحِدَّاؤهم وهم الذين إذا غضبوا رجعوا». رواه البيهقي في الشعب[٣] والطبراني في الأوسط[٤] بسند فيه يغنم بن سالم بن قنبر وهو كذاب[٥].

وأخرج الديلمي[٦] من طريق الزبير بن عدي عن أنس رفعه: «الحِدَّة لا تكون إلا في صالحي أمَّتي وأبرارها [وأتقيائها] ثم تفيء».

(**فلم يصفْه بأنه لا يغضب**) أصلاً (**وكذا قال الله تعالىٰ**) في حق المؤمنين: (﴿وَٱلۡكَـٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ﴾ [آل عمران: ١٣٤] **ولم يقل: والفاقدين الغيظ**) فإنما رُكِّبت هذه الصفات والقوىٰ محكًّا لامتحان كل مؤمن كامل عن غيره (**وهذا لأن العادة لا تنتهي إلىٰ أن يُجرح الإنسان فلا يتألَّم، بل ينتهي إلىٰ أن يصبر عليه ويحتمل**) له (**وكما أن التألُّم بالجرح مقتضَىٰ طبعِ البدن فالتألُّم بأسباب الغضب طبع للقلب ولا يمكن قلعه**) وإزالته (**ولكن يمكن ضبطه**) وحبسه (**وكظمه والعمل بخلاف مقتضاه فإنه**) أي الغضب: ثوران دم من القلب متىٰ تحرك تتولَّد منه أحوال خبيثة، ومتىٰ تحقق تحرُّكُه علىٰ مَن هو دونه فإنه (**يقتضي التشفِّي والانتقام، والمكافأة وترك العمل بمقتضاه ممكن، وقد قال الشاعر**)[٧]:

---

(١) المغني ١/ ٤٨٠.

(٢) سنن الترمذي ٤/ ٥٩.

(٣) شعب الإيمان ١٠/ ٥٣٥ - ٥٣٦.

(٤) المعجم الأوسط ٦/ ٦٠.

(٥) مجمع الزوائد ٨/ ٥٧.

(٦) الفردوس بمأثور الخطاب ٢/ ١٥٣.

(٧) هو النابغة الذبياني، والبيت في ديوانه ص ٢٨.

ولست بمستبق أخًا لا تلمُّه) أي لا تصلحه

(علىٰ شعث) أي تفرُّق وفساد حال **(أيُّ الرجال المهذَّب)**

أي أرني المهذب الأخلاق الكامل من الرجال فإنه قليل الوجود عزيز النظير.

(قال أبو سليمان الداراني) رحمه الله تعالىٰ **(لأحمد بن أبي الحواري)** وكان تلميذه: يا أحمد **(إذا واخيت أخًا في هذا الزمان فلا تعاتبه علىٰ ما تكرهه)** منه **(فإنك لا تأمن أن ترىٰ في جوابك)** منه **(ما هو شر من الأول)** أي مما كان فيه مما تركه منه، فإن رياضة النفوس صعبة **(قال)** أحمد: **(فجرَّبته فوجدته كذلك)** نقله صاحب القوت.

(وقال بعضهم: الصبر علىٰ مَضَض الأخ) أي غصصه وشداته **(خير من معاتبته)** لأن المعاتبة تهيِّج الشر **(والمعاتبة)** علىٰ التقصير في الحقوق **(خير من القطيعة)** والهجران **(والقطيعة خير من الوقيعة)** فيه بما لا يليق. نقله صاحب القوت. [قال]: وكان أبو الدرداء يقول: معاتبة الصديق خير من فقده، ومَن لك بأخيك كلِّه، هُنْ لأخيك ولِنْ له، ولا تطع الشيطان في أمره، غدًا يوافيه الموت فيكفيك فقده، كيف تبكيه بعد الموت وفي الحياة تركتَ وصله؟![1].

(وينبغي أن لا تبالغ في البغض عند القطيعة) وبعدها فعسىٰ أن توده يومًا **(قال الله تعالىٰ: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً﴾)** [الممتحنة: ٧] والترجِّي من الله تعالىٰ يقينيٌّ.

(وقال ﷺ: أَحْبِبْ) بفتح[2] الهمزة وكسر الموحدة **(حبيبك هونًا ما)** أي حبًّا قليلاً، فـ «هونًا» منصوب علىٰ المصدر صفة لِما اشتُقَّ منه «أحبب»، و«ما» إبهامية

---

(١) تقدم هذا الأثر قريبا.

(٢) فيض القدير ١/ ١٧٦ - ١٧٧.

وانظر: النهاية لابن الأثير ٥/ ٢٨٤.

تزيد النكرة إبهامًا وشياعًا وتسد عنها طرق التقييد، وقيل: مزيدة لتأكيد معنىٰ القلة، ويصح نصبُه علىٰ الظرف؛ لأنه من صفات الأحيان، أي أحببْه في حين قليل ولا تسرف في حبه، وقيل: معناه: حبًّا مقتصدًا لا إفراط فيه ولا تفريط، فإنه **(عسىٰ أن يكون بغيضك يومًا ما، وأبغضْ بغيضك هونًا ما)** فإنه **(عسىٰ أن يكون حبيبك يومًا ما)** إذ ربما انقلب ذلك بتغيير الزمان والأحوال بغضًا فلا تكون قد أسرفت في حبه فتنلام عليه إذا أبغضته، أو حبًّا فلا تكون قد أسرفت في بغضه فتستحي منه إذا أحببته.

قال العراقي[(١)]: رواه الترمذي[(٢)] من حديث أبي هريرة وقال: غريب، قلت: رجاله [ثقات] رجال مسلم، لكن الراوي تردَّد في رفعه. ا.هـ.

قلت: رواه في البر والصلة من طريق سُوَيد بن عمرو الكلبي عن حماد عن أيوب [عن ابن سيرين] عن أبي هريرة. ورواه ابن حبان في الضعفاء[(٣)] بهذا السند وأعلَّه بسويد وقال: يضع المتون الواهية علىٰ الأسانيد الصحيحة. وكذا أخرجه البيهقي[(٤)]، إلا إنه وهم، أي رفعُه وهمٌ. وأخرجه الطبراني في الكبير[(٥)] من طريق أبي الصلت عبد السلام الهروي [عن عبَّاد بن عباد][(٦)] عن جميل بن زيد عن ابن عمر، وجميل وراويه ضعيفان. وأخرجه ابن حبان[(٧)] كذلك وأعلَّه بجميل وقال: يروي في فضائل علي وأهله العجائب، لا يُحتج به إذا انفرد[(٨)]. وقال الزيلعي[(٩)]: عبد السلام

---

(١) المغني ١/ ٤٨٠.

(٢) سنن الترمذي ٣/ ٥٣٢ - ٥٣٣.

(٣) المجروحون من المحدثين ١/ ٤٤٦ - ٤٤٧.

(٤) شعب الإيمان ٨/ ٥١٥ - ٥١٦.

(٥) المعجم الكبير ١٣/ ٣٠١.

(٦) كذا في المعجم الكبير، ونبه محققه علىٰ أن الصواب: عباد بن العوام.

(٧) المجروحون من المحدثين ٢/ ١٣٥ - ١٣٦، ولكن فيه: جميل بن مرة.

(٨) هذا الكلام ليس عن جميل، وإنما هو عن عبد السلام الهروي، والحديث ذكره ابن حبان في ترجمته.

(٩) نصب الراية ١/ ٣٤٥.

الهروي ضعيف [جدًّا]. ورواه الطبراني[١] أيضًا من حديث عبد الله ابن عمرو، وفيه محمد بن كثير الفِهْري، وهو ضعيف[٢]. وأخرجه الدارقطني في الأفراد وابن عدي والبيهقي[٣] من حديث علي مرفوعًا، وفيه عطاء بن السائب، وهو ضعيف، وقال الدارقطني في العلل[٤]: لا يصح رفعُه. وقال ابن حبان: رفعُه خطأ فاحش. وأخرجه البخاري في الأدب[٥] والبيهقي أيضًا عن علي موقوفًا، قال الترمذي: هذا هو الصحيح. وتبعه ابن طاهر[٦] وغيره من الحفَّاظ. وقد استدرك العراقي علىٰ الترمذي دعوىٰ غرابته كما ترىٰ وقال: رجاله رجال مسلم، لكن الراوي تردَّد في رفعه. فإذا علمتَ ذلك فاعلمْ أن أمثل الروايات الأولىٰ. والله أعلم.

(وقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لا يكن حبك كَلَفًا ولا بغضك تلفًا وهو أن تحب تلف صاحبك مع هلاكه) ولفظ القوت: وروينا عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ معناه: لا يكن حبك كلفًا، ولا بغضك تلفًا. قال أسلم - يعني راويه: فقلت: وكيف ذلك؟ فقال: إذا أحببت فلا تكلف كما يكلف الصبيُّ بالشيء يحبه، وإذا أبغضت فلا تبغض بغضًا تحب أن يتلف صاحبك ويهلَك[٧].

---

(١) المعجم الكبير ١٤/ ١٣٣.

(٢) مجمع الزوائد ٨/ ١٦٧.

(٣) إنما رواه البيهقي في الشعب ٨/ ٥١٥، ٥١٧ من طريق عطاء بن السائب موقوفا، ومن غير طريقه مرفوعا. أما ابن عدي في الكامل ٢/ ٧١٢ فلم يروه من طريق عطاء، وإنما أشار إلىٰ الطريق المرفوعة ولم يسق لفظها. وانظر: أطراف الغرائب والأفراد ١/ ٨٣.

(٤) العلل ٨/ ١١٠ - ١١١، وفيه: «ولا يصح رفعه، والصحيح عن علي موقوفا».

(٥) الأدب المفرد ص ٣٨٢ من طريق محمد بن عبيد الكندي عن أبيه قال: سمعت عليا يقول لابن الكواء: هل تدري ما قال الأول؟ أحبب ... فذكره.

(٦) تذكرة الموضوعات ص ٤ (ط - مطبعة السعادة).

(٧) رواه البخاري في الأدب المفرد ص ٣٢٨، وعبد الرزاق في مصنفه ١١/ ١٨١، والبيهقي في شعب الإيمان ٨/ ٥١٨.

(**الحق السادس: الدعاء**) الصالح (**للأخ في**) حال (**حياته وبعد مماته بكل ما تحب لنفسك ولأهله وكل متعلِّق به، فتدعو له كما تدعو لنفسك، ولا تفرِّق بين نفسك وبينه، فإن دعاءك له بمنزلة دعائك لنفسك علىٰ التحقيق، فقد قال ﷺ: إذا دعا الرجل لأخيه بظهر الغيب**) أعم[١] من أن يكون غائبًا عنه بالسفر أو بالموت أو عن المجلس (**قال المَلَك**) أي الموكَّل بنحو ذلك، كما يرشد إليه تعريفُه، وفي رواية: قالت الملائكة: (**ولك بمثل ذلك**) أي دعوا الله أن يجعل لك مثل ما دعوت به لأخيك، وذلك يكاد أن يكون بين أهل الكشف متعارفًا محسوسًا، ولهذا كان بعضهم إذا أراد الدعاء لنفسه بشيء دعا به أولاً لبعض إخوانه ثم يُعقِبه بالدعاء لنفسه.

قال العراقي[٢]: رواه مسلم[٣] من حديث أبي الدرداء.

قلت: وكذلك أخرجه أبو داود[٤].

وأخرجه ابن عدي[٥] من حديث أبي هريرة بلفظ: «إذا دعا الغائب للغائب قال المَلَك: ولك بمثل ذلك».

وأخرجه أحمد[٦] ومسلم وابن ماجه[٧] من حديث أبي الدرداء بلفظ: «دعاء المرء المسلم مستجاب لأخيه بظهر الغيب، عند رأسه مَلَكٌ موكَّل به كلما دعا لأخيه بخير قال الملك: آمين، ولك بمثل ذلك».

---

(١) فيض القدير ١/ ٣٤٣.

(٢) المغني ١/ ٤٨٠.

(٣) صحيح مسلم ٢/ ١٢٥٤.

(٤) سنن أبي داود ٢/ ٣٠١.

(٥) الكامل في الضعفاء ٢/ ٨٣٤.

(٦) مسند أحمد ٣٦/ ٣٩.

(٧) سنن ابن ماجه ٤/ ٤٠٠.

ورواه أحمد[١] والطبراني[٢] وابن حبان[٣] من حديث أم الدرداء مثله.

(وفي لفظ آخر) من هذا الحديث: (**يقول الله عز وجل: بك أبدأ**) كذا في القوت، وفي نسخة العراقي زيادة «عبدي» وقال[٤]: لم أجد هذا اللفظ.

(وفي حديث آخر) عن النبي ﷺ قال: (**يُستجاب للرجل في أخيه ما لا يستجاب له في نفسه**) كذا في القوت.

قال العراقي[٥]: لم أجده بهذا اللفظ، ولأبي داود[٦] والترمذي[٧] وضعَّفه من حديث عبد الله بن عمرو: «إن أسرع الدعاء إجابةً دعوةُ غائب لغائب».

قلت: ورواه كذلك البخاري في الأدب المفرد[٨] والطبراني في الكبير[٩] بلفظ: «أسرع الدعاء إجابةً».

(وفي الحديث) قال ﷺ: (**دعوة الرجل لأخيه في ظهر الغيب لا تُرَدُّ**) ولفظ القوت: «دعاء الأخ لأخيه بالغيب لا يُرَدُّ، ويقول المَلَك: ولك مثل هذا». وفيه أيضًا: «دعوة الأخ لأخيه في الغيب لا تُرَدُّ». قال: فهذا أيضًا من واجب الأخوة تخصيصه وإفراده بالدعاء والاستغفار له في الغيب، فلو لم يكن من بركة الأخوة إلا هذا لكان كثيرًا.

---

(١) مسند أحمد ٤٥/ ٥٣٩.

(٢) المعجم الكبير ٢٤/ ٢٥٥.

(٣) صحيح ابن حبان ٣/ ٢٦٨ عن أبي الدرداء.

(٤) المغني ١/ ٤٨٠.

(٥) السابق ١/ ٤٨٠ - ٤٨١.

(٦) سنن أبي داود ٢/ ٣٠١.

(٧) سنن الترمذي ٣/ ٥٢٢.

(٨) الأدب المفرد ص ١٨٨.

(٩) المعجم الكبير ١٤/ ٦١ - ٦٢.

قال العراقي[١]: رواه الدارقطني في العلل[٢] من حديث أبي الدرداء، وهو عند مسلم، إلا أنه قال «مستجابة» مكان «لا تُرَدُّ».

قلت: وبلفظ المصنف أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق[٣]، وبلفظ القوت أخرجه البزار[٤] من حديث عمران بن حصين. وفي الغيلانيات[٥] من حديث أم كرز: «دعوة الرجل لأخيه بظهر الغيب مستجابة، ومَلَك موكَّل عند رأسه يقول: آمين ولك بمثله».

(**وكان أبو الدرداء**) رضي الله عنه (**يقول: إني لأدعو لسبعين من إخواني في سجودي أسمِّيهم بأسمائهم**)[٦] كذا في القوت، إلا أنه قال: لأربعين. وفي بعض نسخه كما عند المصنف.

(**وكان محمد بن يوسف الأصبهاني**) رحمه الله تعالىٰ (**يقول: وأين مثل الأخ الصالح؟ أهلك يقتسمون ميراثك ويتنعَّمون بما خلَّفت**) لهم من الأثاث والأمتعة (**وهو منفرد بحزنك، مهتم بما قدَّمت**) من العمل (**وما صِرت إليه**) من الحال (**ويدعو لك في ظلمة الليل وأنت تحت أطباق الثرىٰ**)[٧] يعني القبر. هكذا أورده صاحب القوت.

---

(١) المغني ١/ ٤٨١.

(٢) العلل ٦/ ٢٢٦، ١٣/ ٣١٣.

(٣) مكارم الأخلاق ص ٢٥٥.

(٤) مسند البزار ٩/ ٥٢.

(٥) الغيلانيات ص ٢٢١.

(٦) رواه البيهقي في السنن الكبرىٰ ٢/ ٣٤٨ بلفظ: «إني لأدعو لثلاثين من إخواني وأنا ساجد أسميهم بأسمائهم وأسماء آبائهم». ورواه الخطيب في تاريخ بغداد ١٥/ ١٦٧ بلفظ: «إني لأستغفر لسبعين من إخواني في سجودي أسميهم بأسمائهم وأسماء آبائهم».

(٧) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٨/ ٢٣١ بلفظ: «وأين مثل الأخ الصالح؟ أهلك يقسمون ميراثك وهو قد تفرد بجدثك يدعو لك وأنت بين أطباق الأرض».

(**وكأنَّ**) هذا (**الأخ الصالح يقتدي بالملائكة**) ولفظ القوت: فقد أشبهَ هذا الأخُ الصالح الملائكة (**إذ جاء في الخبر**) عن النبي ﷺ أنه قال: (**إذا مات العبد قال الناس: ما خلّف؟ وقالت الملائكة: ما قدَّم**)؟ كذا في القوت.

قال العراقي[1]: رواه البيهقي في الشعب[2] من حديث أبي هريرة بسند ضعيف.

قلت: ولفظه: «إذا مات الميت». وإنما قال «بسند ضعيف» لأن فيه يحيىٰ بن سليمان الجُعْفي، قال النسائي: ليس بثقة[3]. وعبد الرحمن بن محمد المحاربي، قال ابن معين: يروي عن المجهولين مناكير[4].

(**يفرحون له بما قدَّم**) من الخير (**ويسألون عنه، ويشفقون عليه**) أي اهتمام الملائكة بشأن الأعمال حتىٰ يُثاب أو يعاقَب عليه، واهتمام الورثة بما تركه ليورث عنه.

وقال بعض العلماء: لو لم يكن في اتخاذ الإخوان إلا أن أحدهم يبلغه موت أخيه فيترحَّم عليه ويدعو له فلعله يُغفَر له بحسن نيَّته له.

(**ويقال: مَن بلغه موت أخيه فترحَّم عليه واستغفر له كُتب له كأنه شهد جنازته وصلىٰ عليه**) هكذا نقله صاحب القوت.

(**ورُوي عن رسول الله ﷺ أنه قال: مثل الميت في قبره مثل الغريق**) في الماء

---

(١) المغني ١/ ٤٨١.

(٢) شعب الإيمان ١٣/ ٨٤، ولفظه: «إذا مات الميت قالت الملائكة: ما قدم؟ وقال بنو آدم: ما خلف»؟

(٣) ميزان الاعتدال ٤/ ٣٨٢.

(٤) في الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٥/ ٢٨٢: «قال ابن معين: عبد الرحمن المحاربي الكوفي ثقة. وقال أبو حاتم: صدوق إذا حدث عن الثقات، ويروي عن المجهولين أحاديث منكرة فيفسد حديثه بروايته عن المجهولين». وذكر الذهبي في ميزان الاعتدال ٢/ ٥٨٥ القولين عن ابن معين.

(**يتعلَّق بكل شيء**) لعله ينجو به (**ينتظر دعوة**) صالحة (**من ولد**) له أعقبه (**أو من والد أو أم أو قريب، وإنه لَيدخلُ علىٰ قبور الموتىٰ من دعاء الأحياء من الأنوار مثل الجبال**) كذا في القوت، إلا أنه قال: من ولد أو والد أو أخ. وقال: أمثال الجبال. والباقي سواء. قال العراقي(١): رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة، وقال الذهبي في الميزان: إنه خبر منكر [جدًّا](٢).

(**وقال بعض السلف: الدعاء للأموات بمنزلة الهدايا للأحياء**) في الدنيا. قال: (**فيدخل المَلَك علىٰ الميت ومعه طبق من نور عليه منديل من نور فيقول: هذه هدية لك من عند أخيك فلان أو من عند قريبك فلان. قال: فيفرح بذلك كما يفرح الحي بالهدية**)(٣) إذا جاءته. كذا نقله صاحب القوت، وزاد: فقد كان الإخوان يوصون إخوانهم بعدهم بدوام الدعاء لهم بعد موتهم ويرغبون في ذلك لحسن يقينهم وصدق نيَّاتهم، وإن أعظم الحسرة مَن خرج من الدنيا ولم يؤاخِ أخًا في الله تعالىٰ فيدرك بذلك فضائل المؤاخاة وينال به منازل المحبِّين عند الله تعالىٰ، ومن أشد

---

(١) المغني ١/ ٤٨١.

(٢) هذا الحديث في الفردوس بمأثور الخطاب ٤/ ١٠٣ عن ابن عباس بلفظ: «ما الميت في قبره إلا يشبه الغريق المتهوب ينتظر دعوة من أب أو أم أو ولد أو صديق ثقة، فإذا لحقته كانت أحب إليه من الدنيا وما فيها، وإن الله ليدخل علىٰ أهل القبور من دعاء الدعاء أمثال الجبال، وإن هدية الأحياء للأموات الاستغفار لهم والصدقة عنهم». وهكذا ذكره الذهبي في ميزان الاعتدال ٣/ ٤٩٦ في ترجمة محمد بن جابر بن أبي عياش المصيصي، وقال عنه: «لا أعرفه، وخبره منكر جدا، روىٰ الفضل بن محمد الباهلي وعبد الله بن خالد الرازي عنه قال: حدثنا ابن المبارك عن يعقوب بن القعقاع عن مجاهد عن ابن عباس ...» فذكره.

(٣) روي نحوه مرفوعا من حديث أنس بن مالك، رواه الطبراني في المعجم الأوسط ٦/ ٣١٥ بلفظ: «ما من أهل بيت يموت منهم ميت فيتصدقون عنه بعد موته إلا أهداها إليه جبريل عليه السلام علىٰ طبق من نور، ثم يقف علىٰ شفير القبر فيقول: يا صاحب القبر العميق، هذه هدية أهداها إليك أهلك فاقبلها. فيدخل عليه، فيفرح بها ويستبشر، ويحزن جيرانه الذين لا يهدىٰ إليهم بشيء».

قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٣/ ٣٣٥: فيه أبو محمد الشامي، قال عنه الأزدي: كذاب.

الناس وحشةً في الدنيا من لم يكن له خليل يأنس به وصديق صدق يسكن إليه، كما قال علي رضي الله عنه: وغريب من لم يكن له حبيب، ولا يوحشنَّك من صديق سوءُ ظن.

(الحق السابع: الوفاء والإخلاص، ومعنىٰ الوفاء: الثبات علىٰ الحب والإقامة) عليه **(إلىٰ)** نزول حادثة **(الموت)** به **(وبعد الموت)** أيضًا **(مع أولاده)** وأحفاده **(وأصدقائه)** ومحبِّيه وملازميه **(فإن الحب إنما يُراد للآخرة، فإن انقطع قبل الموت حبط العملُ وضاع السعي)** ولفظ القوت: فقد كانوا يتواخون ويتعارفون لمنافع الآخرة الباقية لا لمرافق الدنيا الفانية، وأفضل الأخوة - كما قال بعض العلماء: المحبة الدائمة والألفة اللازمة، من قِبَل أن الأخوَّة والمحبة عملٌ، وكل عمل يحتاج إلىٰ حُسن خاتمة به ليتم العملُ به فيكمُل أجرُه، فإن لم يُختَم له بالأخوة ولم يحسن عاقبة الصحبة والمحبة فقد أدركه سوء الخاتمة، وبطل عنه ما كان قبل ذلك، فقد يصطحب الاثنان ويتواخىٰ الرجلان عشرين سنة ثم لا يُختَم لهما بحُسن الأخوة فيُحبَط بذلك ما سلف من الصحبة، فلذلك شرط العالِمُ المحبةَ الدائمة والألفة اللازمة إلىٰ الوفاة ليُختَم له بها **(ولذلك قال ﷺ في السبعة الذين يظلهم اللهُ في ظله)** فساق الحديث الذي تقدم ذِكرُه، وفيه: **(ورجلان تحابَّا في الله اجتمعا علىٰ ذلك وتفرَّقا عليه)** وفي القوت: وقال يحيىٰ بن معاذ: ثلاثة عزيزة في وقتنا هذا ... ذكر منها حُسن الإخاء مع الوفاء[1]. يعني بالوفاء: أن يكون له في غيبته ومن حيث لا يعلم ولا يبلغه مثل ما يكون له في شهوده ومعاشرته، ويكون له بعد موته ولأهله من بعده كما كان له في حياته، فهذا هو الوفاء، وهو المعنىٰ الذي شرطه النبيُّ ﷺ للمؤاخاة في قوله «اجتمعا علىٰ ذلك وتفرَّقا عليه»، وجعل جزاءه

---

(١) الذي في الرسالة القشيرية ص ٤١١ أن هذا الكلام للحارث بن أسد المحاسبي، ولفظه فيها: «فقدنا ثلاثة أشياء: حسن الوجه مع الصيانة، وحسن القول مع الأمانة، وحسن الإخاء مع الوفاء». وأورده في ص ٥٤٨ عنه بلفظ: «ثلاث إذا وجدن متع بهن وقد فقدناها: حسن الوجه مع الصيانة، وحسن الصوت مع الديانة، وحسن الإخاء مع الوفاء». وأورده أيضا: ابن خلكان في ترجمته من وفيات الأعيان ٢/ ٥٨، واليافعي في مرآة الجنان ٢/ ١٠٦.

ظلال العرش يوم القيامة.

(و) لذلك (**قال بعضهم: قليل**) من (**الوفاء بعد الوفاة خير من كثيره في حال الحياة**)[١] كذا في القوت، قال: وكذلك كان السلف فيما ذكره الحسن وغيره.

(**ولذلك رُوي أنه ﷺ أكرم عجوزًا**) أي امرأة قد طعنت في سنِّها، ولا يقال «امرأة عجوزة» إلا في لغة قليلة[٢] (**دخلت عليه، فقيل له في ذلك**) أي في إكرامه لها والاحتفال بها (**فقال: إنها كانت تأتينا أيام خديجة**) أي بنت خويلد ﵂ (**وإنَّ كرم العهد من الدين**) كذا في نسختنا، وفي نسخة العراقي: وإن حُسن العهد من الإيمان، وقال[٣]: رواه الحاكم[٤] من حديث عائشة، وقال: صحيح علىٰ شرط الشيخين، وليس له علة.

قلت: رواه[٥] من طريق الصغاني، عن أبي عاصم، حدثنا صالح بن رستم، عن ابن أبي مُلَيكة، عن عائشة قالت: جاءت عجوز إلىٰ النبي ﷺ وهو عندي، فقال لها: «من أنتِ»؟ فقالت: أنا جثامة المُزَنية. قال: «بل أنتِ حسَّانة، كيف أنتم؟ كيف حالكم؟ كيف كنتم بعدنا»؟ فقالت: بخير بأبي أنت [وأمي يا رسول الله] فلما خرجتْ قلتُ: يا رسول الله، تُقبِل علىٰ هذه العجوز هذا الإقبال؟! قال: «إنها كانت تأتينا زمن خديجة، وإن حُسن العهد من الإيمان». وهكذا رواه الديلمي[٦] من طريقه، إلا أنه قال: «عهد» بدل: زمن، وقال: «إن كرم الود من الإيمان». ورواه ابن

---

(١) تقدم أن هذا كلام محمد بن داود الأصبهاني في كتاب الزهرة.

(٢) في المصباح المنير ص ٣٩٤: «العجوز: المرأة المسنة، قال ابن السكيت: ولا يؤنث بالهاء. وقال ابن الأنباري: ويقال أيضا: عجوزة بالهاء لتحقيق التأنيث. وروي عن يونس أنه قال: سمعت العرب تقول: عجوزة، بالهاء».

(٣) المغني ١/ ٤٨١ - ٤٨٢.

(٤) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٥٧.

(٥) المقاصد الحسنة للسخاوي ص ١٨٩.

(٦) الفردوس بمأثور الخطاب ٥/ ٤٢٥.

عبد البر[١] من طريق الكديمي عن أبي عاصم فسمَّىٰ المرأة: الحولاء. فيحتمل أن يكون وصفها أو لقبها، ويحتمل التعدُّد علىٰ بُعد لاتحاد الطريق. وروىٰ العسكري في الأمثال من طريق الزبير بن بكَّار[٢]: حدثنا محمد بن الحسن، ثنا إبراهيم بن محمد، عن محمد بن زيد بن مهاجر بن قنفذ أن عجوزًا سوداء دخلت علىٰ النبي ﷺ، فحيَّاها وقال لها: «كيف أنتِ؟ كيف حالكم»؟ فلما خرجت قالت عائشة: يا نبي الله، ألهذه السوداء تحيي وتصنع ما أرىٰ؟ فقال: «إنها كانت تغشانا في حياة خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان». قال الزبير: حدثني سليمان بن عبد الله عن شيخ من أهل مكة: هي أم زفر ماشطة خديجة. ومن حديث حفص بن غياث عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: كانت تأتي النبيَّ ﷺ امرأةٌ فيكرمها، فقلت: يا رسول الله، من هذه؟ فقال: «هذه كانت تأتينا علىٰ زمن خديجة، وإن حُسن العهد من الإيمان». وهذا الأخير عند البيهقي في الشعب[٣] وقال: إنه بهذا السند غريب. ا.هـ. والعهد ينصرف في اللغة إلىٰ وجوه، أحدها: الحفظ والمراعاة، وهو المراد هنا.

وقول الحاكم «إنه صحيح علىٰ شرط الشيخين» قد أقرَّه علىٰ ذلك الذهبيُّ، وسكت عليه العراقي في إصلاح المستدرك.

ويظهر مما تقدم أن قول المصنف «فإنَّ كرم العهد من الإيمان» ليس في شيء من رواياته، وإنما هو أخذٌ بالمعنىٰ. وقوله «من الدين» أو «من الإيمان» أي من أموره أو خِصاله أو من شُعَبه.

(فمن الوفاء للأخ: مراعاة جميع أصدقائه) وأحبابه **(وأقربائه)** بل

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٢/ ٥٠٣ - ٥٠٤.

(٢) المنتخب من كتاب أزواج النبي ﷺ للزبير بن بكار ص ٣٧ - ٣٨ (ط - الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة).

(٣) شعب الإيمان ١١/ ٣٨٠.

(والمتعلقين به) والمتردِّدين إليه **(ومراعاتهم أوقعُ في قلب الصديق من مراعاة الأخ نفسه، فإنَّ فرحه بتعهُّد من يتعلق به أكثر؛ إذ لا يدل علىٰ قوة الشفقة والحب إلا تعدِّيهما من المحبوب إلىٰ كل من يتعلق به، حتىٰ الكلب الذي علىٰ باب داره ينبغي أن يتميَّز في القلب عن سائر الكلاب)** وهذا هو الغاية القصوىٰ في حسن العهد، وقِسْ علىٰ ذلك جيرانه وأهل حارته بل أهل قريته **(ومهما انقطع الوفاء بدوام المحبة شمت به الشيطانُ)** أي فرح **(فإنه لا يحسد متعاونين علىٰ بِر)** وخير **(كما يحسد متواخيين في الله)** تعالىٰ **(ومتحابِّين فيه)** لأجله **(فإنه)** أي الشيطان **(يجهد نفسه)** أي يتعبها **(لإفساد ما بينهما)** ولفظ القوت: ويقال: ما حسد العدو متعاونين علىٰ برٍّ حسده متواخيين في الله عز وجل ومتحابِّين فيه، فإنه يجهد [نفسه] ويحث قبيله علىٰ إفساد ما بينهما، وقد **(قال الله تعالىٰ)** لعباده: (﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْۚ﴾) [الإسراء: ٥٣] يعني [يقولون] الكلمة الحسنة بعد نزغ الشيطان **(وقال تعالىٰ مخبرًا عن يوسف عليه السلام**: ﴿مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓۚ﴾ [يوسف: ١٠٠] هكذا في القوت **(ويقال: ما تواخىٰ اثنان في الله)** عز وجل **(ففُرِّق بينهما إلا بذنب يرتكبه أحدهما)** كذا في القوت. أي فُرقة أحد الأخوين إنما تكون من ذنب، فهو عقوبة للمرتكب **(وكان بِشر)** بن الحارث الحافي قُدِّس سره **(يقول: إذا قصَّر العبد في طاعة الله)** تعالىٰ **(سلبه الله)** عز وجل **(من يؤنسه)**[١] كذا في القوت **(وذلك أن الإخوان)** وفي نسخة: مجالسة الإخوان **(مسلاة للقلوب)** وفي نسخة: للهموم **(وعون علىٰ الدين)** والذي في القوت: وكان بعضهم يقول: [لقاء] الإخوان مسلاة للهم ومَذهبة للأحزان[٢] **(ولذلك قال ابن المبارك: ألذُّ الأشياء**

---

(١) رواه الخطيب في تاريخ بغداد ١٦/ ٦٢٥ من طريق محمد بن يوسف الجوهري قال: سمعت أبا نصر بشر بن الحارث يوم ماتت أخته يقول: إن العبد ... فذكره. ورواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٨/ ٣٤٦، وفيه: «سمعت بشر بن الحارث يقول في جنازة أخته: إن العبد إذا قصر في طاعة سُلب من يؤنبه». وقوله (يؤنبه) تحريف.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الإخوان ص ١٤٤ عن أكثم بن صيفي بلفظ: «لقاء الأحبة =

مجالسة الإخوان والانقلاب إلىٰ كفاية) كذا في النسخ. والذي في القوت: وقيل لسفيان بن عيينة: أيُّ الأشياء ألذُّ؟ فقال: مجالسة الإخوان، والانقلاب إلىٰ كفاية.

(والمودة الدائمة) في الحياة وبعدها **(هي التي تكون في الله، وما يكون لغرض يزول بزوال ذلك الغرض)** فإنَّ مَن أحب إنسانًا لشيء كرهه عند انقطاعه. ولفظ القوت: فأول ما تصح له المحبة في الله عَزَّوَجَلَّ أن لا يكون أصل ذلك من محبة لأجل معصية، ولا علىٰ حظ من دنياه، ولا لأجل ارتفاقه به اليوم، ولا لمنافعه منه ومصالحه [في أحواله] ولا يكون ذلك مكافأة علىٰ إحسان أحسن به إليه، ولا لنعمة يجزيه عليها لمحبته له، ولا لأجل هوىٰ بينه وبينه، فليس هذا طريقًا إلىٰ الله تعالىٰ، فإذا سَلِم من هذه المعاني الثلاث فهي إذًا محبة ومؤاخاة في الله عَزَّوَجَلَّ، فإن أحبه لأخلاقه اللازمة فيه ومعانيه الكائنة به لم يخرجه ذلك من الحب لله عَزَّوَجَلَّ، ولا يقدح في الأخوة؛ لأن هذه سيماء ثابتة فيه، مثل أن يحبه لحُسن خُلقه وكثرة عمله وعلمه وحِلمه ولحسن عقله ولوجود الأنس به والائتلاف الذي جعله الله عَزَّوَجَلَّ بينه وبينه، وإنما يخرجه عن حقيقة الحب في الله عَزَّوَجَلَّ أن يحبه [لِما يكون] داخلاً بينه وبينه وليجة بين الدنيا والآخرة لما ينفصل عنه ولم تكن سيماء متصلة به مثل الإنعام والإفضال عليه ومثل الارتفاق والإحسان إليه، فهذا الحب لا يمنع القلب من وجده؛ لأنه جُبل علىٰ حب من أحسن إليه، وليس يأثم ولا يعصىٰ بوجود هذه المحبة لمكان هذه الأسباب المعروفة، كما أنه إذا أساء إليه ووجد بغضه له فلا يأثم علىٰ هذا البغض ما لم يخرجه ذلك إلىٰ أذىٰ يوجب عليه حكمًا، إلا أن هذين المعنيين يخرجان عن حقيقة الحب لله عَزَّوَجَلَّ؛ لأنه لا يكون محبًّا له مع وجود الأسباب خالصًا لله تعالىٰ من قبل أنها إذا زالت زالت المحبة، وكذلك إن أبغضه لتغيُّر هذه الأسباب من الإساءة إليه بعد أن كان أحبه لله عَزَّوَجَلَّ ثم تغيَّر؛ لأن

= مسلاة للهم». ولم يذكر ما بعده. ورواه البيهقي في شعب الإيمان ١١/ ٣٥٣ من طريق أحمد بن يحيىٰ ثعلب قال: حدثنا عبد الله بن شبيب قال: كان يقال: لقاء الأحبة مسلاة للهم.

صحة الحب لله تعالىٰ والبغض لا ينقلب بسبب بغض جُعل في الطبع، وكل محبة تكون عن عوض فإنه إذا فُقد العوض فُقدت المحبة (**ومن ثمرات المودة في الله** عَزَّوَجَلَّ (**أن لا تكون مع حسد**) أي لا يحسده (**في دين ولا دنيا**) أي عليهما جميعًا كما لا يحسد نفسه عليهما (**وكيف يحسده وكل ما هو لأخيه فإليه ترجع فائدته**) وأن يؤثره بالدين والدنيا إذا كان محتاجًا إليهما كنفسه، وهذان شرطان في الحب في الله عَزَّوَجَلَّ (**وبه**) أي بالشرط الأول (**وصف الله المحبِّين في الله**) عَزَّوَجَلَّ (**فقال**): {يحبون من هاجر إليهم} ثم وصف حقيقة محبتهم إذ كان لا يصف إلا حقًّا ولا يمدح إلا حقًّا فقال: (﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ﴾) يعني مما أوتي أحبابهم من دين ودنيا. ثم قال في الشرط الثاني: (﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾) [الحشر: ٩] فهذا فصل الخطاب و[جملة] نعت الأحباب (**ووجود الحاجة**) في هذا الموضع (**هو الحسد**) [أي] كما لا يجدون هم في صدورهم لأنفسهم حسدًا، فهذه حقيقة الوجود، وأما الشرط الثاني الذي هو الإيثار فإن كان مع احتياج فهو مقام الصدِّيقين، أو يساويه فهو من مقام الصادقين، أو يواسيه فهو من أخلاق المؤمنين، و هذا أقل منازل الأخوَّة. وقد تقدمت الإشارة إليه في سياق المصنف عند ذِكر قصة سعد بن الربيع مع عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما.

(**ومن الوفاء: أن لا يتغيَّر حاله في التواضع**) وفي نسخة: التواصل (**مع أخيه وإن ارتفع شأنه واتَّسعت ولايته وعظُم جاهُه**) وكبرت منزلته (**فالترفُّع علىٰ الإخوان بما يتجدَّد من الأحوال**) وما ينقلب فيها (**لؤم**) وهو مذموم (**قيل فيه:**

إن الكِرام إذا ما أيسروا) أي صاروا ذوي يسار أي غِنىٰ. وفي نسخة: أسيادًا (**ذكروا من كان يألفهم**) أي يصحبهم ويأنس بهم (**في المنزل الخشن**)[1] كناية عن

---

(١) البيت لأبي تمام الطائي، وهو في ديوانه ص ٣٣٥.

ونسبه ابن خلكان في وفيات الأعيان ١/ ٤٦ والصفدي في الوافي بالوفيات ٦/ ٢١ وياقوت في معجم الأدباء ١/ ٨٣ لإبراهيم بن العباس الصولي. وهو في ديوان شعره المطبوع ضمن كتاب =

قلة ذات اليد والضيق وخشونة العيش.

(**وأوصىٰ بعض السلف ابنه فقال: يا بنيَّ، لا تصحب من الناس إلا من إذا افتقرت إليه قرُب منك، وإن استغنيت عنه لم يطمع فيك، وإن علت منزلته لم يرتفع عليك**) ولفظ القوت: من إن افتقرت قرُب منك، وإن استغنيت لم يطمع فيك، وإن علت مرتبته لم يرتفع عليك، وإن ابتذلت له صانك، وإن احتجت إليه مانك، وإن اجتمعت معه زانك، فإن لم تجد هذا فلا تصحبنَّ أحدًا[1].

(**وقال بعض الحكماء**) ولفظ القوت: بعض السلف (**إذا ولي أخوك ولاية**): عمل من الأعمال (**فثبت علىٰ نصف مودَّته لك فهو كثير**) أي لأن شغله بحمل أعباء ما ولي يمنعه عن تأدية حقوق مودتك، فإن وُجد فيه الثبات علىٰ نصف ما كان عليه فلا تعاتبه.

(**وحكىٰ الربيع**) بن[2] سليمان بن عبد الجبار المُرادي، أبو محمد المصري المؤذن، ثقة، مات سنة سبعين ومائتين عن ست وتسعين سنة، روىٰ له الأربعة. ولفظ القوت: حدثنا محمد بن القاسم عن الربيع بن سليمان (**أن الشافعي**) رضي الله عنه (**آخىٰ رجلاً ببغداد، ثم إن أخاه**) هذا (**ولي السِّيبَين**) بكسر السين المهملة وسكون التحتية وفتح الموحدة مثنىٰ السِّيب، وهما الأعلىٰ والأسفل كورة بالعراق[3] (**فتغيَّر**) للشافعي (**عما كان عليه**) مما كان يعهده منه (**فكتب إليه الشافعي**) رحمه الله تعالىٰ (**بهذه الأبيات**) وهي من نظمه:

= الطرائف الأدبية ص ١٧٤ (ط - لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة). ونسبه ابن قتيبة في عيون الأخبار ٣/ ٢٥ - ٢٦ لدعبل الخزاعي.

(١) تقدم هذا الأثر في أواخر الباب الأول عن علقمة العطاردي.

(٢) تقريب التهذيب ص ٣٢٠.

(٣) في معجم البلدان لياقوت ٣/ ٢٩٣: «السيب، أصله مجرىٰ الماء كالنهر، وهو كورة من سواد الكوفة، وهما سيبان الأعلىٰ والأسفل من طسوج سورا عند قصر ابن هبيرة».

(اذهب فودُّك من ودادي طالق مني وليس طلاق ذات البين

فإن ارعويتَ فإنها تطليقة ويدوم ودُّك لي علىٰ ثِنْتين

وإن امتنعتَ شفعتُها بمثالها فتكون تطليقين في حيضين

فإذا الثلاث أتتك مني بتَّة لم تغنِ عنك ولايةُ السِّيبين)[١]

هكذا أورده صاحب القوت، وزاد بعدها: فذُكر هذا الكلام لبعض الفقهاء فاستحسنه وقال: هذا طلاق فقهيٌّ، إلا أنه طلق قبل النكاح.

قلت: وهذا الاستدراك ليس بشيء، وذلك لأن الاجتماع بعد عقد المودة من الجانبين نزل منزلة الدخول بجامع الحقوق بينهما علىٰ التشبيه.

وهذه القصة أخرجها ابن عساكر من وجه آخر في تاريخه[٢] من طريق البيهقي[٣]، عن الحاكم قال: أخبرني أبو الفضل بن أبي نصر، حدثنا علي بن الحسن بن حبيب الدمشقي قال: سمعت الفاقوسي - وكان من أهل القرآن والعلم - قال: سمعت محمد بن عبد الله بن عبد الحكم يقول: سمعت الشافعي يقول: كان لي صديق يقال له حُصَين، وكان يبرني ويصلني، فولاَّه أمير المؤمنين السيبين، فكتب إليه:

خذها إليك فإنَّ ودك طالق مني وليس طلاق ذات البين

ثم ساق بقية الأبيات، إلا أنه قال: فإن التويت، بدل: ارعويت. و: طائعًا، بدل: بتة. وزاد في آخرها البيت الخامس:

---

(١) الأبيات في ديوان الإمام الشافعي ص ١٠٦ (ط - دار القلم).

(٢) تاريخ دمشق ٤١/ ٣١٨.

(٣) مناقب الشافعي للبيهقي ٢/ ٩٥ - ٩٦. وعنده في آخر القصة: فلما قرأ حصين الأبيات رجع إلىٰ مودتي واعتذر.

لم أرضَ أن أهجر حصينًا وحده حتىٰ اسودَّ وجهُ كل حصين

(**واعلمْ أنه ليس من الوفاء موافقة الأخ فيما يخالف الحق**) الصريح (**في أمر يتعلق بالدين، بل من الوفاء له المخالفة**) فيه (**فقد كان الشافعي** رضي الله عنه **آخَىٰ**) أبا[1] عبد الله (**محمد بن**) عبد الله بن (**عبد الحكم**) بن أعيَن بن ليث المصري، من موالي آل عثمان، وقد تقدمت ترجمته وترجمة أبيه في كتاب العلم، وأبوه من كبار أصحاب مالك (**وكان يقرِّبه ويُقبِل عليه**) وكان محمد قد لزم الشافعي لأن أباه أوصاه بذلك، فأخذ عنه علمًا كثيرًا وتفقه به وتمذهب بمذهبه، وقد روىٰ عنه النسائي وأبو حاتم وابن خزيمة وابن صاعد وجماعة، قال النسائي: ثقة، وقال مرةً: صدوق لا بأس به، وقال ابن يونس[2]: كان مفتي مصر في أيامه، مات سنة ٢٦٨ (و) لكثرة بره وإحسانه إلىٰ الشافعي كان (**يقول: ما يقيمني بمصر غيره. فاعتلَّ محمد**) مرةً حتىٰ أشرف علىٰ الهلاك (**فعاده الشافعيُّ رحمه الله تعالىٰ وقال:**

مرض الحبيبُ فعُدْتُه فمرضتُ من حزني عليه)

فقال محمد في جوابه:

(**وأتىٰ الحبيب يعودني فبرئت من نظري إليه**[3]

وظن الناس لصدق مودتهما) وأخوتهما (**أنه**) أي الشافعي (**يفوِّض أمر حلْقته**) بسكون اللام (**بعد وفاته إليه**) أي في جامع عمرو بن العاص (**فقيل للشافعي**) رحمه الله تعالىٰ (**في علَّته التي مات فيها**) في سنة أربع [ومائتين] (**إلىٰ من نجلس بعدك يا أبا عبد الله**)؟ وهي كنية الشافعي (**فاستشرف له محمد بن عبد الحكم**) وتطاول (**وهو عند رأسه ليومئ إليه**) أي يشير (**فقال الشافعي**) رحمه الله تعالىٰ:

---

(١) تهذيب الكمال ٢٥/ ٤٩٧ - ٥٠٠. طبقات الشافعية الكبرىٰ للسبكي ٢/ ٦٧ - ٧١.

(٢) تاريخ مصر لابن يونس ص ٤٥١.

(٣) البيتان في ديوان الإمام الشافعي ص ١٢٨ (ط - دار القلم).

(**سبحان الله! أيُشك فيها**)؟ ولفظ القوت: في هذا (**أبو يعقوب البُوَيطي**) يوسف[١] ابن يحيىٰ القرشي مولاهم المصري الفقيه، وبويط كزبير: قرية بالصعيد الأوسط، وهو أكبر أصحاب الشافعي [المصريين] وقد اختص بصحبته واشتهر بها، وحدَّث عنه وعن عبد الله بن وهب وغيرهما، وعنه الربيع المُرادي وإبراهيم الحربي ومحمد بن إسماعيل الترمذي وأبو حاتم وآخرون، وله المختصر المشهور الذي اختصره من كلام الشافعي، وقد قرأه علىٰ الشافعي بحضرة الربيع، وكان الشافعي رحمه الله تعالىٰ يعتمد البويطي في الفتيا ويحيل عليه إذا جاءته مسئلة، حُمل مقيَّدًا في الحديد من مصر إلىٰ بغداد في فتنة خلق القرآن وحُبس حتىٰ مات سنة ٢٣١ (**فانكسر لها محمد**) بن عبد الحكم ووجد في نفسه (**ومال أصحابه إلىٰ البويطي**) فتخرَّج علىٰ يديه أئمَّة تفرَّقوا في البلاد ونشروا علم الشافعي في الآفاق (**مع أن محمدًا كان قد حمل عنه مذهبه**) وعلمه (**كله**) مع معرفته لمذهب مالك (**لكن كان البويطي أفضل وأقرب إلىٰ الزهد والورع**) وكان سريع الدمعة، غالب أوقاته الذكر ودرس العلم، وغالب ليله التهجُّد والتلاوة، وقال الربيع: كان البويطي أبدًا يحرك شفتيه بذكر الله عَزَّوَجَلَّ، وما أبصرتُ أحدًا أنزع بحجة من كتاب الله من البويطي (**فنصح الشافعي**) رحمه الله تعالىٰ (**لله**) عَزَّوَجَلَّ (**وللمسلمين وترك المداهنة**) أي حمله نصحُه للدين والنصيحة للمسلمين ولم يداهن في ذلك (**ولم يؤثر رضا الخلق علىٰ رضا الله تعالىٰ**) بأن وجَّه الأمر إلىٰ البويطي وآثره؛ لأنه كان أولىٰ (**فلما توفي**) الشافعي (**انقلب محمد بن عبد الحكم عن مذهبه ورجع إلىٰ مذهب أبيه ودرس كتب مالك**) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (**وهو من كبار أصحاب مالك**) ولفظ القوت: وروىٰ كتب أبيه عن مالك وتفقَّه فيها، فهو اليوم من كبار أصحاب مالك.

وقرأت في طبقات القطب الخيضري ما لفظه[٢]: وروىٰ الحاكم عن إمام

---

(١) طبقات الشافعية الكبرىٰ ٢/ ١٦٢ - ١٦٥.

(٢) وذكره أيضا السبكي في طبقاته. والقصة رواها الخطيب في تاريخ بغداد ١٦/ ٤٤١.

الأئمة ابن خزيمة قال: كان ابن عبد الحكم أعلم مَن رأيت بمذهب مالك، فوقعت بينه وبين البويطي وحشة عند موت الشافعي، فحدثني أبو جعفر السكري قال: تنازع ابن عبد الحكم والبويطي مجلسَ الشافعي، فقال البويطي: أنا أحق به منك، وقال الآخر كذلك، فجاء الحميدي – وكان تلك الأيام بمصر – فقال: قال الشافعي: ليس أحد أحق بمجلسي من البويطي، وليس أحد من أصحابي أعلم منه. فقال له ابن عبد الحكم: كذبت. فقال له: كذبت أنت وأبوك وأمك. وغضب ابن عبد الحكم، وجلس البويطي في مجلس الشافعي، وجلس ابن عبد الحكم في الطاق الثالث **(وآثر البويطي الزهد والخمول)** وترك العلائق **(ولم يعجبه الجمع والجلوس في الحلقة، واشتغل بالعبادة)** ليلاً ونهارًا **(وصنَّف كتاب الأم الذي يُنسَب الآن إلىٰ الربيع بن سليمان)** المرادي **(ويُعرَف به، وإنما صنَّفه البويطي ولكن لم يذكر نفسه فيه ولم ينسبه إلىٰ نفسه)** هضمًا لها **(فزاد الربيع فيه وتصرَّف وأظهره)** للناس، فهذا هو الأم المشهور، و تلقَّته الأمَّة بالقبول. والمسند المنسوب إلىٰ الشافعي هو عبارة عن الأحاديث التي وقعت في مسموع الأصم علىٰ الربيع من كتاب «الأم» و«المبسوط» التقطها بعض النيسابوريين وهو أبو عمرو محمد بن جعفر بن مطر من الأبواب وسمَّىٰ ذلك: مسند الشافعي. قاله الحافظ ابن حجر[1] رحمه الله تعالىٰ.

(والمقصود أن الوفاء بالمحبة من تمامها النصحُ لله) عَزَّوَجَلَّ ولرسوله وللمسلمين **(قال الأحنف)** بن قيس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: **(الإخاء جوهرة رفيعة)** وفي بعض النسخ: رقيقة **(إن لم تحرسها)** وتوقَّ عليها **(كانت معرَّضة للآفات، فاحرسها بالكظم)** ولفظ القوت: فارْضَ بالتذلل له حتىٰ تصل إلىٰ قربه، وبالكظم **(حتىٰ تعتذر إلىٰ مَن ظلمك، وبالرضا حتىٰ لا تستكثر من نفسك الفضلَ ولا من أخيك التقصير)**[2] ويقال: من لم يظلم نفسه للناس ويتظالم لهم ويتغافل عنهم لم يَسلم

---

(١) المعجم المفهرس ص ٣٩ (ط – مؤسسة الرسالة).

(٢) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٤/ ٣٤٢.

منهم **(ومن آثار الصدق)** في المودة **(والإخلاص)** في المحبة **(وتمام الوفاء أن تكون شديد الجزع من المفارقة)** أي مفارقة الأحباب **(لنفور الطبع من أسبابها)** التي تُلجِئ إليه **(كما قيل:**

وجدتُ مصيبات الزمان جميعَها   سوىٰ فُرقة الأحباب هيِّنة الخَطْب)[1]

أي إن المصائب كلها خطبُها هين إلا مصيبة الفراق فإنها شديدة **(وأنشد)** سفيان **(ابن عيينة)** رحمه الله تعالىٰ **(هذا البيت وقال: لقد عهدت أقوامًا فارقتُهم منذ ثلاثين سنة ما يخيَّل لي أن حسرتهم ذهبت من قلبي)** كذا في القوت، وزاد: وقال بعضهم[2]: ما هدَّني شيء ما هدَّنىٰ موت الأقران. ويقال: إذا مات صديق الرجل فقد فُقد عضوٌ من أعضائه.

(ومن الوفاء: أن لا يسمع بلاغات الناس علىٰ صديقه) من كلام يغيِّره عنه **(ولا سيَّما من يُظهِر أولاً أنه محب لصديقه كيلا يُتهم)** في صداقته **(ثم يُلقِي الكلام عرضًا وينقل عن الصديق ما يوغر القلبَ)** ويهيج الغارة **(فذلك من دقائق الحِيَل في التضريب)** والإفساد **(ومن لا يحترز منه لم تَدُمْ مودتُه أصلاً، قال رجل لحكيم: قد جئتُ خاطبًا لمودتك)** ولفظ القوت: ورويناأن حكيمًا جاء إلىٰ حكيم فقال: جئتك خاطبًا إليك مودتك **(قال: إن جعلتَ مهرها ثلاثًا فعلتُ. فقال: ما هن؟ قال: لا تسمع عليَّ بلاغًا، ولا تخالفني في أمر، ولا تواطئني عشوة)** ولفظ القوت: قال: لا تخالفني في أمر، ولا تقبل عليَّ بلاغة، ولا تعطينَّ فيَّ رشوة. فقال: قد فعلتَ. قال: قد آخيتك.

(ومن الوفاء: أن لا يصادق عدوَّ صديقه) أي لا يتخذ عدوَّ صديقه محبًا **(قال**

---

(١) البيت لقيس بن ذريح المعروف بقيس لبنىٰ، وهو في ديوانه ص ٥٩ (ط - دار المعرفة) والشطر الأول فيه هكذا:

وكل ملمات الزمات وجدتها

(٢) هو أبو يوسف القاضي، كما رواه عنه البيهقي في الزهد ص ٢٥٠.

الشافعي رحمه الله تعالىٰ: إذا أطاع صديقُك عدوَّك فقد اشتركا في عداوتك) والذي نقله أبو نعيم والبيهقي(١): إنه من علامات الصديق أن يكون لصديق صديقه صديقًا.

(الحق الثامن: التخفيف) علىٰ الأخ **(وترك التكلُّف والتكليف)** له ومعه. وأصل التكلف أن يُحمل المرء علىٰ أن يكلف بالأمر كلفه بالأشياء التي يدعوه [إليها] طبعُه؛ قاله الحرالي(٢). وقال الراغب(٣): هو اسم لِما يفعله الإنسان بمشقة أو بتصنُّع أو بتشبع. والتكليف: إلزام ما فيه كلفة(٤) **(وذلك بأن لا يكلِّف أخاه ما يشق عليه)** ويتعب فيه **(بل يروِّح سرَّه)** أي باطنه **(عن مهمَّاته وحاجاته، و يرفِّهه عن أن يحمِّله شيئًا من أعبائه)** أي أثقاله **(ولا يستمد منه من جاه ومال)** وغيرهما **(ولا يكلِّفه التواضعَ له)** عند لقائه في المجلس **(و)** لا **(التفقُّد لأحواله والقيام بحقوقه، بل لا يقصد بمحبته)** ومعرفته **(إلا الله)** عَزَّوَجَلَّ **(تبرُّكًا بدعائه)** الصالح **(واستئناسًا بلقائه)** واسترواحًا بمشاهدته **(واستعانة به علىٰ دينه، وتقرُّبا إلىٰ الله تعالىٰ بالقيام بحقوقه)** لا لغرض عاجل **(والتحمل بمؤنته)** من أمور الدنيا **(قال بعضهم: مَن اقتضىٰ من إخوانه ما لا يقتضونه منه فقد ظلمهم، ومن اقتضىٰ منهم مثل ما يقتضونه منه)** وفي نسخة: مثل ما يفعل معهم **(فقد أتعبهم)** وفي نسخة: فقد أنصفهم **(ومن لم يقتضِ)** منهم **(فهو المتفضِّل عليهم)** ولفظ القوت: ومن لم يقتضِهم فقد تفضَّل عليهم.

(و) بمعناه **(قال بعض الحكماء: مَن جعل نفسه عند الإخوان فوق قدْره أثم وأثموا، ومن جعل نفسه في قدره تعب وأتعبهم، ومن جعلها)** عندهم **(دون قدره سَلِم وسلموا)** كذا في القوت، وزاد: فلذلك عزَّز الناس الأخوة في الله عَزَّوَجَلَّ قديمًا؛ لأن هذا حقيقتها، فرُوي في الأخبار: اثنان عزيزان ولا يزيدان إلا عزة: درهم حلال

(١) مناقب الشافعي ٢/ ١٩٦.

(٢) ونقله عنه البقاعي في نظم الدرر ٣/ ٣٣٣.

(٣) المفردات في غريب القرآن ص ٤٣٩.

(٤) هذا تعريف إمام الحرمين في البرهان ص ١٠١.

وأخ تسكن إليه، وقيل: تأنس به. وقال يحيىٰ بن معاذ: ثلاثة عزيزة في وقتنا هذا ... ذكر منها حُسن الإخاء مع الوفاء.

(وتمام التخفيف بطيِّ بساط التكليف حتىٰ لا يستحي منه فيما لا يستحي من نفسه) وفي ذلك يقول الشاعر:

إنما مجلس البساط بساط ... فإذا ما انطوىٰ طوينا بساطه[1]

(وقال) أبو القاسم **(الجنيد)** قُدِّس سره: **(ما تواخَىٰ اثنان في الله)** عَزَّوَجَلَّ **(فاستوحش أحدهما من صاحبه)** أي وجد منه وحشة في نفسه **(أو احتشم إلا لعلة في أحدهما)** ومثله قول بشر الحافي، وقد تقدم.

وفي القوت: وقد كان الإخوان يتسابقون علىٰ العلوم وعلىٰ الأعمال وعلىٰ التلاوة والأذكار، وبهذه المعاني تحسُن الصحبةُ وتحق المحبة، وكانوا يجدون من المزيد من ذلك والنفع به في العاجل والآجل ما لا يجدونه في التخلِّي والانفراد من تحسين الأخلاق وتنقيح العقول ومذاكرة العلوم، وهذا لا يصح إلا لأهله وهم أهل سلامة الصدور والرضا بالميسور، مع وجود الرحمة وفقدِ الحسد وسقوط التكلف ودوام التألُف، فإذا عدمت هذه الخصال ففي وجود أضدادها تقل المباينة.

(و) قد **(قال علي** رَضِوَاللَّهُعَنْهُ**: شر الأصدقاء مَن تكلَّف لك)** وفي القوت: من تُكُلِّف له **(ومن أحوجك إلىٰ مداراته وألجأك إلىٰ الاعتذار)** ولفظ القوت: وقال أيضًا: شر الأصدقاء مَن أحوجك ... الخ، فهما قولان له جمع بينهما المصنف.

وفي تاريخ قزوين[2] للرافعي: قال إبراهيم بن حِمْيَر القزويني: بئس الصديق

---

(١) البيت في إيضاح شواهد الإيضاح لأبي علي القيسي ١/ ٣١٧ (ط - دار الغرب الإسلامي) بلا نسبة، وفيه: مجلس النبيذ، بدل: مجلس البساط. وقبله بيت آخر، وهو:

أحسنت في غنائها الخيَّاطه ... وأصابت من الفؤاد نِياطه

(٢) التدوين في أخبار قزوين ٣/ ٤٣٥.

صديق يحتاج إلىٰ المداراة، أو يلجئك إلىٰ الاعتذار، أو يقول لك: اذكرني في دعائك.

وفي القوت: قال يونس عليه السلام لما زاره إخوانه فقدَّم إليهم خبز شعير وجزَّ لهم من بقل كان زرعه: لولا أن الله سبحانه لعن المتكلفين لتكلَّفت لكم.

(وقال الفضيل) بن عياض رحمه الله تعالىٰ: **(إنما تقاطع الناس بالتكلُّف، يزور أحدهم أخاه فيتكلف له فيقطعه ذلك عنه)** أخرجه أبو نعيم في الحلية وابن أبي الدنيا في كتاب قرىٰ الضيف[1]. ولفظ القوت: فيتكلَّف له ما لا يفعله كل واحد منهما في منزله فيحشمه ذلك من الرجوع إليه.

(وقالت عائشة رضي الله عنها: المؤمن أخو المؤمن لا يغشه ولا يحتشمه) كذا في القوت.

وفي المرفوع من حديث أبي هريرة عند الترمذي[2]: «مَن غشَّنا فليس منا».

وعند[3] ابن النجار من حديث جابر: «المؤمن أخو المؤمن، لا يدع نصيحته علىٰ كل حال».

وقال صاحب القوت: روينا في الانبساط إلىٰ الإخوان شيئًا استطرفتُه، ولو أنه جاء عن إمام ما ذكرتُه، حدثنا الحارث بن محمد عن إبراهيم بن سعيد الجوهري قال: أُهديَ لهشيم فرو كثير الثمن، فقال: اذهب بها إلىٰ سعيد الجوهري فقل له: هذا فرو بعثه هشيم اشترِها له. قال: فذهب بها إليه فاشتراها ثم بعث بها إلىٰ هشيم

---

(١) الذي في قرىٰ الضيف لابن أبي الدنيا ص ٤٥: «حدثني إبراهيم بن سعيد، حدثني عبيد بن جنادة، سمعت المفضل وصىٰ جعفر بن برقان يقول: إنما تقاطع الناس بالتكلف».

ولم أقف علىٰ هذا الأثر في الحلية.

(٢) سنن الترمذي ٢/ ٥٨٢.

(٣) كنز العمال ١/ ١٤٢.

فصارت له ودراهمها.

(وقال) أبو القاسم (**الجنيد**) قُدِّس سره: (**صحبتُ أربع طبقات من هذه الطائفة**) يعني الصوفية (**كل طبقة ثلاثون رجلاً: الحارث**) بن أسد (**المحاسبي وطبقته**) أي أقرانه (**وحسن المسوحي وطبقته**) له ذِكر في الرسالة (و) أبو الحسن (**سري السَّقَطي وطبقته**) وهو خال الجنيد (**وابن الكريبي وطبقته**) له ذِكر في الرسالة، وترجمه الخطيب في التاريخ (**فما تواخَىٰ اثنان في الله فاحتشم أحدهما من صاحبه أو استوحش إلا لعلة في أحدهما**) وهذا القول تقدم مختصرًا قريبًا، وأورده صاحب القوت.

(**وقيل لبعضهم: مَن تصحب**) من الناس؟ (**قال: من يرفع عنك ثقل التكلُّف ويُسقِط بينك وبينه مؤنة التحفُّظ**) أي التحرُّز. كذا في القوت.

(و) قد (**كان جعفر بن محمد**) بن علي بن الحسين ﷺ (**يقول: أثقلُ إخواني عليَّ من يتكلَّف لي وأتحفَّظ منه، وأخفُّهم علىٰ قلبي من أكون معه كما أكون وحدي**) كذا في القوت، قال: ويريدون بهذا كله أن مَن لم يكن علىٰ هذه الأوصاف دخل عليه التصنُّع والتزيُّن فأخرجاه إلىٰ الرياء والتكلُّف فذهبت بركة الصحبة، وبطلت منفعة الأخوة.

(**وقال بعض الصوفية: لا تعاشر من الناس إلا مَن لا تزيد عنده ببِر ولا تنقص عنده بإثم، يكون ذلك لك وعليك وأنت عنده**) في الحالين (**سواء**) كذا في القوت (**وإنما قال هذا لأن به يتخلَّص عن التكلُّف والتحفُّظ، وإلا فالطبع يحمله علىٰ أن يتحفَّظ منه إذا علم أن ذلك ينقصه عنده.**)

وقال بعضهم: كن مع أبناء الدنيا بالأدب) لأنهم أهل الظاهر، فيعاشَرون بالأدب الظاهر (**ومع أبناء الآخرة بالعلم**) المراد به معرفة الفقه الباطن، ومن جملته حفظُ الخواطر الرديئة (**ومع العارفين**) بالله عز وجل (**كيف شئتَ**) كذا في القوت.

(وقال آخر: لا تصحب إلا من يتوب عنك إذا أذنبت، ويعتذر لك) وفي نسخة: إليك (إذا أسأت، ويحمل عنك مؤنة نفسك، ويكفيك مؤنة نفسه) كذا في القوت. قال: وهذا من أعز الأوصاف في هذا الوقت. وحاول المصنف الردَّ عليه فقال: (وقائل هذا قد ضيَّق طريقَ الأخوة علىٰ الناس، وليس الأمر كذلك، بل ينبغي أن يؤاخي) الإنسان (كل متديِّن عاقل، ويعزم علىٰ أن يقوم بهذه الشروط، ولا يكلف غيرَه هذه الشروط حتىٰ تكثُر إخوانُه) في الله تعالىٰ (إذ به يكون مؤاخيًا في الله) عَزَّوَجَلَّ (وإلا كانت مؤاخاته لحظوظ نفسه فقط، ولذلك قال رجل) ولفظ القوت: كما قاله بعض الناس (للجنيد: قد عزَّ الإخوانُ في هذا الزمان، أين أخ لي في الله؟ فأعرض الجنيد حتىٰ أعاده ثلاثًا) ولفظ القوت: قد عزَّ في هذا الوقت أخ في الله. قال: فسكت الجنيد عنه، فأعاد ذلك، فتغافل عنه (فلما أكثر قال له الجنيد: إن أردتَ أخًا) في الله تعالىٰ (يكفيك مؤنتك ويتحمَّل أذاك فهو) ولفظ القوت: فهذا (لعمري قليل، وإن أردت أخًا في الله) تعالىٰ (تحمل) أنت (مؤنته وتصبر علىٰ أذاه فعندي جماعة أعرفهم لك) وفي بعض نسخ القوت: أدلُّك عليهم إن أحببتَ. قال: (فسكت الرجل) كذا في القوت، قال: وهذا لعَمري يكون محبًّا لنفسه إذا اقتضىٰ من أخيه هذا لا محبًّا [لأخ] في الله عَزَّوَجَلَّ، وقد قيل: ليس الإخاء في الله كف الأذىٰ [لأن] هذا واجب، وإنما الإخاء الصبر علىٰ الأذىٰ.

(واعلم أن الناس ثلاثة: رجل تنتفع بصحبته، ورجل تقدر علىٰ أن تنفعه ولا تتضرَّر به ولكن لا تنتفع به، ورجل لا تقدر أيضًا علىٰ أن تنفعه وتتضرَّر به وهو الأحمق) أي الناقص العقل (والسيئ الخُلق، فهذا الثالث ينبغي أن يُجتنَب) اصطحابه، وقد تقدَّم ما يتعلق به (فأما الثاني) الذي لا تتضرَّر به ولا تنتفع (فلا يُجتنَب؛ لأنه يُنتفَع في الآخرة بشفاعته، و) في الدنيا (بدعائه وبثوابك علىٰ القيام به) ومن ذلك قال بشر الحافي: لا تخالط من الناس إلا حسن الخُلق فإنه لا يأتي

إلا بخير، ولا تخالط سيئ الخُلق فإنه لا يأتي إلا بشرٍّ[١] **(وقد أوحىٰ الله)** عَزَّوَجَلَّ **(إلىٰ موسىٰ** عَلَيْهِ السَّلَامُ: **إن أطعتني فما أكثر إخوانك. أي إن واسيتَهم)** بالفضل **(واحتملت منهم)** الإساءة **(ولم تحسدهم)** لا في دين ولا في دنيا. ولفظ القوت: وفي أخبار موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ فيما أوحىٰ الله عَزَّوَجَلَّ إليه: إن أطعتني فما أكثر إخوانك من المؤمنين. المعنىٰ: إن واسيت الناس وأشفقت عليهم وسَلِم قلبُك لهم ولم تحسدهم كثُر إخوانُك.

(وقال بعضهم[٢]: صحبتُ الناس خمسين سنة، فما وقع بيني وبينهم خلاف) أي مخالفة فيما يقتضي حقوق الصحبة **(لأني كنت معهم)** حاكمًا **(علىٰ نفسي)** كذا في القوت **(ومن كانت هذه سِمَتَه)** أي علامته ووصفه **(كثُر إخوانُه)** لا محالة ودامت ألفتُهم.

(ومن) جملة **(التخفيف وترك التكليف: أن لا تعترضه في نوافل العبادات)** الظاهرة **(لأن طائفة من الصوفية كانوا يصطحبون علىٰ شروط المواساة، وهي أربعة معانٍ)** ولفظ القوت: وكانت هذه الطائفة من الصوفية لا يصطحبون إلا علىٰ استواء أربعة معانٍ لا يترجَّح بعضُها علىٰ بعض، ولا يكون فيها اعتراض من بعض **(إن أكل صاحبهم)** ولفظ القوت: أحدهم **(النهار كله لم يقل له صاحبه: صم، وإن صام الدهر كله لم يقل له: أفطرْ، وإن نام الليل كله لم يقل له: قم، وإن صلىٰ الليل كلَّه لم يقل له: نَمْ، وتستوي حالاته)** وفي نسخة: الحالات **(عنده، فلا مزيد)**

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان ١٠/ ٣٩٤ من طريق بشر بن الحارث عن الفضيل بن عياض. ورواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٨/ ٩٦ عن الفضيل بلفظ: «إذا خالطت فخالط حسن الخلق فإنه لا يدعو إلا إلىٰ خير وصاحبه منه في راحة، ولا تخالط سيئ الخلق فإنه لا يدعو إلا إلىٰ شر وصاحبه منه في عناء».

(٢) هو أبو سعيد الخراز، وقد رواه عنه القشيري في الرسالة ص ٩٣، ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٥/ ١٣ بلفظ: «صحبت الصوفية ما صحبت فما وقع بيني وبينهم خلف. قالوا: ولم؟ قال: لأني كنت معهم علىٰ نفسي».

لأجل صيامه وقيامه **(ولا نقصان)** لأجل إفطاره ونومه، فإذا كان عنده يزيد بالعمل وينقص بترك العمل فالفُرقة أسلم للدين وأبعد من الرياء **(لأن ذلك إن تفاوت حرك الطبع إلىٰ الرياء والتحفُّظ لا محالة)** من قِبَل أن النفس مجبولة علىٰ حب المدح وكراهة الذم، ومبتلاة بأن ترتب حالها التي عُرفت به، وأن تُظهِر أحسن ما يحسُن عند الناس منها، فإذا صحب مَن يعمل معه هذا فليس ذلك بطريق الصادقين ولا بغية المخلصين، فمجانبة هؤلاء الناس أصلح للقلب وأخلص للعمل، وفي معاشرتهم وصحبة أمثالهم فساد القلوب ونقصان الحال؛ لأن هذه أسباب الرياء، وفي الرياء حَبْطُ الأعمال وخسران رأس المال والسقوط من عين ذي الجلال، نعوذ بالله سبحانه من ذلك **(وقد قيل: من سقطت كلفته دامت)** صحبته و**(ألفته، ومن خفَّت مؤنته دامت مودته)** كذا في القوت، إلا أنه قال: ومن قلَّت، بدل: من خفَّت.

(وقال بعض الصحابة: إن الله) عَزَّوَجَلَّ **(لعن المتكلِّفين)** هو من قول سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال لمن استضاف عنده: لولا أنَّا نُهينا عن التكلُّف لتكلَّفت لكم[1]. وقد رُوي ذلك مرفوعًا كما عند أحمد والطبراني وأبي نعيم في الحلية، ولكن الصحيح أنه موقوف؛ قاله الحافظ ابن حجر. وقد تقدم هذا من قول يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ لما زاره إخوانه وقدَّم إليهم خبز شعير وجزَّ لهم بقلاً كان زرعه وقال: لولا أن الله تعالىٰ لعن المتكلِّفين لتكلَّفت لكم.

(وقال ﷺ: أنا والأتقياء من أمَّتي برآء من التكلف) وفي نسخة: أبرياء. جمع بريء، كنصيب وأنصِباء وكريم وكُرَماء. هكذا هو في القوت.

قال العراقي[2]: رواه الدارقطني في الأفراد من حديث الزبير بن العوام: «ألا إني بريء من التكلف وصالحو أمَّتي»[3]، وإسناده ضعيف.

---

(١) تقدم هذا الأثر في آخر الباب الثالث من كتاب آداب الأكل.

(٢) المغني ١/ ٤٨٢.

(٣) ورواه أيضا أبو طاهر المخلص في المخلصيات ٣/ ٢٠٢. ورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق=

قلت: ونقل الحافظ السخاوي[١] عن النووي[٢] أنه قال: ليس بثابت. يعني بلفظ المصنف، ويُروَىٰ من قول عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: نُهينا عن التكلُّف. أخرجه البخاري[٣] من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(**وقال بعضهم: إذا عمل الرجل في بيت أخيه أربع خصال فقد تم أنسُه به: إذا أكل عنده، ودخل الخلاء، ونام، وصلىٰ**) ووقع هذا في نسخة العراقي مرفوعًا إلىٰ النبي ﷺ فقال[٤]: لم أجد له أصلاً. وأنت خبير بأنه من قول بعض الصوفية، وهكذا هو في القوت أيضًا، فتنبَّهْ لذلك (**فذُكر ذلك لبعض المشايخ**) ولفظ القوت: فذكرت هذه الحكاية لبعض أشياخنا (**فقال**): صدق (**بقيت**) خصلة (**خامسة**) قلت: ما هي؟ قال: وجامَعَ، فإذا فعل هذا فقد تم أنسُه به (**وهو أن يحضر مع الأهل في بيت أخيه ويجامعها؛ لأن البيت يُتخذ للاستخفاء في هذه الأمور الخمس**) ولفظ القوت: لأن هذه الخمس لأجلها تُتخذ البيوت ويقع الاستخفاء لِما فيها من التبذُّل وكشف العورة (**وإلا فالمساجد أروح لقلوب المتعبِّدين**) ولفظ القوت: ولولاها كانت بيوت الله أروَحُ وأطيب، ففي الأنس بالأخ وارتفاع الحشمة من هذه الخمس مثال حال الأنس في الوحدة بالنفس من غير عيب من عائب ولا ضد لكن من اتفاق جنس، وهذا لعَمري نهاية الأنس (**فإذا فعل هذه الخمس فقد تم الإخاء وارتفعت**

= ٣٥/ ٢٧٨، ولكن وقع عنده: الزبير بن أبي هالة، ونقل عن أبي حاتم الرازي قوله: وهو ابن خديجة زوج النبي ﷺ. ولفظه: «اللهم إنك باركت لأمتي في أصحابي، فبارك لأصحابي في أبي بكر ولا تسلبهم البركة واجمعهم عليه فإنه لم يزل يؤثر أمرك علىٰ أمره، اللهم وأعز عمر بن الخطاب، وصبر عثمان بن عفان، ووفق علي بن أبي طالب، وثبت الزبير، واغفر لطلحة، وسلم سعدا، ووفق عبد الرحمن بن عوف، وألحق بي السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان الذين يدعون لي ولأموات أمتي ولا يتكلفون، ألا وإني بريء من التكلف وصالح أمتي».

(١) المقاصد الحسنة ص ٩٨ - ٩٩.

(٢) فتاوىٰ النووي ص ١٤٦ (ط - الأزهر).

(٣) صحيح البخاري ٤/ ٣٦٢.

(٤) المغني ١/ ٤٨٢.

الحشمة وتأكد الانبساط. وقول العرب في تسليمهم يشير إلىٰ ذلك) ولفظ القوت: وأما الخامسة وهو قول شيخنا «وجامع» فعلىٰ ذلك يصلُح أن يُستدل له بقول العرب في تسليمهم وترحيبهم **(إذ يقول أحدهم لصاحبه: مرحبًا وأهلاً وسهلاً، أي لك عندنا مَرحب وهو السعة في القلب والمكان)** فهو مصدر ميميٌّ بمعنىٰ الرحب **(ولك عندنا أهل تأنس بهم بلا وحشة لك منا، ولك عندنا سهولة في ذلك كلِّه، أي)** يسهل و**(لا يشتد علينا شيء مما تريد)** فهو سهولة اللقاء، وسهولته في الأخلاق من الالتقاء **(ولا يتم التخفيف وتركُ التكلُّف إلا بأن يرىٰ نفسه دون إخوانه)** في القدْر والمقام **(ويُحسِن الظنَّ بهم)** في كل حال **(ويسيء الظن بنفسه)** ويتَّهمها **(فإذا رآهم خيرًا من نفسه فعند ذلك يكون هو خيرًا منهم)** ومن هنا قولهم: سيد القوم خادمهم. فلا تتم السيادةُ إلا باطراح النفس وتركِ الترفُّع علىٰ الإخوان **(قال أبو معاوية الأسود)** هو من رجال الحلية، قال أبو نعيم في ترجمته[1]: حدثنا أبو محمد ابن حيَّان، ثنا إبراهيم ابن محمد بن الحسن، ثنا محمد بن إسحاق، ثنا أحمد بن أبي الحواري قال: سمعت أحمد بن وديع يقول: سمعت أبا معاوية الأسود يقول: **(إخواني كلهم خير مني. قيل)** له: **(وكيف ذاك)** يا أبا معاوية؟ **(قال: كلهم يرىٰ لي الفضلَ عليه، ومن فضَّلني علىٰ نفسه فهو خير مني.**

وقد قال ﷺ: المرء علىٰ دين خليله، ولا خير في صحبة من لا يرىٰ لك مثل ما ترىٰ له) قال العراقي[2]: تقدم الشطر الأول منه في الباب قبله، وأما الشطر الثاني فرواه ابن عدي في الكامل[3] من حديث أنس بسند ضعيف.

قلت: أما[4] الشطر الأول الذي مضىٰ فهو «المرء علىٰ دين خليله، فلينظر

---

(١) حلية الأولياء ٨/ ٢٧٢.

(٢) المغني ١/ ٤٨٢.

(٣) الكامل في الضعفاء ٣/ ١٠٩٩.

(٤) المقاصد الحسنة ص ٣٧٨.

أحدكم من يخالل»، وتقدم الكلام عليه. وأما الشطر الثاني فقد رواه أيضًا العسكري في الأمثال من طريق سليمان بن عمرو النخعي عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس مرفوعًا، ولفظه: «المرء علىٰ دين خليله، ولا خير في صحبة من لا يرىٰ لك من الخير مثل الذي ترىٰ له». ورُوي أيضًا من حديث ليث عن مجاهد قال: كانوا يقولون: لا خير لك في صحبة من لا يرىٰ لك من الحق مثل ما ترىٰ له. ولأبي نعيم في الحلية[1] عن سهل بن سعد رفعه: «لا تصحبنَّ أحدًا لا يرىٰ لك من الفضل كما ترىٰ له». ورواه ابن حبان في روضة العقلاء[2] لكن بلفظ مجاهد. وشاهدُه ما ثبت في الأمر بأن يحب لأخيه ما يحبه لنفسه، وقال الشاعر:

إن الكريم الذي تبقىٰ مودتُه ... يرىٰ لك الفضل إن صافَىٰ وإن صرما
ليس الكريم الذي إن زلَّ صاحبه ... أفشىٰ وقال عليه كلَّ ما كتما[3]

وأنشد العسكري لأبي العباس الدغولي:

إذا كنت تأتي المرء تعرف حقه ... ويجهل منك الحق فالصرم أوسعُ
ففي الناس أبدال وفي الأرض مَذهب ... وفي الناس عمَّن لا يواتيك مَقنعُ
وإنَّ امرأً يرضىٰ الهوان لنفسه ... حقيقٌ بجدع الأنف والجدع أشنعُ[4]

---

(١) حلية الأولياء ١٠/ ٢٥.

(٢) روضة العقلاء ص ١٠٣.

(٣) البيتان في الوافي بالوفيات ١٠/ ١٥٢ ومعجم الأدباء ٢/ ٧٥٧ منسوبان لأبي بكر بن عياش بن سالم الكوفي الأسدي الحناط. وفي تاريخ بغداد للخطيب ٦/ ٣٧٣ بسنده إلىٰ القاضي أحمد بن محمود بن زكريا بن خرزاذ الأهوازي قال: أنشدني عمر بن عيسىٰ التيمي ... فذكر البيتين. ويوجد اختلاف في ألفاظ البيتين في هذه المصادر.

(٤) البيت الأول والثاني في عيون الأخبار ٣/ ٢٥ بلا نسبة برواية:

إذا كنت تأتي المرء تعرف حقه ... ويجهل منك الحق فالترك أجمل
وفي العيش منجاة وفي الهجر راحة ... وفي الأرض عمن لا يواتيك مرحل

(فهذه أقل الدرجات وهو النظر بعين المساواة والكمال في رؤية الفضل للأخ) وهو مقام عامة المؤمنين، وفوقه مقام أفضل منه وهو أن لا يرىٰ لنفسه فضلاً أصلاً، وهو مقام الصادقين **(ولذلك قال سفيان)** الثوري رحمه الله تعالىٰ: **(إذا قيل لك: يا شر الناس، فغضبت)** لذلك **(فأنت شر الناس)** كذا في القوت. إذ فيه رؤية الخيرية في نفسه واتباع هوىٰ الشيطان في التغضب **(أي ينبغي أن تكون معتقدًا في نفسك ذلك أبدًا. وسيأتي وجه ذلك في كتاب الكِبر والعُجب)** في ربع المهلكات إن شاء الله تعالىٰ.

(وقد قيل في معنىٰ التواضع ورؤية الفضل للإخوان:

تذلَّلْ لمن إن تذلَّلتَ له ... يرىٰ ذاك للفضل لا للبله

وجانِبْ صداقةَ من لا يزال ... علىٰ الأصدقاء يرىٰ الفضل له)[1]

هكذا أورده صاحب القوت وصاحب العوارف لمحمد بن جامع الفقيه.

(وقال آخر) من الأدباء:

= وفي العقد الفريد لابن عبد ربه ١/ ٧١: «قال أبو بشير: حجبني بعض كتاب العسكر، فكتبت إليه: إن من لم يرفعه الإذن لم يضعه الحجاب، وأنا أرفعك عن هذه المنزلة، وأرغب بك عن هذه الخليقة، وكل من قام في منزلك عظم قدره أو صغر وحاول حجاب الخليفة أمكنه، فتأمل هذه الحال وانظر إليها بعين الفهم ترها في أقبح صورة وأدنىٰ منزلة، وقد قلت في ذلك:

إذا كنت تأتي المرء تعظم حقّه ... ويجهل منك الحق فالهجر أوسع

وفي الناس أبدال وفي الهجر راحة ... وفي النّاس عمن لا يواتيك مقنع

وإن امرءا يرضىٰ الهوان لنفسه ... حري بجدع الأنف والأنف أشنع

* قال محققه: أبو بشير هو رازم مولىٰ خالد القسري.

(١) البيتان لأبي عبد الله سليمان - أو سلمان - بن أبي طالب الحلواني المعروف بابن الفتي المتوفى سنة ٤٩٤ هـ. كذا نسبهما إليه الصفدي في الوافي بالوفيات ١٥/ ١٩٤. وياقوت في معجم الأدباء ٣/ ١٣٩١. وابن الأنباري في نزهة الألباء في طبقات الأدباء ص ٢٦٩ (ط - مكتبة المنار بالأردن). ونسبهما الراغب في محاضرات الأدباء ٢/ ١٧ لجحظة البرمكي.

(كم صديقًا عرفتُه بصديق صار أحظىٰ من الصديق العتيق
ورفيق رأيتُه في طريق صار عندي هو الصديق الحقيقي)[1]

هكذا في القوت، إلا أن المِصراع الأخير عنده:

صار عندي محض الصديق الحقيقي

ومهما رأىٰ الفضل لنفسه فقد احتقر أخاه، وهذا في عموم المسلمين مذموم، قال ﷺ: بحسب المؤمن من الشر أن يحقر أخاه المسلم) قال العراقي[2]: رواه مسلم من حديث أبي هريرة، وتقدم في أثناء حديث «لا تدابروا» في هذا الباب.

(ومن تتمَّة الانبساط وترْكِ التكلف أن يشاور إخوانه في كل ما يقصده) من الأمور المتعلقة به **(ويقبل إشارتهم)** إذا أشاروا عليه بشيء ما لم يكن مضرًّا في الدين **(فقد قال تعالىٰ)** في كتابه العزيز مخاطبًا لحبيبه ﷺ (﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾) [آل عمران: ١٥٩] يعني أصحابك **(ولا ينبغي أن يخفي عنهم شيئًا من أسراره)** الباطنة **(كما رُوي عن يعقوب ابن أخي)** أبي محفوظ **(معروف)** بن فيروز الكرخي قُدِّس سره **(قال: جاء أسود بن سالم إلىٰ عمي معروف)** الكرخي **(وكان مؤاخيًا له، فقال: إن)** أبا نصر **(بشر بن الحارث)** الحافي قُدِّس سره **(يحب مؤاخاتك، وهو يستحي أن يشافهك بذلك، وقد أرسلني إليك يسألك أن تعقد له فيما بينك وبينه أخوة يحتسبها ويعتدُّ بها، إلا أنه يشترط فيها شروطًا: لا يحب أن يشتهر بذلك، وأن لا تكون بينك وبينه مزاورة ولا ملاقاة، فإنه يكره كثرة الالتقاء. فقال معروف)** قُدِّس سره: **(أما أنا إذا أحببت أحدًا لم أحب مفارقته ليلاً ولا نهارًا، ولزرته في كل وقت،**

---

(١) البيتان للبحتري [الوليد بن عبيد الطائي] وهما في ديوانه ٣/ ١٥٥٠ (ط - دار المعارف) ولكن الشطر الثاني من البيت الثاني فيه هكذا:

صار بعد الطريق خير رفيق

(٢) المغني ١/ ٤٨٢.

ولآثرته على نفسي) وفي بعض نسخ القوت: أما أنا لو أحببته لم أحب أن أفارقه ليلاً ولا نهارًا، ولأزورنَّه في كل وقت، ولأؤثرنَّه على نفسي **(في كل حال. ثم ذكر من فضل الأخوة والحب في الله أحاديث كثيرة ثم قال فيها: وقد آخَى رسولُ الله ﷺ عليًّا)** رضي الله عنه **(فشاركه في العلم)** قال العراقي[1]: رواه النسائي في الخصائص من سننه الكبرى[2] من حديث علي قال: جمع رسول الله ﷺ بني عبد المطلب ... الحديث، وفيه: «فأيُّكم يبايعني على أن يكون أخي وصاحبي ووارثي»؟ فلم يقُم إليه أحدٌ، فقمت إليه. وفيه: حتى إذا كان في الثالثة ضرب بيده على يدي». وله[3] وللحاكم[4] من حديث ابن عباس: أن عليًّا كان يقول في حياة رسول الله ﷺ: واللهِ إني لأخوه ووليُّه ووارث علمه ... الحديث. وكل ما ورد في أخوة عليٍّ فضعيف لا يصح منه شيء. وللترمذي[5] من حديث ابن عمر: «أنت أخي في الدنيا والآخرة». وللحاكم[6] من حديث ابن عباس: «أنا مدينة العلم، وعليٌّ بابها» وقال:

---

(١) السابق ١/ ٤٨٢ - ٤٨٣.

(٢) السنن الكبرى ٧/ ٤٣١ - ٤٣٢، ولفظه: «عن ربيعة بن ناجد أن رجلا قال لعلي: يا أمير المؤمنين، لِم ورثت ابن عمك دون عمك؟ قال: جمع رسول الله ﷺ بني عبد المطلب، فصنع لهم مدا من طعام، فأكلوا حتى شبعوا، وبقي الطعام كما هو كأنه لم يمس، ثم دعا بغمر فشربوا حتى رووا وبقي الشراب كأنه لم يمس أو لم يشرب، فقال: يا بني عبد المطلب، إني بُعثت إليكم بخاصة، وإلى الناس بعامة، وقد رأيتم من هذه الآية ما قد رأيتم، فأيكم يبايعني على أن يكون أخي وصاحبي ووارثي؟ فلم يقم إليه أحد، فقمت إليه، وكنت أصغر القوم، فقال: اجلس. ثم قال ثلاث مرات، كل ذلك أقوم إليه فيقول: اجلس. حتى إذا كان في الثالثة ضرب بيده على يدي، فبذلك ورثت ابن عمي دون عمي».

(٣) السابق ٧/ ٤٣١.

(٤) المستدرك على الصحيحين ٣/ ١٤٦ - ١٤٧.

(٥) سنن الترمذي ٦/ ٨٤ وقال: حسن غريب.

(٦) المستدرك على الصحيحين ٣/ ١٤٨.

صحيح الإسناد. وقال ابن حبان[١]: لا أصل له. وقال ابن طاهر[٢]: إنه موضوع. وللترمذي[٣] من حديث علي: «أنا دار الحكمة، وعليٌّ بابها» وقال: غريب.

قلت: أما حديث «أنا دار الحكمة ...» الخ فأخرجه أيضًا أبو نعيم في الحلية[٤] من طريق سلمة بن كهيل عن الصنابحي عن علي مرفوعًا. قال: ورواه الأصبغ ابن نباتة والحارث عن علي نحوه، ورواه مجاهد عن ابن عباس عن النبي ﷺ مثله.

وأما[٥] حديث «أنا مدينة العلم» فرواه الحاكم في المناقب من مستدركه والطبراني في الكبير[٦] وأبو الشيخ ابن حيان في السنة له وغيرهم، كلهم من طريق أبي معاوية الضرير عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس رفعه بزيادة: «فمن أتىٰ العلم فليأتِ الباب» وقال: صحيح الإسناد. وأورده ابن الجوزي في الموضوعات[٧]، ووافقه الذهبي[٨] وغيره علىٰ ذلك، وأشار إلىٰ هذا ابن دقيق العيد بقوله: هذا الحديث لم يثبتوه، وقيل إنه باطل. وهو مُشعِر بتوقُّفه فيما ذهبوا إليه من الحكم بكونه كذبًا، بل صرَّح العلائي[٩] بالتوقُّف في الحكم عليه بذلك فقال: وعندي فيه نظرٌ. ثم بيَّن ما يشهد لكون أبي معاوية راوي حديث ابن عباس حدَّث

---

(١) المجروحون من المحدثين ٢/ ١٣٦.

(٢) تذكرة الموضوعات ص ٣٣. قال: «فيه أبو الصلت عبد السلام الهروي وعثمان بن خالد وإسماعيل ابن محمد بن يوسف، وكلهم كذبة».

(٣) سنن الترمذي ٦/ ٨٦ وقال: «هذا حديث غريب منكر، ولا نعرف هذا الحديث عن أحد من الثقات غير شريك».

(٤) حلية الأولياء ١/ ٦٤.

(٥) المقاصد الحسنة ص ٩٧.

(٦) المعجم الكبير ١١/ ٦٦.

(٧) الموضوعات ١/ ٣٥٠ - ٣٥٢.

(٨) ميزان الاعتدال ١/ ٤١٥.

(٩) النقد الصحيح لما اعترض من أحاديث المصابيح لخليل بن كيكلدي العلائي ص ٥٢ - ٥٥.

به، فزال المحذور ممن هو دونه. قال: وأبو معاوية ثقة حافظ محتج بأفراده كابن عيينة وغيره، فمَن حكم على الحديث مع ذلك بالكذب فقد أخطأ.

(وقاسمه في البُدْن) بضم فسكون جمع بدنة. وقد[1] رواه مسلم[2] في حديث جابر الطويل: ثم أعطىٰ عليًا فنحر ما غبر وأشركه في هديه ... الحديث.

(وأنكحه أفضل بناته وأحبهن إليه وخصَّه بذلك لمؤاخاته) روىٰ الشيخان[3] من حديث علي: لما أردت أن أبتني بفاطمة بنت النبي ﷺ واعدت رجلاً صوَّاغًا ... الحديث. وروىٰ الحاكم[4] من حديث أم أيمن: زوَّج رسولُ الله ﷺ ابنته فاطمة عليًّا ... الحديث، وقال: صحيح الإسناد. وفي الصحيحين[5] من حديث عائشة عن فاطمة: «يا فاطمة، أما ترضينَ أن تكوني سيدة نساء المؤمنين ... الحديث[6]. وللحاكم[7] من حديث عائشة: «يا فاطمة، أما ترضينَ أن تكوني سيدة نساء العالمين، وسيدة نساء المؤمنين، وسيدة نساء هذه الأمَّة»؟ وللبخاري[8] من حديث المِسْوَر بن مَخرمة: «فاطمة بِضعة مني، فمن أغضبها أغضبني». وعند أحمد[9] والطبراني[10]: «يقبضني ما يقبضها، ويبسطني ما يبسطها».

(وأنا أُشهِدك أني قد عقدت له إخوة بيني وبينه، وعقدت إخاءه في الله تعالىٰ)

---

(١) المغني للعراقي ص ٤٨٣.

(٢) صحيح مسلم ١/ ٥٥٨.

(٣) صحيح البخاري ٢/ ٨٥، ٣٨٥، ٣/ ٩٢. صحيح مسلم ٢/ ٩٥٣.

(٤) المستدرك على الصحيحين ٣/ ١٨٥.

(٥) صحيح البخاري ٢/ ٥٣٥، ٤/ ١٤٩. صحيح مسلم ٢/ ١١٤٦ - ١١٤٧.

(٦) إلىٰ هنا نقله الزبيدي عن المغني للعراقي ١/ ٤٨٣.

(٧) المستدرك على الصحيحين ٣/ ١٨٤.

(٨) صحيح البخاري ٣/ ٢٥، ٣٥.

(٩) مسند أحمد ٣١/ ٢٠٧.

(١٠) المعجم الكبير ٢٠/ ٢٦.

ولفظ القوت: واعتقدت إخاءه في الله عَزَّوَجَلَّ **(لرسالتك ولمسألته علىٰ أن لا يزورني إن كره ذلك، ولكني أزوره متىٰ أحببتُ، ومُرْه أن يلقاني في مواضع تلتقي فيها، ومُرْه أن لا يخفي عليَّ شيئًا من شأنه، وأن يطلعني علىٰ جميع أحواله)** قال: **(فأخبر ابن سالم بشرًا بذلك فرضي وسُرَّ به)** قال صاحب القوت: وهذا أسود بن سالم أحد عقلاء الناس وفضلائهم، وكان فيه اتساع للناس وصبرٌ عليهم، وهو الذي أشار به معروف علىٰ الرجل الذي سأله مستشيرًا فقال: يا أبا محفوظ، هذان الرجلان إماما هذا البلد، أشِرْ عليَّ أيَّهما أصحب، فإني أريد أن أتادَّب به إما أحمد بن حنبل وإما بشر بن الحارث. فقال معروف رحمه الله تعالىٰ: لا تصحب واحدًا منهما أبدًا، فإن أحمد صاحب حديث كثير، وهو كثير الاشتغال بالناس، فإن صحبتَه ذهب ما تجد في نفسك من حلاوة الذكر وحب الخلوة والعبادة، وأما بشر فإنه لا يتفرغ لك ولا يُقبِل عليك شغلاً منه بحاله، ولكن اصحب أسود بن سالم فإنه يصلُح لك ويُقبِل عليك. ففعل الرجل ذلك فانتفع به. وإنما ضمَّه إلىٰ أسود لأنه أشبه بحاله(١)، وكذلك روينا في حديث المؤاخاة الذي آخَىٰ فيه رسولُ الله ﷺ [بين أصحابه] فآخىٰ بين كل اثنين شكلين في العلم والحال، آخىٰ بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وبين عثمان وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما وهما نظيران، وآخىٰ بين سلمان وأبي الدرداء رضي الله عنهما وهما شكلان في العلم والزهد، وآخىٰ بين عمَّار وسعد وكانا نظيرين، وآخىٰ بينه وبين علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهذا من أعلىٰ فضائل علي كرَّم الله وجهه؛ لأن علمه من علمه، وحاله من وصفه، ثم آخَىٰ بين الغني والفقير ليعتدلا في الحال، وليعود الغني علىٰ أخيه الفقير بالمال.

(فهذا جامع حقوق الصحبة، وقد أجملناه مرة وفصَّلناه أخرىٰ، ولا يتم ذلك إلا بأن تكون علىٰ نفسك للإخوان، ولا تكون لنفسك عليهم) وهذا قد تقدم قريبًا عند ذكر قول بعضهم: صحبت الناس خمسين سنة، فما وقع بيني وبينهم

---

(١) في القوت: «وإنما ضمه معروف إلىٰ أسود دونهما لأنه كان أليق بحاله وأشبه بوصفه».

خلافٌ؛ لأني كنت معهم على نفسي (**وأن تنزل نفسَك عندهم منزلة الخادم لهم فتقيِّد بحقوقهم جميعَ جوارحك**) الظاهرة (**أما النظر فبأن تنظر إليهم نظرة مودة**) وكمال (**يعرفونها منك**) فقد أخرج الحكيم[1] من حديث ابن عمر: «مَن نظر إلىٰ أخيه نظر ودٍّ غفر الله له» (و) أن (**تنظر إلىٰ محاسنهم**) وشمائلهم الحسنة (**وتتعامَىٰ عن عيوبهم**) وتتغاضَىٰ عنها (**ولا تصرف بصرك عنهم في وقت إقبالهم عليك**) **بحُسن التوجُّه** (**وكلامهم معك**) ففيه جبرٌ لخواطرهم (**رُوي**) في الخبر (**أنه كان ﷺ يعطي كلَّ من جلس إليه نصيبه من وجهه، وما استصغاه أحد إلا ظن أنه أكرمُ الناس عليه، حتىٰ كان مجلسه في سمعه وحديثه ولطيف مسألته وتوجُّه الجالس إليه، وكان مجلسه مجلس حياء وتواضع وأمانة**) قال العراقي[2]: رواه الترمذي في الشمائل[3] من حديث علي في أثناء حديث فيه: يعطي كل جلسائه نصيبهم، لا يحسب جليسُه أن أحدًا أكرم عليه ممَّن جالسه، ومن سأله حاجة لم يردَّه إلا بها أو بميسور من القول. ثم قال: مجلسه مجلس حِلم وحياء وصبر وأمانة.

(**وكان ﷺ أكثر الناس تبسُّمًا وضحكًا إلىٰ وجوه أصحابه وتعجُّبًا مما يتحدَّثون به، وكان ضحكُ أصحابه عنده التبسُّم اقتداءً منهم بفعله وتوقيرًا له ﷺ**) وفي حديث علي المتقدم ذكره عند الترمذي: يضحك مما يضحكون، ويتعجب مما يتعجَّبون منه[4]. وللترمذي[5] من حديث عبد الله بن الحارث بن جزء: ما رأيت أحدًا أكثر تبسُّما من رسول الله ﷺ. وقال: غريب.

(**وأما السمع فبأن تسمع كلامهم**) مصغيًا إليه (**متلذذًا بسماعه**) كأنَّك لم

---

(١) نوادر الأصول ص ٥٤٥.

(٢) المغني ١/ ٤٨٤.

(٣) الشمائل المحمدية ص ١٦٢.

(٤) هذه العبارة رواها الترمذي في الشمائل ص ١٧٠ ضمن حديث آخر.

(٥) سنن الترمذي ٦/ ٣٠.

تسمعه إلا في ذلك الوقت (**ومصدِّقًا به، ومُظهِرًا للاستبشار به**) والفرح بسماعه (**ولا تقطع حديثهم عليهم بمُرادَّة**) أصله: مرادِدة، مفاعلة من الرد (**ولا منازعة**) فيما يقولونه (**ولا مداخلة واعتراض**) بأن يُدخِل في كلامهم كلامَ غيرهم فيكون كالجملة المعترضة أو يُعرِض عنهم (**فإن أرهقك**) أي أعجلك (**عارضٌ اعتذرت إليهم**) بحسن ترجية (و) أن (**تحرس سمعك عن سماع ما يكرهون**.

وأما اللسان فقد ذكرنا حقوقه، فإن القول فيه يطول.

ومن ذلك: أن لا يرفع صوته عليهم) سواء في مذاكرة علم أو غيرها (**ولا يخاطبهم إلا بما يفهمون**) فلا يلقي عليهم ما يعسُر فهمُهم له.

(**وأما اليدان فأنْ لا يقبضهما عن معونتهم**) ونصرتهم (**في كل ما يتعاطىٰ باليد**) ويتناول بها.

(**وأما الرِّجلان فأن يمشي بهما وراءهم مشي الأتباع**) والخدم (**لا مشي المتبوعين**) والمخدومين (**ولا يبعد عنهم إلا بقدْر ما يبعدونه، ولا يقرُب منهم إلا بقدر ما يقرِّبونه، ويقوم لهم إذا أقبلوا**) عليه إكرامًا (**ولا يقعد إلا بقعودهم**) موافقةً لهم (**ويقعد حيث يقعد**) أي يقعدونه (**متواضعًا**) متخشعًا (**ومهما تم الاتحاد خفَّت جملة من هذه الحقوق مثل القيام والابتدار**) وفي نسخة: الاعتذار (**والثناء، فإنها من حقوق الصحبة، وفي ضمنها نوعٌ من الأجنبية والتكلُّف، فإذا تم الاتحاد انطوىٰ بساط التكلف بالكلية، فلا يسلك به إلا مَسلك نفسه؛ لأن هذه الآداب الظاهرة عنوان أدب الباطن**) ويقال: الظاهر عنوان الباطن (**غير أن أدب الباطن في صفاء القلب**) عن الكدورات والغِيَر (**ومهما صفت القلوبُ استُغني عن تكلف إظهار ما فيها، ومن كان نظرُه إلىٰ صحبة الخَلق فتارة يعوج وتارة يستقيم**) لعدم استقامته (**ومن كان نظره إلىٰ الخالق لزمت الاستقامة ظاهرًا وباطنًا، وزيَّن باطنَه بالحب لله**) وفي نسخة: بما يحب الله من خَلقه (**وزيَّن ظاهرَه بالعبادة لله والخدمة لعباده، فإنها

أعلىٰ أنواع الخدمة لله؛ إذ لا وصول إليها إلا بحُسن الخُلق و) قد **(يدرك العبدُ بحسن خلقه درجة الصائم القائم وزيادة)** وقد روىٰ الطبراني في الكبير[1] من حديث أبي أمامة: «إن الرجل لَيدركُ بحُسن خُلقه درجةَ القائم بالليل الصائم بالهواجر».

(خاتمة لهذا الباب نذكر فيها جملاً من آداب المعيشة والمجالسة مع أصناف الخلق) علىٰ اختلاف مراتبهم **(ملتقطة من كلام بعض الحكماء)** وذلك بطريق الإجمال، قالوا: **(إن أردتَ حسن المعيشة)** مع الناس **(فالقَ صديقك وعدوك بحسن الرجاء من غير ذلة لهم)** أي من غير أن تذل لهم **(ولا هيبة منهم)** أي لا تهابهم، ففي الخبر: «لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه» **(وتوقير)** أي تعظيم **(من غير كِبر)** عليهم **(وتواضُع)** لهم **(في غير مذلة)** نفس **(وكن في جميع أمورك في أوسطها)** فإنه خير الأمور **(فكِلا طرفَي قصد الأمور ذميم)** قال[2] مطرِّف بن عبد الله: خير الأمور أوسطها. أخرجه ابن جرير في التفسير[3].

وأخرج العسكري من طريق معاوية بن صالح عن الأوزاعي قال: ما من أمرٍ أمرَ الله به إلا عارض الشيطانُ فيه بخصلتين لا يبالي أيتهما أصاب الغلو أو التقصير.

وأخرج أبو يعلىٰ[4] بسند رجاله ثقات عن وهب بن منبه قال: إن لكل شيء طرفين ووسطًا، فإذا أمسك بأحد الطرفين مال الآخر، وإذا أمسك بالوسط اعتدل الطرفان، فعليكم بالأوساط [من الأشياء].

وأنشد بعضهم:

---

(١) المعجم الكبير ٨/ ١٩٨.

(٢) المقاصد الحسنة ص ٢٠٥ - ٢٠٦.

(٣) جامع البيان ١٧/ ٥٠٠ من طريق كعب بن فروخ عن قتادة عن مطرف قال: خير هذه الأمور أوساطها والحسنة بين السيئتين. قال كعب: فقلت لقتادة: ما الحسنة بين السيئتين؟ فقال: ﴿وَالَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟﴾ الآية.

(٤) مسند أبي يعلىٰ ١٠/ ٥٠١.

عليك بأوساط الأمور فإنها نجاة ولا تركب ذلولاً ولا صعبا[١]

وقال الآخر:

حب التناهي غلط خير الأمور الوسط[٢]

(ولا تنظر في عِطفيك) فإنه علامة العُجب **(ولا تُكثِر الالتفات)** فإنه علامة الحمق **(ولا تقف علىٰ الجماعات)** وهم جلوس، ولكن اجلس معهم **(وإذا جلست فلا تستوفز)** أي لا تجلس منصبًا غير مطمئن **(وتحفَّظْ من تشبيك أصابعك)** فإنه قد نُهي عنه، وكذا عن التفرقع **(والعبث بلحيتك وخاتمك)** فإنه من علامة الحمق، وقد نُهي عنه **(وتخليل أسنانك)** فإنه مما تتقذَّره الطباعُ **(وإدخال أصبعك في أنفك)** أو أذنك، فكل ذلك فيه تقذير، إلا إن احتيجَ إليه فمرة واحدة **(وكثرة بصاقك وتنخُّمك)** فإن ذلك مما تنبو عنه الطباعُ **(وطرد الذباب عن وجهك)** بمذبَّة أو بيدك، فإنه يدل علىٰ خفة العقل **(وكثرة التمطِّي والتثاؤب في وجوه الناس وفي الصلاة وغيرها)** فإنه مما يهيِّجه الشيطان، وهو في الصلاة أشد كراهة كما جاء في الخبر، وفي الخبر: «التثاؤب من الشيطان». وفي الصحيحين[٣] من حديث أبي سعيد: «إذا تثاءب أحدكم فليضع يده علىٰ فيه، فإن الشيطان يدخل مع التثاؤب». وعند البخاري[٤] من حديث أبي هريرة: «إذا تثاءب أحدكم فليردَّه ما استطاع، فإن أحدكم إذا قال ها ضحك منه الشيطان». وسيأتي في حقوق المسلم. وقالوا: كثرة التمطِّي تكون من جوع شديد أو من كسل أو من شهوة نفس **(وليكن مجلسك هاديًا)** يهتدي به الناس إلىٰ الخير، ووصف المجلس بالهادي علىٰ سبيل

---

(١) البيت في التمثيل والمحاضرة للثعالبي ص ٤٢٩ والبيان والتبيين للجاحظ ١/ ٢٥٥ وتفسير القرطبي ٧/ ٢٢٩ بلا نسبة.

(٢) لم أقف علىٰ قائل هذا البيت.

(٣) رواه مسلم في صحيحه ٢/ ١٣٦٣. ولم يخرجه البخاري. وليس عند مسلم (مع التثاؤب).

(٤) صحيح البخاري ٢/ ٤٤١، وأوله: «التثاؤب من الشيطان فإذا تثاءب ...» الخ.

المبالغة، أو المراد بالهادي هنا اللين (**وحديثك منظومًا**) غير مشوَّش (**مرتَّبًا**) أوله وآخره (**واصْغِ إلىٰ الكلام الحسن ممَّن حدَّثك من غير إظهار تعجُّب مفرط**) فإنه ربما يسيء الظنَّ بك (**ولا تسأله إعادته**) إلا إن لم يتقن (**وأسكت عن المَضاحِك في الحكايات**) وفي نسخة: والحكايات. أي لا تضحك معهم فإن[1] الضحك يميت القلب ويورث النسيان، وكثرته من الرعونة، وإيراد المضحكات علىٰ سبيل السخف نهاية القباحة، ففي الخبر: «ويل للذي يحدِّث ويكذب ليُضحِك القومَ، ويل له، ويل له» (**ولا تحدِّث عن إعجابك بولدك ولا جاريتك ولا شِعرك ولا تصنيفك وسائر ما يخصُّك**) ويُنسَب إليك، فإنه مما يدل علىٰ السخف وقلة العقول، والمراد من ذلك كله الإطراء فيه (**ولا تتصنَّع تصنُّع المرأة في التزيُّن**) فإنه يجانب شأنَ أهل الإيمان (**ولا تبتذل تبذُّل العبد**) في اللباس والهيئة (**وتَوَقَّ كثرة الكحل**) في العين (**والإسراف في الدهن**) أي التطيُّب به (**ولا تلحَّ في الحاجات**) فإن الإلحاح فيها يدل علىٰ الحرص، وهو مذموم (**ولا تشجع أحدًا علىٰ الظلم**) أي تحمله عليه (**ولا تعلم أهلَك وولدك فضلاً عن غيرهم**) من الأجانب (**مقدار ما لك، فإنهم إن رأوه قليلاً هُنْتَ عليهم**) ولا تبجَّل عندهم (**وإن كان كثيرًا لم تبلغ قط رضاهم**) فإنهم يستكثرون منك ذلك (**وخوِّفْهم في غير عنف**) يظهر منك لهم (**ولِنْ لهم من غير ضعف**) ولا خور (**ولا تهازل أمَتَك ولا عبدك**) أي لا تخاطبهم بكلام هزل (**فيسقط وقارُك**) وهيبتك من أعينهم (**وإذا خاصمت فتوقَّ**) في كلامك (**وتحفَّظْ من جهلك**) وعثرتك (**وتجنَّب عجلتك**) فإنها من الشيطان (**وتفكَّر في حُجتك**) التي تحتجُّ بها علىٰ خصمك (**ولا تُكثِر الإشارةَ بيدك**) وقت المحادثة (**ولا تُكثِر الالتفات إلىٰ مَن وراءك**) فإنه من خفة العقل (**ولا تَجثُ علىٰ ركبتيك**) بل اطمئن جالسًا (**وإذا هدأ**) أي سكن (**غضبُك فتكلم**) فإن الغضب يفسد العقل (**وإن قرَّبك سلطان**) أو أمير ولم تجد بُدًّا من قربه فإنما هو نار (**فكن منه علىٰ مثل حد السِّنان**) أي لا تأمنه، ولا

---

(١) فيض القدير ٦/ ٣٦٨.

تطمئن إليه (**فإن استرسل إليك فلا تأمن انقلابه عليك**) فإنَّ استرسال السلاطين لا يُعتمد عليهم (**وارفق به رفقك بالصبي**) موافقًا لمزاجه (**وكلِّمْه بما يشتهيه**) هو لا بما تشتهيه أنت (**ما لم يكن معصية، ولا يجذبك لطفُه**) ولينه ورقَّته (**معك إلىٰ أن تدخل بينه وبين أهله وولده وحشمه وإن كنت لذلك مستحقًّا عنده**) إلا إذا نبَّهه بضرب أمثال من خارج أو حكاية تشير إلىٰ شيء مما يتعلق بمقصوده فلا بأس بذلك (**فإنَّ سقطة الداخل بين الملك وأهله سقطة لا تُنعَش**) أي لا تقام (**وزلَّة لا تُقال**) عثرتها (**وإياك وصديق العافية**) وصديق الرخاء (**فإنه أعدىٰ الأعداء**) أي فلا تثق بمثله في صداقته (**ولا تجعل مالك أكرم من عِرضك**) فإنما جُعل المال خادمًا للعِرض؛ لأن العرض مسوس، والمال سائس (**وإذا دخلت مجلسًا**) فيه ناس (**فالأدب فيه البداءة بالتسليم**) عليهم، روىٰ الطبراني[1] من حديث معاذ بن أنس: «حق علىٰ مَن أتىٰ مجلسًا أن يسلِّم عليهم» (**وترك التخطِّي لمَن سبق**) أي لا يتخطَّىٰ في الجلوس علىٰ مَن سبقه في الدخول (**والجلوس حيث اتسع**) ووجد فرجة (**وحيث يكون أقرب إلىٰ التواضع**) ومنه قول الشاعر:

❊ وجالِس مجلس الرجل الأقل[2] ❊

ولا يجلس بين اثنين إلا بإذنهما، فإنه قد ورد النهي عنه في الخبر، فإذا وسَّع له أخوه في مجلسه فإنما هو كرامة فلا يأباه، كما رواه البيهقي[3] من حديث مصعب بن شيبة (**وأن تخصَّ بالسلام مَن قرُب منك**) إذا كان المجلس واسعًا وفيه ناس كثير، وإلا فليعمهم بالسلام ولا يخص أحدًا دون أحد. وقوله: (**عند الجلوس**) أي عند إرادته، وهذا يدل علىٰ أن هذا السلام غير سلام الدخول (**ولا تجلس علىٰ الطريق**)

---

(١) المعجم الكبير ٢٠/ ١٨٧.

(٢) لم أقف علىٰ قائله.

(٣) شعب الإيمان ١١/ ١٩٧، ولفظه: «إذا جاء أحدكم فأوسع له أخوه فإنما هي كرامة أكرمه الله عزَّ وجلَّ بها». ورواه أيضا البخاري في التاريخ الكبير ٧/ ٣٥٢.

التي يمر بها الناس (**فإن جلست فآدابه غضُّ البصر**) عن المحرَّمات (**ونصرة المظلوم**) بأن يخلِّصه من يد الظالم عليه (**وإغاثة الملهوف، وعون الضعيف، وإرشاد الضال**) عن الطريق (**وردُّ السلام**) أي جوابه وهو قوله: وعليكم السلام (**وإعطاء السائل**) ولو شيئًا قليلاً (**والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكَر**) فقد روىٰ أحمد[١] والشيخان[٢] وأبو داود[٣] من حديث أبي سعيد: «إياكم والجلوس علىٰ الطرقات، فإن أبيتم إلا المجالس فأعطُوا الطريق حقها». قالوا: يا رسول الله، وما حقها؟ قال: «غض البصر، وكف الأذىٰ، ورد السلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر». وروىٰ ابن السني في عمل اليوم والليلة[٤] من حديث أبي هريرة: «لا خير في الجلوس علىٰ الطرقات، إلا مَن هدىٰ السبيلَ، ورد التحيةَ، وغض البصر، وأعان علىٰ الحمل» (**والارتياد لموضع البصاق، فلا تبصق في جهة القِبلة ولا عن يمينك، ولكن عن يسارك وتحت قدمك اليسرىٰ**) وليغيِّبه لئلاً يصيب جلد مؤمن أو ثوبه فيؤذيه، وقد ورد في ذلك خبرٌ، إلا أنه خاص بالمسجد، والنهي عن جهة القبلة إكرامًا لها، وكذا عن جهة اليمين إكرامًا للملائكة (**ولا تجالس الملوك**) فإنه مضرٌّ بالدين (**فإن فعلت فأدبه تركُ الغِيبة**) عندهم (**ومجانبة الكذب**) من أصله (**وصيانة السر**) عن إفشائه (**وقلة الحوائج**) لنفسه ولغيره (**وتهذيب الألفاظ، و**) مراعاة (**الإعراب في الخطاب، والمذاكرة بأخلاق الملوك**) السالفة (**وقلة المداعبة**) أي الممازحة (**وكثرة الحذر منهم وإن ظهرت لك**) منهم (**المودة**) فإنك لا تعتمد عليها (**وأن لا تتجشَّأ بحضرته**) أي الملك، فإن الجُشاء يكون من شبع مفرط، وهو يدل علىٰ الحرص، وهو مذموم (**ولا تتخلَّل بعد الأكل عنده**) فإنه ربما يتقذَّر منه فينفر عنك (**وعلىٰ الملك أن يتحمَّل**) من جليسه (**كل شيء إلا إفشاء السر**) فإنه

---

(١) مسند أحمد ١٧/ ٤١١، ١٨/ ٢٧، ١٣١.

(٢) صحيح البخاري ٢/ ١٩٦، ٤/ ١٣٦. صحيح مسلم ٢/ ١٠١٨، ١٠٣٤.

(٣) سنن أبي داود ٥/ ٢٨١.

(٤) عمل اليوم والليلة ص ٢٥٧.

مذموم لا يُتحمَّل (و) كذلك **(القدح في الملك)** فإنه وخيم **(والتعرُّض للحرم)** فإنه يوجب التحفُّظ **(ولا تجالس العامة)** من الناس مهما أمكنك، فإنه يسلب الراحة **(فإن فعلت)** وبُليت بذلك **(فأدبه تركُ الخوض في حديثهم، وقلة الإصغاء إلىٰ أراجيفهم)** وهي[١] الأقوال السيئة والأخبار الكاذبة، وقد أرجف القوم في الشيء وبه: إذا أكثروا من تلك الأقوال والأخبار حتىٰ يضطرب الناس منها **(والتغافُل عمَّا يجري من سوء ألفاظهم)** واختلاف أقوالهم **(وقلة اللقاء معهم مع الحاجة إليهم)** علىٰ قدر ما يقتضي الحالُ **(وإياك أن تمازح لبيبًا أو غير لبيب، فإن اللبيب يحقد عليك، والسفيه يتجرَّأ عليك)** اعلم[٢] أن المزاح إذا كان علىٰ الاقتصاد [فهو] محمود، ففي الخبر: «إني لأمزحُ، ولا أقول إلا حقًّا». وقال سعيد بن العاص لابنه: اقتصدْ في مزاحك، فالإفراط فيه يذهب بالبهاء ويجرِّئ عليك السفهاءَ، وتركه يقبض المؤانسين ويوحش المخالطين. ولكن الاقتصاد فيه صعب جدًّا لا يكاد يوقَف عليه، ولذلك تحرَّج منه أكثر الحكماء. وإليه أشار المصنف بقوله: **(فإن المزاح يخرق الهيبة)** أي يذهب بها فلا يُهاب **(ويُسقِط ماءَ الوجه)** أي الحياء، وإليه أشار الشاعر[٣]:

فإن إراقة ماء الحياة دون إراقة ماء المحيَّا

---

(١) المصباح المنير ص ٢٢٠.

(٢) الذريعة إلىٰ مكارم الشريعة ص ١٨٤ - ١٨٥.

(٣) هو أبو الحسن علي بن أحمد بن الحسن النعيمي البصري المتوفى سنة ٤٢٣. والبيت مع أبيات أخرىٰ في طبقات الشافعية الكبرىٰ للسبكي ٥/ ٢٣٨ - ٢٣٩، وسير أعلام النبلاء للذهبي ١٧/ ٤٤٧، وتاريخ بغداد للخطيب ١٣/ ٢٣٧، والطيوريات ٣/ ١١٣١، والبداية والنهاية لابن كثير ١٥/ ٦٤٤، ولسان الميزان لابن حجر ٥/ ٤٩٦، ويتيمة الدهر للثعالبي ٥/ ٧٨ (ط - دار الكتب العلمية). ونسبه ياقوت في معجم الأدباء ٣/ ١١٣٠ - ١١٣١ للحسين بن عبد السلام المصري المعروف بالجمل المتوفى سنة ٢٥٨.

(**ويُعقِب الحقدَ، ويذهب بحلاوة الود، ويشين فقه الفقيه، ويجرِّئ**) عليك (**السفيه، ويُسقِط المنزلةَ عند الحكيم، ويمقته المتَّقون، وهو يميت القلب، ويباعد عن الرب، ويُكسِب الغفلة، ويورث الذلة**) والاحتقار (**وبه تُظلِم السرائرُ**) أي تسودُّ البواطن (**وتموت الخواطر، وبه تكثُر العيوبُ، وتبين الذنوب**) ومثل ذلك قال بعض الحكماء: المزاح مَسلبة للبهاء، مَقطعة للإخاء، وهو لا ينتج إلا الشر. وروىٰ ابن عساكر[1] من حديث أبي هريرة: «مَن كثُرت دعابتُه ذهبت جلالته، ومَن كثُر مزاحُه ذهب وقاره» وقال: غريب المتن والإسناد (**وقد قيل: لا يكون المزاح إلا من سُخْف أو بَطَر**) قال الخليل[2]: السُّخف بالضم في العقل خاصةً وهو النقص، والسخافة في كل شيء وهي الرقة. والبَطَر محرَّكة: كفر النعمة.

(**ومَن بُلي في مجلس بمزاح أو لَغَط فليذكر الله عَزَّوَجَلَّ عند قيامه**) منه (**قال النبي ﷺ: مَن جلس في مجلس فكثُر فيه لَغَطُه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك: سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، إلا غُفر له ما كان في مجلسه ذلك**) قال العراقي[3]: رواه الترمذي[4] من حديث أبي هريرة وصحَّحه.

قلت: لفظه في السنن: حسن صحيح غريب. ورواه كذلك ابن حبان[5]

---

(١) تاريخ دمشق ٢٤/ ٤٥٦.

(٢) العين ٤/ ٢٠٢، ونصه: «السخف: رقة العقل. وفي حديث أبي ذر: أنه لبث أياما فما وجد سَخفة الجوع. أي رقته وهزاله. ورجل سخيف: بيِّن السخف. وهذا من سخفة عقله، وسخافة عقله. وثوب سخيف: رقيق النسج، بيِّن السخافة. ولا يكادون يقولون: السخف، إلا في العقل خاصة، والسخافة عام في كل شيء».

(٣) المغني ١/ ٤٨٤.

(٤) سنن الترمذي ٥/ ٤٣٢.

(٥) صحيح ابن حبان ٢/ ٣٥٤.

والحاكم(١) وابن السني في عمل يوم وليلة(٢) والبيهقي في الشعب(٣).

وروىٰ الطبراني في الكبير(٤) وابن النجار من حديث عبد الله بن عمرو: «كفَّارة المجلس أن يقول العبد: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، أستغفرك وأتوب إليك».

ورواه الطبراني(٥) أيضًا من حديث ابن مسعود.

وأخرج سمويه في فوائده(٦) من حديث أنس: «كفَّارة المجلس: سبحانك اللهم وبحمدك، أستغفرك وأتوب إليك».

وعند ابن النجار(٧) من حديث جُبَير: «كفَّارة المجلس أن لا تقوم حتىٰ تقول: سبحانك [اللهم] وبحمدك لا إله إلا أنت تُبْ عليَّ واغفر لي، يقولها ثلاث مرات، فإن كان مجلس لغو كانت كفارته، وإن كان مجلس خير كان طابعًا عليه».

وأخبرني المسنِد عمر بن حمد بن عقيل، أخبرنا عبد الله بن سالم، أخبرنا

---

(١) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٧٢٨.

(٢) عمل اليوم والليلة ص ٢٦٩.

(٣) شعب الإيمان ٢/ ١٤١.

(٤) المعجم الكبير ١٣/ ٤٣٩. وليس فيه (أن يقول العبد) ولا (وحدك لا شريك لك).

(٥) السابق ١٠/ ٢٠٣.

(٦) وأخرجه أيضا: الطحاوي في شرح معاني الآثار ٤/ ٢٨٩، والبزار في مسنده ١٣/ ٣٣٩، والطبراني في المعجم الأوسط ٦/ ٩٨.

ورواه الخطيب في تاريخ بغداد ١٣/ ١٥٣ وابن عدي في الكامل ٥/ ١٨١١ والعقيلي في الضعفاء ٣/ ٩٤٦ بلفظ: جاء جبريل إلىٰ النبي ﷺ فقال: إن كفارة ... فذكره.

(٧) وكذلك الطبراني في المعجم الكبير ٢/ ١٣٩، والعقيلي في الضعفاء ١/ ٣٦٥.

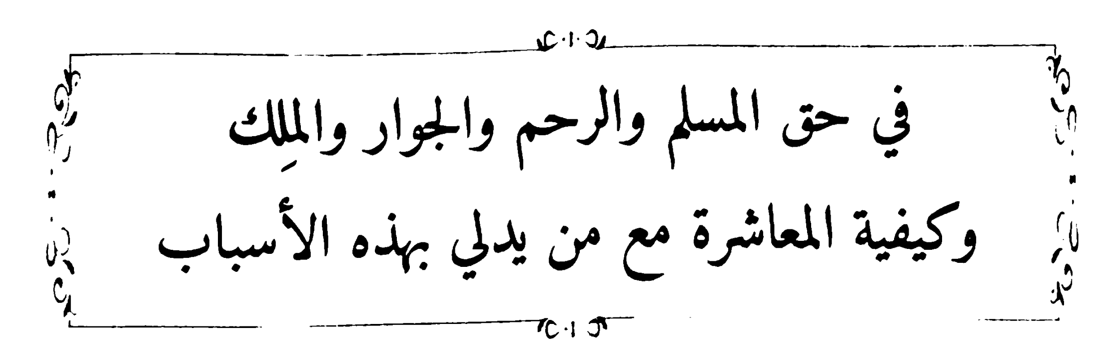
ورواه النسائي في السنن الكبرىٰ ٩/ ١٦٢ والحاكم في المستدرك ١/ ٧٢٩ بلفظ: «من قال: سبحان الله وبحمده سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، فقالها في مجلس ذكر كانت كالطابع يطبع عليه، ومن قالها في مجلس لغو كانت كفارته».

محمد بن العلاء الحافظ، أخبرنا سالم بن محمد، أخبرنا محمد بن أحمد بن علي، أخبرنا البدر محمد بن البهاء المشهدي، أخبرنا الشهاب أحمد بن محمد الحجازي، أخبرنا أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي، أخبرنا القاضي أبو عمر عبد العزيز بن جماعة، أخبرنا القاضي أبو العباس أحمد بن محمد الحلبي، أخبرنا يوسف بن خليل الحافظ ، أخبرنا محمد بن أحمد بن نصر، أخبرنا الحسن بن أحمد، أخبرنا أبو نعيم الحافظ: حدثنا عبد الله بن جعفر، حدثنا إسماعيل بن عبد الله، حدثنا سعيد بن الحكم، حدثنا خلاَّد بن سليمان، حدثنا خالد بن أبي عمران، عن عروة بن الزبير، عن عائشة ﵂ قالت: ما جلس رسول الله ﷺ مجلسًا ولا تلا قرآنًا ولا صلىٰ [صلاة] إلا ختم ذلك بكلمات، فقلت: يا رسول الله، أراك ما تجلس مجلسًا ولا تتلو قرآنًا ولا تصلي [صلاة] إلا ختمتَ بهؤلاء الكلمات. قال: «نعم، من قال خيرًا كنَّ طابعًا له علىٰ ذلك الخير، ومن قال شرًّا كنَّ كفارة له: سبحانك اللهم وبحمدك، لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك». أخرجه النسائي في اليوم والليلة[1] عن محمد بن سهل ابن عسكر عن سعيد بن الحكم به، فوقع لنا بذلك عاليًا، ولله الحمد.

---

(١) السنن الكبرىٰ ٩/ ١٢٣.

الباب الثالث:



في حق المسلم والرحم والجوار والملِك وكيفية المعاشرة مع من يدلي بهذه الأسباب

(اعلمْ أن الإنسان إما أن يكون وحده) أي منفردًا بنفسه (أو) يكون (مع غيره، وإذا تعذَّر عيشُ الإنسان) وحده (إلا بمخالطة من هو من جنسه) ومن شكله (لم يكن له بدٌّ من تعلُّم آداب المخالطة، فكل مخالط) لخليطه (ففي مخالطته) معه (أدب، والأدب علىٰ قدر حقه) أي علىٰ قدر ما يستحقه (وحقه علىٰ قدر رابطته التي بها وقعت المخالطة) وأصل الرابطة: ما يُربَط به الشيء ويُضبَط (و) تلك (الرابطة إما لقرابة وهي أخصها) ولها درجات: قرابة قربىٰ، وقرابة قريبة، وقرابة بعيدة (أو أخوة الإسلام وهي أعمها، وينطوي معنىٰ الأخوة علىٰ الصداقة والصحبة، وإما الجوار) أي المجاورة في المنزل (أو صحبة السفر أو المكتب أو الدرس أو الصداقة أو الأخوَّة، ولكل واحدة من هذه الروابط درجات، فللقرابة حق ولكن حق الرحم المحرَّم آكَد، وللمحرم حق ولكن حق الوالدين آكد، وكذلك حق الجوار يختلف بحسب قربه من الدار أو بُعده) فإن الجار الملاصق حقه آكد من الجار الذي بينه وبينه حائل (ويظهر التفاوت عند النسبة، حتىٰ إن البلدي) الذي هو من نفس بلده إذا وُجد (في بلاد الغربة) فإنه (يجري مَجرىٰ القريب في الوطن؛ لاختصاصه بحق الجوار في البلد) حتىٰ كاد أن يكون أَولىٰ به من غيره (وكذلك حق المسلم يتأكد بتأكُّد المعرفة، وللمعارف درجات) متفاوتة (فليس حق الذي عُرف بالمشاهدة) والنظر (كحق الذي عُرف بالسماع) من أفواه الناس (بل آكد منه، والمعرفة بعد

وقوعها تتأكد بالاختلاط) والاصطحاب **(وكذلك الصحبة تتفاوت درجاتها، فحق الصحبة في المدرسة والمكتب آكَدُ من حق صحبة السفر)** فإن الصاحب في السفر يفارق عن قرب وتنتهي صحبته بانتهاء السفر، وعمر السفر قصير، بخلاف صحبة المكتب وصحبة المدرسة فإنها تستدعي طولَ الزمن **(وكذلك الصداقة تتفاوت، فإنها إذا قويت صارت أخوة، فإذا ازدادت صارت محبة، فإذا ازدادت صارت خلَّة)** وفي القوت: اعلمْ أن للناس في التعارف سبع مقامات بعضها فوق بعض، فأول ذلك المعرفة عن الرؤية أو السمع فقط، فلهذا حرمة الإسلام وحق العامة. ثم المجاورة، وله حق [الجوار] وهو ثاني حقوق الإسلام، وهذا هو الجار الجنب. ثم المرافقة في طريق أو سفر، وهذا هو الصاحب بالجنب في أحد الوجهين من الآية، فلهذا ثلاثة حقوق؛ لأنه قد جمع حرمة الإسلام وحرمة الجوار، وزاد عليها بأنه ابن سبيل. ثم الصحبة وهي الملازمة والاتِّباع، فهذا فوق ذلك. ثم الصداقة، وهي حقيقة الأخوة، ومعها تكون المعاشرة، وهو اسم تكون معه المخالطة وتوجد فيه المؤانسة، وهو حكم يحكم عليه بالمزاورة والمبايتة والمؤاكلة، وهذا حقيقة العِشرة، والعشير هو الخليط المقارب، ولذلك سُمِّي به الزوج في الخبر: «ويكفرن العشير»، ويطلق على ابن العم المختلط به، وبه فُسِّر قوله تعالى: ﴿وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ﴾ [الحج: ١٣] والمعاشرة تقع بين اثنين لا محالة، كأنَّ كل واحد قد فعل مثله. ثم الأخوة فوق الصداقة، وهذا لا يكاد يكون إلا بين النظراء في الحال والمتقارنين في الحس والمعاني بأن يوجد في أحدهما من القلب والهمَّة والعلم والخُلق والعقل ما يوجد في الآخر وإن تفاوتا حكمًا، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [الإسراء: ٢٧] وليسوا من جنسهم ولا على وصفهم في الخِلقة، ولكن لما تشابهت قلوبهم وأحوالهم آخَى بينهم، فهذه أخوة الحال، وهي حقيقة الصداقة. ثم المحبة وهي خاصة الأخوة، وهذا ما يجعله الله تعالى من الألفة ويوجده من الأنس في القلوب، يتولاَّه بصنعه، ولا يولِّيه غيرَه، وهو ارتياح القلوب، وانشراح الصدور، ووَجْد السرور، وفقد الوحشة، وارتفاع الحشمة **(والخليل أقرب من**

الحبيب) وهو فوق الحبيب، ولا يكون إلا في عاقلين عالِمين عارفين علىٰ معيار واحد وطريق واحد وقلب واحد وحال واحد، وهذا أعزُّ موجود وأغرب معهود **(والمحبة ما تتمكَّن من حبة القلب)** وتستولي عليها **(والخلَّة ما تتخلَّل سرَّ القلب)** ومعها تكون حقيقة الحب والإيثار **(فكل خليل حبيب، وليس كل حبيب خليلاً)** لأن الخُلَّة تحتاج إلىٰ فضل عقل ومزيد علم وقوة تمكين، وقد لا يوجد ذلك في كل محبوب، فلذلك عز طلبُه وجلَّ وصفُه **(وتفاوُت درجات الصداقة لا يخفىٰ بحكم المشاهدة والتجربة، فأما كون الخلة فوق الأخوة فمعناه أن لفظ «الخلة» عبارة عن حالة هي أتم من الأخوة، وتعرفه من قوله ﷺ: لو كنت متخذًا)** من[(١)] الخلق **(خليلاً)** أرجع إليه في الحاجات وأعتمد عليه في المهمَّات **(لاتخذت أبا بكر خليلاً)** لكن الذي ألجأ إليه وأعتمد عليه في جملة الأمور هو الله تعالىٰ **(ولكن صاحبكم خليل الله)** وهو فعيل من الخَلة بالفتح وهي الخصلة فإنه تخلَّل بخصال حسنة اختصَّت به، أو من التخلُّل فإن الحب تخلَّل شغاف قلبه واستولىٰ عليه، أو من الخلة وهي الحاجة من حيث إنه عليه السلام ما كان يفتقر إلا إليه، ولا يتوكل إلا عليه، فيكون بمعنىٰ فاعل أو بمعنىٰ مفعول[(٢)].

قال العراقي[(٣)]: متفق عليه من حديث أبي سعيد.

قلت: الحديث متواتر، وقد رواه زهاء خمسة عشر من الصحابة: أبو سعيد، وابن عباس، و[ابن] الزبير، وابن مسعود، وجُندب البَجَلي، وأبو المعلَّىٰ، وأبو هريرة، وأبو واقد، وعائشة، وأنس، وابن عمر، والبراء، وجابر، وسعد. فحديث أبي سعيد رواه البخاري[(٤)] في الصلاة ومسلم[(٥)] في المناقب، كما ذكره العراقي.

---

(١) فيض القدير ٥/ ٣٢٩ - ٣٣٠.

(٢) في الفيض: «فيكون فعيلا بمعنىٰ فاعل، وهو في الحديث بمعنىٰ مفعول».

(٣) المغني ١/ ٤٨٥.

(٤) صحيح البخاري ١/ ١٦٧، ٣/ ٨، ٦٨.

(٥) صحيح مسلم ٢/ ١١١٩.

وحديث ابن عباس رواه البخاري[١] في الصلاة والطبراني في الكبير[٢] بلفظ: «لو كنت متخذًا من أمَّتي خليلاً دون ربِّي لاتخذت أبا بكر، ولكن أخي وصاحبي»[٣]. وحديث [ابن] الزبير رواه أحمد[٤] والبخاري[٥]، وفي بعض ألفاظه زيادة: في الغار. وأما حديث ابن مسعود وجندب البجلي فرواه مسلم[٦] في المناقب بلفظ: «لو كنت متخذًا من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكنه أخي وصاحبي، وقد اتخذ الله صاحبَكم خليلاً». وفي بعض ألفاظه: «لاتخذت ابن أبي قحافة خليلاً، ولكن صاحبكم خليل الله». وفي بعض ألفاظه: «ألا إني أبرأ إلىٰ كل خِل من خلَّته، ولو كنت متخذًا ...» الخ. وأما حديث أبي المعلَّىٰ وأبي هريرة وأبي واقد وعائشة فرواه الترمذي[٧] بلفظ حديث ابن مسعود عند مسلم وهو اللفظ الثاني. وقد رواه الطبراني[٨] وابن عساكر[٩] من حديث أبي واقد. وأما حديث

---

(١) صحيح البخاري ١/ ١٦٧، ٣/ ٨، ٤/ ٢٣٨.

(٢) المعجم الكبير ١١/ ٣٣٩، ٣٤٨، ١٢/ ١١٩.

(٣) هذا السياق ليس عند البخاري ولا الطبراني، ولكنه في مسند أحمد ٢٦/ ٣٢ من حديث عبد الله بن الزبير: «لو كنت متخذا من هذه الأمة خليلا دون ربي عز وجل لا تخذت ابن أبي قحافة، ولكنه أخي في الدين وصاحبي في الغار».

(٤) مسند أحمد ٢٦/ ٣٢، ٣٨، ٤٤.

(٥) صحيح البخاري ٣/ ٨.

(٦) صحيح مسلم ١/ ٢٤٠، ٢/ ١١٢٠. وظاهر كلام الشارح أن مسلم رواه في موضع واحد عن الصاحبيين معا، ولكن حديث جندب في الصلاة بلفظ: «إني أبرأ إلىٰ الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله تعالىٰ قد اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا، ولو كانت متخذا من أمتي خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا». أما حديث ابن مسعود فهو في المناقب بالألفاظ التي ذكرها الشارح.

(٧) رواه الترمذي في سننه ٦/ ٤٠، ٤٢ من حديث أبي المعلىٰ وأبي هريرة فقط، وليس فيه حديث أبي واقد ولا حديث عائشة. وحديث عائشة قد رواه الطبراني في المعجم الأوسط ٢/ ٣٠٦.

(٨) المعجم الكبير ٣/ ٢٧٨.

(٩) تاريخ دمشق ٣٠/ ٢٥٣.

أنس فرواه البزار[١]. وأما حديث ابن عمر فرواه الطبراني في الكبير[٢]. وأما حديث البراء فلفظه لفظ المصنف، وقد سقط ذِكر مخرِّجه في نسختين من الجامع الكبير[٣]. وأما حديث جابر فرواه ابن عساكر[٤] بلفظ: «ولكن قولوا كما قال الله: صاحبي». وأما حديث سعد فرواه الشيرازي في الألقاب بلفظ: «ولكن أخي في الدين وصاحبي في الغار»[٥].

وفي القوت: وقد رفع الله نبيَّه ﷺ في مقام المحبة فأعطاه الخلة ليُلحِقه بمقام أبيه إبراهيم عليه السلام، فكانت الخلة مزيد المحبة، ومنه ما رُوي عنه ﷺ: «لو كنت متخذًا من الخلق خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن صاحبكم خليل الله» **(إذ الخليل هو الذي يتخلَّل الحبُّ جميعَ أجزاء قلبه ظاهرًا وباطنًا ويستوعبه، ولم يكن يستوعب قلبُه ﷺ سوىٰ حب الله تعالىٰ، وقد منعته الخلةُ عن الاشتراك فيه)** أي لما اتخذه خليلاً لم يصلُح أن يُشرِك في خلة الخالق خلةَ الخلق، ثم قال: «ولكن أخوة الإسلام»، فأوقفه مع الأخوة؛ لأن فيها مشاركة في الحال، وإليه أشار بقوله: **(مع أنه)** ﷺ **(اتخذ عليًّا** رضي الله عنه **أخًا فقال: علي مني بمنزلة هارون من موسىٰ إلا النبوة)** قال العراقي[٦]: متفق عليه[٧] من حديث سعد بن أبي وقاص.

قلت: ولكن لفظه: «يا علي، أما ترضىٰ أن تكون مني بمنزلة هارون من

---

(١) مسند البزار ١٣/ ١٥٠.

(٢) المعجم الكبير ١٢/ ٣٧٣.

(٣) حديث البراء أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد ٤/ ٢٢٥، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٠/ ٢٢٩.

(٤) تاريخ دمشق ٣٠/ ٢٤٩.

(٥) كنز العمال ١١/ ٥٥٤.

(٦) المغني ١/ ٤٨٥.

(٧) صحيح البخاري ٣/ ٢٣، ١٧٦. صحيح مسلم ٢/ ١١٢٨.

موسىٰ إلا أنه لا نبي بعدي»؟ وهكذا رواه الطيالسي[١] وأحمد[٢] والترمذي[٣] وابن ماجه[٤]. ورواه الطبراني[٥] من حديث البراء وزيد بن أرقم معًا. والطبراني[٦] أيضًا من حديث أم سلمة. وأخرجه أبو بكر محمد بن جعفر المطيري في جزئه من حديث أبي سعيد بلفظ المصنف، وفيه: «إلا أنه لا نبي بعدي». ورواه أيضًا الطبراني[٧] من حديث أسماء بنت عميس وابن عباس وحبشي بن جُنادة وابن عمر وعلي وجابر بن سمرة رضي الله عنهم.

(فعدل بعلي) رضي الله عنه **(عن النبوة)** في استثنائه **(كما عدل بأبي بكر)** رضي الله عنه **(عن الخلَّة، فشارك أبو بكر عليًّا** رضي الله عنهما **في الأخوة، وزاد عليه بمقاربة الخلة وأهليته لها)** ولفظ القوت بعد قوله «الخلة»: لأنه معرض لها وأهلٌ لها **(لو كان للشركة في الخلة مجال فإنه نبَّه عليه بقوله: لاتخذت أبا بكر خليلاً)** ولفظ القوت: إلا أن غيرة الله تعالىٰ علىٰ خليله منعته من الشرك بخلقه في خلته إيثارًا للتوحيد وقيامًا بشاهد الوحدانية بمعنىٰ مقتضَىٰ صفة الربوبية. ا.هـ. لكن ذكر الحافظ في فتح الباري[٨]

---

(١) مسند الطيالسي ١/ ١٦٧، ١٧٠، ١٧٣.

(٢) مسند أحمد ٣/ ٦٦، ٨٤، ٩٥، ٩٧، ١١٤، ١٢٤، ١٤٦، ١٥٥، ١٦٠.

(٣) سنن الترمذي ٦/ ٨٦، ٩٠.

(٤) سنن ابن ماجه ١/ ١٣٢، ١٣٧.

(٥) المعجم الكبير ٥/ ٢٠٣.

(٦) السابق ٢٣/ ٣٧٧.

(٧) السابق ٢/ ٢٤٧، ٤/ ١٧، ١١/ ٧٤، ٧٦، ١٢/ ١٨، ٩٩، ١٣/ ١٧٧، ٢٤/ ١٤٦، ١٤٧. ولم أقف فيه علىٰ حديث علي رضي الله عنه.

(٨) فتح الباري ٧/ ٢٧، ونصه: «تواردت هذه الأحاديث علىٰ نفي الخلة من النبي ﷺ لأحد من الناس، وأما ما روي عن أبي بن كعب قال: إن أحدث عهدي بنبيكم قبل موته بخمس دخلت عليه وهو يقول: إنه لم يكن نبي إلا وقد اتخذ من أمته خليلا، وإن خليلي أبو بكر، ألا وإن الله اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا. أخرجه أبو الحسن الحربي في فوائده، وهذا يعارضه ما في رواية جندب عند مسلم أنه سمع النبي ﷺ يقول قبل أن يموت بخمس: إني أبرأ إلىٰ الله أن يكون لي منكم خليل.

أنه ورد من طريق أن النبي ﷺ قد أُذِن له قبل وفاته بثلاثة أيام أن يتخذ أبا بكر خليلاً، كما سيأتي من حديث أبي أمامة (**وكان** ﷺ **حبيب الله وخليله، فقد رُوي أنه**) ﷺ (**صعد المنبر يومًا مستبشرًا فرحًا فقال**): ألا (**إن الله**) تبارك وتعالىٰ (**قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً، فأنا حبيب الله، وأنا خليل الله**) هكذا هو في القوت.

قال العراقي[١]: رواه الطبراني[٢] من حديث أبي أمامة بسند ضعيف دون قوله: فأنا حبيب الله وأنا خليل الله.

قلت: في سنده عبيد الله بن زَحْر، قال الذهبي: له صحيفة واهية[٣]. ثم إن لفظ الطبراني: «إن الله تبارك وتعالىٰ اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً، وإن خليلي أبو بكر». والجمع بينه وبين الحديث الذي سبق أن ذلك كان قبل العلم به. ورواه ابن ماجه[٤] [وعنده] بعد قوله «خليلا»: «فمنزلي ومنزل إبراهيم يوم القيامة في الجنة تجاهين، والعباس بيننا مؤمن بين خليلين». وفي رواية للحاكم: علي، بدل العباس. وفي الكل مقال.

(**فإذًا ليس قبل المعرفة رابطة، ولا بعد الخلة درجة، وما سواهما من الدرجات بينهما**) ولفظ القوت: وليس قبل المعرفة اسم يوجب حكمًا [إلا ظاهر الإسلام] ولا بعد الخليل وصفٌ يُعرَف إلا نعت حبيب، ثم تتزايد الحرمات في

فإن ثبت حديث أبي أمكن أن يجمع بينهما بأنه لما برئ من ذلك تواضعا لربه وإعظاما له أذن الله تعالىٰ له فيه من ذلك اليوم لما رأىٰ من تشوفه إليه وإكراما لأبي بكر بذلك، فلا يتنافىٰ الخبران؛ أشار إلىٰ ذلك المحب الطبري، وقد روي من حديث أبي أمامة نحو حديث أبي بن كعب دون التقييد بالخمس، أخرجه الواحدي في تفسيره، والخبران واهيان».

(١) المغني ١/ ٤٨٥.

(٢) المعجم الكبير ٨/ ٢٣٧.

(٣) عبارة الذهبي في ديوان الضعفاء ص ٢٦٤: «له صحيفة غرائب عن علي بن يزيد».

(٤) سنن ابن ماجه ١/ ١٥٠ من حديث عبد الله بن عمرو.

الأخوات ما بين المعرفة والخلة (وقد ذكرنا حق الصحبة والأخوة، ويدخل فيهما ما وراءهما من المحبة والخلة، وإنما تتفاوت الرتب في تلك الحقوق -كما سبق- بحسب تفاوت رُتَب المحبة والأخوة حتىٰ ينتهي أقصاها إلىٰ أن يوجب الإيثار بالنفس والمال كما آثر أبو بكر رضي الله عنه نبيَّنا ﷺ) ومن الإيثار بالنفس ما أخرجه أبو نعيم في الحلية[1] من طريق الحميدي، عن سفيان بن عيينة، عن الوليد بن كثير، عن ابن تدرس، عن أسماء بنت أبي بكر قالت: أتىٰ الصريخ إلىٰ أبي بكر فقيل له: أدركْ صاحبك. فخرج من عندنا وإن له غدائر، فدخل المسجد وهو يقول: ويلكم! أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم؟! قالت: فلُهُوا عن رسول الله ﷺ وأقبلوا علىٰ أبي بكر [فرجع إلينا أبو بكر] فجعل لا يمس شيئًا من غدائره إلا جاء معه وهو يقول: تباركت يا ذا الجلال والإكرام.

ومن ذلك ما أخرجه[2] أيضًا من طريق عطاء بن أبي ميمونة عن أنس قال: لما كان ليلة الغار قال أبو بكر: يا رسول الله، دعني فلأدخل قبلك، فإن كانت وليجة[3] أو شيء كان لي قبلك. قال: «ادخلْ»، فدخل أبو بكر فجعل يلتمس بيديه، فكلما رأىٰ حجرًا قال بثوبه فشقَّه ثم ألقمه الحجر حتىٰ فعل ذلك بثوبه أجمع. قال: فبقي حجر فوضع عقبه عليه، ثم أدخل رسولَ الله ﷺ، فلما أصبح قال له النبي ﷺ: «فأين ثوبك يا أبا بكر»؟ فأخبره بالذي صنع ... الحديث[4].

وأما إيثاره بالمال فقد تقدم للمصنف حديث التخلُّل بالعباء. وأخرج أبو

---

(١) حلية الأولياء ١/ ٣١ - ٣٢.

(٢) السابق ١/ ٣٣.

(٣) في الحلية: حية.

(٤) تمام الحديث: «فرفع النبي ﷺ يده فقال: اللهم اجعل أبا بكر معي في درجتي يوم القيامة. فأوحىٰ الله تعالىٰ إليه: إن الله قد استجاب لك».

نعيم في الحلية[١] من طريق هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن عمر قال: لما أتىٰ أبو بكر بكل ما عنده قال له رسول الله ﷺ: «ما أبقيتَ لأهلك»؟ قال: أبقيتُ لهم الله ورسوله.

(**وكما آثره أبو طلحة**) زيد بن سهل الأنصاري رضي الله عنه (**ببدنه**) يوم أُحد (**إذ جعل نفسه وقاية لشخصه العزيز صلوات الله عليه وسلامه**) عن كفار قريش إذ كانوا يرمونه بالسهام وبالحجارة.

(**فنحن الآن نريد أن نذكر حق إخوة الإسلام وحق الرحم وحق الوالدين وحق الجوار وحق المِلك، أعني**) به (**مِلك اليمين، فإنَّ ملك النكاح قد ذكرنا حقوقه في كتاب آداب النكاح**).

---

(١) حلية الأولياء ١/ ٣٢.

حقوق المسلم

وهي) كثيرة، منها (**أن تسلِّم عليه إذا لقيتَه**) ما لم يكن مشتغلاً بشيء من المستثنيات (**وتجيبه**) إلىٰ منزله (**إذا دعاك، وتشمِّته إذا عطس، وتعوده إذا مرض، وتشهد جنازته إذا مات، وتبرَّ قسمه إذا أقسم عليك، وتنصح له إذا استنصحك، وتحفظه بظهر الغيب إذا غاب عنك، وتحب له ما تحب لنفسك، وتكره له ما تكره لنفسك. ورد جميعُ ذلك في أخبار وآثار**) قال العراقي[1]: روىٰ الشيخان[2] من حديث أبي هريرة: «حق المسلم علىٰ المسلم خمس خصال: ردُّ السلام، وعيادة المريض، واتِّباع الجنازة، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس». وفي رواية لمسلم: «حق المسلم علىٰ المسلم ست: إذا لقيته فسلِّم عليه ...»، وزاد: «وإذا استنصحك فانصحْ له». وللترمذي[3] وابن ماجه[4] من حديث علي: «للمسلم علىٰ المسلم ست ...»، فذكر منها: «ويحب له ما يحب لنفسه»، وقال: «وينصح له إذا غاب أو شهد». ولأحمد[5] من حديث معاذ: «وأن تحب للناس ما تحب لنفسك، وتكره لهم ما تكره لنفسك». وفي الصحيحين[6] من حديث البراء: أمرنا رسول الله ﷺ بسبع ... فذكر منها: وإبرار القسم - أو المقسم - ونصر المظلوم.

---

(١) المغني ١/ ٤٨٦.

(٢) صحيح البخاري ١/ ٣٨٤. صحيح مسلم ٢/ ١٠٣٤ - ١٠٣٥.

(٣) سنن الترمذي ٤/ ٤٥٣.

(٤) سنن ابن ماجه ٣/ ٥.

(٥) مسند أحمد ٣٦/ ٤٤٥ - ٤٤٦.

(٦) صحيح البخاري ١/ ٣٨٣، ٢/ ١٩١، ٣/ ٣٨٠، ٤/ ٢١، ٢٤، ٦٥، ٦٨، ١٣٣، ١٣٧. صحيح مسلم ٢/ ٩٩٣.

قلت: والمتفق عليه من حديث أبي هريرة أخرجه أيضًا أحمد[١] هكذا، وفي بعض ألفاظه: «إذا لقيه يسلِّم عليه، ويشمِّته إذا عطس، ويعوده إذا مرض، ويشهد جنازته إذا مات، ويجيبه إذا دعاه». وما انفرد به مسلم عن البخاري فلفظه: «حق المسلم علىٰ المسلم ست: إذا لقيته فسلِّم عليه، وإذا دعاك فأجبْه، وإذا استنصحك فانصحْ له، وإذا عطس فحمد الله فشمِّته، وإذا مرض فعُدْه، وإذا مات فاتَّبِعْه». وهكذا رواه أحمد[٢] والبخاري في الأدب المفرد[٣].

وأما حديث علي عند الترمذي وابن ماجه فلفظه: «للمسلم علىٰ المسلم ست بالمعروف: يسلِّم عليه إذا لقيه، ويجيبه إذا دعاه، ويشمِّته إذا عطس، ويعوده إذا مرض، ويشيع جنازته إذا مات، ويحب له ما يحب لنفسه، وينصح له بالغيب». وهكذا رواه أحمد[٤]، وقال الترمذي: حسن. وابن السني في عمل يوم وليلة[٥].

وأما قول العراقي «وينصح له إذا غاب أو شهد» فهو عند الترمذي[٦] والنسائي[٧] من حديث أبي هريرة، ولفظه: «للمؤمن علىٰ المؤمن ست خصال: يعوده إذا مرض، ويشهده إذا مات، ويجيبه إذا دعاه، ويسلِّم عليه إذا لقيه، ويشمِّته إذا عطس، وينصح له إذا غاب أو شهد». وقال الترمذي: صحيح.

وأخرج الحكيم في النوادر[٨] والطبراني في الكبير[٩] وابن النجار من حديث

---

(١) مسند أحمد ١٤/ ١٢٥، ١٦/ ٥٦٦.

(٢) مسند أحمد ١٤/ ٤٣٩.

(٣) الأدب المفرد ص ٢٧٣، ٢٩٣.

(٤) مسند أحمد ٢/ ٩٥.

(٥) عمل اليوم والليلة ص ١٣٦.

(٦) سنن الترمذي ٤/ ٤٥٤.

(٧) سنن النسائي ص ٣١١.

(٨) نوادر الأصول ص ٣٠٠.

(٩) المعجم الكبير ٤/ ١٨٠.

أبي أيوب: «للمسلم علىٰ المسلم ست خصال واجبة، فمَن ترك خصلة منها فقد ترك حقًّا واجبًا لأخيه: إذا دعاه أن يجيبه، وإذا لقيه أن يسلِّم عليه، وإذا عطس أن يشمِّته، وإذا مرض أن يعوده، وإذا مات أن يتبع جنازته، وإذا استنصحه أن ينصحه».

وأخرج أحمد(١) والطبراني(٢) والحاكم(٣) من حديث أبي مسعود: «للمسلم علىٰ المسلم أربع خِصال: يشمِّته إذا عطس، ويجيبه إذا دعاه، ويشهده إذا مات، ويعوده إذا مرض».

(وقد روىٰ أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ أنه قال: أربع من حق المسلمين عليك: أن تعين محسنهم، وأن تستغفر لمذنبهم، وأن تدعو لمدبرهم، وأن تحب تائبهم) قال العراقي(٤): ذكره صاحب الفردوس(٥)، ولم أجد له إسنادًا.

(وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾ [الفتح: ٢٩] **قال: يدعو صالحهم لطالحهم وطالحهم لصالحهم، فإذا نظر الطالح إلىٰ الصالح من أمَّة محمد ﷺ قال: اللهم باركْ له فيما قسمت له من الخير، وثبِّته عليه، وانفعنا به، وإذا نظر الصالح إلىٰ الطالح قال: اللهم اهْدِه واغفر له عثرته وتُبْ عليه)** وأخرج عبد بن حميد وابن جرير(٦) عن قتادة في قوله: ﴿رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾ قال: جعل الله في قلوبهم الرحمة بعضُهم لبعض.

(ومنها: أن يحب لكافَّتهم ما يحب لنفسه، ويكره لهم ما يكره لنفسه) جاء

---

(١) مسند أحمد ٣٧/ ٣٢.

(٢) المعجم الكبير ١٧/ ٢٦٧.

(٣) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٣٩٧.

(٤) المغني ١/ ٤٨٦.

(٥) الفردوس بمأثور الخطاب ١/ ٣٧٢ عن أنس بن مالك.

(٦) جامع البيان ٢١/ ٣٢١.

ذلك في حديث معاذ، أخرجه أحمد. وروى الطبراني[١] من حديث معاذ بن أنس: «أفضل الإيمان أن تحب للناس ما تحب لنفسك، وأن [تكره لهم ما تكره لنفسك، وأن تقول خيرًا أو تصمت» (**قال النعمان بن بشير**) بن[٢] سعد بن ثعلبة ابن الجُلاس الأنصاري الخزرجي، أبو عبد الله المدني، صاحب رسول الله ﷺ وابن صاحبه، رضي الله عنه، وهو أول مولود وُلد في الأنصار بعد القدوم، توفي النبي ﷺ وله ثمان سنين وسبعة أشهر، وولاَّه معاوية الكوفة فكان أميرًا عليها تسعة أشهر، قتله أهل حِمص بسَلَمية سنة خمس وستين (**سمعت رسول الله ﷺ يقول**) نقل المِزِّي عن يحيىٰ بن معين قال: أهل المدينة [يقولون]: لم يسمع النعمان من النبي ﷺ، وأهل العراق يصحِّحون سماعه منه. وقال أيضًا[٣]: ليس يُروَىٰ عن النعمان عن النبي ﷺ حديثٌ فيه «سمعت النبي ﷺ» إلا في حديث الشعبي، فإنه يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: «إن في الجسد مُضغة ...» الخ، والباقي من حديث النعمان إنما هو: عن النبي ﷺ، ليس فيه «سمعتُ» (**مَثَل المؤمنين في توادِّهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكىٰ عضو منه تَداعَىٰ سائره بالسهر والحمىٰ**) قال العراقي[٤]: متفق عليه[٥].

قلت: لفظ مسلم: «مَثل المؤمنين في تَوادِّهم وتراحمهم وتعاطفهم مثلُ الجسد إذا اشتكىٰ منه عضو تَداعَىٰ له سائرُ الجسد بالسهر والحمىٰ». وفي لفظ البخاري: «ترىٰ المؤمنين في تَوادِّهم ...» الخ.

وروىٰ الطبراني[٦] من حديث سهل بن سعد: «مَثل المؤمن من أهل الإيمان مثل الرأس من الجسد يألم مما يصيب أهل الإيمان كما يألم الرأس مما يصيب الجسدَ».

---

(١) المعجم الكبير ٢٠/ ١٩١.

(٢) تهذيب الكمال ٢٩/ ٤١١ - ٤١٧.

(٣) رواه عنه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٦٢/ ١٢٠.

(٤) المغني ١/ ٤٨٦.

(٥) صحيح البخاري ٤/ ٩٣. صحيح مسلم ٢/ ١٢٠١.

(٦) المعجم الكبير ٦/ ١٣١.

وروىٰ أحمد[١] ومسلم في الأدب من حديث النعمان بن بشير: «المؤمنون كرجل واحد، إذا اشتكىٰ رأسُه اشتكىٰ كلُّه، وإن اشتكىٰ عينُه اشتكىٰ كلُّه».

قال[٢] ابن أبي جمرة[٣]: التوادُّ والتراحم والتعاطف وإن تقارب معناها بينها فرق لطيف، فالمراد بالتراحُم أن يرحم بعضُهم بعضًا لأخوة الإيمان لا لشيء آخر، وبالتوادِّ التواصل الجالب للمحبة كالتهادي، وبالتعاطف إعانة بعضهم بعضًا. ا.هـ. وقوله «كمثل الجسد» أي الواحد بالنسبة لجميع أعضائه، وجه الشبه فيه التوافق في التعب والراحة. و«تَداعَىٰ» أي دعا بعضهم بعضًا إلىٰ المشاركة في الألم. والسَّهَر محركة: تركُ النوم؛ لأن الألم يمنع النوم. والحمىٰ معروفة؛ لأن فقد النوم يثيرها. ثم لفظ الحديث خبر ومعناه أمرٌ، أي كما أن الرجل إذا تألَّم بعضُ جسده سرىٰ ذلك الألم إلىٰ جميع جسده فكذا المؤمنون ليكونوا كنفس واحدة إذا أصاب أحدَهم مصيبةٌ يغتمُّ جميعُهم ويقصدوا إزالتها، وفي هذا التشبيه تقريب للفهم وإظهار المعاني في الصور المرئية.

(وروىٰ أبو موسىٰ) الأشعري رضي الله عنه **(عنه ﷺ أنه قال: المؤمن للمؤمن كالبنيان)** المراد[٤] بعض المؤمنين لبعض [كالبنيان] أي [الحائط] لا يتقوَّىٰ في أمر دينه ودنياه إلا بمعونة أخيه، كما أن بعض البنيان يقوِّي بعضُه بعضًا **(يشد بعضُه بعضًا)** بيان لوجه التشبيه، و«بعضًا» منصوب بنزع الخافض أو مفعول «يشد».

قال العراقي[٥]: متفق عليه[٦].

(١) مسند أحمد ٤/ ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٤، ٢٧٦.

(٢) فيض القدير ٥/ ٥١٤ - ٥١٥. فتح الباري ١٠/ ٤٥٣ - ٤٥٤.

(٣) بهجة النفوس شرح مختصر صحيح البخاري لابن أبي جمرة ٤/ ١٥٧ - ١٥٨ باختصار.

(٤) فيض القدير ٦/ ٢٥٢.

(٥) المغني ١/ ٤٨٧.

(٦) صحيح البخاري ١/ ١٧١، ٢/ ١٩١، ٤/ ٩٦. صحيح مسلم ٢/ ١٢٠١.

قلت: ورواه كذلك أحمد[١] والترمذي[٢] والنسائي[٣]. وعند البخاري له تتمَّة: ثم شبَّك بين أصابعه. وقع التشبيك تشبيهًا لتعاضدهم بعضهم ببعض، وذلك لأن أقواهم لهم ركن، وضعيفهم مستند لذلك الركن القوي، فإذا والاه قويَ به[٤].

(ومنها: **أن لا يؤذي أحدًا من المسلمين بفعل ولا قول، قال ﷺ: المسلم مَن سَلِمَ المسلمون من لسانه ويده**) وإنما[٥] خصَّهما بالذِّكر لأن الأذىٰ بهما أكثر وأغلب، وقدَّم اللسانَ لأن أكثر الأذىٰ به، ولكونه يعبَّر به عمَّا في الضمير، وعبَّر به دون القول ليشمل مَن أخرج لسانه استهزاءً، وباليد دون بقية الجوارح لتدخل اليد المعنوية كالاستيلاء علىٰ حق الغير ظلمًا، وأما إقامة الحد والتعزير فبالنظر إلىٰ المقصود الشرعي إصلاحٌ ولو مآلاً لا إيذاء. وقوله «مَن سلم المسلمون» أي وغيرهم من أهل الذمة، فالتقييد غالبيٌّ كالتقييد بجمع المذكر. وفي الحديث من أنواع البديع: جناس الاشتقاق، وهو من جوامع الكلم.

قال العراقي[٦]: متفق عليه[٧] من حديث عبد الله بن عمرو.

قلت: ورواه مسلم[٨] أيضًا من حديث جابر وأبي موسىٰ. ورواه الحاكم[٩] من حديث أنس وفضالة بن عبيد. ورواه أحمد[١٠] من حديث معاذ [بن أنس]

---

(١) مسند أحمد ٣٢/ ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٤٣.

(٢) سنن الترمذي ٣/ ٤٨٦.

(٣) سنن النسائي ص ٣٩٩.

(٤) انظر: نظم الدرر للبقاعي ٤/ ٣٢٤.

(٥) فيض القدير ٦/ ٢٧٠.

(٦) المغني ١/ ٤٨٧.

(٧) صحيح البخاري ١/ ٢٠، ٤/ ١٨٨. صحيح مسلم ١/ ٣٩.

(٨) صحيح مسلم ١/ ٣٩.

(٩) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٥١.

(١٠) مسند أحمد ٢٤/ ٣٩٧، ٢٨/ ٢٥١، ٣٢/ ١٧٧.

وعمرو بن عبسة. ورواه الطبراني[1] من حديث بلال بن الحارث وابن عمر وأبي أمامة وواثلة بن الأسقع ﷺ. ورواه أحمد[2] والترمذي[3] والنسائي[4] والحاكم[5] من حديث أبي هريرة بزيادة: «والمؤمن مَن أَمِنَه الناسُ علىٰ دمائهم وأموالهم». زاد الحاكم: «والمجاهد مَن جاهد نفسه في طاعة الله، والمهاجر مَن هجر الخطايا والذنوب»[6].

(وقال ﷺ في حديث طويل يأمر فيه بالفضائل: فإن لم تقدر فدَعِ الناسَ من الشر فإنها) أي تلك الخصلة **(صدقة تتصدَّق بها علىٰ نفسك)** قال العراقي[7]: متفق عليه[8] من حديث أبي ذر.

قلت: وأخرج أبو نعيم[9] من طريق أبي إدريس الخولاني عن أبي ذر قال: دخلت المسجد وإذا برسول الله ﷺ جالس وحده، فجلست إليه ... الحديث، وفيه: قال: قلت: فأيُّ المؤمنين أسلم؟ قال: مَن سَلِمَ المسلمون[10] من لسانه ويده

---

(١) المعجم الكبير ١/ ٣٧٠ من حديث بلال بن الحارث، و٨/ ٣١٥ من حديث أبي أمامة. أما حديث ابن عمر فقد رواه في المعجم الصغير ١/ ٢٩. ولم أقف عنده علىٰ حديث واثلة.

(٢) مسند أحمد ١٤/ ٤٩٩.

(٣) سنن الترمذي ٤/ ٣٧١.

(٤) سنن النسائي ص ٧٥٩.

(٥) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٥٠.

(٦) هذه الزيادة ليست في حديث أبي هريرة، وإنما هي في حديث فضالة بن عبيد.

(٧) المغني ١/ ٤٨٧.

(٨) صحيح البخاري ٢/ ٢١٣. صحيح مسلم ١/ ٥٢. ولفظ الحديث عند مسلم: «قلت: يا رسول الله، أي الأعمال أفضل؟ قال: الإيمان بالله والجهاد في سبيله. قلت: أي الرقاب أفضل؟ قال: أنفسها عند أهلها وأكثرها ثمنا. قلت: فإن لم أفعل؟ قال: تعين صانعا أو تصنع لأخرق. قلت: يا رسول الله، أرأيت إن ضعفت عن بعض العمل؟ قال: تكف شرك عن الناس فإنها صدقة منك علىٰ نفسك».

(٩) حلية الأولياء ١/ ١٦٦.

(١٠) في الحلية: الناس.

...» ثم ساق الحديث بطوله.

(وقال) ﷺ **(أيضًا: أفضل المسلمين مَن سلم المسلمون من لسانه ويده)** قال العراقي[١]: متفق عليه[٢] من حديث أبي موسىٰ.

قلت: وروىٰ الطبراني في الكبير[٣] من حديث ابن عمرو: «أفضل المؤمنين إسلامًا مَن سلم المسلمون من لسانه ويده ...» الحديث.

(وقال ﷺ**: أتدرون مَن المسلم؟ فقالوا: الله ورسوله أعلم. فقال: المسلم مَن سلم المسلمون من لسانه ويده. قالوا: فمَن المؤمن؟ قال: مَن أَمِنَه المؤمنون علىٰ أنفسهم وأموالهم. قالوا: فمَن المهاجر؟ قال: مَن هجر الشرَّ واجتنبه. فقال رجل: يا رسول الله، ما الإسلام؟ قال: أن يَسلم قلبُك لله، ويسلم المسلمون من لسانك ويدك)** قال العراقي[٤]: رواه الطبراني[٥] والحاكم وصحَّحه من حديث فضالة بن عبيد: «ألا أخبركم بالمؤمن؟ مَن أَمِنَه الناسُ علىٰ أموالهم وأنفسهم، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمجاهد مَن جاهد نفسه في طاعة الله، والمهاجر مَن هجر الخطايا والذنوب». ورواه ابن ماجه[٦] مقتصرًا علىٰ المؤمن والمهاجر. وللحاكم من حديث أنس وقال: علىٰ شرط مسلم: «والمهاجر مَن هجر السوء». ولأحمد من حديث عمرو بن عبسة بإسناد صحيح: قال رجل: يا رسول الله، ما الإسلام؟ قال: «أن يَسلم قلبك لله، ويسلم المسلمون من لسانك ويدك».

قلت: حديث فضالة بن عبيد رواه الحاكم من حديث أنس [بن معاذ] أيضًا.

---

(١) المغني ١/ ٤٨٧.

(٢) صحيح البخاري ١/ ٢١. صحيح مسلم ١/ ٣٩.

(٣) المعجم الكبير ١٣/ ٥٩٧.

(٤) المغني ١/ ٤٨٧ - ٤٨٨.

(٥) المعجم الكبير ١٨/ ٣٠٩. وفيه أن ذلك كان في حجة الوداع.

(٦) سنن ابن ماجه ٥/ ٤٣١.

وحديث عمرو بن عبسة رواه أحمد من حديث معاذ أيضًا. ورواه الطبراني أيضًا من حديث بلال بن الحارث وابن عمر وأبي أمامة وواثلة بن الأسقع مختصرًا. ورواه أحمد أيضًا والترمذي والنسائي والحاكم أيضًا من حديث أبي هريرة: «المسلم مَن سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه الناس علىٰ دمائهم وأموالهم». زاد الحاكم وحده: «والمجاهد مَن جاهد نفسه في طاعة الله، والمهاجر مَن هجر الخطايا والذنوب». وفي حديث أبي ذر الطويل في الحلية: قال: قلت: يا رسول الله، فأيُّ الهجرة أفضل؟ قال: «مَن هجر السيئات». وروىٰ الطبراني من حديث ابن عمرو: «وأفضل المهاجرين مَن هجر ما نهىٰ الله عنه، وأفضل الجهاد مَن جاهد نفسَه في ذات الله عَزَّوَجَلَّ».

(**وقال مجاهد**) بن جبر المكي التابعي: (**يسلَّط علىٰ أهل النار الجَرَب**) محرَّكة، وهو داء معروف (**فيحتكُّون حتىٰ يبدو عظمُ أحدهم من جلده فينادَىٰ: يا فلان، هل يؤذيك هذا؟ فيقول: نعم. فيقال**) له: (**هذا بما كنت تؤذي المؤمنين**)[1] في الدنيا، فجوزيَ به جزاءً وِفاقًا.

(**وقال ﷺ: لقد رأيت رجلاً يتقلَّب في الجنة**) أي[2] يتنعَّم بمَلاذها أو يمشي ويتبختر (**في شجرة**) أي من أجل شجرة (**قطعها من ظهر الطريق**) احتسابًا لله تعالىٰ، ولفظ «الظهر» مقحَم (**كانت تؤذي الناس**) فشكر الله له ذلك فأدخله الجنة. وفيه فضل إزالة الأذىٰ عن الطريق كشجر وغصن يؤذي وحجر يتعثَّر به أو قذر أو جيفة، وذلك من شُعَب الإيمان.

---

(١) رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق ص ١٣٥. ورواه هناد في الزهد ص ١٨٢ وابن أبي شيبة في مصنفه ١١/ ٣٩١ بلفظ: «يلقىٰ الجرب علىٰ أهل النار، فيحتكون حتىٰ تبدو العظام، فيقولون: ربنا، بم أصابنا هذا؟ فيقول: بأذاكم المؤمنين». ورواه الحاكم في المستدرك ٣/ ٦٠٧ والبيهقي في البعث والنشور ص ٣١٢ عن يزيد بن شجرة الرهاوي الصحابي.

(٢) فيض القدير ٥/ ٢٧٩.

قال العراقي[1]: رواه مسلم[2] عن أبي هريرة.

قلت: وهكذا هو في الجامعين الكبير والصغير للجلال، قال المناوي في شرحه: وقد أخرجه البخاري أيضًا في المظالم[3] من حديث أبي هريرة. والله أعلم.

وروا ابن ماجه[4] من حديثه بلفظ: «كان علىٰ الطريق غصن شجرة يؤذي الناس، فأماطها رجلٌ فأُدخِل الجنة».

(**وقال أبو هريرة**) هكذا في سائر نسخ الكتاب، ووجدت بخط الحافظ العراقي ما نصه: ولعله أبو برزة. وهكذا رأيت في نسخة من نسخ الكتاب مصلَحًا بخط بعض من يوثَق به، وكذا في نسخ «الجامع الصغير» كتب بعض المقيِّدين: أبو برزة، بإزاء أبي هريرة (**يا رسول الله، علِّمْني شيئًا أنتفع به. فقال**) عليه السلام (**اعزل الأذىٰ عن طريق المسلمين**) أي[5] أَزِلْ عن طريقهم ما يؤذيهم من حجر أو غصن أو شوك أو جيفة أو قذر وإن كان يسيرًا حقيرًا، ويظهر أن المراد بالطريق المسلوك لا المهجور وإن مُرَّ فيه علىٰ ندور، وخرج بطريق المسلمين طريقُ أهل الحرب وغيرهم فلا يُندَب عزل الأذىٰ عنها.

قال العراقي[6]: رواه مسلم[7] من حديث أبي برزة قال: قلت: يا نبي الله ... فذكره.

---

(١) المغني ١/ ٤٨٨.

(٢) صحيح مسلم ٢/ ١٢١٢.

(٣) صحيح البخاري ٢/ ٢٠٠، ولفظه: «بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك علىٰ الطريق فأخذه، فشكر الله له فغفر له». وأخرجه بهذا اللفظ أيضا في كتاب الأذان ١/ ٢١٧.

(٤) سنن ابن ماجه ٥/ ٢٦٤.

(٥) فيض القدير ١/ ٥٦٠.

(٦) المغني ١/ ٤٨٨.

(٧) صحيح مسلم ٢/ ١٢١٢.

قلت: هكذا في نسخ لمسلم، وفي بعضها: أبو هريرة، وقد رواه أبو داود[١] كذلك. وبخط الحافظ ابن حجر: رواه الطبراني في الكبير[٢] من حديث معقل بن يسار.

(وقال ﷺ: مَن زحزح عن طريق المسلمين شيئًا يؤذيهم كتب الله له بها حسنة، ومَن كتب الله له حسنة أوجب الله له بها الجنةَ) قال العراقي[٣]: رواه أحمد[٤] من حديث أبي الدرداء بسند ضعيف.

قلت: وكذلك رواه أبو يعلىٰ والخرائطي في مكارم الأخلاق[٥] وابن عساكر[٦].

(وقال ﷺ: لا يحل لمسلم أن يشير إلىٰ أخيه بنظرة تؤذيه) وفي نسخة: بنظر يؤذيه. قال العراقي[٧]: رواه ابن المبارك في الزهد[٨] من رواية حمزة بن عبيدة مرسلاً بسند ضعيف، وفي البر والصلة له من زيادات الحسين المروزي: حمزة بن عبد الله بن أبي سُمَيٍّ، وهو الصواب.

(وقال ﷺ: لا يحل لمسلم أن يروِّع مسلمًا) أي[٩] يفزعه كإشارته بسيف أو حديدة أو أفعىٰ وإن كان هازلاً؛ لِما فيه من إدخال الأذىٰ والضرر عليه.

---

(١) لم أقف عليه عند أبي داود، وهو عند ابن ماجه في سننه ٥/ ٢٦٤ عن أبي برزة.

(٢) المعجم الكبير ٢٠/ ٢١٧، ولفظه: «من أماط أذىٰ عن طريق المسلمين كتبت له حسنة، ومن تقبلت منه حسنة دخل الجنة».

(٣) المغني ١/ ٤٨٨.

(٤) مسند أحمد ٤٥/ ٤٧٢.

(٥) مكارم الأخلاق ص ١٥٧.

(٦) تاريخ دمشق ١٥/ ٢٨٦.

(٧) المغني ١/ ٤٨٨.

(٨) الزهد والرقائق ص ٢١٩.

(٩) فيض القدير ٦/ ٤٤٧.

قال العراقي[(١)]: رواه أحمد[(٢)] والطبراني من حديث رجال من الصحابة بإسناد حسن.

قلت: ورواه أيضًا أبو داود والبغوي والبيهقي من طريق عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ عن أصحاب محمد ﷺ أنهم كانوا يسيرون مع النبي ﷺ، فنام رجل منهم، فانطلق بعضهم إلىٰ حبل معه فأخذه ففزعه، فذكره رسول الله ﷺ. ورواه الطبراني في الكبير[(٣)] من حديث النعمان بن بشير، والدارقطني في الأفراد[(٤)] من حديث ابن عمر، وابن المبارك في الزهد[(٥)] من حديث أبي هريرة.

(**وقال صلىٰ الله عليه سلم: إن الله تعالىٰ يكره أذىٰ المؤمن**) قال العراقي[(٦)]: رواه ابن المبارك في الزهد[(٧)] من رواية عكرمة بن خالد مرسلاً بإسناد جيد.

قلت: وقال الحافظ ابن حجر: ذكره الترمذي[(٨)] تعليقًا.

(**وقال الربيع بن خثيم**) الكوفي العابد، تقدمت ترجمته في كتاب تلاوة القرآن (**الناس رجلان: مؤمن فلا تؤذِه، وجاهل فلا تجاهله**)[(٩)] أي لا تخاطبه بما يجهله علىٰ جهله عليك.

---

(١) لم أقف علىٰ هذا الحديث في المغني، ولعله سقط من نسخة العراقي، والظاهر أن الشارح هنا ينقل عن الفيض، وأن العراقي ذكر ذلك في كتاب آخر غير المغني.

(٢) مسند أحمد ٣٨/ ١٦٣.

(٣) لم أقف عليه في المعجم الكبير، وهو في المعجم الأوسط ٢/ ١٨٨.

(٤) أطراف الغرائب والأفراد ١/ ٥٥٢.

(٥) الزهد والرقائق ص ٢١٩.

(٦) المغني ١/ ٤٨٨.

(٧) الزهد والرقائق ص ٢٢٠، ولفظه: «لا يتناجىٰ الاثنان دون الثالث، فإن ذلك يؤذي المؤمن، والله يكره أذىٰ المؤمن».

(٨) سنن الترمذي ٤/ ٥١٦.

(٩) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٢/ ١١١، والبيهقي في شعب الإيمان ١١/ ٤٠، وأحمد في الزهد ص ٢٦٨.

(ومنها: **أن يتواضع لكل مسلم ولا يتكبَّر عليه، فإن الله** عَزَّوَجَلَّ **(لا يحب كل مُختال فخور)** فالمختال: المتكبِّر، والفخور: الكثير الفخر على الناس **(قال رسول الله** ﷺ: **إن الله** عَزَّوَجَلَّ **أوحىٰ إليَّ أنْ تواضعوا حتىٰ لا يفخر أحد علىٰ أحد)** قال العراقي[(١)]: رواه أبو داود[(٢)] وابن ماجه[(٣)] - واللفظ له - من حديث عياض بن حمار، ورجاله رجال الصحيح.

(ثم إن تفاخر عليه غيرُه فليحتمل، قال الله عَزَّوَجَلَّ **لنبيِّه** ﷺ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾) [الأعراف: ١٩٩] فقد أمر أن يتحمَّل كلامَهم ويُعرِض عن أهل الجهل.

(وعن) عبد[(٤)] الله **(ابن أبي أوفَىٰ)** علقمة بن خالد بن الحارث الأسلمي، صحابي، شهد الحديبية، وعمَّر بعد النبي ﷺ دهرًا، مات سنة سبع وثمانين، وهو آخر من مات بالكوفة من الصحابة. قال: **(كان رسول الله** ﷺ **يتواضع لكل مسلم، ولا يأنف ولا يستكبر أن يمشي مع الأرملة)** التي لا زوج لها لافتقارها، قال الأزهري[(٥)]: لا يقال لها أرملة إلا إذا كانت فقيرة، فإن كانت موسرة فلا يقال لها أرملة، والجمع: أرامل **(والمسكين فيقضي حاجته)** قال العراقي[(٦)]: رواه النسائي[(٧)] بإسناد صحيح، والحاكم[(٨)] وقال: علىٰ شرط الشيخين.

---

(١) المغني ١/ ٤٨٩.

(٢) سنن أبي داود ٥/ ٣١١، ولفظه: «إن الله عَزَّوَجَلَّ أوحي إلي أن تواضعوا حتىٰ لا يبغي أحد علىٰ أحد ولا يفخر أحد علىٰ أحد».

(٣) سنن ابن ماجه ٥/ ٥٩٨.

(٤) تقريب التهذيب ص ٤٩٢.

(٥) تهذيب اللغة ١٥/ ٢٠٤، وعبارته: «يقال للفقير الذي لا يقدر علىٰ شيء من رجل أو امرأة: أرملة، ولا يقال للمرأة التي لا زوج لها وهي موسرة أرملة».

(٦) المغني ١/ ٤٨٩.

(٧) سنن النسائي ص ٢٣١.

(٨) المستدرك علىٰ الصحيحين ٢/ ٧٢١.

قلت: ولكن ليس عندهما: ولا يستكبر. وعند البخاري[١]: إنْ كانت الأمَة لَتأخذُ بيد رسول الله ﷺ فتنطلق به حيث شاءت. وفي رواية أحمد[٢]: فتنطلق به في حاجتها.

(ومنها: أن لا يسمع بلاغات الناس بعضهم علىٰ بعض، ولا يبلِّغ بعضَهم ما يسمع من بعض) فإن هذا يؤذيه ويغيِّر خاطرَه **(قال ﷺ: لا يدخل الجنة قَتَّات)** أي نَمَّام، وهو الذي يبلِّغ الناس عن الناس الأخبارَ السيئة. وفي بعض ألفاظه: نَمَّام، بدل: قتات.

قال العراقي[٣]: متفق عليه[٤] من حديث حذيفة.

قلت: ورواه كذلك الطيالسي[٥] وأحمد[٦] وأبو داود[٧] والترمذي[٨] والنسائي[٩] والطبراني[١٠]. ورواه أبو البركات السَّقَطي في معجمه وابن النجار عن بشير الأنصاري عن جده. ورواه القاضي عبد الجبار بن أحمد في أماليه[١١] من حديث أبي سعيد بلفظ: «لا يدخل الجنة مَنَّان، ولا عاق، ولا مدمن خمر، ولا مؤمن بسحر، ولا قتَّات».

---

(١) صحيح البخاري ٤/ ١٠٤ من حديث أنس بن مالك.

(٢) مسند أحمد ١٩/ ٩.

(٣) المغني ١/ ٤٨٩.

(٤) صحيح البخاري ٤/ ١٠١. صحيح مسلم ١/ ٦٠.

(٥) مسند الطيالسي ١/ ٣٣٧.

(٦) مسند أحمد ٣٨/ ٢٨٣، ٣٣٥، ٣٣٨، ٣٥١، ٣٥٥، ٣٨١، ٣٨٨، ٤٠٠، ٤١٩، ٤٢٨، ٤٤٠.

(٧) سنن أبي داود ٥/ ٣٠٣.

(٨) سنن الترمذي ٣/ ٥٥٠.

(٩) السنن الكبرىٰ ١٠/ ٣١٠.

(١٠) المعجم الكبير ٣/ ١٨٦.

(١١) وأخرجه بهذا اللفظ أيضا: قوام السنة في الترغيب والترهيب ١/ ٢٨٦، والرافعي في التدوين ٤/ ١٠٠.

(وقال **الخليل بن أحمد**) الفراهيدي النحوي: (**مَن نَمَّ لك نَمَّ عليك، ومَن أخبرك بخبر غيرك أخبر غيرَك بخبرك**)[١] والنَّم: نقلُ الحديث بما يكرهه، والنمَّام[٢]: من يتحدَّث مع القوم فينم عليهم فيكشف ما يُكرَه كشفه، سواء كرهه المنقول عنه أو إليه أو الثالث، وهَبْه بعبارة أو إشارة أو غيرهما.

(ومنها: **أن لا يزيد في الهجرة لمَن يعرفه**) ويصاحبه (**على ثلاثة أيام مهما غضب عليه، قال أبو أيوب**) خالد[٣] بن زيد بن كُلَيب بن ثعلبة (**الأنصاري**) الخزرجي، شهد بدرًا والعَقَبة والمشاهد كلَّها، ونزل عليه رسول الله ﷺ حين قدم المدينةَ شهرًا، وعاش كثيرًا حتى مات ببلاد الروم غازيًا في خلافة معاوية سنة خمسين[٤]، وقبره في أصل سور القسطنطينية، رضي الله عنه (**قال رسول الله ﷺ: لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث**) رواه الطبراني[٥] من حديث ابن مسعود، وزاد الحاكم: «إلا أن يكون ممَّن لا تؤمَن بوائقه». هكذا رواه في الكنى من حديث عائشة بهذه الزيادة[٦]، وأنكر أحمد بن حنبل هذه الزيادة[٧]. وروى الشيخان[٨] من طريق الزهري عن عطاء بن يزيد الليثي عن أبي أيوب، ولفظهما: «فوق ثلاث ليالٍ»، ثم قال: (**يلتقيان فيُعرِض هذا ويُعرِض هذا**) ولفظهما: يصد هذا ويصد هذا

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان ١٣/ ٥٠٣، والسلمي في آداب الصحبة ص ٩٢.

(٢) التعريفات للجرجاني ص ٢٦٧.

(٣) تهذيب الكمال ٨/ ٦٦ - ٧١. تاريخ بغداد ١/ ٤٩٣ - ٤٩٥.

(٤) وقيل: سنة إحدى وخمسين، وقيل: اثنتين وخمسين، وقيل: خمس وخمسين.

(٥) المعجم الكبير ١٠/ ٢٢٨.

(٦) ورواه أيضا الخطابي في العزلة ص ٩٣، وابن عدي في الكامل ٦/ ٢١٥٧.

(٧) العلل المتناهية لابن الجوزي ٢/ ٧٥٠.

(٨) صحيح البخاري ٤/ ١٠٥، ١٣٧. صحيح مسلم ٢/ ١١٩٢.

(وخيرهما الذي يبدأ بالسلام) وهكذا رواه مالك[١] والطيالسي[٢] وأحمد[٣] وعبد بن حميد[٤] وأبو داود[٥] والترمذي[٦] - وقال: حسن صحيح - وابن حبان[٧] وابن جرير، كلهم من طريق الزهري، إلا أنه قال: عن أنس، وقال: غريب، والمحفوظ الأول.

ورواه ابن جرير وابن عدي[٨] والطبراني[٩] وابن عساكر[١٠] أيضًا من طريق الزهري عن عطاء بن يزيد الليثي عن أُبَيِّ بن كعب. قال ابن عدي: هكذا يرويه الليث بن سعد عن عقيل، وإنما يرويه أصحاب الزهري عنه عن عطاء عن أبي أيوب.

وروىٰ مسلم[١١] من حديث ابن عمر: «لا يحل للمؤمن أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام».

وكذلك رواه الخرائطي في مساوئ الأخلاق[١٢] والبزار[١٣] من حديث ابن

---

(١) الموطأ ٢/ ٩٠٧.
(٢) مسند الطيالسي ١/ ٤٨٤.
(٣) مسند أحمد ٣٨/ ٥٠٩، ٥٥٠، ٥٥٧.
(٤) المنتخب من مسند عبد بن حميد ١/ ٢٠٥.
(٥) سنن أبي داود ٥/ ٣١٨.
(٦) سنن الترمذي ٣/ ٤٨٨.
(٧) صحيح ابن حبان ١٢/ ٤٨٤ - ٤٨٥.
(٨) الكامل في الضعفاء ٤/ ١٥٤٥.
(٩) المعجم الكبير ٤/ ١٤٦.
(١٠) تاريخ دمشق ٢٩/ ٩٤.
(١١) صحيح مسلم ٢/ ١١٩٢.
(١٢) مساوئ الأخلاق ص ٢٤٥ - ٢٤٩.
(١٣) مسند البزار ٤/ ١١، ٥/ ١٢٣، ٢٧٩، ١٢/ ٣٦٢.

مسعود وسعد وأنس.

وروىٰ أحمد[1] والطبراني[2] والبيهقي[3] من حديث هشام بن عامر: «لا يحل لمسلم أن يهجر مسلمًا فوق ثلاث ليالٍ فإنهما ناكبان عن الحق ما داما علىٰ صُرامهما، وإنَّ أولهما فيئًا يكون سبقُه بالفيء كفارته، وإن سلَّم عليه فلم يقبل ولم يردَّ عليه سلامه ردَّت عليه الملائكة، ويرد علىٰ الآخَر الشيطانُ، وإن ماتا علىٰ صُرامهما لم يدخلا الجنة جميعًا أبدًا».

وروىٰ أبو داود[4] من حديث أبي هريرة: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث، فمَن هجر فوق ثلاث فمات دخل النار».

وعند[5] ابن النجار من حديثه: «لا يحل لرجل مسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام، والسابق يسبق إلىٰ الجنة».

وعند البيهقي[6] من حديثه: «لا يحل لمؤمن أن يهجر مؤمنًا فوق ثلاثة أيام، فإذا مر ثلاث لقيه فسلَّم عليه فإن رد فقد اشتركا في الأجر، وإن لم يردَّ عليه فقد برئ المسلِّمُ من الهجرة وصارت علىٰ صاحبه».

(**وقال ﷺ: مَن أقالَ مسلمًا عثرتَه أقاله الله يوم القيامة**) وأصل[7] الإقالة: فسخ البيع، وهو من الإحسان المأمور به في القرآن لِما له من الغرض فيما ندم عليه

---

(١) مسند أحمد ٢٦/ ١٨٨ - ١٩٠.

(٢) المعجم الكبير ٢٢/ ١٧٥.

(٣) شعب الإيمان ٩/ ١٩، ١١/ ٣٦٢.

(٤) سنن أبي داود ٥/ ٣١٩.

(٥) كنز العمال ٩/ ٤٨.

(٦) السنن الكبرىٰ ١٠/ ١٠٨.

(٧) فيض القدير ٦/ ٧٩.

سيَّما في بيع العقار وتمليك الجوار.

قال العراقي[١]: رواه أبو داود والحاكم، وقد تقدم[٢].

قلت: لفظ أبي داود وابن ماجه والحاكم من حديث أبي هريرة: «مَن أقال مسلمًا أقال الله عثرته». ولفظ البيهقي من حديثه: «مَن أقال نادمًا أقاله الله يوم القيامة». فالذي ذكره المصنف مركَّب من حديثين من طريقين مختلفين.

(وقال عكرمة) مولىٰ ابن عباس، ثقة في التفسير **(قال الله تعالىٰ ليوسف ابن يعقوب)** عليهما السلام: يا يوسف **(بعفوك عن إخوتك رفعت ذِكرك في الذاكرين)** [٣] وفي بعض النسخ: في الدارين.

(وقالت عائشة ﵂: ما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه قط إلا أن تُصاب حرمة الله فينتقم لله) قال العراقي[٤]: متفق عليه[٥] بلفظ: إلا أن تُنتهَك.

(وقال ابن عباس ﵄: ما عفا رجل عن مَظلمة إلا زاده الله بها عزًّا) في[٦] الدنيا، فإنَّ مَن عُرف بالعفو والصفح عظُم في القلوب أو في الآخرة بأن يعظُم ثوابُه. وهو معنىٰ حديث أبي هريرة الآتي بعده: **(وقال رسول الله ﷺ: ما نقص مال من صدقة)** في الدنيا بالبركة فيه والإخلاف عليه بما هو أجدَىٰ وأكثر ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ [سبأ: ٣٩] أو في الآخرة بإجزال الأجر أو تضعيفه أو فيهما، وذلك جابر [لأصناف ذلك النقص] **(وما زاد الله رجلاً بعفو)** أي بسبب عفوه **(إلا عزًّا)** في الدنيا أو في الآخرة أو فيهما **(وما من أحد تواضَعَ لله)** رقًّا وعبودية في الائتمار

---

(١) المغني ١/ ٤٨٩.

(٢) في آخر الباب الرابع من كتاب آداب الكسب والمعاش.

(٣) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٣/ ٣٣٧، والخرائطي في مكارم الأخلاق ص ١٣٠.

(٤) المغني ١/ ٤٨٩.

(٥) صحيح البخاري ٢/ ٥١٨، ٤/ ١١٤، ٢٤٨، ٢٦٣. صحيح مسلم ٢/ ١٠٩٧ - ١٠٩٨.

(٦) فيض القدير ٥/ ٥٠٣ - ٥٠٤.

بأمره والانتهاء عن نهيه (**إلا رفعه الله**) في الدنيا بأن يثبِّت له في القلوب منزلة، وكذا في الآخرة على سرير خلود لا يفنى ومنبر مُلكٍ لا يبلى. واعلمْ أن من جبلَّة الإنسان الشح بالمال ومشابهة السبعية من إيثار الغضب والانتقام والاسترسال في الكِبْر الذي هو من نتائج الشيطنة، فأراد الشارع أن يقلعها من سنخها، فحث أولاً على الصدقة ليتحلَّى بالسخاء والكرم، وثانيًا على العفو ليتعزَّز بعز الحِلم والوقار، وثالثًا على التواضع ليرفع درجاته في الدارين.

قال العراقي[١]: رواه مسلم[٢] من حديث أبي هريرة.

قلت: ورواه كذلك أحمد[٣] والترمذي[٤] وابن حبان[٥]، ولفظهم جميعًا: «ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًّا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله». قال الطيبي[٦]: قوله «ما نقصت صدقة من مال»، «من» هذه يحتمل أن تكون زائدة، أي ما نقصت صدقة مالاً. ويحتمل أن تكون صلة لـ «نقصت»، والمفعول الأول محذوف، أي ما نقصت شيئًا من مال[٧].

(**ومنها: أن يُحسِن إلى كل مَن قدر عليه**) من الإحسان إليه (**منهم ما استطاع**) عليه (**لا يميِّز بين الأهل**) للمعروف (**وغيرهم. رُوي عن**) أبي الحسن زين العابدين (**علي بن الحسين**) بن علي بن أبي طالب (**عن أبيه**) الحسين (**عن جده**) علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

---

(١) المغني ١/ ٤٩٠.

(٢) صحيح مسلم ٢/ ١٢٠٢.

(٣) مسند أحمد ١٤/ ٥٥٢.

(٤) سنن الترمذي ٣/ ٥٥٢.

(٥) صحيح ابن حبان ٨/ ٤٠.

(٦) شرح مشكاة المصابيح ٥/ ١٥٤٠.

(٧) زاد المناوي: «في الدنيا بالبركة فيه ودفع المفسدات عنه والإخلاف عليه بما هو أجدى وأنفع وأكثر وأطيب».

(قال: قال رسول الله ﷺ: اصنع المعروف) وهو[1] كل ما عُرف حُسنه من الشارع **(إلىٰ أهله وإلىٰ غير أهله، فإن أصبتَ أهله فهو أهله، وإن لم تُصِب أهله فأنت من أهله)** وانظر إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝﴾ [الإنسان: ٨] والأسير في دارنا الكافر، فأثنىٰ علىٰ مَن صنع معه معروفًا بإطعامه، فكيف بمَن أطعم موحِّدًا، ولهذا قال ابن عباس: لا يزهدنَّك في المعروف كفرُ مَن كفره فإنه يشكرك عليه من لم تصطنعه معه[2].

قال العراقي[3]: ذكره الدارقطني في العلل[4]، وهو ضعيف. ورواه في المستجاد من رواية[5] جعفر بن محمد عن أبيه عن جده مرسلاً بسند ضعيف.

قلت: وكذلك رواه ابن النجار في تاريخه من حديث علي، ورواه الخطيب في «رُواة مالك» من طريق بِشر بن يزيد الأزدي عن مالك عن نافع عن ابن عمر رفعه. وقال الحافظ في اللسان[6]: له عن مالك مناكير. ثم ساق منها هذا الخبر، ثم عقَّبه بقوله: قال الدارقطني: إسناده ضعيف، ورجاله مجهولون. وأورده صاحب الميزان[7] في ترجمة عبد الرحمن بن بشير عن أبيه[8] وقال: إسناده مظلم [وخبر

---

(١) فيض القدير ١/ ٥٣٣.

(٢) ذكره ابن قتيبة في عيون الأخبار ٣/ ١٩٩. وأورده المتقي الهندي في كنز العمال ٦/ ٥٨٧ عن علي بن أبي طالب بلفظ: «المعروف أفضل الكنوز وأحصن الحصون، لا يزهدنك فيه كفر من كفر فقد يشكرك عليه من لم يستمتع منه بشيء، وقد تدرك بشكر الشاكر ما يضيع جحود الكافر».

(٣) المغني ١/ ٤٩٠.

(٤) العلل ٣/ ١٠٧.

(٥) الذي في المغني: ورواه القضاعي في مسند الشهاب من رواية ... الخ. والحديث في مسند الشهاب ١/ ٤٣٦.

(٦) لسان الميزان ٢/ ٣١٧ - ٣١٨.

(٧) ميزان الاعتدال ٢/ ٥٥٠.

(٨) ومن طريقه رواه الرافعي في التدوين ١/ ٢٠٣ - ٢٠٤.

باطل]. ثم إن لفظ روايتهم: «اصنع المعروف إلىٰ من هو أهله وإلىٰ غير أهله، فإن أصبتَ أهله أصبت أهله، وإن لم تُصِب أهله كنت أنت أهله».

(وعنه) أي عن علي بن الحسين بن علي (بإسناده) المذكور عن أبيه عن جده رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (قال: قال رسول الله ﷺ: رأس العقل) أي[1] أصله وعماده الذي يقوم به (بعد الإيمان) وفي نسخة: بعد الدين (التودُّد إلىٰ الناس) أي التسبُّب في محبتهم لك بالبِشر والطلاقة والهدية والإحسان وغير ذلكَ (واصطناع الخير إلىٰ كل بَر وفاجر) قال العراقي[2]: رواه الطبراني في الأوسط[3] وأبو بكر الجعابي في «أخبار الطالبيين»، وعنه أبو نعيم في الحلية[4] دون قوله: واصطناع ... الخ [وقال الطبراني: التحبب.

قلت: ورواه البزار في مسنده[5] من حديث أبي هريرة] وفي سنده عبيد الله بن عمرو القيسي، وهو ضعيف. ورواه البيهقي كذلك من طريق هشيم عن علي ابن زيد بن جدعان عن ابن المسيب عن أبي هريرة وقال: لم يسمعه هُشَيم من علي، وهذا حديث يُعرف بأشعث بن بَراز عن علي بن زيد عن ابن المسيب مرسلاً فدلَّسه هشيم. وقال في موضع آخر: في هذا الإسناد ضعفٌ[6]. ورواه الديلمي كذلك بزيادة:

---

(١) فيض القدير ٣/ ٥٧٤ - ٥٧٦، ٤/ ٢ - ٤.

(٢) المغني ١/ ٤٩٠.

(٣) المعجم الأوسط ٥/ ١٢٠.

(٤) حلية الأولياء ٣/ ٢٠٣.

(٥) مسند البزار ١٤/ ٢٦٣.

(٦) خلط الشارح هنا في النقل عن البيهقي، ونصه في شعب الإيمان ١١/ ٢٣ - ٢٤: «أخبرنا أبو نصر ابن قتادة، أخبرنا محمد بن الحسن السراج، حدثنا أحمد بن يحيىٰ العطار، حدثنا حميد بن الربيع، حدثنا هشيم، عن علي بن زيد، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: رأس العقل المداراة، وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة. وصلُه منكر، وإنما يروىٰ منقطعا. أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ومحمد بن موسىٰ، قالا: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثني أبي، حدثنا هشيم، عن علي بن زيد، عن ابن المسيب قال: قال رسول الله ﷺ: رأس العقل بعد الإيمان بالله مداراة الناس. قال عبد الله: سمعت

«في غير ترك الحق»[١]. ولفظ المصنِّف بتمامه قد رواه أيضًا البيهقي[٢] من طريق عبد الله بن أحمد بن عامر الطائي عن أبيه عن علي بن موسىٰ الرضا عن آبائه، أورده الذهبي في الضعفاء[٣] - يعني الطائي - وقال: له نسخة باطلة. ورواه الشيرازي في الألقاب من حديث أنس بزيادة: «وأهل التودُّد في الدنيا لهم درجة في الجنة ...» الحديث. وكذلك أخرجه البيهقي[٤] أيضًا من طريق إسماعيل بن بحر العسكري عن إسحاق العمِّي عن يونس بن عبيد عن الحسن عن أبي هريرة[٥]، والعسكري والعمي ضعيفان. ورواه البيهقي[٦] من مرسَل سعيد بن المسيب بإسناد ضعيف بزيادة: «وما يستغني الرجل عن مشورة، وإن أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة، وإن أهل المنكَر في الدنيا هم أهل المنكر في الآخرة». ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب قضاء الحوائج[٧]، إلا أنه قال: مداراة الناس، بدل قوله: التودُّد إلىٰ الناس.

وروىٰ يونس بن عبيد عن ميمون بن مهران قال: التودُّد إلىٰ الناس نصف العقل، وحسن المسألة نصف الفقه، ورفقك في المعيشة يلقي عنك نصفَ المؤنة[٨].

أبي يقول: لم يسمعه هشيم من علي بن زيد. قال البيهقي: هذا الحديث يعرف بأشعث بن براز عن علي بن زيد عن ابن المسيب عن النبي ﷺ: رأس العقل بعد الإيمان بالله التودد إلىٰ الناس. فدلسه هشيم».

(١) رواه بهذه الزيادة: ابن عدي في الكامل ٣/ ١٠٩٩ وأبو عبد الرحمن السلمي في الفتوة ص ١١ من حديث ابن عباس.

(٢) شعب الإيمان ١٠/ ٤٠٧.

(٣) ديوان الضعفاء ص ٢١٠.

(٤) شعب الإيمان ١٠/ ٤٠٦.

(٥) كذا هنا، وهو خطأ، والصواب: عن أنس.

(٦) السنن الكبرىٰ ١٠/ ١٨٧ - ١٨٨.

(٧) قضاء الحوائج ص ٢٦ - ٢٧.

(٨) رواه البيهقي في شعب الإيمان ٦/ ٣٧٧، ٨/ ٥٠٣. وابن حبان في روضة العقلاء ص ٦٥.

وقد رُوي هذا مرفوعًا بإسناد ضعيف.

(وقال أبو هريرة) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **(كان رسول الله ﷺ لا يأخذ أحدٌ بيده فينزع يده حتىٰ يكون الرجل هو الذي يرسله، ولم تكن ترىٰ ركبته خارجة عن ركبة جليسه، ولم يكن أحد يكلِّمه إلا أقبل عليه بوجهه، ثم لم ينصرف)** وفي نسخة: ثم لم يصرفه **(عنه حتىٰ يفرغ من كلامه)** قال العراقي[١]: رواه الطبراني في الأوسط[٢] بإسناد حسن. ولأبي داود[٣] والترمذي[٤] وابن ماجه[٥] نحوه من حديث أنس بإسناد ضعيف.

قلت: أخرجه الترمذي في كتاب الزهد عن سُوَيد بن نصر، عن ابن المبارك، عن عمران بن زيد الثعلبي، عن زيد العَمِّي، عن أنس بلفظ: كان إذا استقبله الرجل فصافحه لا ينزع يده من يده حتىٰ يكون الرجل هو الذي ينزع يده من يده، ولا يصرف وجهه عنه حتىٰ يكون [الرجل] هو الذي يصرف وجهه، ولم أَرَه مقدِّمًا ركبتيه بين يدي جليس له. وأخرجه ابن ماجه من طريق وكيع عن أبي يحيىٰ الطويل هو عمران بن زيد الثعلبي المذكور، وشيخه زيد العمي ضعيف عند الجمهور. وأخرجه ابن سعد في الطبقات[٦] من طريق الحسن بن الحكم عن أنس. والحارث بن أبي أسامة[٧] من طريق يونس بن عبيد عن ثابت عن أنس. ورواه أبو

والرامهرمزي في المحدث الفاصل ص ٣٦٠.

(١) المغني ١/ ٤٩٠.

(٢) المعجم الأوسط ٨/ ٢٩٨.

(٣) لم أقف عليه في سنن أبي داود.

(٤) سنن الترمذي ٤/ ٢٦٧.

(٥) سنن ابن ماجه ٥/ ٢٨٦.

(٦) أخرجه في الطبقات الكبرىٰ ١/ ٣٢٥ من طريق زيد العمي ومن طريق مولىٰ لأنس، وليس فيه طريق الحسن بن الحكم.

(٧) بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث ص ٨٨٢. ولفظه: «كان رسول الله ﷺ من أشد الناس لطفا بالناس، فوالله ما كان يمتنع في غداة باردة من عبد ولا أمة ولا صبي أن يأتيه بالماء فيغسل وجهه

نعيم في الحلية[١] من طريق الحارث هذا.

(ومنها: **أن لا يدخل علىٰ أحد منهم إلا بإذنه حتىٰ يستأذن ثلاثًا**) أي ثلاث مرات (**فإن لم يؤذَن له وإلا انصرف**) لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُواْ فَٱرْجِعُواْ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٨] (**قال أبو هريرة**) رضي الله عنه: (**قال رسول الله** ﷺ: **الاستئذان**) وهو[٢] طلب الإذن للدخول (**ثلاث**) من المرَّات (**فالأولىٰ يستنصتون**) أي أهل المنزل الاستئذانَ عليهم (**والثانية يستصلحون**) أي يُصلِحون المكان لجلوسه، أو يُصلِحون عليهم ثيابهم ونحو ذلك (**والثالثة يأذنون**) للمستأذِن عليهم (**أو يردُّون**) عليه بالمنع. وهذا الحديث يبيِّن أن المستأذن لا يشرع له طَرْقُ الباب، لكن محله فيمن قرُب محلُّه من بابه، أما مَن بعُد من الباب بحيث لا يبلغه الصوتُ فيدق عليه الباب.

قال العراقي[٣]: رواه الدارقطني في الأفراد[٤] بسند ضعيف. وفي الصحيحين[٥] من حديث أبي موسىٰ: «الاستئذان ثلاث، فإن أُذِنَ لك وإلا فارجع».

قلت: في سند الدارقطني عمر بن عمران السدوسي، قال في الميزان[٦]: مجهول، وقال الأزدي: منكر الحديث، أحد المتروكين[٧]. ثم ساق له هذا الخبر مما أُنكِر عليه.

وذراعيه، وما سأله سائل قط إلا أصغىٰ إليه فلم ينصرف حتىٰ يكون هو الذي ينصرف عنه، وما تناول أحد بيده قط إلا ناولها إياه فلم ينزع حتىٰ يكون هو الذي ينزعها منه».

(١) حلية الأولياء ٣/ ٢٦.

(٢) فيض القدير ٣/ ١٧٦ - ١٧٧.

(٣) المغني ١/ ٤٩١.

(٤) أطراف الغرائب والأفراد ٢/ ٣١٤.

(٥) صحيح البخاري ٤/ ١٣٩. صحيح مسلم ٢/ ١٠٣٠ - ١٠٣٢.

(٦) ميزان الاعتدال ٣/ ٢١٦.

(٧) هذه العبارة ناقصة، ونص الميزان: «منكر الحديث، له عن دهثم بن قران - أحد المتروكين - عن يحيىٰ بن أبي كثير ...» ثم ساق سند ومتن الحديث.

وأما حديث أبي موسىٰ فقد رواه الشيخان أيضًا من حديث أبي سعيد، ورواه الترمذي[١] عنهما كذلك. ولما روىٰ أبو موسىٰ هذا الخبر لعمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: لَتأتيَنِّي عليه ببيِّنة وإلا فعلتُ وفعلت. فأتىٰ بأبي سعيد - وفي رواية: بأبيِّ بن كعب - فقال: سمعت النبي ﷺ يقوله، يا ابن الخطاب فلا تكوننَّ عذابًا علىٰ أصحاب رسول الله. فقال: أحببت أن أتثبَّت.

تنبيه: اختُلف هل السلام شرط في الاستئذان أم لا، قال المازري[٢]: صورة الاستئذان أن يقول: السلام عليكم أأدخل؟ ثم هو مخيَّر بين أن يسمي نفسه أو لا. وفيه أنه قد لا تجوز الزيادة علىٰ الثلاث في الاستئذان. نعم، إن علم أنه لم يسمع زاد، علىٰ الأصح عند الشافعية[٣].

(**ومنها: أن يخالق الجميع بخلق حسن، ويعامل كلاًّ منهم بحسب طريقته**) وفي نسخة: بحسن طريقته (**فإنه إن أراد لقاءَ الجاهل بالعلم و**) لقاء (**الأمي**) الذي لم يقرأ ولم يكتب. وفي نسخة: اللاهي (**بالفقه والعِي**) بكسر العين هو الحَصِر الأبكم. وفي نسخة: الغبي (**بالبيان**) أي فصاحة اللسان (**آذىٰ**) غيرَه (**وتأذَّىٰ**) بنفسه.

(**ومنها: أن يوقِّر المشايخ**) ذوي الأسنان، أي يعظِّمهم (**ويرحم الصبيان**) أي الأطفال الصغار (**قال جابر**) بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (**قال رسول الله ﷺ: ليس منا**) أي[٤] من أهل سنَّتنا (**مَن لم يوقِّر**) أي يعظِّم (**كبيرنا**) بما يستحقُّه من التبجيل والتعظيم (**ولم يرحم صغيرنا**) الواو بمعنىٰ «أو»، فالتحذير من كلٍّ منهما [وحده] فيتعيَّن أن يعامل كلاًّ منهما بما يليق به، فيعطي الصغير حقه من الرفق به والرحمة والشفقة

---

(١) سنن الترمذي ٤/ ٤٢١.

(٢) المعلم بفوائد مسلم ٣/ ١٤٦ - ١٤٧.

(٣) قال النووي في المجموع شرح المهذب ٤/ ٦٢٢.

(٤) فيض القدير ٥/ ٣٨٨ - ٣٨٩.

عليه، ويعطي الكبير حقه من الشرف والتوقير.

قال العراقي[1]: رواه الطبراني في الأوسط[2] بسند ضعيف. وهو عند أبي داود[3] والبخاري في الأدب المفرد[4] من حديث عبد الله بن عمرو بسند حسن.

قلت: ويُروَىٰ بتقديم الجملة الأخيرة علىٰ الأولىٰ، وهكذا رواه الترمذي[5] والخرائطي[6] من حديث أنس. ورواه أبو نعيم[7] وأبو موسىٰ المديني في الذيل من حديث الأضبط. ورواه الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث علي وأبي هريرة وابن مسعود[8]. ورُوي: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا ولا يشرِّف كبيرنا»، وهكذا رواه الترمذي[9] - وقال: حسن صحيح - والحاكم[10] من حديث ابن عمرو. ويُروَىٰ: «ليس منا من لم يجلَّ كبيرنا ويرحم صغيرنا»، وهكذا رواه الطبراني في الكبير[11] والحكيم من حديث أبي أمامة. والطبراني[12] أيضًا من حديث واثلة. ويُروَىٰ بزيادة:

---

(١) المغني ١/ ٤٩١.

(٢) المعجم الأوسط ٦/ ١٠١.

(٣) سنن أبي داود ٥/ ٣٣١.

(٤) الأدب المفرد ص ١١٣، ١١٤، ١١٦.

(٥) سنن الترمذي ٣/ ٤٧٩.

(٦) مكارم الأخلاق ص ١٢٣.

(٧) معرفة الصحابة ١/ ٣٥٩.

(٨) رواه ص ١٢٣ - ١٢٤ من حديث أبي هريرة ومن حديث ابن عباس، ولم يروه من حديث علي ولا من حديث ابن مسعود. وحديث علي أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ١٣/ ٣٥٧. وحديث ابن مسعود أخرجه الخطيب في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ١/ ٢٧١.

(٩) سنن الترمذي ٣/ ٤٨٠ - ٤٨١.

(١٠) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ١٢٠، وفيه: «ويعرف حق كبيرنا».

(١١) المعجم الكبير ٨/ ١٩٦.

(١٢) السابق ٢٢/ ٩٥.

«ويعرف لعالِمنا حقَّه»، وهكذا رواه أحمد[١] والطبراني في الكبير[٢] والعسكري في الأمثال وابن جرير[٣] والحاكم[٤] أيضًا من حديث عُبادة ابن الصامت. ويُروَىٰ: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا ولم يعرف حق كبيرنا، وليس منا مَن غشَّنا ...» الحديث، وهكذا رواه الطبراني في الكبير[٥] من طريق حسين بن عبد الله بن ضميرة عن أبيه عن جده. ويُروَىٰ بلفظ المصنف بزيادة: «ويجل عالِمَنا»، وهكذا رواه العسكري في الأمثال من حديث عُبادة[٦]. ويُروَىٰ: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقِّر كبيرنا ويأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر». وهكذا رواه أحمد[٧] والترمذي[٨] – وقال: غريب – من حديث ابن عباس.

(والتلطُّف بالصبيان من عادة رسول الله ﷺ) فروىٰ البزار من حديث أنس: كان من أفكه الناس مع صبي. وقد تقدم في النكاح. وفي الصحيحين من حديث أنس: «يا أبا عُمَير، ما فعل النُّغَير». وغير ذلك.

(وقال ﷺ: من إجلال الله) أي[٩] تعظيمه **(إكرام ذي الشيبة المسلم)** أي تعظيم الشيخ الكبير صاحب الشيبة البيضاء الذي عمره في الإسلام وتوقيره في المجالس والرفق به والشفقة عليه.

---

(١) مسند أحمد ٣٧/ ٤١٦.

(٢) ورواه أيضا في مكارم الأخلاق ص ٣٦٧.

(٣) تهذيب الآثار – السفر الثاني من مسند عمر ص ٥٤٣.

(٤) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ١٩٩.

(٥) المعجم الكبير ٨/ ٣٦٨.

(٦) كنز العمال ٣/ ١٧٩.

(٧) مسند أحمد ٤/ ١٧٠.

(٨) سنن الترمذي ٣/ ٤٨٠.

(٩) فيض القدير ٢/ ٥٢٩.

قال العراقي[١]: رواه أبو داود[٢] من حديث أبي موسىٰ الأشعري بإسناد حسن.

قلت: وتمامه: «وحامل القرآن غير المغالي فيه والجافي عنه وإكرام ذي السلطان المقسط». وقد سكت عليه أبو داود، أي فهو حسن عنده، وهكذا قاله ابن القَطَّان[٣] والحافظ ابن حجر[٤]، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات بهذا اللفظ من حديث أنس، ونقل عن ابن حبان أنه لا أصل له[٥]، ولم يُصِب ابن الجوزي ولا ابن حبان، بل له أصل من حديث أبي موسىٰ. وأما حديث أنس الذي قال ابن حبان: لا أصل له، فلفظه: «إن من إجلال الله[٦] توقير الشيخ من أمَّتي»، رواه الخطيب في

---

(١) المغني ١/ ٤٩١.

(٢) سنن أبي داود ٥/ ٢٩١.

(٣) نص ابن القطان في بيان الوهم والإيهام ٤/ ٣٧١: «سكت عنه عبد الحق، وما مثله صحِّح فإنه عند أبي داود هكذا: حدثنا إسحاق بن إبراهيم الصواف قال: حدثنا عبد الله بن حمران قال: حدثنا عوف بن أبي جميلة، عن زياد بن مخراق، عن أبي كنانة، عن أبي موسىٰ ... فذكره. وأبو كنانة هذا لا تُعرف حاله، وقد ذكره ابن أبي حاتم ذكرا يجب تفقده، وذلك أنه عد من يروي عنه فقال: روىٰ عنه أبو إياس وزياد الجصاص. لم يزد علىٰ هذا، وزياد الجصاص ليس هو زياد بن مخراق الذي في الإسناد، بل هو زياد بن أبي زياد، وهو عندهم منكر الحديث. فأما ابن مخراق فثقة، فالله أعلم إن كان روىٰ عنه أيضا الجصاص كما روىٰ ابن مخراق. ولم يذكره ابن الجارود بأكثر من رواية زياد بن مخراق عنه وروايته هو عن أبي موسىٰ الأشعري».

(٤) التلخيص الحبير ٢/ ٢٤٠.

(٥) كلام ابن حبان هنا عن حديث جابر الذي رواه ابن الجوزي في الموضوعات ١/ ١٨٣ بلفظ: «من إجلال الله عَزَّوَجَلَّ إكرام ذي الشيبة المسلم». أما حديث أنس فرواه من طريقين بسياقين مختلفين: الأول: طريق حميد عنه: «من أكرم ذا سن في الإسلام كأنه قد أكرم نوحا، ومن أكرم نوحا في قومه فقد أكرم الله عَزَّوَجَلَّ». الثاني: طريق الزهري عنه: «بجلوا المشايخ فإن تبجيل المشايخ من تبجيل الله». وانظر: المجروحين من المحدثين لابن حبان ٢/ ١٥٢.

(٦) الذي في الفيض وجامع الخطيب: من إجلالي.

الجامع[١]، وفيه عبد الرحيم بن حبيب عن بقية، قال يحيىٰ: ليس بشيء[٢].

وروىٰ أبو الشيخ في التوبيخ[٣] من حديث جابر: «ثلاثة لا يستخفُّ بحقهم إلا منافق بيِّن النفاق: ذو الشيبة في الإسلام، والإمام المقسط، ومعلِّم الخير».

ورواه الطبراني في الكبير[٤] من حديث أبي أُمامة نحوه.

(ومن تمام توقير المشايخ) وتعظيمهم **(أن لا يتكلم بين أيديهم إلا بإذن)** منهم **(قال جابر)** بن عبد الله رضي الله عنه: **(قدم وفدُ جُهَينة)** وهي قبيلة من قُضاعة **(علىٰ رسول الله ﷺ، فقام غلام)** أي شاب بينهم **(ليتكلم، فقال رسول الله ﷺ: مَه)** أي اكففْ **(فأين الكبير)**. قال العراقي[٥]: رواه الحاكم[٦] وصحَّحه.

(وفي الخبر) عن النبي ﷺ: **(ما وقَّر)** أي عظَّم **(شابٌّ شيخا)** لأجل[٧] سنِّه **(إلا قيَّض الله له)** أي سبَّب وقدَّر **(في سنِّه)** مجازاةً له علىٰ فعله **(من يوقِّره)** بأن يقدِّر له عمرًا يبلغ به إلىٰ الشيخوخة، ويقدِّر له من يكرمه.

قال العراقي[٨]: رواه الترمذي[٩] من حديث أنس بلفظ «ما أكرم» و«من

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ١/ ٢٧١، وليس في سنده عبد الرحيم بن حبيب. وهو في إسناد حديث جابر الذي أشرنا إلىٰ أنه عند ابن الجوزي في الموضوعات.

(٢) ميزان الاعتدال ٢/ ٦٠٣.

(٣) وكذلك الرافعي في التدوين ١/ ١٨٦.

(٤) المعجم الكبير ٨/ ٢٣٨.

(٥) المغني ١/ ٤٩١.

(٦) لم أقف عليه في المستدرك، وقد رواه البيهقي في شعب الإيمان ١٣/ ٣٦٣، والخطيب في تاريخ بغداد ١٤/ ٤٩٧، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٧١/ ٢٨٠، وابن عدي في الكامل ٦/ ٢٠٦٩.

(٧) فيض القدير ٥/ ٤٢٥.

(٨) المغني ١/ ٤٩١.

(٩) سنن الترمذي ٣/ ٥٤٨.

يكرمه» وقال: حديث غريب، وفي بعض النسخ: حسن. وفيه أبو الرَّحَّال، وهو ضعيف.

قلت: قوله «غريب» أقرب من قوله «حسن» وإن تبعه الجلالُ في جامعه فرمز لحسنه تبعًا لهذه النسخة، والذي في نسخ الترمذي بعد أن أخرجه من طريق يزيد بن بيان عن أبي الرحال عن أنس وقال: غريب لا نعرفه إلا من حديث يزيد. ا.هـ. قال ابن عدي[1]: هذا حديث منكر. وقال الصدر المناوي: وفيه يزيد بن بيان العقيلي عن أبي الرحال خالد بن محمد الأنصاري، ويزيد ضعَّفه الدارقطني[2] وغيره، وأبو الرحال واهٍ، قال البخاري[3]: عنده عجائب. وعلَّق له.

وقال الحافظ السخاوي[4]: وقد رواه حزم بن أبي حزم القُطَعي عن الحسن البصري من قوله.

(وهذه بشارة بدوام الحياة فليُتنبَّه لها، فلا يوفَّق لتوقير الشيوخ إلا مَن قضىٰ الله له بطول العمر) وهكذا ذكره ابن العربي في شرح الترمذي[5] عن العلماء أنه فيه دليل علىٰ طول العمر لمن أكرم المشيخة، وقد دخل الشاعر السرقسطي مجلسًا وقد هرم وهو يهرول في مشيه، فتغامز عليه الأحداث، فأنشأ يقول:

حديث ابن مسعود رواه: البزار في مسنده ٥/ ٢٠٩، وابن شاهين في الترغيب في فضائل الأعمال ص ١٢١.

يا عائبًا للشيوخ من أشر داخله الصبا ومن بذخ

---

(١) الكامل في الضعفاء ٣/ ٨٩٨، ٧/ ٢٧٣٣.

(٢) الضعفاء والمتروكون للدارقطني ص ٢٥٣.

(٣) التاريخ الكبير ٣/ ١٧٢.

(٤) المقاصد الحسنة ص ٣٦١.

(٥) عارضة الأحوذي ٨/ ١٠٩ - ١١٠.

اذكر إذا شئت أن تعيبهم جدَّك واذكر أباك يا ابن أخي[(١)]

من لا يعز الشيوخَ لا بلغت يومًا به سنُّه إلىٰ الشِّيَخ

(**وقال ﷺ: لا تقوم الساعة حتىٰ يكون الولد غيظًا**) لأبويه (**والمطر قيظًا**) أي ضعيفًا (**وتفيض اللئام فيضًا**) أي يكثُرون، يقال: فاض الماءُ: إذا جرىٰ بكثرة (**ويغيض الكرام غيضًا**) أي تذهب في الأرض ذهابًا، يقال: غاض الماءُ في الأرض: إذا ذهب (**ويجترئ الصغير علىٰ الكبير**) فلا يحترمه لكِبَره (**واللئيم علىٰ الكريم**) قال العراقي[(٢)]: رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث عائشة[(٣)]، والطبراني من حديث ابن مسعود[(٤)]، وإسنادهما ضعيف.

(**وكان ﷺ يقدُم من السفر، فيتلقَّاه الصبيان**) إذا خرجوا، يتلقَّونه فرحًا بقدومه (**فيقف عليهم ثم يأمر بهم فيُرفعون إليه، فيُرفع منهم بين يديه، و**) بعضهم (**من خلفه، ويأمر أصحابه أن يرفعوا بعضهم لبعض**) وفي نسخة: فيحملوا بعضهم (**وربما تفاخر الصبيان بعد ذلك فيقول بعضهم لبعض: حملني رسول الله ﷺ بين يديه وحملك أنت وراءه. ويقول بعضهم: أمر أصحابَه أن يحملوك وراءهم**) قال العراقي[(٥)]: رواه مسلم[(٦)] من حديث عبد الله بن جعفر: كان إذا قدم من سفر تُلُقِّي بنا، فتُلُقِّي بي وبالحسن أو بالحسين. قال: فحمل أحدنا بين يديه والآخر

---

(١) بعد هذا البيت في الفيض والعارضة بيت آخر وهو:

واعلم بأن الشباب منسلخ عنك وما وزره بمنسلخ

(٢) المغني ١/ ٤٩٢.

(٣) لم أقف عليه في مكارم الأخلاق، وقد رواه الطبراني في المعجم الأوسط ٦/ ٢٨٥ والقضاعي في مسند الشهاب ٢/ ٩٢.

(٤) المعجم الكبير ١٠/ ٢٨٢.

(٥) المغني ١/ ٤٩٢.

(٦) صحيح مسلم ٢/ ١١٣٧ - ١١٣٨.

خلفه. وفي رواية: تُلُقِّي بصبيان أهل بيته، وأنه قدم من سفر، فسُبق بي إليه، فحملني بين يديه، ثم جِيء بأحد ابنَي فاطمة فأردفه خلفه. وفي الصحيحين[١] أن عبد الله ابن جعفر قال لابن الزبير: أتذكر إذ تلقَّينا رسولَ الله ﷺ أنا وأنت [وابن عباسٍ]؟ قال: نعم، فحملنا وتركك. لفظ مسلم. وقال البخاري: إن ابن الزبير قال لابن جعفر. والله أعلم.

قلت: رواه مسلم في الفضائل، وتمامه: فدخلنا المدينة ثلاثة علىٰ دابَّة. وكذلك رواه أحمد[٢] وأبو داود[٣] في الجهاد.

(وكان ﷺ يؤتَىٰ بالصبي الصغير ليدعو له بالبركة وليسمِّيه، فيأخذه فيضعه في حِجره، فربما بال الصبيُّ في حِجره فيصيح به بعضُ من يراه) من الحاضرين **(فيقول: لا تزرموا الصبيَّ)** أي لا تقطعوا عليه **(بولَه)** يقال: أزرم عليه بولَه: إذا قطعه. وهو بتقديم الزاي علىٰ الراء **(فيدعه)** أي يتركه **(حتىٰ يقضي بولَه، ثم يفرغ من دعائه له ويسمِّيه)** ويحنكه **(ويبلغ سرورُ أهله فيه وأن لا يروا)** وفي نسخة: لئلاَّ يروا **(أنه تأذَّىٰ ببوله)** في حِجره **(فإذا انصرفوا غسل ثوبه بعد ذلك)** وفي نسخة: بعدهم. قال العراقي[٤]: رواه مسلم[٥] من حديث عائشة: كان يؤتَىٰ بالصبيان فيبرِّك عليهم ويحنكهم، فأُتي بصبي، فبال عليه، فدعا بماء فأتبعه بوله ولم يغسله.

---

(١) صحيح البخاري ٢/ ٣٨٢. صحيح مسلم ٢/ ١١٣٧.

(٢) مسند أحمد ٣/ ٢٧٢.

(٣) سنن أبي داود ٣/ ٢٤٤، ولفظه: «كان النبي ﷺ إذا قدم من سفر استُقبل بنا، فأينا استُقبل أولا جعله أمامه، فاستُقبل بي، فحملني أمامه، ثم استُقبل بحسن أو حسين، فجعله خلفه، فدخلنا المدينة وإنا لكذلك».

(٤) المغني ١/ ٤٩٣.

(٥) صحيح مسلم ١/ ١٤٥.

وأصله متفق عليه. وفي رواية لأحمد[١]: فيدعو لهم. وفيه: «صُبُّوا عليه الماء صبًّا». وللدارقطني[٢]: بال ابن الزبير علىٰ النبي ﷺ فأخذته أخذًا عنيفًا ... الحديث، وفيه الحجاج بن أرطاة، ضعيف. ولأحمد بن منيع من حديث الحسن بن علي عن امرأة منهم: بينا رسول الله ﷺ مستلقيًا علىٰ ظهره يلاعب صبيًّا إذ بال، فقامت لتأخذه وتضربه، فقال: «دعيه، ائتوني بكوز من ماء ... الحديث، وإسناده صحيح.

قوله «وأصله متفق عليه» يشير إلىٰ أن البخاري[٣] قد رواه كذلك، إلا أنه ليس عنده «ويحنكهم». وقد رواه أبو داود[٤] أيضًا، وسياقه كسياق مسلم.

(**ومنها: أن يكون مع كافة الخلق مستبشرًا، طلق الوجه**) سهل الخُلق، لين العريكة (**رفيقًا**) أي صاحب رفق وشفقة (**قال رسول الله ﷺ: أتدرون علىٰ من حُرِّمت النار؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال**): حرمت (**علىٰ الهيِّن الليِّن السهل القريب**) قال العراقي[٥]: رواه الترمذي[٦] من حديث ابن مسعود، ولم يقل: اللين. وذكرها الخرائطي[٧] من رواية محمد بن أبي معيقيب عن أبيه، قال الترمذي: حسن غريب.

---

(١) مسند أحمد ٤٠/ ٢٢٥.

(٢) سنن الدارقطني ١/ ٢٣٤.

(٣) صحيح البخاري ١/ ٩١، ٣/ ٤٤٩، ٤/ ٩٢، ١٦٣. وورد ذكر التحنيك عنده في إحدىٰ الروايات.

(٤) سنن أبي داود ٥/ ٤٠٠. وليس عنده: فأتي بصبي ... الخ.

(٥) المغني ١/ ٤٩٣.

(٦) سنن الترمذي ٤/ ٢٦٦، ولفظه: «ألا أخبركم بمن يحرم علىٰ النار - أو بمن تحرم عليه النار؟ علىٰ كل قريب هين سهل».

(٧) مكارم الأخلاق ص ٦٣.

قلت: ورواه أيضًا كرواية الخرائطي الطبرانيُّ في الكبير[١] وفي الأوسط[٢]، وفي رواية لابن مسعود: «حُرِّم على النار كل هين لين سهل قريب من الناس»[٣].

(**وقال أبو هريرة**) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (**قال رسول الله** ﷺ: **إن الله يحب السهل**) في أمور الدنيا والدين (**الطليق**) وفي رواية: الطلق. قال[٤] أبو زيد: رجل طليق (**الوجه**): متهلِّل بسَّام. وقال غيره: رجل طلق الوجه وطليقه بمعنى.

قال العراقي[٥]: رواه البيهقي في شعب الإيمان[٦] بسند ضعيف، ورواه [من رواية] مورق العِجلي مرسلاً.

قلت: وكذلك رواه الشيرازي في الألقاب والديلمي[٧]. وفي سند البيهقي أحمد ابن عبد الجبار، أورده الذهبي في الضعفاء[٨] وقال: مختلَف فيه، وحديثه مستقيم. وجُوَيبر البلخي، قال الدارقطني[٩] وغيره: متروك.

(**وقال بعضهم: يا رسول الله، دلَّني على عمل يدخلني الجنة. فقال: إن من موجبات المغفرة**) أي[١٠] من أسباب ستر الذنوب وعدم المؤاخذة بها (**بذل السلام**) أي إفشاؤه بين الناس (**وحُسن الكلام**) أي إلانة القول لإخوانه واستعطافهم على

---

(١) المعجم الكبير ٢٠/ ٣٥٢.

(٢) المعجم الأوسط ٨/ ٢١٩.

(٣) هذه الرواية أخرجها أحمد في مسنده ٧/ ٥٢.

(٤) المصباح المنير ص ٣٧٧.

(٥) المغني ١/ ٤٩٣.

(٦) شعب الإيمان ١٠/ ٤٠٣.

(٧) الفردوس بمأثور الخطاب ١/ ١٥٦.

(٨) ديوان الضعفاء ص ٧.

(٩) الضعفاء والمتروكون ص ٩٩.

(١٠) فيض القدير ٢/ ٥٤٢.

منهج المداراة.

قال العراقي[١]: رواه ابن أبي شيبة في المصنَّف[٢] والطبراني[٣] والخرائطي في مكارم الأخلاق[٤] - واللفظ له - والبيهقي في شعب الإيمان[٥] من حديث هانئ بن يزيد بإسناد جيد.

قلت: هو[٦] هانئ بن يزيد المذحجي أبو شريح ، له وفادة ، وهو جد يزيد ابن المقدام بن شريح، نزل الكوفة، وهو الذي قال: دلَّني يا رسول الله ... الخ. روىٰ له البخاري في الأدب المفرد وأبو داود والنسائي. وقد وقع هنا للمناوي في شرح الجامع أوهام، فإنه قال: هانئ بن يزيد بن أبي شريح الأنصاري الأوسي المدني، شهد بدرًا والمشاهد كلَّها، روىٰ له البخاري حديثًا واحدًا. ا.هـ. قلت: لم يشهد بدرًا ولا المشاهد، وإنما له وفادة، وليس هو من الأوس ولا من أهل المدينة. وأوهم قولُه: روىٰ له البخاري ... الخ، أنه روىٰ له في الصحيح، وليس كذلك، بل روىٰ له في الأدب المفرد. ثم قال نقلاً عن الهيثمي[٧]: فيه أبو عبيدة ابن عبيد الله الأشجعي، روىٰ عنه أحمد [وغيره] ولم يضعِّفه [أحد] وبقية رجاله رجال الصحيح. ا.هـ. وهو ذهول، فإن الأشجعي هذا من رجال الصحيحين. ا.هـ. قلت: وقع له تحريف في والد أبي عبيدة ووهم في تعيينه وكونه من رجال الصحيح،

---

(١) المغني ١/ ٤٩٣ - ٤٩٤.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة ٨/ ٣٧٧.

(٣) المعجم الكبير ٢٢/ ١٨٠.

(٤) مكارم الأخلاق ص ٦٣.

(٥) شعب الإيمان ٧/ ٢٢، ١١/ ٢٩٩.

(٦) انظر: الاستيعاب ٢/ ٣٢١. الإصابة ١٠/ ٢٣٢. تهذيب الكمال ٣٠/ ١٤٦.

(٧) مجمع الزوائد ٨/ ٦٢.

فإن الأشجعي[١] هذا هو أبو عبيدة بن عبيدة بن عبيد الله بن عبيد الرحمن، بالتصغير فيهما، ويقال: اسمه عبَّاد، لكنه مشهور بكنيته، وهو من رجال أبي داود، وليس من رجال الصحيح، وهو مقبول، من طبقة أتباع التابعين[٢]. والعجب من الشيخ كيف ذهل وعنده كتب الفن.

(وقال عبد الله بن عمر) ﷺ فيما يُروَىٰ عنه: **(إن البِر شيء هين، وجه طليق وكلام لين)** أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت[٣]، وسيأتي في آفات اللسان. وقد نظمه بعضهم فقال:

بنيَّ إن البِر شيء هينٌ وجه طليق وكلام لين

ويُروَىٰ: المنطق اللين والطعيم[٤].

(وقال رسول الله ﷺ: اتقوا النار ولو بشق تمرة، فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة) متفق عليه من حديث عدي بن حاتم، وقد تقدم مشروحًا مفصَّلاً في كتاب الزكاة.

(وقال ﷺ: إن في الجنة لَغرفًا تُرَىٰ ظهورها من بطونها، وبطونها من ظهورها) أي[٥] شفَّافة لا تحجب ما وراءها **(فقال أعرابي: لمن هي يا رسول الله؟ قال: لمَن أطاب الكلامَ)** أي ألانَه مع إخوانه **(وأطعم الطعام)** أي للفقراء والأضياف والإخوان **(وصلىٰ بالليل والناسُ نيام)** يعني تهجَّد.

---

(١) تقريب التهذيب ص ١١٧٥.

(٢) وهي الطبقة الصغرىٰ منهم.

(٣) الصمت وآداب اللسان ص ١٨٠.

(٤) تقدم هذا البيت في كتاب الحج.

(٥) فيض القدير ٢/ ٤٦٥.

قال العراقي[١]: رواه الترمذي[٢] من حديث علي، وقال: حديث غريب. قلت: وهو ضعيف. ا.هـ.

قلت: لفظ الترمذي بعد قوله «غريب»: لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن ابن إسحاق، وقد تُكُلِّم فيه من قِبَل حفظه. أي فضعُفه من قِبَله. وقد رواه أيضًا أحمد[٣] وابن حبان[٤] والبيهقي[٥] من حديث أبي مالك الأشعري، وقال الهيثمي[٦]: رجال أحمد رجال الصحيح. ثم إن لفظ الحديث عندهم: «إن في الجنة غرفًا يُرَىٰ ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، أعدَّها الله تعالىٰ لمَن أطعم الطعام، وألانَ الكلام، وتابع الصيام – وفي رواية: وواصل، وفي أخرىٰ: وأفشىٰ السلامَ – وصلىٰ بالليل والناسُ نيام». زاد البيهقي في روايته[٧]: قيل: يا رسول الله، وما إطعام الطعام؟ قال: «مَن قاتَ عيالَه». قيل: وما وصال الصيام؟ قال: «مَن صام رمضان ثم أدرك رمضانَ فصامه». قيل: وما إفشاء السلام؟ قال: «مصافحة أخيك». قيل: وما الصلاة والناس نيام؟ قال: «صلاة العشاء الآخرة». وهو وإن ضعَّفه ابن عدي[٨] لكن أقام له ابن القيم[٩] شواهد يعتضد بها، ومع ملاحظته لا يمكن التعبير بغيره. والله أعلم.

---

(١) المغني ١/ ٤٩٤.

(٢) سنن الترمذي ٣/ ٥٢٤، ٤/ ٢٩٤.

(٣) مسند أحمد ٣٧/ ٥٣٩.

(٤) صحيح ابن حبان ٢/ ٢٦٢.

(٥) السنن الكبرىٰ ٤/ ٤٩٥.

(٦) مجمع الزوائد ١٠/ ٧٧٧، ونصه: «رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن معانق، وقد وثقه ابن حبان».

(٧) هذه الزيادة رواها البيهقي في البعث والنشور ص ١٧٧ - ١٧٨ من حديث ابن عباس.

(٨) الكامل في الضعفاء ٢/ ٧٩٥.

(٩) حادي الأرواح إلىٰ بلاد الأفراح ١/ ٢٩٣ - ٢٩٥.

(وقال معاذ بن جبل) رضي الله عنه: **(قال لي رسول الله ﷺ: أوصيك) يا معاذ (بتقوىٰ الله تعالىٰ، وصِدق الحديث، ووفاء العهد، وأداء الأمانة، وترك الخيانة، وحفظ الجار، ورحمة اليتيم، ولِين الكلام، وبذل السلام، وخفض الجناح)** قال العراقي[١]: رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق[٢] والبيهقي في كتاب الزهد[٣] وأبو نعيم في الحلية، ولم يقل البيهقي: وخفض الجناح. وإسناده ضعيف.

قلت: قال أبو نعيم في الحلية[٤]: حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر، حدثنا أبو بكر بن أبي عاصم، حدثنا يعقوب بن حميد، حدثنا إبراهيم بن عيينة، عن إسماعيل بن رافع، عن ثعلبة بن صالح، عن رجل من أهل الشام، عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: «يا معاذ، انطلِقْ فارحلْ راحلتك ثم ائتني أبعثك إلىٰ اليمن». فانطلقت فرحلت راحلتي، ثم جئت فوقفت بباب المسجد حتىٰ أذن لي رسول الله ﷺ، فأخذ بيدي، ثم مضىٰ معي فقال: «يا معاذ، إني أوصيك بتقوىٰ الله، وصِدق الحديث، ووفاء العهد، وأداء الأمانة، وترك الخيانة، ورحمة اليتيم، وحفظ الجار، وكظم الغيظ، وخفض الجناح، وبذل السلام، ولين الكلام، ولزوم الإيمان، والتفقُّه في القرآن، وحب الآخرة، والجزع من الحساب، وقِصَر الأمل، وحسن العمل، وإياك أن تشتم مسلمًا، أو تكذِّب صادقًا [أو تصدِّق كاذبًا] أو تعصي إمامًا عادلاً. يا معاذ، اذكر الله عند كل حجر وشجر، وأحدِثْ مع كل ذنب توبةً، السر بالسر، والعلانية بالعلانية». رواه ابن عمر نحوه، أخبرناه الحسن بن منصور الحمصي في كتابه، حدثنا الحسن بن معروف، حدثنا محمد بن إسماعيل بن عيَّاش، حدثنا أبي، عن عبيد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر قال: لما أراد النبي ﷺ أن يبعث معاذًا

---

(١) المغني ١/ ٤٩٤.

(٢) مكارم الأخلاق ص ٦٥.

(٣) الزهد الكبير ص ٣٤٧.

(٤) حلية الأولياء ١/ ٢٤٠ - ٢٤١.

إلىٰ اليمن ركب معاذ ورسول الله يمشي إلىٰ جانبه يوصيه، فقال: «يا معاذ، أوصيك وصية الأخ الشفيق، أوصيك بتقوىٰ الله ...» فذكر نحوه، وزاد: «وعُدِ المريضَ، وأسرِعْ في حوائج الأرامل والضعفاء، وجالِسِ الفقراء والمساكين، وأنصِفِ الناسَ من نفسك، وقل الحق ولا تأخذك في الله لومةُ لائم».

(وقال أنس) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: **(عرضت لرسول الله ﷺ امرأةٌ)** كان في عقلها شيء **(وقالت: لي معك حاجة. وكان معه ناس من أصحابه، فقال)** لها: **(اجلسي في أيِّ نواحي السكك)** أي سكك المدينة **(شئتِ أجلس إليكِ. ففعلتْ، فجلس إليها حتىٰ قضىٰ حاجتها)** رواه مسلم في صحيحه[1] وقال: «حتىٰ أقضي لكِ حاجتكِ». فخلا معها في بعض الطرق حتىٰ فرغت من حاجتها.

(وقال وهب بن منبه) اليماني رحمه الله تعالىٰ: **(إن رجلاً من بني إسرائيل)** أخرجه أبو نعيم في الحلية[2] فقال: حدثنا أبي، حدثنا إسحاق بن إبراهيم، حدثنا محمد بن سهل بن عسكر، حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم، حدثني عبد الصمد ابن معقل أنه سمع وهب بن منبه يقول: إن رجلاً من بني إسرائيل **(صام سبعين سنة)** ولفظ الحلية: سبعين أسبوعًا **(يفطر في كل سبعة أيام)** يومًا **(فسأل الله)** ولفظ الحلية: وهو يسأل الله تعالىٰ **(أن يريه كيف يغوي الشيطان الناس، فلما طال عليه ذلك)** ولفظ الحلية: فلما أنْ طال ذلك عليه **(ولم يُجَب قال: لو اطَّلعتُ)** ولفظ الحلية: لو أقبلت **(علىٰ خطيئتي و)** علىٰ **(ذنبي بيني وبين ربي لكان خيرًا لي من هذا الأمر الذي طلبتُه)** ولفظ الحلية: أطلب **(فأرسل الله تعالىٰ إليه مَلَكًا فقال له: إن الله عَزَّوَجَلَّ أرسلني إليك، وهو يقول لك: إن كلامك هذا الذي تكلمت به أعجب إليَّ مما مضىٰ من عبادتك، وقد فتح الله بصرك، فانظر. قال: فنظر فإذا جنود إبليس**

---

(١) صحيح مسلم ٢/ ١٠٩٧.

(٢) حلية الأولياء ٤/ ٣٢.

لعنه الله) ولفظ الحلية: فإذا أحبولة إبليس **(قد أحاطت بالأرض، وإذا ليس أحد من الناس إلا والشياطين حوله كالذباب)** جمع ذبابة، ولفظ الحلية: وإذا ليس أحد من بني آدم إلا وحوله شياطين مثل الذباب **(فقال: أيْ رب، من ينجو من هذا؟ فقال: الوَرِع الليِّن)** ولفظ الحلية: الوارع اللين.

(ومنها: أن لا يَعِد مسلمًا بوعد إلا ويفي به، قال ﷺ: العِدَة عطية) أي[١] بمنزلة العطية، فلا ينبغي أن تُخلَف كما لا ينبغي أن يرجع الإنسان في عطيته، ولأنه إذا وعد فقد أعطىٰ عهده بما وعد، وقد قال تعالىٰ: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ﴾ [الإسراء: ٣٤] وفي حديث آخر: «مَن وعد وعدًا فقد عهد عهدًا». ذكره العامري في شرح الشهاب.

قال العراقي[٢]: رواه الطبراني في الأوسط[٣] من حديث قباث بن أشيم بسند ضعيف.

قلت: قال رفيقه الهيثمي[٤]: فيه أصبغ بن عبد العزيز الليثي، قال أبو حاتم[٥]: مجهول. وللخرائطي في المكارم[٦] عن الحسن البصري مرسلاً أن امرأة سألت رسول الله ﷺ شيئًا فلم تجد عنده فقالت: عِدْني. فقال رسول الله ﷺ: «إن العِدَة عطية». وهو في المراسيل[٧] لأبي داود وكذا الصمت[٨] لابن أبي الدنيا من حديث يونس بن عبيد البصري عن الحسن أن النبي ﷺ قال: «العِدَة عطية». وفي

---

(١) فيض القدير ٤/ ٣٧٨.

(٢) المغني ١/ ٤٩٤.

(٣) المعجم الأوسط ٢/ ٢٠٩.

(٤) مجمع الزوائد ٤/ ٢٩٦.

(٥) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٢/ ٣٢١.

(٦) مكارم الأخلاق ص ٨٢.

(٧) المراسيل ص ٣٥٢.

(٨) الصمت وآداب اللسان ص ٢٣٠.

به من شعث فيصلحه (**فإذا رأىٰ به**) بنحو بدنه أو ملبوسه (**شيئًا**) من الأذىٰ كمخاط وبصاق وتراب (**فليُمِطْه**) أي فليُزِلْه (**عنه**) ندبًا، فإنَّ بقاءه يشينه، والظاهر أنه يشمل الأذىٰ المعنوي أيضًا كما لو رأىٰ بعِرضه ما يشينه فيزيله عنه بإرشاده له إلىٰ ذلك، لكن يبعده زيادته في بعض الروايات «وليُرِه إياه»، إلا أن يقال: أراد برؤياه ما يعمُّ توقيفَه عليه ليجتنبه.

قال العراقي[١]: رواه أبو داود والترمذي، وقد تقدم.

قلت: الذي تقدم من حديث أبي هريرة لفظه: «المؤمن مرآة المؤمن، والمؤمن أخو المؤمن، يكفُّ عليه ضيعتَه، ويحوطه من ورائه». وهذا الذي رواه أبو داود، وقد رُوي مثل ذلك عن أنس أيضًا لكن بأول الحديث فقط، والذي ذكره المصنف هنا فمن رواية الترمذي خاصةً عن أبي هريرة.

(**وقال ﷺ: مَن قضىٰ حاجة لأخيه فكأنَّما خدم اللهَ تعالىٰ عمرَه**) أي[٢] فينبغي لمَن عزم علىٰ معاونة أخيه في قضاء حاجاته أن لا يجبن عن إنفاذ قوله وصدعه بالحق إيمانًا بأن الله تعالىٰ في عونه.

قال العراقي[٣]: رواه البخاري في التاريخ[٤] والطبراني[٥] والخرائطي[٦] كلاهما في مكارم الأخلاق من حديث أنس بسند ضعيف.

---

(١) المغني ١/ ٥١٤ - ٥١٥.

(٢) فيض القدير ٦/ ٢٠٥.

(٣) المغني ١/ ٥١٥.

(٤) التاريخ الكبير ٨/ ٤٣.

(٥) مكارم الأخلاق ص ٣٤٣.

(٦) مكارم الأخلاق ص ٥٢.

لمَن وعد ثم أخلف». أورد القضاعي منه لفظ المصنف، والديلمي[١] معناه بلفظ: «الواعد بالعِدَة مثل الدَّين أو أشد». وفي لفظ له[٢]: «عِدة المؤمن دَين، وعدة المؤمن كالأخذ باليد».

(وقال ﷺ: ثلاث) خصال (في المنافق) اللام[٣] إما للجنس أو للعهد، فإن كانت للجنس [فهو] علىٰ سبيل التشبيه والتمثيل لا علىٰ سبيل الحقيقة، وإن كانت للعهد فيكون المراد المنافق الخاص بعينه أو من المنافقين الذين كانوا في زمنه ﷺ (إذا حدَّث كذب) أي أخبر بخلاف الواقع (وإذا وعد) الإنسانَ بإيصال الخير في المستقبل (أخلف) وعده ولم يَفِ به (وإذا ائتُمِن) أي جُعل أمينًا، ويُروَىٰ: اتُّمن، بتشديد التاء (خان) أي تصرَّف في الأمانة علىٰ غير وجه الشرع، أو لم ينصح. وفي ذِكر «إذا» الدالَّة علىٰ تحقُّق الوقوع تنبيهٌ علىٰ أن هذه عادة المنافق. وفي الحديث حذف المفاعيل الثلاث من الأفعال الثلاثة تنبيهًا علىٰ العموم، وفيه عطفُ العام علىٰ الخاص، فإن الوعد نوع من التحديث، لكنه أفرده بالذكر تنبيهًا علىٰ زيادة قبحه، ووجه الحصر في الثلاث هو التنبيه علىٰ فساد القول والفعل والنية.

قال العراقي[٤]: متفق عليه[٥] من حديث أبي هريرة.

قلت: وهو في أول الصحيح للبخاري قال: حدثنا سليمان أبو الربيع، حدثنا إسماعيل بن جعفر، حدثنا نافع بن مالك، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتُمِنَ خانَ».

---

(١) الفردوس بمأثور الخطاب ٤/ ٤٣٥.

(٢) السابق ٣/ ٤٤.

(٣) فيض القدير ١/ ٦٣. فتح الباري ١/ ١١٢ - ١١٣. إرشاد الساري ١/ ١١٨ - ١١٩. عمدة القاري ١/ ٣٤٨ - ٣٥١.

(٤) المغني ١/ ٤٩٥.

(٥) صحيح البخاري ١/ ٢٧، ٢/ ٢٦٢، ٢٨٩، ١٠٩. صحيح مسلم ١/ ٤٦ - ٤٧.

وهكذا أخرجه أيضًا في الوصايا عن أبي الربيع، وفي الشهادات عن قتيبة، وفي الأدب عن ابن سلام، وأخرجه مسلم في الإيمان عن قتيبة ويحيىٰ بن أيوب، كلهم عن إسماعيل بن جعفر عن أبي سُهَيل عن أبيه. وأخرجه الترمذي[١] والنسائي[٢].

(**وقال ﷺ: ثلاث من كنَّ فيه فهو منافق**) أي[٣] حاله يشبه حال المنافق (**وإن صام**) الصوم المفروض (**وصلىٰ**) الصلاة المفروضة. وهذا الشرط اعتراضيٌّ وارد للمبالغة لا يستدعي الجواب؛ ذكره الزمخشري (**وذكر ذلك**) وهو «مَن إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتُمن خان».

قال العراقي[٤]: رواه البخاري من حديث أبي هريرة، وأصله في المتفق عليه.

قلت: لم يروِه البخاري بهذا اللفظ، وإنما رواه مسلم. ورواه أبو يعلىٰ[٥] ورُسْته في كتاب الإيمان وأبو الشيخ في التوبيخ من حديث أنس بلفظ: «وإن صام وصلىٰ وحج واعتمر وقال إني مسلم» والباقي سواء.

(**ومنها: أن ينصف الناس من نفسه، ولا يأتي إليهم إلا بما يحب أن يؤتَىٰ إليه، قال ﷺ: لا يستكمل العبد الإيمان حتىٰ تكون فيه ثلاث خصال: الإنفاق من الإقتار**) أي[٦] الافتقار، أقتر الرجلُ: إذا افتقر، فيكون المعنىٰ: الإنفاق من العدم، وهو مشكل؛ إذ العدم لا يُنفَق منه، ويخرَّج علىٰ وجوه: إما أن تكون «من» بمعنىٰ في، والمعنىٰ: الإنفاق في حالة الفقر، وهو من غاية الكرم. أو بمعنىٰ عند، أي عند الفقر (**والإنصاف من نفسه**) أي العدل منها، يقال: أنصف من نفسه، وانتصفت أنا

---

(١) سنن الترمذي ٤/ ٣٧٣.

(٢) سنن النسائي ص ٧٦٢.

(٣) فيض القدير ٣/ ٣٠٨.

(٤) المغني ١/ ٤٩٥.

(٥) مسند أبي يعلىٰ ٧/ ١٣٦.

(٦) عمدة القاري ١/ ٣١٤ - ٣١٥.

منه (**وبذل السلام**) أي إعطاؤه وإفشاؤه.

قال العراقي[١]: رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق[٢] من حديث عمار بن ياسر، ووقفه البخاري[٣] [عليه].

قلت: لفظ البخاري المعلَّق في باب [إفشاء] السلام من الإسلام: وقال عمار: ثلاث من جمعهنَّ فقد جمع الإيمان: الإنصاف من نفسك، وبذل السلام للعالَم، والإنفاق من الإقتار.

قال أبو القاسم اللالكائي في كتاب السنَّة[٤]: حدثنا علي بن أحمد بن حفص، حدثنا أحمد بن علي المرهبي، حدثنا أبو محمد الحسن بن علي بن جعفر الصيرفي، حدثنا أبو نعيم، حدثنا فطر، عن أبي إسحاق، عن صلة بن زفر، عن عمار. ورواه رسته في كتاب الإيمان له وأحمد في مسنده[٥] كِلاهما من طريق سفيان، ورواه يعقوب بن شيبة في مسنده من طريق شعبة وزهير بن معاوية وغيرهما، كلهم عن أبي إسحاق السبيعي عن صلة بن زفر عن عمار، ولفظ شعبة: «ثلاث مَن كنَّ فيه فقد استكمل الإيمانَ». وهكذا [رُوي] في جامع معمر عن أبي إسحاق، وكذا رواه عبد الرزاق في المصنَّف[٦] فرفعه إلىٰ النبي ﷺ. ورواه البزار في مسنده[٧] وابن أبي حاتم في العلل[٨] كلاهما عن الحسن بن عبد الله الكوفي، ورواه البغوي في

---

(١) المغني ١/ ٤٩٥.

(٢) مكارم الأخلاق ص ١٢٦، ١٩٠.

(٣) صحيح البخاري ١/ ٢٥

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٣/ ٩٤٥.

(٥) لم يروه في المسند، وإنما رواه في كتاب الإيمان - كما في عمدة القاري.

(٦) مصنف عبد الرزاق ١٠/ ٣٨٦ موقوفا علىٰ عمار. وعبارة العيني في عمدة القاري: «وكذا حدث به عبد الرزاق في مصنفه عن معمر، وحدث به عبد الرزاق بآخرة فرفعه إلىٰ النبي ﷺ».

(٧) مسند البزار ٤/ ٢٣٢.

(٨) علل الحديث ٥/ ٢١٤ - ٢١٦.

شرح السنَّة[١] من طريق أحمد بن كعب الواسطي وابن الأعرابي في معجمه[٢] عن محمد بن الصبَّاح الصغاني، ثلاثتهم عن عبد الرزاق مرفوعًا. وقال البزار: غريب[٣]. وقال أبو زُرعة: هو خطأ. وقد رُوي مرفوعًا من وجه آخر عن عمار، أخرجه الطبراني في الكبير[٤]، لكن في إسناده ضعفٌ.

(وقال ﷺ: مَن سرَّه أن يُزحزَح) أي يُخرَج **(عن النار و)** أن **(يدخل الجنة فلتأتِه منيَّتُه)** أي موته المقدَّر **(وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وليأتِ إلىٰ الناس ما يحب أن يؤتَىٰ إليه)** قال العراقي[٥]: رواه مسلم[٦] من حديث عبد الله بن عمرو نحوه، والخرائطي في مكارم الأخلاق بلفظه.

قلت: ورواه كذلك الطبراني في الكبير[٧] وأبو نعيم في الحلية[٨]، ولفظهم: «ويحب أن يأتي إلىٰ الناس ما يحب أن يؤتَىٰ إليه».

(وقال ﷺ: يا أبا الدرداء، أحسِنْ مجاورة مَن جاورك تكن مؤمنًا، وأحِبَّ للناس ما تحب لنفسك تكن مسلمًا) قال العراقي[٩]: رواه الخرائطي في مكارم

---

(١) شرح السنة ١/ ٥٢، ١٢/ ٢٦١ موقوفا معلقا بلا إسناد.

(٢) معجم ابن الأعرابي ١/ ٣٧٨.

(٣) هذه الكلمة ليست في مسند البزار، وإنما قال بعد أن أخرجه: «وهذا الحديث قد رواه غير واحد عن أبي إسحاق عن صلة عن عمار موقوفا، وأسنده الحسن بن عبد الله الكوفي عن عبد الرزاق».

(٤) ولفظه، كما في مجمع الزوائد ١/ ٢١٩: «قال عمار: ثلاث خلال من جمعهن فقد جمع خلال الإيمان. فقال له بعض أصحابه، يا أبا اليقظان، ما هذه الخلال التي زعمت أن رسول الله ﷺ قال: من جمعهن فقد جمع الإيمان؟ فقال عمار عند ذلك: سمعته يقول: الإنفاق من الإقتار، والإنصاف من نفسك، وبذل السلام للعالم». قال الهيثمي: فيه القاسم أبو عبد الرحمن، وهو ضعيف.

(٥) المغني ١/ ٤٩٦.

(٦) صحيح مسلم ٢/ ٨٩٥.

(٧) المعجم الكبير ١٣/ ٥٢٤.

(٨) حلية الأولياء ٤/ ١٢٢.

(٩) المغني ١/ ٤٩٦.

الأخلاق[١] بسند ضعيف، والمعروف أنه قاله لأبي هريرة، وقد تقدم.

قلت: وتمامه عند الخرائطي: «وارضَ بما قسم الله لك تكن من أغنىٰ الناس».

(وقال **الحسن**) البصري رحمه الله تعالىٰ: (**أوحىٰ الله إلىٰ آدم** عليه السلام **بأربع خصال وقال: فيهنَّ جُمَّاع الأمر لك ولولدك**) منها (**واحدة لي**) خاصةً (**وواحدة لك**) خاصةً (**وواحدة بيني وبينك**) مشتركة (**وواحدة بينك وبين الخلق**) عامةً (**فأما**) الخصلة (**التي لي**) خاصة (**تعبدني**) أي توحِّدني (**ولا تشرك بي شيئًا**) مما خلقتُ (**وأما**) الخصلة (**التي لك**) خاصة (**فعملك أجزيك به**) إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر (**أفقر ما تكون إليه**) أي أحوج (**وأما**) الخصلة (**التي بيني وبينك فعليك الدعاء وعليَّ الإجابة، وأما**) الخصلة (**التي بينك وبين الناس فتصحبهم بالذي تحب أن يصحبوك به**)[٢] كذا أورده صاحب القوت.

(**وسأل موسىٰ** عليه السلام **ربَّه تعالىٰ فقال: يا رب، أيُّ عبادك أعدل**)؟ أي أكثر عدلاً (**فقال: مَن أنصف من نفسه**)[٣] وفي المرفوع من حديث ابن عمر عند الديلمي: «مَن أنصف الناسَ من نفسه ظفر بالجنة العالية»[٤].

(**ومنها: أن يزيد في توقير من تدل هيئته**) الظاهرة (**وثيابه**) أي ملبسه، وكذا

---

(١) مكارم الأخلاق ص ٩٦.

(٢) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٧/ ٤٤١، وأوله: لما أُهبط آدم إلىٰ الأرض أوحىٰ الله إليه ... فذكره.

(٣) رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق ص ١٢٦ ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٦١/ ١٣٩ عن أبي عمرو الشيباني. ورواه عنه هناد في الزهد ص ٢٧٧ بلفظ: «قال موسىٰ عليه السلام لربه عز وجل: يا رب، أي عبادك أحب إليك؟ قال: أكثرهم لي ذكرا. قال: فأي عبادك أغنىٰ؟ قال: أقنعهم بما أعطيته. قال: فأي عبادك أعدل؟ قال: من اذان نفسه من نفسه».

(٤) كنز العمال ١٥/ ٨٠٥ - ٨٠٦.

مركبه (**علىٰ علوِّ منزلته**) ورفع مقامه (**فيُنزِل الناسَ منازلهم**) ويدل علىٰ ذلك ما (**رُوي أن عائشة** ﵂ **كانت في سفر، فنزلت منزلاً، فوضعت طعامها**) لتأكل (**فجاء سائل**) فسأل (**فقالت عائشة**) ﵂ لخدمها: (**ناوِلوا هذا المسكين**) من هذا الطعام (**قرصًا. ثم مرَّ رجل**) آخر ذو هيئة وهو راكب (**علىٰ دابة، فقالت: ادعوه إلىٰ الطعام. فقيل لها: تعطين المسكين**) قرصًا (**وتَدْعين**) أي تطلبين (**هذا الغني؟! فقالت: إن الله** ﷿ **قد أنزل الناس منازل لا بد لنا أن ننزلهم تلك المنازلَ، هذا المسكين يرضىٰ بقرص، وقبيح بنا أن نعطي هذا الغني علىٰ هذه الهيئة قرصًا**) روىٰ[1] مسلم في أول صحيحه[2] بلا إسناد تعليقًا فقال: ويُذكَر عن عائشة قالت: أمرنا رسول الله ﷺ أن ننزل الناس منازلهم. ووصله أبو نعيم في المستخرج[3] وغيره كأبي داود في السنن[4] وابن خزيمة في الصحيح والبزار وأبي يعلىٰ[5] في مسنديهما والبيهقي في الأدب[6] والعسكري في الأمثال وغيرهم، كلهم من طريق ميمون بن أبي شبيب قال: جاء سائل إلىٰ عائشة، فأمرت له بكِسرة، وجاء رجل ذو هيئة فأقعدته معها، فقيل لها: لِمَ فعلتِ ذلك؟ قالت: أمرنا ... وذكره. ومنهم مَن اختصر هذا. ولفظ أبي نعيم في الحلية[7]: أن عائشة كانت في سفر، فأمرت لناس من قريش بغداء، فجاء رجل غنيٌّ ذو هيئة، فقالت: ادعوه. فنزل فأكل ومضىٰ، وجاء سائل، فأمرت له بكِسرة[8]، فقالت: إن هذا الغني لم يجمل بنا إلا ما صنعناه به، وإن هذا الفقير سأل فأمرت له بما يترضَّاه، وإن رسول الله ﷺ أمرنا ... وذكره. ولفظ أبي داود: «أنزِلوا

---

(١) المقاصد الحسنة ص ٩٢.

(٢) صحيح مسلم ١/ ٣.

(٣) المستخرج علىٰ صحيح مسلم ١/ ٨٩.

(٤) سنن أبي داود ٥/ ٢٩٠.

(٥) مسند أبي يعلىٰ ٨/ ٢٤٦.

(٦) الآداب للبيهقي ص ٩٩ (ط - مؤسسة الكتب الثقافية).

(٧) حلية الأولياء ٤/ ٣٧٩.

(٨) بعده في إحدىٰ نسخ الحلية: «فقالوا لها: أمرتينا أن ندعو هذا الغني وأمرت لهذا السائل بكسرة».

الناس منازلهم». وقد صحَّح هذا الحديث الحاكم في معرفة علوم الحديث[١]، وكذا غيره، وتُعُقِّب بالانقطاع وبالاختلاف على راويه في رفعه [ووقفه]. قال السخاوي في المقاصد: وبالجملة، فحديث عائشة حسن، وفي هذا الباب عن معاذ وجابر وعلي، فحديث معاذ: «أنزِل الناسَ منازلهم من الخير والشر، وأحسِنْ أدبهم على الأخلاق الصالحة». رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق[٢] مرفوعًا. وحديث جابر: «جالِسوا الناس على قدْر أحسابهم، وخالِطوا الناس على قدر أديانهم، وأنزِلوا الناس [على قدْر] منازلهم، وداروا الناس بعقولكم». رواه الغسولي في جزئه[٣] مرفوعًا. وحديث عليٍّ: «مَن أنزل الناسَ منازلَهم رفع المؤنة عن نفسه، ومَن رفع أخاه فوق قدره اجترَّ عداوته». رواه أبو النرسي في «تذكرة الغافل» موقوفًا.

(ورُوي أنه ﷺ دخل بعض بيوته، فدخل عليه أصحابه حتى غصَّ المجلس وامتلأ) وفي نسخة: حتى دحس وامتلأ المجلس **(فجاء جرير بن عبد الله البَجَلي)** رضي الله عنه **(فلم يجد مكانًا فقعد على الباب، فلفَّ** رسول الله ﷺ **رداءه فألقاه إليه وقال له: اجلس على هذا. فأخذه جرير)** رضي الله عنه **(ووضعه على وجهه، وجعل يقبِّله ويبكي، ثم لفَّه فرمى به إلى النبي ﷺ وقال: ما كنت لأجلس على ثوبك، أكرمك الله كما أكرمتني. فنظر النبي ﷺ يمينًا وشمالاً ثم قال: إذا أتاكم كريم قوم)** أي[٤] رئيسهم المطاع فيهم المعهود منهم بإكثار الاحترام. وفي رواية: كريمة قوم. قال ابن الأثير[٥]: والهاء فيه للمبالغة **(فأكرِموه)** برفع مجلسه وإجزال عطيته ونحو ذلك؛ لأن الله عوَّده ذلك ابتلاءً منه له، فمَن استعمل معه غيرَه فقد استهان به وجفاه

---

(١) معرفة علوم الحديث ص ٢١٧.

(٢) مكارم الأخلاق ص ٣٧.

(٣) ورواه أيضا الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب ١/ ٤٥، ولكن عنده: «وأنزلوا الناس على قدر مروءاتهم، وداروا الناس على قدر عقولهم».

(٤) فيض القدير ١/ ٢٤١ - ٢٤٣.

(٥) النهاية غريب الحديث ٤/ ١٦٧.

وأفسد عليه دينه، فإن ذلك يورث في قلبه الغلَّ والحقد والبغضاء والعداوة، وذلك يجرُّ إلىٰ سفك الدماء، وفي إكرامه اتِّقاء شره وإبقاء دينه، فإنه قد تعزَّز بدنياه وتكبَّر وتاه وعظُم في نفسه، فإذا حقَّرته فقد أهلكتَه من حيث الدين والدنيا، وبه عُرف أنه ليس المراد بكريم القوم عالِمهم أو صالحهم كما وهم البعضُ، ألا تراه أنه لم ينسبه في الحديث إلىٰ علم ولا إلىٰ دين، ومن هذا السياق انكشف لك أن استثناء الفاسق والكافر - كما وقع للبعض - منشؤه الغفلة عمَّا تقرَّر من أن الإكرام منوط بخوف محذور ديني أو دنيوي أو لحوق ضرر للفاعل [أو للمفعول معه] فمتىٰ خِيفَ شيء من ذلك شُرع إكرامه كائنًا مَن كان، بل قد يجب فيمن قدم عليه بعضُ الولاة الفسقة الظلمة فأقصىٰ مجلسه وعامله بمعاملة الرعية فقد عرَّض نفسه وماله للبلاء، فإن أوذي ولم يصبر فقد خسر الدنيا والآخرة.

قال العراقي[1]: رواه الحاكم[2] من حديث جابر وقال: صحيح الإسناد، وتقدم في الزكاة مختصرًا.

قلت: ورواه[3] ابن ماجه في سننه[4] من طريق سعيد بن مَسلمة عن محمد بن عجلان عن نافع عن ابن عمر رفعه بهذا، وسنده ضعيف، محمد بن عجلان ذكره البخاري في الضعفاء، وقال الحاكم: سيئ الحفظ. ولم يُخرِج له مسلم إلا في الشواهد، لكن روىٰ الطبراني في الأوسط[5] من طريق حصين بن عمر الأحمسي عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن جرير البجلي قال: لما بُعث

---

(١) المغني ١/ ٤٩٦.

(٢) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٤٣٠، وفيه: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فإذا أتاه كريم قوم فليكرمه».

(٣) المقاصد الحسنة ص ٣٢ - ٣٤.

(٤) سنن ابن ماجه ٥/ ٢٨٤.

(٥) المعجم الأوسط ٦/ ٢٤٠.

النبي ﷺ أتيته، فقال: «ما جاء بك»؟ قلت: جئت لأسلم. فألقىٰ إليَّ كساءه وقال: إذا أتاكم .. الخ. وحصين فيه ضعفٌ، وله طريق آخر عند الطبراني في الأوسط[١] والصغير[٢] بسند ضعيف، وآخر عند البزار في مسنده من حديث الجريري - وهو ضعيف أيضًا - عن ابن بُريدة عن يحيىٰ بن يعمر عن جرير قال: أتيت النبيَّ ﷺ، فبسط إليَّ رداءه وقال: «اجلس علىٰ هذا». فقلت: أكرمك الله كما أكرمتني. فقال ﷺ: «إذا أتاكم ... الخ، وقال: إنه غريب بهذا الإسناد، ويحيىٰ بن يعمر لا نعلم روىٰ عن جرير إلا هذا. وللعسكري في الأمثال وابن شاهين وابن السكن وأبي نعيم[٣] وابن منده في كتبهم في الصحابة وأبي سعد في شرف المصطفىٰ والحكيم الترمذي وآخرين كلهم من طريق صابر بن سالم ابن حميد بن يزيد بن عبد الله بن ضمرة، حدثني أبي، عن أبيه، حدثني يزيد ابن عبد الله، حدثتني أختي أم القصاف قالت: حدثني أبي عبدُ الله بن ضمرة أنه بينما هو قاعد عند رسول الله ﷺ في جماعة من أصحابه إذ قال: «سيطلع عليكم من هذه الثنية خير ذي يمن»، فإذا هم بجرير بن عبد الله ... فذكر قصة طوَّلها بعضُهم، وفيه: فقالوا: يا نبي الله، لقد رأينا منك له ما لم نرَه لأحد. فقال: «نعم، هذا كريم قوم، فإذا أتاكم كريم قوم فأكرموه»؟ وليس عند ابن السكن «حدثتني أختي»، وسنده مجهول، وللعسكري فقط من حديث مجالد عن الشعبي عن عدي بن حاتم أنه لما دخل علىٰ النبي ﷺ ألقىٰ إليه وسادة، فجلس علىٰ الأرض وقال: أشهد أنك لا تبغي علوًّا في الأرض ولا فسادًا. فأسلم، ثم قال رسول الله ﷺ ... وذكره، وسنده ضعيف أيضًا. وللدولابي في الكنىٰ[٤] من طريق عبد الرحمن بن خالد بن عثمان، عن أبيه، عن عثمان، عن جده محمد بن

---

(١) السابق ٥/ ٢٦١.

(٢) المعجم الصغير ٢/ ٦٧.

(٣) معرفة الصحابة ٣/ ١٦٩٠.

(٤) الكنىٰ والأسماء ١/ ٩٠.

عثمان ابن عبد الرحمن، عن [أبيه عثمان، عن] جده أبي راشد عبد الرحمن بن عبد الله قال: قدمت علىٰ النبي ﷺ في مائة رجل من قومي ... فذكر حديثًا وفيه: أن النبي ﷺ أكرمه وأجلسه وكساه رداءه ودفع إليه عصاه، وأنه أسلم، فقال له رجل من جلسائه: يا رسول الله، إنَّا نراك أكرمتَ هذا الرجل. فقال: «إن هذا شريف قوم، وإذا أتاكم شريف قوم فأكرِموه». ولأبي داود في المراسيل[1] – وسنده صحيح – من حديث طارق عن الشعبي رفعه مرسلاً: «إذا أتاكم كريم قوم فأكرِموه». وقال: رُوي متصلاً، وليس بشيء. وفي الباب عن ابن عباس ومعاذ وأبي قتادة وأبي هريرة وآخرين منهم أنس.

(ومنها): أن **(كل من له عليه حق قديم فليكرمه، رُوي أن ظِئْر رسول الله ﷺ التي أرضعته)** وأصل[2] الظِّئْر بالكسر وسكون الهمزة ويجوز تخفيفها: الناقة تعطف علىٰ غير ولدها، ثم سُمِّيت به المرأة [الأجنبية] تحضن ولد غيرها، ويقال للرجل الحاضن ظئر أيضًا، والجمع: آظار، كحِمْل وأحمال. والمراد هنا حليمة السعدية ﵂ **(جاءت إليه)** زائرة **(فبسط لها رداءه)** الذي عليه **(ثم قال لها: مرحبًا بأمي. ثم أجلسها علىٰ الرداء، ثم قال لها: اشفعي تشفَّعي)** أي تُقبَل شفاعتك **(وسلي تُعطَي. فقالت)**: هَبْني **(قومي)** بني سعد من هوازن، فإن النبي ﷺ كان أغار عليهم **(فقال: أما حقي وحق بني هاشم فهو لكِ)** أي وهبناه لكِ **(فقام الناس من كل ناحية وقالوا: وحقنا يا رسول الله)** أي كذلك هبة لها **(ثم وصلها بعد)** ذلك **(وأخدمها)** أي أعطاها خادمًا **(ووهب لها سهمانه)** التي أصابها **(من خيبر)** فأخذت ذلك وانصرفت مكرمة **(فبِيعَ ذلك من عثمان بن عفان ﵁ بمائة ألف درهم)** وذلك

---

(١) المراسيل ص ٣٤٧ - ٣٤٨.

(٢) المصباح المنير ص ٣٨٨.

أيام خلافته. قال العراقي[١]: رواه أبو داود[٢] والحاكم[٣] وصحَّحه من حديث أبي الطفيل مختصرًا في بسط ردائه لها دون ما بعده.

قلت: أما حليمة بنت أبي ذُؤَيب فإنها جاءته يوم حنين، فقام إليها وبسط لها رداءه فجلست عليه. ذكره ابن عبد البر[٤].

وروىٰ[٥] أيضًا وكذا ابن قتيبة أن خيلاً له ﷺ أغارت علىٰ هوازن، فأخذوا الشيماء بنت حليمة أخته ﷺ من الرضاعة، فقالت: أنا أخت صاحبكم. فلما قدمتْ علىٰ رسول الله ﷺ قالت له: يا محمد، أنا أختك. فرحَّب بها، وبسط لها رداءه وأجلسها عليه، ودمعت عيناه وقال لها: «إن أحببتِ فأقيمي عندي مكرمة محببة، وإن أحببتِ أن ترجعي إلىٰ قومك أوصلتك». قالت: بل أرجع إلىٰ قومي. فأسلمت، وأعطاها النبي ﷺ ثلاثة أعبُدٍ وجارية ونَعمًا وشاءً.

وفي مغازي موسىٰ بن عقبة[٦] أن رسول الله ﷺ لما انصرف من الطائف إلىٰ الجعرانة وفيها سبي هوازن قدمت عليه وفود هوازن مسلمين فيهم تسعة نفر من أشرافهم فأسلموا وبايعوا، ثم كلَّموه فقالوا: يا رسول الله، إن فيمن أصبتم الأمهات والأخوات والعمَّات والخالات. فقال: «سأطلب لكم [ذلك] وقد وقعت المقاسم [مواقع]». وفيه: «أما الذي لبني هاشم فهو لكم، وسوف أكلِّم لكم المسلمين وأتشفَّع لكم».

---

(١) المغني ١/ ٤٩٦.

(٢) سنن أبي داود ٥/ ٤١٢.

(٣) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٥٢، ٢٧٧.

(٤) الاستيعاب ٢/ ٥٠٢.

(٥) السابق ٢/ ٥٣٨.

(٦) ومن طريقه رواه البيهقي في دلائل النبوة ٥/ ١٩١ - ١٩٢.

وعند الطبراني[١] في قصة زهير بن صُرَد لما أنشد تلك الأبيات ثم ساقها[٢]، وفيه قوله ﷺ: «ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم». وقالت قريش: ما كان لنا فهو لله ورسوله. وقالت الأنصار كذلك.

(ولربما أتاه) ﷺ **(من يأتيه وهو علىٰ وسادة جالس ولا يكون فيها سعة يجلس معه فينزعها)** من تحته **(ويضعها تحت الذي يجلس إليه، فإن أبىٰ)** من جلوسه عليها **(عزم عليه حتىٰ يفعل)** قال العراقي[٣]: رواه أحمد[٤] من حديث ابن عمر أنه دخل عليه ﷺ فألقىٰ له وسادة [من أدم] حشوها ليف ... الحديث، وإسناده صحيح. وللطبراني[٥] من حديث سلمان: دخلت علىٰ رسول الله ﷺ وهو

---

(١) المعجم الكبير ٥/ ٢٦٩ - ٢٧٠.

(٢) وهي:

امنـن علينـا رسـول الله في كـرم	فإنـك المـرء نرجـوه وننتظـر
امنـن علىٰ بيضـة قـد عاقهـا قـدر	مفـرق شـملها في دهرهـا غيـر
أبقت لنـا الدهـر هتافا علىٰ حزن	علـىٰ قلوبهـم الغمـاء والغمـر
إن لـم تداركهـم نعمـاء تنشـرها	يا أرجح الناس حلما حين يختبر
امنن علىٰ نسوة قد كنت ترضعها	إذ فوك تملأه من محضها الدرر
إذ أنت طفل صغير كنت ترضعها	وإذ يزينـك مـا تـأتي ومـا تـذر
لا تجعلنـا كمـن شـالت نعامتـه	واسـتبق منـا فإنـا معشـر زهـر
إنـا لنشـكر للنعمـاء إذ كُفـرت	وعندنـا بعـد هـذا اليـوم مدخـر
فألبس العفـو مـن قـد كنت ترضعه	مـن أمهاتـك إن العفـو مشـتهر
يا خير من مرحت كمت الجياد به	عند الهياج إذا ما استوقد الشرر
إنـا نؤمـل عفـوا منـك تلبسـه	هـادي البريـة إذ تعفـو وتنتصـر
فاعـف عفـا الله عمـا أنـت راهبـه	يـوم القيامـة إذ يهـدي لـك الظفـر

(٣) المغني ١/ ٤٩٦.

(٤) مسند أحمد ٩/ ٥٢١، وبقية الحديث: «فلم أقعد عليها، بقيت بيني وبينه».

(٥) المعجم الكبير ٦/ ٢٢٧، وبقية الحديث: «ثم قال: يا سلمان، ما من مسلم يدخل علىٰ أخيه المسلم فيلقي له وسادة إكراما له إلا غفر الله له».

متَّكئ علىٰ وسادة فألقاها إليَّ. وسنده ضعيف، قال صاحب الميزان[١]: هذا خبر ساقط.

(ومنها: **أن يُصلِح ذاتَ البين بين المسلمين**) يعني الفساد بين القوم والفتنة الثائرة بينهم فيصلحها ويزيل أسبابها ولو بتحمُّل حمالة علىٰ نفسه (**مهما وجد إليه سبيلاً**) سهلاً (**قال ﷺ: ألا أخبركم بأفضل**) أي[٢] بدرجة هي أفضل (**من درجة الصيام والصلاة والصدقة**) أي المستمرَّات أو الكثيرات (**قالوا: بلىٰ**) أخبِرْنا به (**قال: إصلاح ذات البين**) أي إصلاح أحوال البين حتىٰ تعود إلىٰ صحبة وألفة، أو هو إصلاح الفساد والفتنة التي بين المسلمين (**وفساد ذات البين هي الحالقة**) أي الخصلة التي شأنها أن تحلق أي تُهلِك وتستأصل الدين كما يستأصل المزيِّنون الشعر، أو المراد المزيلة لمن وقع فيها؛ لِما يترتب عليه من الفساد والضغائن.

قال العراقي[٣]: رواه أبو داود[٤] والترمذي[٥] وصحَّحه من حديث أبي الدرداء.

قلت: ورواه كذلك أحمد[٦] والبخاري في الأدب المفرد[٧]، وقال الحافظ ابن حجر[٨]: سنده صحيح.

---

(١) ميزان الاعتدال ٣/ ٢٣٦.

(٢) فيض القدير ٣/ ١٠٦.

(٣) المغني ١/ ٤٩٧.

(٤) سنن أبي داود ٥/ ٣٢١.

(٥) سنن الترمذي ٤/ ٢٧٩.

(٦) مسند أحمد ٤٥/ ٥٠٠.

(٧) الأدب المفرد ص ١٢٣.

(٨) الدراية في تخريج أحاديث الهداية ٢/ ٢٧٠ نقلا عن البزار.

(**وقال ﷺ: أفضل الصدقة إصلاح ذات البين**) قال العراقي[١]: رواه الطبراني في الكبير[٢] والخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث عبد الله بن عمرو، وفيه عبد الرحمن بن زياد الإفريقي، ضعَّفه الجمهور.

قلت: ووقع في نسخ الجامع[٣] للجلال: عبد الله بن عمر. وفيه عبد الرحمن ابن زياد بن أنعم وإن كان ضعيفًا لكن حديثه هذا حسن لحديث أبي الدرداء السابق؛ قاله المنذري[٤].

(**ورُوي عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بينما رسول الله ﷺ جالس إذ ضحك حتىٰ بدت ثناياه، فقال عمر**) بن الخطاب (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **بأبي أنت وأمي، ما الذي أضحكك يا رسول الله؟ قال: رجلان من أمَّتي جثيا**) علىٰ رُكَبهما (**بين يدي رب العزة**) جلَّ شأنُه (**فقال أحدهما: يا رب، خذ مظلمتي من هذا. فقال الله عَزَّ وَجَلَّ: رُدَّ علىٰ أخيك المسلم مظلمته. فقال: يا رب، لم يبقَ لي من حسناتي شيء. فقال الله تعالىٰ للطالب: كيف تصنع بأخيك ولم يبقَ له من حسناته شيء؟ فقال: يا رب، فليحمل عني من أوزاري**) شيئًا (**ثم فاضت عينا رسول الله ﷺ بالبكاء**) لما تذكَّرَ ذلك الموقفَ العظيم (**فقال: إن ذلك لَيومٌ عظيم، يوم يحتاج الناس فيه إلىٰ أن يُحمَل عنهم من أوزارهم، فيقول الله عَزَّ وَجَلَّ للمظلوم**) وفي نسخة: للمتظلِّم (**ارفع بصرك فانظر في الجِنان**) فيرفع بصره (**فقال: يا رب، أرىٰ مدائن من فضة وقصورًا من ذهب مكلَّلة باللؤلؤ، لأيِّ نبي هذا**) من بين الأنبياء (**أو لأيِّ صِدِّيق هذا أو لأيِّ شهيد هذا؟ فيقول الله عَزَّ وَجَلَّ: هذا لمن أعطىٰ الثمن. فيقول: يا رب، ومن يملك ذلك. قال: أنت تملكه. قال: بماذا يا رب؟ قال: بعفوك عن أخيك. قال: يا رب، قد عفوت**

---

(١) المغني ١/ ٤٩٧.

(٢) المعجم الكبير ١٤/ ٣١، ٥٨.

(٣) كنز العمال ٣/ ٥٨.

(٤) الترغيب والترهيب ص ١٠٣٩.

عنه. **فيقول الله عَزَّوَجَلَّ: خذ بيد أخيك فأدخلْه الجنة. ثم قال ﷺ: اتقوا الله، وأصلِحوا ذات بينكم، فإن الله تعالىٰ يُصلِح بين المؤمنين يوم القيامة)** قال العراقي[١]: رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق[٢] والحاكم[٣] وقال: صحيح الإسناد [وكذا أبو يعلىٰ خرَّجه بطوله] وضعَّفه البخاري[٤] وابن حبان[٥].

(**وقد قال ﷺ: ليس بكذاب مَن أصلح بين اثنين**) متشاجرين[٦] أو متباغضين. وفي رواية: ليس الكذاب بالذي - وفي أخرىٰ: الذي - يُصلِح بين الناس (**فقال خيرًا أو نما**) أي رفع[٧] (**خيرًا**) أي علىٰ وجه الإصلاح. وفي رواية: فينمي خيرًا ويقول خيرًا. والمراد: لا يأثم في كذبه، من قبيل ذِكر الملزوم وإرادة اللازم. والمراد بقوله «قال خيرًا» أي أخبر بخير ما عمله ويسكت عمَّا عمله من الشر، فإنَّ ذلك جائز، بل محمود، بل قد يُندَب، بل قد يجب. وإليه أشار المصنف بقوله: (**وهذا يدل علىٰ وجوب الإصلاح بين الناس؛ لأن ترك الكذب واجب، ولا يسقط الواجب إلا بواجب آكَد منه**) لكن في اشتراط قصد التورية خلف، وليس المراد نفي ذاتِ الكذب بل نفي إثمِه، فالكذب كذب [وإن قيل] لإصلاح أو غيره.

---

(١) المغني ١/ ٤٩٧.

(٢) لم يخرجه في مكارم الأخلاق، وإنما أخرجه في مساوئ الأخلاق ص ٢٨٣.

(٣) المستدرك علىٰ الصحيحين ٥/ ٣٩. وتعقبه الذهبي بقوله: «عباد ضعيف، وشيخه لا يعرف». عباد هو ابن شيبة الحبطي، وشيخه هو سعيد بن أنس.

(٤) التاريخ الكبير ٣/ ٤٥٩، قال: «سعيد بن أنس عن أنس عن النبي ﷺ في المظالم لا يتابع عليه».

(٥) المجروحون من المحدثين ٢/ ١٦٢، قال: «عباد بن شيبة الحبطي، وهو الذي يقال له: عباد بن ثبيت، من أهل البصرة، يروي عن سعيد بن أنس، روىٰ عنه عبد الله بن بكر السهمي، منكر الحديث جدا علىٰ قلة روايته، لا يجوز الاحتجاج بما انفرد من المناكير».

(٦) فيض القدير ٥/ ٣٥٩.

(٧) في الفيض: بلَّغ.

قال العراقي[1]: متفق عليه[2] من حديث أم كلثوم بنت عُقبة بن أبي معيط.

قلت: وكذلك رواه أحمد[3] وأبو داود[4] والترمذي[5] وابن جرير[6]، كلهم من حديث حميد بن عبد الرحمن عن أمه أم كلثوم بنت عقبة. ورواه الطبراني في الكبير[7] من حديث شدَّاد بن أوس.

(**وقال** ﷺ: **كل الكذب مكتوب**) علىٰ[8] ابن آدم، وفي رواية: يُكتَب (**إلا**) ثلاثًا (**أن يكذب الرجل في الحرب**) فلا يُكتَب عليه [إثم في] ذلك (**فإن الحرب خدعة**) بل قد يجب إذا دعت إليه ضرورة أهل الإسلام (**أو يكذب بين اثنين**) بينهما نحو إحَن وفتن (**ليصلح بينهما**) بقوله ذلك (**أو يكذب لامرأته ليرضيها**) فالكذب في هذه الأحوال غير محرَّم، بل قد يجب، ومحصوله أن الكذب تجري فيه الأحكام الخمسة، وسيأتي ضابطه في كلام المصنف في ربع المهلكات.

قال العراقي[9]: رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق[10] من حديث النوَّاس بن سمعان، وفيه انقطاع وضعف. ولمسلم نحوه من حديث أم كلثوم بنت عقبة[11].

---

(١) المغني ١/ ٤٩٧.

(٢) صحيح البخاري ٢/ ٢٦٦. صحيح مسلم ٢/ ١٢٠٧.

(٣) مسند أحمد ٤٥/ ٢٣٩ - ٢٥٠.

(٤) سنن أبي داود ٥/ ٣٢٢.

(٥) سنن الترمذي ٣/ ٤٩٣.

(٦) تهذيب الآثار - مسند علي ص ١٣٢ - ١٣٣.

(٧) المعجم الكبير ٧/ ٣٥٠.

(٨) فيض القدير ٥/ ١٠ - ١١.

(٩) المغني ١/ ٤٩٨.

(١٠) بل رواه في مساوئ الأخلاق ص ٧٨، ٩٠.

(١١) هو تتمة الحديث السابق، وفيه: «قال ابن شهاب: ولم أسمع يرخص في شيء مما يقول الناس كذب إلا في ثلاث: الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها».

قلت: وكذلك رواه الطبراني في الكبير وابن السني في عمل يوم وليلة[١]، وفي سندهم محمد بن جامع العطَّار، وهو ضعيف. ورواه ابن عدي في الكامل[٢] من حديث أسماء بنت يزيد بزيادة في أوله.

(ومنها: **أن يستر عورات المسلمين كلِّهم**) بالإغضاء عنهم، وعدم إفشاء أسرارهم (**قال ﷺ: مَن ستر علىٰ مسلم ستره الله في الدنيا والآخرة**) قال العراقي[٣]: رواه مسلم[٤] من حديث أبي هريرة. وللشيخين[٥] من حديث ابن عمر: «مَن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة».

قلت: وحديث ابن عمر هذا رواه أيضًا الخرائطي في مكارم الأخلاق[٦].

ويُروَىٰ: «مَن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة». رواه أحمد[٧] والبيهقي وابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج[٨] وأبو نعيم[٩] والخطيب[١٠] من حديث مَسلمة ابن مخلَّد.

ورویٰ أحمد[١١] عن رجل من الصحابة: «مَن ستر أخاه المسلم في الدنيا

---

(١) عمل اليوم والليلة ص ٣٧٢.

(٢) الكامل في الضعفاء ١/ ٥٤، ولفظه: «يا أيها الناس، ما يحملكم علىٰ أن تتابعوا في الكذب كما يتتابع الفراش في النار؟ كل الكذب يكتب علىٰ ابن آدم إلا ثلاث خصال: رجل كذب في امرأته ليرضيها، أو رجل كذب بين امرأين يصلح بينهما، أو رجل كذب في خدعة حرب».

(٣) المغني ١/ ٤٩٨.

(٤) صحيح مسلم ٢/ ١٢٤٢.

(٥) صحيح البخاري ٢/ ١٩٠. صحيح مسلم ٢/ ١١٩٩.

(٦) مكارم الأخلاق ص ١٤٤.

(٧) مسند أحمد ٢٨/ ١٥٨.

(٨) قضاء الحوائج ص ٨٤.

(٩) معرفة الصحابة ١/ ٤٨٣.

(١٠) تاريخ بغداد ١٥/ ٢٠٠.

(١١) مسند أحمد ٢٧/ ١٤١، ٣٨/ ٢٤٣.

ستره الله يوم القيامة».

وروىٰ عبد الرزاق[١] من حديث عقبة بن عامر: «مَن ستر مؤمنًا في الدنيا علىٰ عورة ستره الله يوم القيامة».

(وقال ﷺ: لا يستر عبدٌ عبدًا إلا ستره الله يوم القيامة) قال العراقي[٢]: رواه مسلم[٣] من حديث أبي هريرة.

قلت: وكذلك رواه البيهقي في الشعب[٤].

(وقال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: لا يرىٰ امرؤ في أخيه عورة فسترها عليه إلا دخل الجنة) قال العراقي[٥]: رواه الطبراني في الأوسط[٦] والصغير[٧] والخرائطي في مكارم الأخلاق[٨] - واللفظ له - بسند ضعيف.

قلت: وفي رواية: فيسترها عليه. وفي أخرىٰ: إلا أُدخِل الجنة. وكذلك رواه عبد ابن حميد[٩]. ورواه ابن النجار من حديث عقبة بن عامر بلفظ: أدخله. ورواه الطبراني في الكبير[١٠] بلفظ المصنف من حديث عقبة بن عامر.

(وقال ﷺ لماعز) هو ابن مالك الأسلمي **(لما أخبره)** عن قصته: **(لو سترتَه**

(١) مصنف عبد الرزاق ١٠/ ٢٢٨ - ٢٢٩.
(٢) المغني ١/ ٤٩٨.
(٣) صحيح مسلم ٢/ ١٢٠٢.
(٤) شعب الإيمان ١٢/ ١٥٦.
(٥) المغني ١/ ٤٩٨.
(٦) المعجم الأوسط ٢/ ١٣١، ٩/ ١٧٠.
(٧) المعجم الصغير ٢/ ٢٥٣.
(٨) مكارم الأخلاق ص ١٤٤.
(٩) المنتخب من مسند عبد بن حميد ٢/ ٧٦.
(١٠) المعجم الكبير ١٧/ ٢٨٨.

بثوبك كان خيرًا لك) قال العراقي[١]: رواه أبو داود[٢] والنسائي[٣] من حديث نعيم بن هَزَّال، والحاكم[٤] من حديث هزال نفسه وقال: صحيح الإسناد. ونعيم مختلَف في صحبته.

قلت: هذه القصة ساقها ابن الأثير[٥]، وهي في جزء ابن الطلاية. ونعيم[٦] ابن هزَّال الأسلمي نزل المدينة، وروىٰ عنه ابنه قصة ماعز، وقيل: الصحبة لأبيه هزال بن [ذياب بن] يزيد الأسلمي، وهو الذي قال له رسول الله ﷺ: «يا هزال، لو سترتَه بثوبك كان خيرًا لك». كذا في صحيح ابن فهد. وهكذا رواه أحمد[٧] والطبراني في الكبير[٨] من طريق يزيد بن نعيم عن أبيه. وروىٰ ابن سعد في الطبقات[٩] من طريق يزيد بن نعيم عن أبيه عن جده: «بئسما صنعتَ بيتيمك، لو سترتَ عليه بطرف ردائك لكان خيرًا لك».

(فإذًا علىٰ المسلم أن يستر عورة نفسه فحق إسلامه واجب عليه كحق إسلام غيره، قال أبو بكر رضي الله عنه: **لو وجدتُ شاربًا)** في خمر **(لأحببتُ أن يستره الله، ولو وجدتُ سارقًا)** في سرقة **(لأحببت أن يستره الله**[١٠]**.**

---

(١) المغني ١/ ٤٩٨.

(٢) سنن أبي داود ٥/ ٧٣.

(٣) السنن الكبرىٰ ٦/ ٤٦١.

(٤) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٥١٤.

(٥) أسد الغابة ٥/ ٣٧١.

(٦) الاستيعاب لابن عبد البر ٢/ ٣٠٢، ٣٢٢.

(٧) مسند أحمد ٣٦/ ٢١٤ - ٢٢١.

(٨) المعجم الكبير ٢٢/ ٢٠١ - ٢٠٢.

(٩) الطبقات الكبرىٰ ٥/ ٢٢٨.

(١٠) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ٩/ ٢٤١، والخرائطي في مكارم الأخلاق ص ١٤٥، ١٤٩. ورواه عبد الرزاق في مصنفه ١٠/ ٢٢٧ بلفظ: «لو لم أجد للسارق والزاني وشارب الخمر إلا ثوبي لأحببت أن أستره عليه».

ورُوي أن عمر) بن الخطاب (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **كان يعسُّ بالمدينة)** أي يدور بها طائفًا في طلب الريبة **(ذات ليلة)** أي ليلةً من الليالي، ولفظة «ذات» مقحمة **(فرأىٰ رجلاً وامرأة علىٰ فاحشة)** أي يزنيان **(فلما أصبح قال للناس: أرأيتم لو أن إمامًا رأىٰ رجلاً وامرأة علىٰ فاحشة فأقام عليهما الحدَّ)** الشرعي **(ما كنتم فاعلين؟ قالوا: إنما أنت إمام)** أي فافعلْ ما يظهر لك من إقامة الحد **(فقال علي** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: ليس ذلك لك، إذًا يُقام عليك الحد، إن الله)** تعالىٰ **(لم يأمن علىٰ هذا الأمر أقل من أربعة شهداء)** أخرج[1] ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ﴾ قال: يعني الحكام إذا رُفع إليهم [جلدوا القاذف ثمانين جلدة ﴿وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا﴾ [النور: ٤] يعني بعد الجلد ما دام حيًّا **(ثم تركهم ما شاء الله أن يتركهم، ثم سألهم، فقال القوم مثل مقالتهم الأولىٰ، وقال علي مثل مقالته الأولىٰ)** كذلك[2].

(وهذا يشير إلىٰ أن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **كان متردِّدًا في أن الوالي هل له أن يقضي بعلمه في حدود الله تعالىٰ فلذلك راجعهم في معرض الفتوىٰ)** وفي نسخة: التقرير **(لا في معرض الإخبار خيفةً من أن لا يكون له ذلك فيكون قاذفًا بإخباره، ومال رأيُ عليٍّ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **إلىٰ أنه ليس له ذلك، وهذا من أعظم الأدلة علىٰ طلب الشرع لستر الفواحش)** والتحذير علىٰ كشفها **(فإنَّ أفحشها الزنا)** لأنه يتعلق بالعِرض **(وقد نِيطَ بأربعة من العدول يشاهدون ذلك منه)** كناية عن الذَّكَر **(في ذلك منها)** كناية عن الفرْج **(كالمِرْوَد)** أي الميل **(في المكحلة)** أو الإبرة في المخيط **(وهذا قط لا يتفق)** لصعوبته **(فإن علمه القاضي تحقيقًا لم يكن له أن يكشف عنه، فانظر)** أيها المتأمِّل **(إلىٰ الحكمة)** الإلهية **(في حسم باب الفاحشة)** وسدِّه **(بإيجاب الرجم الذي هو أعظم العقوبات)** وأكبر الفضائح الدنيوية **(ثم انظر إلىٰ كثيف)** وفي نسخة:

---

(١) الدر المنثور ١٠/ ٦٤٥ - ٦٤٦.

(٢) رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق ص ١٤٥ عن أم كلثوم بنت أبي بكر.

كنف (سترِ الله تعالىٰ كيف أسبله علىٰ العصاة من خلقه بتضييق الطريق في كشفه، فنرجو أن لا نُحرَم هذا الكرم) الإلهي (يوم تُبلَىٰ السرائر) أي تُمتحَن البواطن (ففي الحديث) عن النبي ﷺ قال: (إن الله تعالىٰ إذا ستر علىٰ عبده عورة في الدنيا فهو أكرم من أن يكشفها) عليه (في الآخرة، وإن كشفها في الدنيا فهو أكرم من أن يكشفها مرة أخرىٰ) قال العراقي[(١)]: رواه الترمذي[(٢)] وابن ماجه[(٣)] والحاكم[(٤)] من حديث علي: «مَن أذنب ذنبًا في الدنيا فستره الله عليه وعفا عنه فالله أكرم من أن يرجع في شيء قد عفا عنه، ومَن أذنب ذنبًا [في الدنيا] فعوقِبَ عليه فالله أعدلُ من أن يثنِّي عقوبته علىٰ عبده». لفظ الحاكم وقال: صحيح علىٰ شرط الشيخين. ولمسلم[(٥)] من حديث أبي هريرة: «لا يستر الله علىٰ عبد في الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة».

قلت: ورواه أحمد[(٦)] وابن جرير وصحَّحه من حديث علي بلفظ: «مَن أذنب في الدنيا ذنبًا فعوقِبَ عليه فالله أعدلُ أن يثنِّي عقوبته علىٰ عبده، ومن أذنب ذنبًا في الدنيا فستر الله عليه وعفا عنه فالله أكرم من أن يعود في شيء قد عفا عنه».

(و) أخرج[(٧)] عبد بن حميد وعبد الرزاق[(٨)] والخرائطي في مكارم الأخلاق[(٩)] من طريق زُرارة بن مصعب بن عبد الرحمن بن عوف عن المسور بن مخرمة (عن عبد الرحمن بن عوف قال: حرست مع عمر رضي الله عنه ليلةً بالمدينة، فبينا نحن نمشي

---

(١) المغني ١/ ٤٩٨ - ٤٩٩.

(٢) سنن الترمذي ٤/ ٣٧٠.

(٣) سنن ابن ماجه ٤/ ٢٠٢.

(٤) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٤٦، ٢/ ٥٢٣، ٤/ ٣٩٥.

(٥) صحيح مسلم ٢/ ١٢٠٢.

(٦) مسند أحمد ٢/ ٧٨، ١٦٥، ٤٦٢.

(٧) الدر المنثور ١٣/ ٥٦٩ - ٥٧٠.

(٨) مصنف عبد الرزاق ١٠/ ٢٣١.

(٩) مكارم الأخلاق ص ١٤٦، ١٥٢.

إذ) شبَّ أي **(ظهر لنا سراج)** في بيت **(فانطلقنا نؤمُّه)** أي نقصده **(فلما دنونا منه إذا باب)** مُجاف أي **(مغلق على قوم لهم)** فيه **(أصوات)** مرتفعة **(ولَغَطٌ)** محرَّكة: اختلاط الأصوات **(فأخذ عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **بيدي وقال: أتدري بيت من هذا؟ قلت: لا. قال: هذا بيت ربيعة بن أمية بن خلف، وهم الآن شَرْبٌ)** بفتح فسكون: الجماعة يشربون الخمر **(فما ترىٰ؟ قلت: أرىٰ أنَّا قد أتينا ما نهىٰ الله عنه، قال الله تعالىٰ:** ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا۟﴾ [الحجرات: ١٢] **فرجع عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **وتركهم)** علىٰ حالهم.

ونحو ذلك ما أخرجه سعيد بن منصور وابن المنذر عن الشعبي أن عمر بن الخطاب فقد رجلاً من أصحابه، فقال لابن عوف: انطلِقْ بنا إلىٰ منزل فلان ننظره. فأتيا منزله، فوجدا بابه مفتوحًا وهو جالس وامرأته تصبُّ له في إناء فتُناوِله إياه، فقال عمر لابن عوف: هذا الذي شغله عنا. فقال ابن عوف لعمر: وما يدريك ما في الإناء فقال عمر: أتخاف أن يكون هذا التجسُّس؟ قال: بل هو التجسس. قال: وما التوبة من هذا؟ قال: لا تُعلِمه بما اطَّلعت عليه من أمره، ولا يكوننَّ في نفسك إلا خير. ثم انصرفا.

وأخرجا أيضًا عن الحسن قال: أتىٰ عمرَ بن الخطاب رجلٌ فقال: إن فلانًا لا يصحو. فدخل عليه عمر فقال: إني لأجدُ ريح شراب يا فلان، أنت بهذا؟ فقال الرجل: يا بن الخطاب، وأنت بهذا؟ ألم ينهك الله أن تتجسَّس؟ فعرفها عمر فانطلق وتركه.

(فهذا) وأمثاله **(يدل علىٰ وجوب الستر)** علىٰ الأخ المسلم **(وترك التتبُّع)** لعوراته **(وقد قال** ﷺ **لمعاوية)** بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **(إنك إن اتَّبعتَ عورات الناس أفسدتَهم أو كِدت تفسدهم)** قال العراقي[1]: رواه أبو داود[2] بإسناد صحيح من حديث معاوية.

---

(١) المغني ١/ ٤٩٩.

(٢) سنن أبي داود ٥/ ٣٠٨.

(وقال ﷺ: يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان في قلبه لا تغتابوا الناس ولا تتَّبعوا عوراتهم، فإنه من يتَّبع عورة أخيه المسلم يتَّبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو كان في جوف بيته) قال العراقي[١]: رواه أبو داود[٢] من حديث أبي برزة بإسناد جيد، وللترمذي[٣] نحوه من حديث ابن عمر وحسَّنه.

قلت: حديث أبي برزة الأسلمي رواه أيضًا هكذا أحمد[٤] وأبو يعلىٰ[٥] وابن أبي الدنيا[٦] وابن المنذر وابن مردويه والطبراني في الكبير والبيهقي[٧].

ورواه كذلك ابن أبي الدنيا في الغيبة[٨] وأبو يعلىٰ[٩] والضياء في المختارة من حديث البراء بزيادة: خطبنا رسولُ الله ﷺ حتىٰ أسمع العواتق في الخُدور ينادي بأعلىٰ صوته: يا معشر ... الخ.

ورُوي ذلك أيضًا من حديث ابن عباس، ولفظه: «يا معشر من آمن بلسانه ولم يخلُص الإيمانُ إلىٰ قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من يتبع عورة أخيه يتبع الله عورته حتىٰ يخرقه الله عليه في بطن بيته». هكذا رواه العقيلي[١٠] وابن مردويه.

ورُوي أيضًا من حديث عبد الله بن بُرَيدة عن أبيه، ولفظه: «يا معشر مَن أسلم

---

(١) المغني ١/ ٤٩٩.

(٢) سنن أبي داود ٥/ ٣٠٥.

(٣) سنن الترمذي ٣/ ٥٥٤.

(٤) مسند أحمد ٣٣/ ٢٠، ٤٠.

(٥) مسند أبي يعلىٰ ١٣/ ٤١٩.

(٦) الصمت وآداب اللسان ص ١٢١.

(٧) السنن الكبرىٰ ١٠/ ٤١٨. شعب الإيمان ٩/ ٧٥.

(٨) ذم الغيبة والنميمة ص ٥١ (ط - مؤسسة الكتب الثقافية) بدون الزيادة المذكورة.

(٩) مسند أبي يعلىٰ ٣/ ٢٣٧.

(١٠) الضعفاء الكبير ١/ ٩٨.

بلسانه ولم يدخل الإيمان في قلبه لا تذمُّوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم، فإن من يطلب عورة أخيه المسلم هتك الله ستره وأبدىٰ عورته ولو كان في سر بيته». هكذا رواه الطبراني في الكبير(١)، ورواه كذلك ابن مردوية بزيادة: صلَّينا الظهر خلف نبي الله ﷺ، فلما انفتل [من صلاته] أقبل علينا غضبان مسفرًا فنادىٰ بأعلىٰ صوت أسمع العواتقَ في أجواف الخدور: يا معشر ... الخ.

وأما حديث ابن عمر الذي أشار إليه العراقي فلفظه: «يا معشر مَن أسلم بلسانه ولم يُفْضِ الإيمانُ إلىٰ قلبه لا تؤذوا المسلمين، ولا تعيِّروهم، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تتبَّع عورة أخيه المسلم تتبَّع الله عورته، ومن تتبَّع الله عورته يفضحه ولو في جوف رَحْله». هكذا ساقه الترمذي وقال: حسن غريب. ورواه ابن حبان(٢) كذلك.

ورواه الطبراني في الكبير(٣) من حديث ابن عباس.

ويُروَىٰ أيضًا من مرسَل جُبَير بن نُفَير، ولفظه: «يا معشر الذين آمنوا بألسنتهم ولم يدخل الإيمان إلىٰ قلوبهم، لا تؤذوا المسلمين، ولا تعيِّروهم، ولا تتبعوا عثراتهم، فإنه من يتَّبع عثرة أخيه المسلم يتَّبع الله عثرته، ومن يتبع الله عثرته يفضحه وهو في قعر بيته ...» الحديث بطوله. هكذا أخرجه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول(٤).

(وقال أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه: لو رأيتُ أحدًا علىٰ حد من حدود الله تعالىٰ ما أخذتُه ولا دعوتُ له أحدًا حتىٰ يكون معي غيري)(٥) أي فالحاكم وحده لا يجوز له

---

(١) المعجم الكبير ٢/ ٢١. وفيه الزيادة التي عزاها الشارح لابن مردويه.

(٢) صحيح ابن حبان ١٣/ ٧٥.

(٣) المعجم الكبير ١١/ ١٨٦.

(٤) نوادر الأصول ص ٦٢١. وستأتي بقيته قريبا.

(٥) رواه البيهقي في السنن الكبرىٰ ١٠/ ٢٤٣، والخرائطي في مكارم الأخلاق ص ١٤٧.

أن يهتك ستر عبده وقد ستره الله تعالىٰ.

(وقال بعضهم[١]: كنت قاعدًا مع عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إذ جاءه رجل بآخر فقال: هذا نشوان) أي سكران (فقال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: استنكِهوه) أي شُمُّوه (ففعلوا به) ذلك (فوجدوه نشوانًا) كما قال (فحبسه حتىٰ ذهب سكره، ثم دعا بسوط فكسر ثمرته، ثم قال للجلاَّد: اجلد، وارفع يدك، وأعطِ كل عضو حقه. فجلده وعليه قباء أو مِرْط) بكسر الميم: كساء من صوف. وفي نسخة: أو قُرْطَق. وهو بضم القاف وفتح الطاء، معرَّب كُرْتَه، وهو قميص صغير علىٰ الجسد[٢] (فلما فرغ) الجلاَّد (قال للذي جاء به: ما أنت منه؟ قال): أنا (عمه) في النسب (فقال له عبد الله) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (ما أدَّبت فأحسنت الأدب، ولا سترت الخزية) أي الفضيحة والمذلة الحاصلة من تلك الفعلة (إنه ينبغي للإمام إذا انتهىٰ إليه حدٌّ) من حدود الله (أن يقيمه) كما أمر الله تعالىٰ (وإن الله عفوٌّ يحب العفو. ثم قرأ) قوله تعالىٰ: (﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟﴾) [النور: ٢٢] قال: (ثم) شرع يحدثنا (قال: إني لأذكرُ أول رجل قطعه النبي ﷺ، أُتي بسارق، فقطعه) أي قطع يده (فكأنما أسف وجهُه) أي تغيَّر من الإسفاف (فقالوا: يا رسول الله، كأنَّك كرهتَ قطعه. فقال: وما يمنعني) عن الكراهة؟ (لا تكونوا عونًا للشيطان علىٰ أخيكم) أي لا تتبعوا الشيطان ولا تكونوا عونًا له، فإنه يفرح في إخوانكم المسلمين أذا أصيبوا بمثل ذلك (فقالوا: ألا عفوتَ عنه) يا رسول الله؟ (فقال: إنه ينبغي للسلطان إذا انتهىٰ إليه حدٌّ) من حدود الله (أن يقيمه، إن الله عفوٌّ يحب العفو) وهذه الجملة - أعني قوله: إن الله - هنا حديث مستقل رواه الحاكم عن ابن مسعود، ورواه ابن عدي من حديث

---

(١) هو أبو ماجد - أو أبو ماجدة - عائذ بن نضلة الحنفي العجلي الكوفي.

(٢) انظر: تاج العروس ٢٦/ ٣٣٦ - ٣٣٧. وفي المغرب للمطرزي ٢/ ١٧١: «القرطق: قباء ذو طاق واحد». وقال الخفاجي في شفاء الغليل ص ١٧٨: «القرطق: لباس شبيه بالقباء، جمعه: قراطق، وأصله بالفارسية: كرته، وهو لباس قصير تقول له العوام: شابة. والمولدون يسمونه: حنيني».

عبد الله بن جعفر (وقرأ: ﴿وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾) قال العراقي[١]: رواه الحاكم[٢] وقال: صحيح الإسناد (وفي رواية) أخرىٰ: (**كأنما سُفي في وجه رسول الله ﷺ رماد**) هكذا رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق[٣] (**لشدة تغيُّره**).

وأخرج عبد الرزاق[٤] وابن أبي شيبة[٥] وعبد بن حميد وأبو داود[٦] وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في الشعب[٧] عن زيد بن وهب قال: أُتي ابن مسعود فقيل له: هذا فلان[٨] تقطر لحيته خمرًا. فقال عبد الله: إنَّا قد نُهينا عن التجسُّس، ولكن إن يظهر لنا منه شيء نأخذه به.

والأقرب إلىٰ سياق المصنف ما رواه الإمام أبو حنيفة[٩] عن يحيىٰ بن عبد الله الجابر عن أبي ماجد الحنفي عن ابن مسعود، قال: أتاه رجل بابن أخ له نشوان قد ذهب عقله، فقال: ترتِروه ومزمزوه واستنكِهوه. فتُرتِر ومُزمِز واستُنكِه، فوُجد منه رائحة شراب، فأمر بحبسه، فلما صحا دعا به، ودعا بسوط [فأمر به] فقُطعت ثمرته، ثم رقَّه، ثم دعا جلاَّدًا، فقال: اجلدْ، وارفع يدك في جَلدك، ولا تُبْدِ ضبعيك. قال: ثم أنشأ عبد الله يعدُّ، حتىٰ إذا أكمل ثلاثين جلدة خلَّىٰ سبيلَه، فقال الشيخ: يا أبا عبد الرحمن [والله] إنه لابنُ أخي، وما لي ولد غيره. فقال: بئس

---

(١) المغني ١/ ٤٩٩.

(٢) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٥٣٧ من أول قوله: إني لأذكر ... إلىٰ آخر الحديث.

(٣) مكارم الأخلاق ص ١٥٠ - ١٥١.

(٤) مصنف عبد الرزاق ١٠/ ٢٣٢.

(٥) مصنف ابن أبي شيبة ٨/ ٦٠٤.

(٦) سنن أبي داود ٥/ ٣٠٩.

(٧) شعب الإيمان ١٠/ ٨١، ١٢/ ١٦١. ورواه أيضا في السنن الكبرىٰ ٨/ ٥٧٩.

(٨) هو الوليد بن عقبة بن أبي معيط - كما في رواية عبد الرزاق.

(٩) مسند أبي حنيفة للحارثي ص ٢٥٠ - ٢٥٢.

العم واللهِ والي اليتيم أنت، كنت ما أحسنتَ أدبه صغيرًا، ولا سترتَه كبيرًا. قال: ثم أنشأ يحدثنا قال: إن أول حد أقيمَ في الإسلام لسارق أُتي به النبي ﷺ، فلما قامت عليه البيِّنة قال: «انطلِقوا به فاقطعوه». فلما انطُلِق به ليُقطَع نُظِرَ إلىٰ وجه النبي ﷺ كأنما أُسفِيَ الرماد، فقال بعض جلسائه: واللهِ يا رسول الله كأنَّ هذا اشتدَّ عليك. قال: «وما يمنعني أن لا يشتدَّ عليَّ؟ لا تكونوا أعوان الشيطان علىٰ أخيكم». قالوا: فلولا خلَّيت سبيله. قال: «أفلا كان هذا قبل أن تأتوني به؟ فإن الإمام إذا انتهىٰ إليه حدٌّ فليس [ينبغي] له أن يعطِّله». قال: ثم تلا هذه الآية: ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ كذا رواه أبو محمد الحارثي الحافظ في مسنده من طريق حمزة بن حبيب الزيَّات وأبي يوسف والحسن بن الفرات وسعيد بن أبي الجهم ومحمد بن ميسِّر الصغاني كلهم عن الإمام أبي حنيفة، لكن ليس في روايتهم «فقال ترتروه» إلىٰ قوله «شراب، وإنما روىٰ هذه الزيادة طلحة العدل من طريق حمزة بن حبيب خاصةً، ورواه ابن خسرو من طريق الحسن بن زياد عن أبي حنيفة، ورواه الكلاعي من طريق محمد بن خالد الوَهْبي عن أبي حنيفة، وقد رواه سفيان وزهير بن معاوية وجرير بن عبد الحميد وابن عيينة وغيرهم، وقد اختلف فيه مَن دون أبي حنيفة، فرواه بعضهم عن يحيىٰ ابن الحارث عن عبد الله بن أبي ماجد عن عبد الله. وأخرجه إسحاق بن راهويه والطبراني[1] من طريق أبي ماجد الحنفي بلفظ: جاء رجل بابن أخيه سكران إلىٰ ابن مسعود، فقال: ترتروه [ومزمزوه] واستنكِهوه. ففعلوا، فرفعه إلىٰ السجن، ثم دعا به من الغد فجلده. وأخرجه عبد الرزاق[2] من حديث سفيان الثوري عن يحيىٰ بدون ذكر العدد. وأخرجه أبو يعلىٰ[3] من قوله: فأنشأ يحدثنا ... الخ من طريق زهير بن حرب عن جرير عن

---

(١) المعجم الكبير ٩/ ١١٤ - ١١٥.

(٢) مصنف عبد الرزاق ٧/ ٣٧٠ - ٣٧١.

(٣) مسند أبي يعلىٰ ٩/ ٨٧.

يحيىٰ. وأخرجه بتمامه الحميدي[١] وابن أبي عمر في مسنديهما.

(ورُوي أن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ **كان يعسُّ بالمدينة من الليل)** أي يدور طائفًا، وذلك في أيام خلافته **(فسمع صوت رجل في بيت يتغنَّىٰ، فتسوَّر عليه)** أي طلع علىٰ سور جدار فنزل عليه **(فوجده وعنده امرأة وعنده خمر، فقال)** له: **(يا عدو الله، أظننت أن الله يسترك وأنت علىٰ معصيته؟ قال:** وأنت يا أمير المؤمنين فلا تعجل، إن كنتُ عصيت الله تعالىٰ واحدةً فقد عصيتَ الله فيَّ) أي في حقي **(ثلاثًا، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾** [الحجرات: ١٢] **وقد تجسَّستَ، وقال تعالىٰ: {وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر أن تأتوا البيوت من أبوابها}** [البقرة: ١٨٩] **وقد تسوَّرتَ عليَّ، وقال الله تعالىٰ: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا﴾ الآية** [النور: ٢٧] **وقد دخلتَ بيتي بغير إذن ولا سلام. فقال عمر** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: **هل عندك من خير إن عفوتُ عنك؟ قال: نعم، واللهِ يا أمير المؤمنين لئن عفوتَ عني لا أعود لمثلها أبدًا. فعفا عنه وخرج وتركه)** هكذا بطوله أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق[٢] عن ثور الكِنْدي أن عمر كان يعسُّ ... فساقه.

(وقال رجل لعبد الله بن عمر) بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ **(يا أبا عبد الرحمن، كيف سمعتَ النبي** ﷺ **يقول في النجوىٰ يوم القيامة؟ قال: سمعته يقول: إن الله تعالىٰ لَيدني)** أي لَيقربُ **(منه المؤمن، فيضع عليه كنفه ويستره من الناس فيقول له: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا)**؟ يعدِّد الذنوب عليه **(فيقول: نعم يا رب. حتىٰ إذا قرَّره بذنوبه ورأىٰ في نفسه أنه قد هلك قال له: يا عبدي، إني لم أسترها عليك في الدنيا إلا وأنا أريد أن أغفرها لك اليوم. فيُعطَىٰ كتاب حسناته، وأما الكافرون والمنافقون فيقول الأشهاد)** أي الملائكة الشهود وهم الحَفَظة: **(هؤلاء الذين كذبوا علىٰ ربهم**

---

(١) مسند الحميدي ١/ ٢٠١ - ٢٠٢.

(٢) مكارم الأخلاق ص ١٥٢.

ألا لعنة الله علىٰ الظالمين) قال العراقي[١]: متفق عليه[٢].

قلت: وأخرج الحكيم الترمذي[٣] من مرسل جبير بن نفير في أثناء حديث: قيل: يا رسول الله، وهل علىٰ المؤمن من ستر؟ قال: «ستور الله علىٰ المؤمن أكثر من أن تُحصَىٰ، إن المؤمن لَيعملُ بالذنوب فتُهتَك عنه سترًا سترًا حتىٰ لا يبقىٰ عليه منه شيء، فيقول الله للملائكة: استروا علىٰ عبدي من الناس، فإنهم يعيِّرون ولا يغيِّرون. فتحف [عليه] الملائكة بأجنحتها يسترونه عن الناس، فإن تاب قَبِلَ الله منه وردَّ عليه ستوره، ومع كل ستر تسعة أستار، فإن تتابع في الذنوب قالت الملائكة: يا ربنا، إنه قد غلبنا وأقذرنا. فيقول الله: استروا عبدي من الناس، فإن الناس يعيِّرون ولا يغيِّرون. فتحف به الملائكة بأجنحتها يسترونه من الناس، فإن تاب قَبِلَ الله منه [وردَّ عليه ستوره، ومع كل ستر تسعة أستار، فإن تتابع في الذنوب قالت الملائكة: ربنا، إنه قد غلبنا وأقذرنا. فيقول الله: استروا عبدي من الناس، فإن الناس يعيِّرون ولا يغيِّرون. فتحف به الملائكة بأجنحتها يسترونه من الناس، فإن تاب قَبِلَ الله منه] وإن عاد قالت الملائكة: ربنا، إنه قد غلبنا وأقذرنا. فيقول الله للملائكة: تخلُّوا عنه، فلو عمل ذنبًا في بيت مظلم في ليلة مظلمة في جُحْر أبدىٰ الله عنه وعن عورته».

(وقال ﷺ: كل أمَّتىٰ مُعافىٰ) اسم[٤] مفعول من عافاه الله بمعنىٰ: عفىٰ الله عنه، أو سلَّمه وسلَّم منه. وفي بعض ألفاظ هذا الحديث «معافاة» بالهاء في آخره؛ هكذا نقله النووي[٥] نقلاً عن النسخ المعتمدة من صحيح مسلم، والذي في نسخ المصابيح وغيرها كما هنا، وقال الطيبي[٦]: وعليه فينبغي أن تُكتَب ألفه ياء؛ ليكون

---

(١) المغني ١/ ٤٩٩ - ٥٠٠.

(٢) صحيح البخاري ٢/ ١٩٠، ٣/ ٢٤٣، ٤/ ١٠٤، ٤٠٦. صحيح مسلم ٢/ ١٢٦٩.

(٣) نوادر الأصول ص ٦٢١ - ٦٢٢.

(٤) فيض القدير ٥/ ١١ - ١٢. فتح الباري لابن حجر ١٠/ ٥٠١ - ٥٠٢.

(٥) شرح صحيح مسلم ١٨/ ١٦١.

(٦) الكاشف عن حقائق السنن ١٠/ ٣١١٩.

مطابقًا للفظ «كل» **(إلا المجاهرون)** كذا في نسخ الكتاب كلها، والرواية «إلا المجاهرين»، ووُجِّهَ ما هنا بأن «معافىٰ» في معنىٰ النفيٰ، فيكون استثناء من كلام غير موجب، والتقدير: كل أمتي لا ذنب لهم إلا المجاهرون. وتقديره علىٰ الثاني: لكن المجاهرين بالمعاصي لا يعافَون، من جاهَرَ بكذا بمعنىٰ جهر به، وعبَّر بفاعل للمبالغة، أو علىٰ ظاهر المفاعلة والمراد الذين يجاهر بعضهم بعضًا بالتحدُّث بالمعاصي، وجعل منه ابن جماعة إفشاء ما يكون بين الزوجين من المباح، ويؤيِّده الخبر المشهور في الوعيد عليه[1] **(وإن من المجاهرة)** وفي رواية: وإن من الجهار. أي الإظهار والإذاعة **(أن يعمل الرجل السوءَ سرًّا ثم يخبر به)** قال العراقي[2]: متفق عليه[3] من حديث أبي هريرة.

قلت: وكذلك رواه أبو يعلىٰ وغيره، ولفظهم جميعًا: «أن يعمل الرجل بالليل عملاً ثم يصبح وقد ستره الله تعالىٰ فيقول: عملتُ البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربُّه، ويصبح يكشف ستر الله عنه». ورواه الطبراني في الأوسط[4] والصغير[5] بسند ضعيف من حديث أبي قتادة، وفيه بعد قوله «إلا المجاهر»: «الذي يعمل العمل بالليل فيستره ربُّه ثم يصبح فيقول: يا فلان، إني عملت البارحة كذا وكذا، فيكشف ستر الله عنه».

واعلم أن إشهار الذنب في الملأ جناية منه علىٰ ستر الله عز وجل الذي أسدله عليه، وتحريك لرغبة الشر فيمن أسمعه أو أشهده، فهما جنايتان انضمَّتا إلىٰ جنايته فتغلَّظت به، فإن انضاف إلىٰ ذلك الترغيب للغير فيه والحمل عليه صارت جناية

---

(١) وهو قوله ﷺ: «إن من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلىٰ المرأة وتفضي إليه ثم ينشر سرهما».

(٢) المغني ١/ ٥٠٠.

(٣) صحيح البخاري ٤/ ١٠٤. صحيح مسلم ٢/ ١٣٦٢.

(٤) المعجم الأوسط ٤/ ٣٨٣.

(٥) المعجم الصغير ١/ ٣٧٨.

رابعة وتفاحش الأمرُ. وسيأتي للمصنف في المهلكات أن الكشف المذموم إذا وقع علىٰ وجه المجاهرة والاستهزاء لا علىٰ وجه السؤال والاستفتاء، بدليل خبر المعترف[١] المتقدِّم في كتاب الصوم، فإنه أخبر بحاله النبيَّ ﷺ فلم ينكر عليه. وقال النووي[٢]: يُكرَه لمن ابتُلي بمعصية أن يخبر غيرَه بها، بل يُقلِع ويندم ويعزم علىٰ أن لا يعود، فإن أخبر بها شيخَه ونحوه ممَّن يرجو بإخباره أن يُعلِمه مخرجًا منها أو ما يَسْلَم به من الوقوع في مثلها أو يعرِّفه السبب الذي أوقعه فيها أو يدعو له أو نحو ذلك فهو حسن، وإنما يُكرَه لانتفاء المصلحة.

(**وقال** ﷺ: **مَن استمع سرَّ قوم**) كذا في النسخ، وفي بعضها: بين قوم، وفي أخرىٰ: من قوم (**وهم له**) أي لاستماعه (**كارهون**) الجملة[٣] حال من القوم أو من ضمير «استمع»، يعني حال كونهم يكرهونه لأجل استماعه، أو يكرهون استماعه إذا علموا ذلك، أو صفة «قوم» والواو لتأكيد لصوقها بالموصوف (**صُبَّ في أذنه**) وفي رواية: أذنيه (**الآنُك يوم القيامة**) بفتح الهمزة الممدودة وضم النون، أفعُل، قال الجوهري[٤]: هو من أبنية الجمع، ولم يجئ عليه الواحد إلا الآنك. وهو الرصاص أو الخالص منه أو الأسود أو الأبيض أو القصدير. والجملة إخبار أو دعاء عليه، وفيه وعيد شديد، وموضعه فيمن يستمع لمَفسدة كنميمة، أما مستمع حديث قوم بقصد منعهم من الفساد أو ليتحرَّز من شرِّهم فلا يدخل تحته، بل قد يندب، بل يجب بحسب المواطن، وللوسائل حكم المقاصد.

قال العراقي[٥]: رواه البخاري[٦] من حديث ابن عباس مرفوعًا وموقوفًا عليه

---

(١) الذي واقع امرأته في نهار رمضان.

(٢) الأذكار ص ٣١٧.

(٣) فيض القدير ٦/ ٥٩ - ٦٠.

(٤) الصحاح ٤/ ١٥٧٣، وفيه: «إلا آنك وأشُد».

(٥) المغني ١/ ٥٠٠.

(٦) صحيح البخاري ٤/ ٣٠٩.

وعلىٰ أبي هريرة أيضًا.

قلت: ورواه من حديث ابن عباس أيضًا مرفوعًا الطبراني في الكبير[1] بإسناد حسن، وفيه زيادة، ولفظه: «من استمع إلىٰ حديث قوم وهم له كارهون صُبَّ في أذنيه الآنُك [يوم القيامة] ومَن أرىٰ عينيه [في المنام] ما لم تَرَيا كُلِّف أن يعقد شعيرة». وأخرجه الإسماعيلي في المستخرج وزاد: «يعذَّب بها وليس بفاعل». وفي رواية: بين شعيرتين.

(**ومنها: أن يتَّقي مواضع التُّهَم صيانةً لقلوب الناس عن سوء الظن**) به (و) صيانةً (**لألسنتهم عن الغِيبة، فإنهم إذا عصوا الله بذكره وكان هو السبب فيه كان شريكًا، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾**) [الأنعام: ١٠٨] أي لا تسبَّبوا لسبِّ آلهتهم فيجر إلىٰ تجاوزهم عن الحدود ويجهلون فيسبُّون الله عَزَّوَجَلَّ فتكونوا أنتم السبب في ذلك.

(**وقال ﷺ: كيف ترون من يسب أبويه**)؟ أي يشتمهما (**فقالوا: وهل من أحد يسب أبويه**)؟! هذا لا يكون (**قال: نعم، يسب أبا غيره**) وفي نسخة: أبوَي غيره (**فيسبُّون أبويه**) قال العراقي[2]: متفق عليه[3] من حديث عبد الله بن عمرو نحوه.

(**وقال أنس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **إن رسول الله ﷺ كلَّم إحدىٰ نسائه، فمر به رجل**) ورآه يكلِّمها (**فدعاه رسول الله ﷺ فقال: يا فلان، هذه زوجتي صفية. فقال: يا رسول الله،**

---

(١) المعجم الكبير ١١/ ٢٤٩.

(٢) المغني ١/ ٥٠٠.

(٣) صحيح البخاري ٤/ ٨٦. صحيح مسلم ١/ ٥٤.

ولفظ البخاري: «إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه. قيل: يا رسول الله، وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال: يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه».

ولفظ مسلم: «من الكبائر شتم الرجل والديه. قالوا: يا رسول الله، وهل يشتم الرجل والديه؟ قال: نعم، يسب أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه».

مَن كنت أظن فيه فإني لم أكن أظن فيك. فقال: إن الشيطان يجري من ابن آدم مَجرىٰ الدم) رواه أحمد والشيخان وأبو داود من حديثه، وقد تقدَّم مفصَّلاً في كتاب الصوم **(وزاد في رواية)** أخرىٰ فقال: **(إني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئًا. وكانا رجلين، فقال: علىٰ رِسْلكما، إنها صفية ... الحديث، وكانت قد زارته في العشر الأواخر من رمضان)** فشيَّعها إلىٰ منزلها. رواه الشيخان وأبو داود وابن ماجه من حديث صفية، وقد تقدم شرحُ هذا الحديث في كتاب أسرار الصوم.

(وقال عمر) بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **مَن أقام نفسَه مقام التُّهَم فلا يلومنَّ مَن أساء الظنَّ به)**[1] نقله الذهبي في مناقب عمر، والإسماعيلي كذلك.

(ومر) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **(برجل يكلِّم امرأة علىٰ ظهر الطريق، فعلاه بالدِّرة)** أي رامَ أن يضربه بها **(فقال)**: مَه **(يا أمير المؤمنين، إنها امرأتي)** أي ليست بأجنبية **(فقال: فهلاَّ حيث لا يراك الناس)**[2] أورده الذهبي والإسماعيلي كلاهما في مناقب عمر.

(ومنها: أن يشفع لكل مَن له حاجة من) إخوانه **(المسلمين عند)** كل **(مَن له عنده منزلة)** وجاه **(ويسعىٰ في قضاء حاجته)** وإتمام مراده **(بما يقدر عليه)** ويمكنه **(قال رسول الله ﷺ: إني أوتَىٰ وأُسأل)** أي يأتوني الناس ويسألوني **(وتُطلَب إليَّ الحاجة وأنتم عندي)** أي حاضرون **(فاشفعوا لتؤجَروا، ويقضي الله علىٰ يدي نبيِّه ما أَحَبَّ)** بوحي[3] أو إلهام ما قدَّر في علمه أنه سيكون من إعطاء أو حرمان، أو ما أحب من موجبات قضاء الحاجة أو عدمها.

---

(١) رواه أبو داود في الزهد ص ٩٨، والخرائطي في مكارم الأخلاق ص ١٦١، وأبو طاهر المخلص في المخلصيات ٤/ ٨٤، وابن أبي الدنيا في الصمت وآداب اللسان ص ٣١١، والخطيب في المتفق والمفترق ١/ ٣٠٥، وابن عدي في الكامل ٧/ ٢٦٠٩.

(٢) رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق ص ١٦١ عن موسىٰ بن خلف.

(٣) فيض القدير ١/ ٥٢٥.

قال العراقي[١]: متفق عليه[٢] من حديث أبي موسىٰ نحوه.

قلت: أخرجاه من طريق بُرَيد بن عبد الله بن أبي بُرْدة عن جده عن أبي موسىٰ قال: كان إذا جاءه السائل أو طُلبت إليه حاجة قال ... فذكره. وكذلك رواه أبو داود[٣] والترمذي[٤] والنسائي[٥] كلهم في الأدب: كان إذا أتاه طالب حاجة أو طُلبت إليه حاجة أقبل علىٰ جلسائه وقال: «اشفعوا تؤجروا، ويقضي الله علىٰ لسان نبيِّه ما شاء». وفي لفظ لأبي داود: «وليقضِ الله علىٰ لسان نبيِّه ما شاء». وهي موضِّحة لمعنىٰ رواية الصحيحين.

(وقال معاوية) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **(قال رسول الله ﷺ: اشفعوا إليَّ تؤجروا، إني أريد الأمر فأؤخِّره كي تشفعوا إليَّ فتؤجَروا)** رواه أبو داود[٦] والنسائي[٧] وابن عساكر[٨] من طريق همام بن منبه عن معاوية قال: إن الرجل لَيسألني الشيء فأمنعه كي تشفعوا فتؤجروا، وإن رسول الله ﷺ قال: «اشفعوا تؤجَروا».

وقد سقط هذا الحديث عند العراقي.

(وقال ﷺ: ما من صدقة أفضل من صدقة اللسان. قيل: وكيف ذلك) يا رسول الله؟ **(قال: الشفاعة يُحقَن بها الدم)** أي تمنعه أن يُسفَك، يقال: حقنت دمَه:

---

(١) المغني ١/ ٥٠١.

(٢) صحيح البخاري ١/ ٤٤٢، ٤/ ٩٦، ٣٩٩. صحيح مسلم ٢/ ١٢١٤.

(٣) سنن أبي داود ٥/ ٤٠٨.

(٤) سنن الترمذي ٤/ ٤٠٥.

(٥) سنن النسائي ص ٣٩٨.

(٦) هذا الحديث ليس في طبعة محمد عوامة، وهو في طبعة المكتبة العصرية ٤/ ٣٣٤. وأشار محققها إلىٰ أن هذا الحديث في بعض النسخ دون بعض.

(٧) سنن النسائي ص ٣٩٨.

(٨) تاريخ دمشق ٥٩/ ٥٦ - ٥٧.

إذا حلَّ به القتلُ فأنقذته[١] **(وتُجَرُّ بها المنفعة إلىٰ آخَر، ويُدفَع بها المكروه عن آخر)** قال العراقي[٢]: رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق[٣] - واللفظ له - والطبراني في الكبير[٤] من حديث سَمُرة بن جندب بسند ضعيف.

قلت: فيه أبو بكر الهُذَلي، ضعَّفه أحمد وغيره. وقال البخاري[٥]: ليس بالحافظ. ثم أورد له هذا الخبر. كذا في الميزان[٦]. وقد رواه أيضًا البيهقي في الشعب[٧]، ولفظه: «أفضل الصدقة صدقة اللسان». قالوا: يا رسول الله، وما صدقته؟ قال: «الشفاعة يُفَك بها الأسير، ويُحقَن بها الدم، ويُجَرُّ بها المعروف والإحسان إلىٰ أخيك [المسلم] وتدفع عنه الكريهة». وفي سنده مروان بن جعفر السَّمُري، أورده الذهبي في الضعفاء[٨].

(ورُوي عن عكرمة) مولىٰ ابن عباس، روىٰ له مسلم مقرونًا بغيره، واحتجَّ به الباقون **(عن ابن عباس ﵄ أن زوج بَريرة كان عبدًا)** أسود **(يقال له مغيث)** كان من موالي أبي أحمد بن جحش **(كأني أنظر إليه)** يدور **(خلفها)** لما اشترتها عائشة ﵂ فأعتقتها **(وهو يبكي ودموعه تسيل علىٰ لحيته، فقال رسول الله ﷺ للعباس)** بن عبد المطلب والد عبد الله راوي الحديث: **(ألا تعجب من شدة حب مغيث لبريرة وشدة بغض بريرة لمغيث)** وذلك لما خيَّرها **(فقال النبي ﷺ)** لبريرة: **(لو راجعتيه، فإنه أبو ولدك. فقالت: يا رسول الله، أتأمرني فأفعل)** لأن أمره مطاع **(فقال: لا، إنما**

---

(١) أساس البلاغة للزمخشري ١/ ٢٠٥.

(٢) المغني ١/ ٥٠١.

(٣) مكارم الأخلاق ص ٢١٩.

(٤) المعجم الكبير ٧/ ٢٧٩، ولفظه كلفظ البيهقي في الشعب الذي سيذكره الشارح.

(٥) التاريخ الكبير ٤/ ١٩٨. وقول الشارح (وأورد له) يعني الذهبي، وليس البخاري.

(٦) ميزان الاعتدال ٤/ ٤٩٧.

(٧) شعب الإيمان ١٠/ ١٣٢.

(٨) ديوان الضعفاء ص ٣٨٣، وفيه: «قال الأزدي: يتكلمون فيه».

أنا شافع) قال العراقي[١]: رواه البخاري[٢].

قلت: وقد روىٰ مسلم[٣] من هذا الحديث من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنها أعتقت بريرة، ولها زوج مولىٰ آل أبي أحمد، فخيَّرها رسول الله ﷺ فاختارت نفسها. وفي لفظ: فخيَّرها، وكان زوجها عبدًا، فاختارت نفسها، ولو كان حرًّا لم يخيِّرها. ولم يقل البخاري: ولو كان حرًّا لم يخيِّرها. وقال في بعض طرقه: فخيَّرها من زوجها، فقالت: لو أعطاني كذا وكذا ما بتُّ عنده.

(ومنها: **أن يبدأ كلَّ مسلم منهم بالسلام قبل الكلام)** أي يسلِّم عليه قبل أن يكلِّمه **(ويصافحه عند السلام)** أي يضع يده في يديه، وذلك من تمام المحبة **(قال ﷺ: من بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجبْه حتىٰ يبدأ بالسلام)** لأن[٤] مَن أهمل السلام وبدأ بالكلام فقد ترك الحق والحرمة، فحقيق أن لا يُجاب، وجدير بأن لا يُهاب، قال في التجنيس وغيره: هذا في الفضاء، فيسلِّم أولاً ثم يتكلم، أما في البيوت فيستأذن فإذا دخل سلَّم. هكذا قيل، وفيه نظرٌ.

قال العراقي[٥]: رواه الطبراني في الأوسط[٦] وأبو نعيم في اليوم والليلة – واللفظ له – من حديث ابن عمر بسند فيه لِين.

قلت: وكذلك رواه ابن السني في عمل يوم وليلة[٧]، ورواه أبو نعيم في الحلية[٨] من طريق هشام بن عبد الملك عن بقية عن عبد العزيز بن أبي رَوَّاد عن

---

(١) المغني ١/ ٥٠١.

(٢) صحيح البخاري ٣/ ٤٠٧ – ٤٠٨، ٤/ ٢٤٢.

(٣) صحيح مسلم ١/ ٧٠٢ – ٧٠٤.

(٤) فيض القدير ٦/ ٩٤.

(٥) المغني ١/ ٥٠١.

(٦) المعجم الأوسط ١/ ١٣٦.

(٧) عمل اليوم والليلة ص ١٣٩.

(٨) حلية الأولياء ٨/ ١٩٩.

نافع عن ابن عمر، ثم قال: غريب من حديث عبد العزيز، لم نكتبه إلا من حديث بقية. وفي سند الطبراني هارون بن محمد أبو الطيب، وهو كذاب. ولفظ الطبراني وأبي نعيم: «مَن بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه».

وروىٰ أحمد[١] والحكيم[٢] والطبراني في الكبير[٣] من حديث أبي أمامة: «من بدأ بالسلام فهو أَولىٰ بالله ورسوله».

(وقال بعضهم: دخلت علىٰ رسول الله ﷺ ولم أسلِّم ولم أستأذن، فقال ﷺ: ارجعْ فقل: السلام عليكم أدخل)؟ وهذه صورة الاستئذان قريبًا، وفي بعض النسخ: وأدخل؟ والأولىٰ هي الصواب. قال العراقي[٤]: رواه أبو داود[٥] والترمذي[٦] وحسَّنه من حديث كَلَدة بن الحنبل، وهو صاحب القصة.

قلت: كلدة[٧] بن الحنبل الغسَّاني، وقيل: الأسلمي، [ابن] أخي صفوان بن أمية لأمه، وكان أسود، خدم صفوان، وأسلم بعده، روىٰ له أصحاب السنن.

(وروىٰ جابر) بن عبد الله رضي الله عنه **قال: قال رسول الله ﷺ: إذا دخلتم بيوتكم فسلِّموا علىٰ أهلها، فإن الشيطان إذا سلَّم أحدكم لم يدخل بيته)** قال العراقي[٨]: رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق[٩]، وفيه ضعفٌ.

---

(١) مسند أحمد ٣٦/ ٥٣٠، ٥٨٩، ٦١١، ٦٥٥.

(٢) نوادر الأصول ص ٥٨٨.

(٣) المعجم الكبير ٨/ ٢١٠، ٢٣٧، ٢٥٢.

(٤) المغني ١/ ٥٠١ - ٥٠٢.

(٥) سنن أبي داود ٥/ ٤٢٣.

(٦) سنن الترمذي ٤/ ٤٣٥.

(٧) انظر: تهذيب الكمال ٢٤/ ٢٠٦ - ٢١٠. الاستيعاب ٢/ ١٨٧. الإصابة ٨/ ٣١١ - ٣١٢. أسد الغابة ٤/ ٤٦٨ - ٤٦٩.

(٨) المغني ١/ ٥٠٢.

(٩) مكارم الأخلاق ص ٢٧٤.

قلت: وروىٰ البيهقي[١] من مرسل قتادة: «إذا دخلتم بيتًا فسلِّموا علىٰ أهله، فإذا خرجتم فأودِعوا أهله بالسلام».

(**وقال أنس**) بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **خدمت رسول الله ﷺ ثماني حِجَج**) وروىٰ المِزِّي في التهذيب[٢] عن أنس قال: قدم رسولُ الله ﷺ وأنا ابن عشر سنين، وتوفي وأنا ابن عشرين. وعنه أيضًا: قدم ﷺ وأنا ابن ثماني سنين، فذهبت بي أمي إليه. وعنه أيضًا: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، لم يضربني ضربة، ولم يسبَّني، ولم يعبس في وجهي (**فقال لي: يا أنس، أسبغ الوضوء يُزَدْ في عمرك، وسلِّم علىٰ مَن لقيتَه من أمَّتي تكثُر حسناتك، وإذا دخلتَ منزلك فسلِّم علىٰ أهل بيتك يكثُر خيرُ بيتك**) قال العراقي[٣]: رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق[٤] - واللفظ له - والبيهقي في الشعب[٥] بإسناد ضعيف. وللترمذي[٦] وصحَّحه: «إذا دخلتَ علىٰ أهل بيتك فسلِّمْ يكون بركة عليك وعلىٰ أهل بيتك».

قلت: ورواه ابن عدي[٧] والعقيلي[٨] بزيادة: «ولا تبيت إلا وأنت طاهر، فإنك إن مت متَّ شهيدًا، وصلِّ صلاة الضحىٰ فإنها صلاة الأوَّابين قبلك، وصلِّ بالليل والنهار تحبك الحَفَظة، ووقِّرْ الكبير وارحم الصغير تلقني غدًا».

(**وقال أنس**) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (**قال رسول الله ﷺ: إذا التقىٰ المؤمنان فتصافحا**) أي[٩]

---

(١) شعب الإيمان ١١/ ٢٣١.

(٢) تهذيب الكمال ٣/ ٣٦٣ - ٣٦٤.

(٣) المغني ١/ ٥٠٢.

(٤) مكارم الأخلاق ص ٢٧٤.

(٥) شعب الإيمان ١١/ ١٨٨ - ١٩٣.

(٦) سنن الترمذي ٤/ ٤٢٨. ولم يصححه، وإنما قال: حسن غريب.

(٧) الكامل في الضعفاء ١/ ٤٠٩.

(٨) الضعفاء الكبير ١/ ١٣٥.

(٩) فيض القدير ١/ ٣٠٠.

وضع كلٌّ منهما يده في يد صاحبه (**قُسِّمت بينهما سبعون مغفرة**) وفي نسخة: رحمة (**تسعة وستون لأحسنهما بِشرًا**) بالكسر، أي طلاقة وجه وتبسمًا وحُسن إقبال. هكذا وُجد سياق هذا الحديث في هذا الموضع، وسيأتي ذِكره بعدُ قريبًا، ولم يذكره العراقي هنا.

(**وقال الله تعالىٰ**: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ [النساء: ٨٦].

وقال ﷺ: والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتىٰ تؤمنوا) بالله تعالىٰ (**ولا تؤمنوا**) أي لا يكمُل إيمانكم (**حتىٰ تحابُّوا**) أي يحب بعضكم بعضًا (**أفلا أدلُّكم علىٰ عمل إذا عملتموه تحاببتم؟ قالوا: بلىٰ يا رسول الله. قال: أفشُوا السلام بينكم**) قال العراقي[١]: رواه مسلم[٢] من حديث أبي هريرة.

قلت: وكذلك رواه أحمد[٣] وأبو داود[٤] والترمذي[٥] وابن ماجه[٦] وابن حبان[٧]، فرواه مسلم وابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن [وكيع وأبي معاوية وابن نُمَير عن] الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة. ورواه مسلم أيضًا عن أبي خيثمة زهير بن حرب عن جرير عن الأعمش. ورواه أحمد عن وكيع عن الأعمش. ورواه البخاري في الأدب المفرد[٨] من طريق العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة. ورواه الطبراني في الكبير[٩] من حديث ابن مسعود.

---

(١) المغني ١/ ٥٠٢.

(٢) صحيح مسلم ١/ ٤٤.

(٣) مسند أحمد ١٥/ ٤٠، ٤٤٣، ١٦/ ١٤٦، ٢٦٨، ٣٨١.

(٤) سنن أبي داود ٥/ ٤٣٠.

(٥) سنن الترمذي ٤/ ٤١٩.

(٦) سنن ابن ماجه ١/ ٩١، ٥/ ٢٧١.

(٧) صحيح ابن حبان ١/ ٤٧٢.

(٨) الأدب المفرد ص ٢٩٠.

(٩) المعجم الكبير ١٠/ ٢٢٦.

(وقال) ﷺ (أيضًا: إذا سلَّم المسلم علىٰ المسلم فردَّ عليه) بأن قال: وعليكم السلام (صلَّت عليه الملائكة سبعين مرة) قال العراقي[١]: ذكره صاحب الفردوس من حديث أبي هريرة، ولم يسنده ولده.

(وقال ﷺ: إن الملائكة تعجب من المسلم يمرُّ علىٰ المسلم ولا يسلِّم عليه[٢].

(وقال ﷺ: يسلِّم الراكب علىٰ الماشي، وإذا سلَّم واحد من القوم أجزأ عنهم) قال العراقي[٣]: رواه مالك في الموطأ[٤] عن زيد بن أسلم مرسلاً. ولأبي داود[٥] من حديث علي: «يجزئ عن الجماعة إذا مرُّوا أن يسلِّم أحدهم، ويجزئ عن الجلوس أن يردَّ أحدهم». وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة: «يسلِّم الراكب علىٰ الماشي ...» الحديث، وسيأتي في بقية الباب.

قلت: الجملة الأولىٰ من الحديث يأتي ذِكرها قريبًا مع بقيتها.

وأما مرسل زيد بن أسلم فرواه أيضًا عبد الرزاق في المصنَّف[٦] عن معمر عن زيد بن أسلم أتم مما في الموطأ، ولفظه: «إذا مرَّ القوم فسلَّم أحدهم أجزأ عنهم، وإذا ردَّ أحدهم كفىٰ». ورواه ابن عبد البر[٧] من طريق ابن جريج عن زيد بن أسلم كذلك، ولم يذكر مَن وصله. قال الحافظ في أمالي الأذكار: وقد ظفرت به

---

(١) المغني ١/ ٥٠٢.

(٢) قال العراقي في المغني ١/ ٥٠٣: لم أقف له علىٰ أصل.

(٣) المغني ١/ ٥٠٣.

(٤) الموطأ ٢/ ٩٥٩.

(٥) سنن أبي داود ٥/ ٤٣٥.

(٦) مصنف عبد الرزاق ١٠/ ٣٨٧، ولفظه: «يسلم الراكب علىٰ الماشي، والماشي علىٰ القاعد، والقليل علىٰ الكثير، والصغير علىٰ الكبير، وإذا مر القوم بالقوم فسلم منهم واحد أجزأ عنهم، وإذا رد من الآخرين واحد أجزأ عنهم».

(٧) التمهيد ٥/ ٢٩١.

في الحلية من رواية ابن كثير عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري، أورده في ترجمة يوسف بن أسباط.

قلت: لفظ الحلية[1]: حدثنا إبراهيم بن محمد بن يحيىٰ والحسين بن محمد قالا: حدثنا محمد بن المسيب، حدثنا عبد الله بن خبيق، حدثنا يوسف بن أسباط، عن عبَّاد البصري، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مر رجال بقوم فسلَّم رجل من الذين مرُّوا علىٰ الجالسين وردَّ من هؤلاء واحد أجزأ عن هؤلاء وعن هؤلاء». غريب من حديث زيد وعبَّاد، لم نكتبه إلا من حديث يوسف.

وأما حديث عليٍّ الذي ذكره العراقي فقد أخبرني به عمر بن أحمد بن عقيل، أخبرنا عبد الله بن سالم، أخبرنا محمد بن العلاء الحافظ، أخبرنا سالم بن محمد، أخبرنا محمد بن أحمد بن علي، أخبرنا أبو يعلىٰ الأنصاري، أخبرنا أبو الفضل الحافظ، أخبرني عبد الله بن عمر الحلاوي، أخبرنا أحمد بن كشتغدي، أخبرنا أبو الفرج الحرَّاني، أخبرنا أبو أحمد ابن سكينة، أخبرنا أبو القاسم بن الحصين، أخبرنا أبو طالب بن غيلان، أخبرنا أبو بكر الشافعي، حدثنا محمد بن بشير، حدثنا الحسن بن علي الحُلْواني، حدثنا عبد الملك بن إبراهيم الجُدِّي، حدثنا سعيد بن خالد الخُزاعي - من أهل المدينة - حدثنا عبد الله بن الفضل، حدثني عبيد الله بن أبي رافع، عن علي رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «يجزئ عن الجماعة إذا مرُّوا أن يسلِّم أحدهم، ويجزئ عن الجلوس أن يردَّ أحدهم». هذا حديث حسن، أخرجه أبو داود عن الحسن الحُلْواني، فوقع لنا موافقة **عاليًا**، ورجاله رجال الصحيح إلا الخزاعي ففي حفظه مقال وقد تفرَّد به، لكن له شاهد: قال الطبراني في الكبير[2]: حدثنا إبراهيم بن هاشم، حدثنا كثير بن يحيىٰ، حدثنا حفص بن عمر الرقاشي،

---

(١) حلية الأولياء ٨/ ٢٥١.

(٢) المعجم الكبير ٣/ ٨٤.

حدثنا عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب، عن أبيه عن جده رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قيل: يا رسول الله، القوم يأتون الدار فيستأذن واحد منهم أيجزئ عنهم جميعًا؟ قال: «نعم». قيل: فيأذن واحد منهم أيجزئ عنهم؟ قال: «نعم». قيل: فالقوم يمرُّون ويسلِّم واحد منهم أيجزئ عنهم؟ قال: «نعم». قيل: فيرد رجل من القوم أيجزئ عن الجميع؟ قال: «نعم». قال الحافظ في الأمالي: وإسناده يصلُح للاعتبار. وأخرجه أيضًا ابن السني في عمل يوم وليلة[١] والبيهقي في السنن[٢].

(وقال قتادة) بن دعامة البصري التابعي رحمه الله تعالىٰ: **(كانت تحية مَن كان قبلكم السجود)** علىٰ الجِباه، وقيل: المراد به الانحناء **(فأعطىٰ الله تعالىٰ هذه الأمّة السلام، وهي تحية أهل الجنة)**[٣] قال الله تعالىٰ: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ [الأحزاب: ٤٤].

(وكان أبو إدريس الخَوْلاني) عائذ الله بن عبد الله، سمع من كبار الصحابة، وكان عالِم الشام بعد أبي الدرداء، تقدمت ترجمته **(يمر علىٰ قوم فلا يسلِّم عليهم، ويقول: لا يمنعني)** من السلام **(إلا أني أخشىٰ أن لا يردوا فتلعنهم الملائكة)** أي فأكون سببًا للعنهم. ولقد كان الفخر ابن عساكر لا يمر علىٰ مدرسة الحنابلة، فقيل له، فقال: أخشىٰ أن يقعوا فيَّ فأكون سببًا لمقتهم. يشير إلىٰ ما كان بينهم وبين الأشاعرة من المخاصمات.

(والمصافحة أيضًا سنَّة مع السلام) أي عنده أو بعده، وأما قبله فلا (و)

---

(١) عمل اليوم والليلة ص ١٤٤.

(٢) السنن الكبرىٰ ٩/ ٨٣. والمقصود هنا طريق عبد الله بن الفضل عن عبيد الله بن أبي رافع عن علي الذي عند أبي داود.

(٣) رواه الطبري في جامع البيان ١٣/ ٣٥٥ عنه بلفظ: «كان السجود تحية من كان قبلكم، كان به يحيي بعضهم بعضا، فأعطىٰ الله هذه الأمة السلام، تحية أهل الجنة، كرامة من الله تبارك وتعالىٰ عجلها لهم ونعمة منه».

رُوي أنه (**جاء رجل إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: سلام عليك**) وفي نسخة: عليكم. وفي أخرىٰ: السلام عليكم (**فقال له رسول الله ﷺ: عشر حسنات، فجاء آخر فقال: سلام عليكم ورحمة الله. فقال: عشرون حسنة. فجاء آخر فقال: سلام عليكم ورحمة الله وبركاته. فقال: ثلاثون حسنة**) قال العراقي[١]: رواه أبو داود[٢] والترمذي[٣] من حديث عمران بن حصين، قال الترمذي: حسن غريب. وقال البيهقي في الشعب[٤]: إسناده حسن.

قلت: رواه الدارمي[٥] وأحمد[٦] وأبو داود جميعًا عن محمد بن كثير، عن جعفر بن سليمان، عن عوف الأعرابي، عن أبي رجاء، عن عمران بن حصين ﵄ قال: جاء رجل إلىٰ النبي ﷺ فقال: السلام عليكم. فردَّ عليه ثم قال: «عشر». ثم جاء رجل آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله. فردَّ عليه وقال: «عشرون». ثم جاء رجل آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. فردَّ عليه وقال: «ثلاثون». ورواه أحمد أيضًا عن هَوْذة بن خليفة عن عوف عن أبي رجاء - وهو العطاردي - فلم يذكر عمران، قال: وهكذا رواه غير هوذة عن عوف مرسلاً. ورواه الترمذي عن الدارمي، ورواه أيضًا عن الحسين الجريري، والنسائي[٧] عن أبي داود الحرَّاني، كلاهما عن محمد بن كثير.

وللحديث شاهد جيد من حديث أبي هريرة، أخرجه البخاري في الأدب

---

(١) المغني ١/ ٥٠٣.

(٢) سنن أبي داود ٥/ ٤٣١.

(٣) سنن الترمذي ٤/ ٤٢٠.

(٤) شعب الإيمان ١١/ ٢٤٢ - ٢٤٣.

(٥) سنن الدارمي ٢/ ٣٦٠.

(٦) مسند أحمد ٣٣/ ١٧٠ - ١٧١.

(٧) السنن الكبرىٰ ٩/ ١٣٣.

المفرد[1] قال: أنا عبد العزيز بن عبد الله، أنا محمد بن أبي كثير، عن يعقوب ابن زيد التيمي، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً مر على النبي ﷺ وهو في مجلس فقال: السلام عليكم. فقال: «عشر حسنات». قال: ثم مر رجل آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله. فقال: «عشرون حسنة». قال: فمر رجل آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. فقال: «ثلاثون حسنة»[2]. وهذا السياق بعينه هو سياق المصنف، وهو أقرب من سياق حديث عمران الذي تقدم ذِكرُه، وإنما تبعنا فيه الحافظ العراقيَّ، ورُواته من شرط الصحيح إلا يعقوب، وهو صدوق. وقد أخرج النسائي في الكبرىٰ من طريق إبراهيم بن طهمان عن يعقوب بن زيد حديثًا آخر في السلام بهذا الإسناد، وذكر في سنده اختلافًا علىٰ سعيد المقبري[3].

---

(١) الأدب المفرد ص ٢٩٢.

(٢) بقية الحديث: «فقام رجل من المجلس ولم يسلم، فقال رسول الله ﷺ: ما أوشك ما نسي صاحبكم، إذا جاء أحدكم المجلس فليسلم، فإن بدا له أن يجلس فليجلس، وإذا قام فليسلم، فما الأولىٰ بأحق من الآخرة».

(٣) قال النسائي في السنن الكبرىٰ ٩/ ١٤٤ - ١٤٥: «ما يقول إذا قام. أخبرني زكريا بن يحيىٰ، حدثني أحمد بن حفص بن عبد الله، حدثني أبي، حدثني جدي إبراهيم قال: حدثني يعقوب بن زيد أبو يوسف، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: إذا جاء أحدكم إلىٰ المجلس فيه القوم فليسلم، فإن جلس معهم فإذا قام فليسلم، ما يجعل الأولىٰ أولىٰ من الآخرة. أخبرني أحمد بن بكار، عن مخلد، عن ابن جريج قال: أخبرني محمد بن عجلان أن سعيدا أخبره. وأخبرنا قتيبة قال: حدثنا الليث، عن ابن عجلان، عن سعيد، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: إذا انتهىٰ أحدكم إلىٰ المجلس فليسلم، فإن بدا له أن يجلس فليجلس، ثم إذا قام فليسلم، فليست الأولىٰ بأحق من الآخرة. اللفظ لقتيبة، خالفهم الوليد. أخبرنا الجارود بن معاذ قال: حدثنا الوليد بن مسلم، سمعت محمد بن عجلان يقول: حدثني سعيد المقبري، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: إذا قعد أحدكم فليسلم، وإذا قام فليسلم، فليست الأولىٰ بأحق من الآخرة. أخبرنا محمد بن عبد الرحيم قال: حدثنا أبو عاصم النبيل الضحاك بن مخلد، عن يزيد بن زريع، عن روح بن القاسم، عن ابن عجلان، عن المقبري، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: إذا انتهىٰ أحدكم إلىٰ المجلس فليسلم، فإذا أراد أن يقوم والقوم جلوس فليسلم، ما الأولىٰ بأحق منها».

وأخرج أبو داود[١] عن إسحاق الرملي، عن سعيد بن أبي مريم، عن نافع ابن يزيد، عن أبي مرحوم، عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني، عن أبيه رضي الله عنه أن رجلاً أتىٰ إلىٰ مجلس فيه رسول الله ﷺ فقال: السلام عليكم. فردَّ عليه وقال: «عشر حسنات». ثم جاء رجل آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله. فردَّ عليه وقال: «عشرون حسنة». ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. فقال: «ثلاثون». وجاء آخر فقال: ومغفرته. فقال: «أربعون». ثم قال: هكذا تكون الفضائل.

وأخرج الطبراني[٢] عن الحسن الحُلْواني، عن أبي أسامة، عن موسىٰ [بن عبيدة] عن أيوب بن خالد، عن [أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن] مالك بن التيهان رضي الله عنه أنه جاء إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: السلام عليكم. فذكر نحو حديث أبي هريرة. وهذا يمكن أن يفسَّر به من لم يُسَمَّ في حديث أبي هريرة.

(وكان أنس رضي الله عنه يمر علىٰ الصبيان فيسلِّم عليهم، وروىٰ) هو **(عن رسول الله ﷺ أنه فعل ذلك)** قال العراقي[٣]: رفعُه متفق عليه[٤].

قلت: قال البخاري في الصحيح: حدثنا علي بن الجَعْد، حدثنا شعبة، عن سَيَّار قال: كنت أمشي مع ثابت البُناني، فمر بصبيان فسلَّم عليهم، وحدَّث ثابت أنه كان [يمشي] مع أنس فمر بصبيان فسلَّم عليهم، وحدَّث أنس أنه كان [يمشي] مع

---

(١) سنن أبي داود ٥/ ٤٣١.

(٢) المعجم الكبير ١٩/ ٢٥٩، وليس فيه مجيء مالك بن التيهان إلىٰ النبي ﷺ وسلامه عليه، وهذا لفظه: «عن مالك بن التيهان قال: قال رسول الله ﷺ: من قال السلام عليكم كتبت له عشر حسنات، ومن قال السلام عليكم ورحمة الله كتبت له عشرون حسنة، ومن قال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته كتبت له خمسون حسنة».

(٣) المغني ١/ ٥٠٣.

(٤) صحيح البخاري ٤/ ١٤٠. صحيح مسلم ٢/ ١٠٣٦ - ١٠٣٧.

النبي ﷺ فمر بصبيان فسلَّم عليهم[١]. ورواه أبو بكر الشافعي[٢] عن أحمد بن بِشر عن علي بن الجعد. ورواه أبو نعيم في المستخرج عن أبي بكر الآجُرِّي عن أحمد بن يحيىٰ الحُلْواني عن علي بن الجعد. ورواه الدارمي[٣] عن سهل بن حماد عن شعبة. ورواه مسلم والنسائي[٤] جميعًا عن عمرو بن علي عن محمد بن جعفر عن شعبة. ورواه أحمد[٥] عن محمد بن جعفر. ورواه الترمذي[٦] عن زياد بن يحيىٰ عن سهل بن حماد. ورواه مسلم أيضًا من وجهين عن هُشَيم عن سَيَّار، قال في أحدهما كشعبة، وفي الآخر: بغلمان. وقال أبو بكر الشافعي[٧]: حدثنا محمد بن الأزهر، حدثنا أبو الوليد، حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس أن النبي ﷺ مر بغلمان وأنا فيهم فسلَّم علينا. وقال عبد ابن حميد في مسنده[٨]: حدثنا هاشم بن القاسم، حدثنا سليمان بن المغيرة، عن ثابت، عن أنس قال: مررت علىٰ غلمة يلعبون، فقمت أنظر إلىٰ لعبهم، فجاء رسول الله ﷺ فسلَّم عليهم. ورواه أحمد[٩] مطولاً عن هاشم بن القاسم. ورواه أبو داود[١٠] عن القعنبي عن سليمان بن المغيرة. وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل في زوائد المسند[١١]: حدثنا أبي، قال: حدثنا وكيع، عن

---

(١) هذا لفظ مسلم وليس البخاري، أما لفظ البخاري فهو: «عن ثابت البناني عن أنس بن مالك أنه مر علىٰ صبيان فسلم عليهم وقال: كان النبي ﷺ يفعله».

(٢) الغيلانيات ص ٢٧٤.

(٣) سنن الدارمي ٢/ ٣٥٨.

(٤) السنن الكبرىٰ ٩/ ١٣١.

(٥) مسند أحمد ١٩/ ٣٤٤.

(٦) سنن الترمذي ٤/ ٤٢٦.

(٧) الغيلانيات ص ٢٧٤.

(٨) المنتخب من مسند عبد بن حميد ٢/ ٢٦٧.

(٩) مسند أحمد ٢٠/ ٣٢٤.

(١٠) سنن أبي داود ٥/ ٤٣٣.

(١١) مسند أحمد ٢٠/ ٢٤٨.

حُبَيِّب القيسي، عن ثابت، عن أنس قال: مر علينا النبي ﷺ ونحن نلعب، فقال: «السلام عليكم يا صبيان». وأخرجه ابن السني[١] من رواية ابن أبي سَمِينة وأبو نعيم في الحلية[٢] من رواية مجاهد بن موسىٰ كلاهما عن وكيع به.

(وروىٰ **عبد الحميد بن بَهْرام**) الفزاري[٣] المدائني، صدوق، روىٰ له البخاري في الأدب المفرد والترمذي وابن ماجه (**أنه ﷺ مر في المسجد يومًا وعُصْبة من النساء قعود، فأومأ بيده بالتسليم. وأشار عبد الحميد بيده إلىٰ الحكاية**) قال العراقي[٤]: رواه الترمذي[٥] من رواية عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد، وقال: حسن، وقال أحمد: لا بأس به. ورواه أبو داود[٦] وابن ماجه[٧] من رواية ابن أبي حسين عن شهر.

قلت: قال أحمد في مسنده[٨]: حدثنا هاشم بن القاسم قال: حدثنا عبد الحميد ابن بهرام، عن شهر بن حوشب قال: سمعت أسماء بنت يزيد بن السكن تقول: إنها كانت في نسوة، فمر النبي ﷺ فألوىٰ بيده إليهن بالتسليم ... الحديث. هكذا أخرجه الترمذي من طريق عبد الحميد وقال: حسن، وقال أحمد: لا بأس برواية عبد الحميد. وقال أبو داود: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، عن سفيان [بن عيينة] عن ابن أبي حسين، عن شهر، عن أسماء بنت يزيد أنها بينا هي في نسوة مر عليهنَّ النبي

---

(١) عمل اليوم والليلة ص ١٤٦ - ١٤٧.

(٢) حلية الأولياء ٨/ ٣٧٨.

(٣) تقريب التهذيب ص ٥٦٤.

(٤) المغني ١/ ٥٠٣ - ٥٠٤.

(٥) سنن الترمذي ٤/ ٤٢٧.

(٦) سنن أبي داود ٥/ ٤٣٣.

(٧) سنن ابن ماجه ٥/ ٢٧٧.

(٨) مسند أحمد ٤٥/ ٥٦٩، وفيه: «سمعت أسماء بنت يزيد الأنصارية تحدث زعمت أن رسول الله ﷺ مر في المسجد يوما وعصبة من النساء قعود، فألوىٰ بيده إليهن بالسلام».

ﷺ فسلَّم عليهن. ورواه الدارمي[١] عن الحكم بن نافع عن شعيب ابن أبي حمزة عن ابن أبي حسين به.

(وقال ﷺ: لا تبدؤوا اليهود ولا النصارىٰ بالسلام) لأن[٢] السلام إعزاز وإكرام، ولا يجوز ذلك لهم، بل ينبغي الإعراض عنهم وترك الالتفات [إليهم] تصغيرًا لشأنهم وتحقيرًا **(وإذا لقيتم أحدًا منهم في طريق)** فيه زحمة **(فاضطروهم)** وفي لفظ: فاضطروه. أي ألجئوه **(إلىٰ أضيقه)** بحيث لا يقع في وهدة، ولا يصدمه نحو جدار، فإن كان الطريق واسعًا فلا تضييق عليهم؛ لأنه إيذاء بلا سبب، وقد نُهينا عن إيذائهم؛ قاله القرطبي[٣].

قال العراقي[٤]: رواه مسلم[٥] من حديث أبي هريرة.

قلت: أخبرنا عمر بن أحمد بن عقيل، أخبرنا علي بن عبد القادر الطبري، عن أبيه، أخبرنا محمد بن عبد الرحمن الحافظ، أخبرنا أحمد بن علي الحافظ، أخبرنا عبد الرحمن بن أحمد بن مبارك، أخبرنا علي بن إسماعيل بن قريش، أخبرنا عبد المنعم الحرَّاني، عن أبي الحسن الجَمَّال، أخبرنا أبو علي الحدَّاد، أخبرنا أبو نعيم قال: حدثنا عبد الله بن جعفر، حدثنا يونس بن حبيب، حدثنا أبو داود الطيالسي[٦]، حدثنا شعبة، عن سُهَيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ أنه قال في أهل الكتاب: «لا تبدءوهم بالسلام، وإذا لقيتموهم في طريق فاضطرُّوهم إلىٰ أضيقها». أخرجه أحمد[٧] عن محمد بن جعفر عن

---

(١) سنن الدارمي ٢/ ٣٥٩.

(٢) فيض القدير ٦/ ٣٨٦.

(٣) المفهم ٥/ ٤٩٠.

(٤) المغني ١/ ٥٠٤.

(٥) صحيح مسلم ٢/ ١٠٣٦.

(٦) الحديث في مسند الطيالسي ٤/ ١٧٢ - ١٧٣.

(٧) مسند أحمد ١٦/ ١٦.

شعبة، فوقع لنا بدلاً عاليًا. وأخرجه مسلم عن محمد بن المثنَّىٰ عن محمد بن جعفر. وأخرجه أبو عَوانة في صحيحه عن يونس بن حبيب، فوقع لنا موافقة عالية.

(وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: لا تصافحوا أهل الذمة، ولا تبدؤوهم بالسلام، وإذا لقيتموهم في الطريق فاضطرُّوهم إلىٰ أضيق الطرق) لم يذكره العراقي، وأخرجه البيهقي في السنن[١] من حديث علي بلفظ: «لا تصافحوهم، ولا تبدؤوهم بالسلام، ولا تعودوا مرضاهم، ولا تصلُّوا عليهم، وألجِئوهم إلىٰ مضايق الطرق، وصغِّروهم كما صغَّرهم الله».

(وقالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: إن رهطًا من اليهود دخلوا علىٰ رسول الله ﷺ فقالوا: السام عليك. فقال النبي ﷺ: عليكم. قالت عائشة): ففهمتها **(فقلت: بل عليكم السام واللعنة. فقال ﷺ: يا عائشة، إن الله يحب الرفق في كل شيء. قلت: ألم تسمع ما قالوا؟ قال: فقد قلتُ: عليكم)** متفق عليه[٢] من طريق الزهري عن عروة عنها، وفيه: ألم تسمع ما قالوا؟ لفظ مسلم عن سفيان: «قد قلت عليكم» بلا واو، ولفظ شعيب عند البخاري: وعليكم. وأخرج البزار[٣] هذا الحديث من وجه آخر عن أنس وفيه زيادة، فقال في روايته: «فقال: السام عليكم، أي تسامون دينكم». وقال في آخره: «عليكم، أي عليكم ما قلتم». هكذا في نفس الحديث، ويغلب علىٰ الظن أن التفسير مدرَج في الخبر من بعض رُواته، لكن الإدراج لا يثبُت بالاحتمال. وقال أبو داود الطيالسي[٤]: حدثنا شعبة، عن هشام بن زيد، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أتىٰ رجل من أهل الكتاب فسلَّم علىٰ رسول الله ﷺ فقال: السام عليك. فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ألا أضرب عنقه؟ فقال رسول الله ﷺ: «إذا سلَّم عليكم أهل الكتاب فقولوا:

---

(١) السنن الكبرىٰ ١٠/ ٢٣٠.

(٢) صحيح البخاري ٢/ ٣٤١، ٤/ ٩٥، ٩٦، ١٤٢، ١٧٠، ١٧٢، ٢٨٠. صحيح مسلم ٢/ ١٠٣٥.

(٣) مسند البزار ١٣/ ٣٩٨.

(٤) مسند الطيالسي ٣/ ٥٤٦.

وعليكم». وأخرجه أحمد[1] عن سليمان ابن داود ورَوْح بن عبادة كلاهما عن شعبة، وقال بعد قوله «عنقه»: فقال رسول الله ﷺ: «لا». وأخرجه البخاري من طريق ابن المبارك عن شعبة، وفيه: «فقالوا: ألا نقتله»؟ ولم يُسَمَّ عمر. وأخرجه الطبراني في الكبير[2] من حديث زيد بن أرقم قال: بينا أنا عند النبي ﷺ إذ أقبل رجل من اليهود يقال له ثعلبة بن الحارث فقال: السام عليك يا محمد ... الحديث. وسنده واهٍ، إلا أنه يُستفاد منه تسمية الذي سلَّم. وقال أبو نعيم في المستخرج: حدثنا محمد بن إبراهيم، حدثنا محمد ابن بركة، حدثنا يوسف بن سعيد، حدثنا حجاج بن محمد قال: قال ابن جُرَيج: أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابرًا رضي الله عنه يقول: سلَّم ناس من اليهود على النبي ﷺ، فقالوا: السام عليك يا أبا القاسم. فقال: «وعليكم». فقالت عائشة رضي الله عنها وغضبتْ: ألم تسمع ما قالوا؟ قال: «بلىٰ قد سمعتُ ورددتها عليهم، إنَّا نُجاب عليهم ولا يجابون علينا». أخرجه مسلم[3] عن حجاج بن الشاعر وهارون الحمَّال كلاهما عن حجاج بن محمد. ويُستفاد منه رفع إشكال العطف في الجواب.

(**وقال ﷺ: يسلِّم الراكب علىٰ الماشي، والماشي علىٰ القاعد، والقليل علىٰ الكثير، والصغير علىٰ الكبير**) قال العراقي[4]: متفق عليه[5] من حديث أبي هريرة، ولم يقل مسلم: والصغير علىٰ الكبير.

قلت: قال أبو محمد الفاكهي في تاريخ مكة[6]: أخبرنا أبو يحيىٰ بن أبي مسرَّة قال: حدثنا أبي، حدثنا هشام بن سليمان، عن ابن جريج قال: أخبرني زياد يعني ابن

---

(١) مسند أحمد ٢٠/ ٤١٩، ٢١/ ١٥.

(٢) المعجم الكبير ٥/ ١٨٠.

(٣) صحيح مسلم ٢/ ١٠٣٦.

(٤) المغني ١/ ٥٠٤.

(٥) صحيح البخاري ٤/ ١٣٦ - ١٣٧. صحيح مسلم ٢/ ١٠٣٤.

(٦) هذا الحديث ليس في تاريخ مكة، وإنما في فوائد الفاكهي ص ٤٧٠ - ٤٧١ (ط - مكتبة الرشد).

سعد أن ثابتًا يعني ابن عياض مولىٰ عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب أخبره أنه سمع أبا هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول: قال رسول الله ﷺ: «يسلِّم الراكب علىٰ الماشي، والماشي علىٰ القاعد، والقليل علىٰ الكثير». أخرجه الحارث بن أبي أسامة وأحمد[1] جميعًا عن روح بن عبادة عن ابن جريج، وأخرجه البخاري عن إسحق بن إبراهيم ومسلم عن محمد بن مرزوق وأبو داود عن يحيىٰ بن عربي، ثلاثتهم عن روح. وأخرجه أحمد أيضًا عن عبد الله بن الحارث والبخاري أيضًا من رواية مخلد بن يزيد ومسلم أيضًا من رواية أبي عاصم، كلهم عن ابن جريج. وأخرجه الترمذي[2] من رواية الحسن البصري عن أبي هريرة بلفظه، وأشار إلىٰ انقطاعه وأن الحسن لم يسمع من أبي هريرة علىٰ الصحيح. وفي رواية للبخاري: «يسلِّم الصغير علىٰ الكبير». وقد ترجم له في كتاب الاستئذان: باب يسلِّم الصغير علىٰ الكبير، وقال إبراهيم يعني ابن طهمان: عن موسىٰ بن عُقْبة، عن صفوان بن سُلَيم، عن عطاء بن يسار قال: [عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال]: «يسلِّم الصغير علىٰ الكبير، والمارُّ علىٰ القاعد، والقليل علىٰ الكثير». وقد وصله البيهقي في السنن[3] من طريق أحمد بن حفص بن عبد الله السلمي قال: حدثنا أبي، حدثنا إبراهيم بن طهمان، عن موسىٰ بن عقبة، عن صفوان ابن سليم، عن عطاء بن يسار، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ ... فذكره. وكذلك أخرجه البخاري موصولاً في كتاب الأدب المفرد[4] عن أحمد بن أبي عمرو، وهو أحمد بن حفص المذكور. وأخرجه أيضًا في الصحيح موصولاً من وجه آخر وكذلك الترمذي كلٌّ منهما من طريق ابن المبارك عن معمر عن همَّام بن منبِّه أنه سمع أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «يسلِّم الصغير علىٰ الكبير ...» فذكر مثله. وأخرجه الطبراني عن إسحاق بن إبراهيم عن عبد الرزاق.

---

(١) مسند أحمد ١٤/ ٩٣، ١٦/ ٣٦٥.

(٢) سنن الترمذي ٤/ ٤٣١.

(٣) السنن الكبرىٰ ٩/ ٣٤١.

(٤) الأدب المفرد ص ٢٩٥.

وأخرجه أحمد[1] عن عبد الرزاق. وأخرجه أبو داود[2] عن أحمد.

وفي الباب عن عبد الرحمن بن شِبْل وفضالة بن عبيد وجابر بن عبد الله، والثلاثة أنصاريون، فلفظ حديث عبد الرحمن بن شبل: «يسلِّم الراكب علىٰ الراجل، ويسلم الراجل علىٰ الجالس، والأقلُّ علىٰ الأكثر، فمَن أجاب السلامَ كان له، ومن لم يُجِبْ فلا شيء له». أخرجه أحمد[3] والطبراني.

ولفظ حديث فضالة بن عبيد: «يسلِّم الراكب علىٰ الماشي، والقائم علىٰ القاعد، والقليل علىٰ الكثير». أخرجه البخاري في الأدب المفرد[4]، وفي رواية له بلفظ: «الماشي علىٰ القائم». وفي لفظ آخر له بلفظ: «الفارس علىٰ الماشي، والماشي علىٰ القاعد». وأخرجه الترمذي[5] والنسائي[6].

ولفظ حديث جابر: «يسلِّم الراكب علىٰ الماشي، والماشي علىٰ القاعد، والماشيان أيُّهما بدأ بالسلام فهو أفضل». أخرجه أبو عوانة وابن حبان[7] في صحيحهما والبزار في مسنده[8].

(وقال ﷺ: لا تَشَبَّهوا باليهود و) لا **(النصارىٰ، فإنَّ تسليم اليهود الإشارة بالأصابع، وتسليم النصارىٰ الإشارة بالكف. قال أبو عيسىٰ)** يعني به صاحب السنن محمد بن عيسىٰ بن سورة الترمذي رحمه الله تعالىٰ: **(إسناده ضعيف)** قال

---

(١) مسند أحمد ١٣/ ٤٩٨.

(٢) سنن أبي داود ٥/ ٤٣١.

(٣) مسند أحمد ٢٤/ ٤٣٩.

(٤) الأدب المفرد ص ٢٩٤ - ٢٩٥.

(٥) سنن الترمذي ٤/ ٤٣٢.

(٦) السنن الكبرىٰ ٩/ ١٣٤.

(٧) صحيح ابن حبان ٢/ ٢٥١.

(٨) كشف الأستار عن زوائد البزار ٢/ ٤٢٠.

العراقي[١]: رواه الترمذي[٢] من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، وقال: إسناده ضعيف.

قلت: أفهم سياقُه أن سبب ضعفه روايته عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، وليس كذلك، وإنما هو لأجل روايته من طريق ابن لهيعة عن عمرو بن شعيب؛ لأنه يقال: إن ابن لهيعة لم يسمعه من عمرو، وابن لهيعة حاله مشهور. وقد رُوي من غير طريق ابن لهيعة، قال الطبراني[٣]: حدثنا محمد بن أبان، حدثنا أحمد بن علي بن شوذب، حدثنا أبو المسيب سلام بن مسلم، حدثنا الليث ابن سعد، عن يزيد بن أبي حبيب، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده رفعه قال: «ليس منا من تشبَّهَ بغيرنا، لا تَشَبَّهوا باليهود والنصارىٰ، فإن تسليم اليهود بالأصابع، وتسليم النصارىٰ بالأكُفِّ». وفي هذا السند مَن لا يُعرَف حاله. وأخرجه البيهقي في الشعب[٤] من حديث جابر نحو هذا بسند واهٍ، ولفظه: «فإنَّ تسليم اليهود والنصارىٰ بالكفوف والحواجب». ورواه النسائي بنحوه في عمل اليوم والليلة[٥]. وهو عند أبي يعلىٰ[٦] من حديثه بلفظ: «تسليم الرجل بإصبع واحدة يشير بها فعلُ اليهود».

(**وقال ﷺ: إذا انتهىٰ أحدكم إلىٰ مجلس فليسلِّم، فإن بدا له أن يجلس فليجلس، ثم إذا قام فليسلِّم، فليست الأولىٰ بأحق من الآخرة**) وفي نسخة: من

---

(١) المغني ١/ ٥٠٤.

(٢) سنن الترمذي ٤/ ٤٢٥ - ٤٢٦.

(٣) المعجم الأوسط ٧/ ٢٣٨.

(٤) شعب الإيمان ١١/ ٢٦٤.

(٥) السنن الكبرىٰ ٩/ ١٣٤، ولفظه: «لا تسلموا تسليم اليهود والنصارىٰ، فإن تسليمهم بالأكف والرؤوس والإشارة».

(٦) مسند أبي يعلىٰ ٣/ ٤١٣.

الأخيرة. وفي أخرىٰ: من الأخرىٰ. قال العراقي[١]: رواه أبو داود[٢] والترمذي[٣] وحسَّنه من حديث أبي هريرة.

قلت: أخبرنا به عمر بن أحمد بن عقيل قال: أخبرنا أحمد بن محمد النخلي، أخبرتنا زين الشرف ابنة عبد القادر بن محمد بن [يحيىٰ بن] مكرم الطبري قالت: أخبرني أبي، عن جده قال: أخبرنا محمد بن عبد الرحمن الحافظ قال: قرأت علىٰ محمد بن محمد الوزَّان بالصالحية قال: قُرِئ علىٰ زينب ابنة أحمد بن عبد الرحيم ونحن نسمع، عن محمد بن عبد الهادي، أخبرنا أبو طاهر السِّلَفي الحافظ، أخبرنا محمد بن الحسن بن أحمد، أخبرنا عبد الملك ابن محمد، أخبرنا عبد الله بن محمد بن إسحاق، أخبرنا أبو يحيىٰ المكي قال: حدثنا هشام بن سليمان، عن ابن جريج قال: أخبرني محمد بن عجلان أن سعيد ابن أبي سعيد أخبره عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا انتهىٰ أحدكم إلىٰ المجلس فليسلِّمْ، ثم إن بدا له أن يجلس فليجلس، فإذا قام فليسلِّمْ، فليست الأولىٰ بأحق من الأخيرة». هذا حديث حسن. أخرجه النسائي[٤] عن أحمد بن بكَّار عن مخلد بن يزيد عن ابن جريج، فوقع لنا بدلاً عاليًا. وأخرجه أيضًا والترمذي جميعًا عن قتيبة عن الليث، وأخرجه أبو داود عن بِشر بن المفضَّل، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد[٥] عن خالد بن مخلد عن سليمان ابن بلال، كلهم عن محمد بن عجلان. وأخرجه البخاري من وجه آخر عن أبي عاصم الضحاك بن مخلد عن محمد بن عجلان بلفظ: «إذا أتىٰ أحدكم المجلس فليسلِّم، فإن قام والقوم جلوس فليسلِّم ...»

---

(١) المغني ١/ ٥٠٥.

(٢) سنن أبي داود ٥/ ٤٣٥.

(٣) سنن الترمذي ٤/ ٤٣٢.

(٤) السنن الكبرىٰ ٩/ ١٤٤.

(٥) الأدب المفرد ص ٢٩٧ - ٢٩٨.

والباقي مثله[١]. وأخرجه أحمد[٢] عن بشر بن المفضَّل ويحيىٰ القَطَّان وقُرَّان بن تمَّام، ثلاثتهم عن ابن عجلان. قال الترمذي: حديث حسن. وقد رُوي هذا الحديث عن ابن عجلان عن سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة، وهذه هي التي أخرجها البخاري من طريق صفوان بن عيسىٰ والنسائي من طريق الوليد بن مسلم كلاهما عن ابن عجلان. قال الدارقطني في العلل[٣]: رواه ابن جريج. وعدَّ مَن ذكرنا إلا سليمان وقُرَّان ويحيىٰ، وزاد: المفضل بن فضالة وروح بن القاسم وجرير بن عبد الحميد، فصاروا عشرة، كلهم عن محمد بن عجلان كما قال ابن جريج. والله أعلم.

(وقال أنس ﵁: قال رسول الله ﷺ: إذا التقىٰ المؤمنان فتصافحا) أي وضع كلٌّ منهما يده في يد صاحبه **(قُسِّمت بينهما سبعون رحمة)** وفي نسخة: مغفرة **(تسعة وستون منها لأحسنهما بِشْرًا)** بكسر الموحدة وسكون الشين المعجمة. قال العراقي[٤]: رواه الخرائطي[٥] بسند ضعيف. وللطبراني في الأوسط[٦] من حديث أبي هريرة: «مائة رحمة، تسعة وتسعون لأبشِّهما وأطلقهما وأبرِّهما وأحسنهما مساءلة لأخيه». وفيه الحسن بن كثير عن يحيىٰ بن أبي كثير، مجهول.

قلت: لفظ الذهبي في ديوان الضعفاء[٧] بخطه: الحسن بن كثير عن يحيىٰ بن

---

(١) لفظ رواية أبي عاصم عن محمد بن عجلان: «إذا جاء أحدكم المجلس فليسلم، فإن رجع فليسلم، فإن الأخرىٰ ليست أحق من الأولىٰ».

(٢) مسند أحمد ١٢/ ٤٧، ١٣/ ٢٤٣، ١٥/ ٤١٣.

(٣) العلل ١٠/ ٣٨٩ - ٣٩٠.

(٤) المغني ١/ ٥٠٥.

(٥) مكارم الأخلاق ص ٢٧٦.

(٦) المعجم الأوسط ٧/ ٣٤١.

(٧) ديوان الضعفاء ص ٨٥. وليس فيه عبارة (وعنه علي بن حرب الطائي). وفي المغني له ص ٢٤٦: «الحسن بن كثير، شيخ لعلي بن حرب الطائي، مجهول».

أبي كثير، مجهول، وعنه علي بن حرب الطائي.

(وقال عمر) بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **سمعت رسول الله ﷺ يقول: إذا التقى المسلمان فسلَّم كل واحد منهما على صاحبه وتصافحا نزلت بينهما مائة رحمة، للبادئ)** بالسلام والمصافحة **(تسعون، وللمصافَح)** بفتح الفاء **(عشرة)** قال العراقي[1]: رواه البزار في مسنده[2] والخرائطي في مكارم الأخلاق[3] - واللفظ له - والبيهقي في الشعب[4]، وفي إسناده نظرٌ.

قلت: ورواه أيضًا الحكيم الترمذي في النوادر[5] وأبو الشيخ في الثواب، ولفظهم بعد قوله «صاحبه»: «كان أحبهما إلى الله أحسنهما بِشرًا لصاحبه، فإذا تصافحا أنزل الله عليهما ...» والباقي سواء. ورواه الطبراني بسند حسن بلفظ: «إن المسلمينِ إذا التقيا فتصافحا ...» كلفظ المصنف.

(وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى: **(المصافحة تزيد في الود)**[6] نقله صاحب القوت.

(وقال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **قال رسول الله ﷺ: تمام تحياتكم بينكم المصافحة)** قال العراقي[7]: رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق[8]، وهو عند الترمذي[9] من

---

(١) المغني ١/ ٥٠٥.

(٢) مسند البزار ١/ ٤٣٧.

(٣) مكارم الأخلاق ص ٢٧٦.

(٤) شعب الإيمان ١٠/ ٤٠٠، ١١/ ٢٩١.

(٥) نوادر الأصول ص ٧٧٩.

(٦) رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق ص ٢٧٦، وابن أبي الدنيا في كتاب الإخوان ص ١٧٦، والخطيب في تاريخ بغداد ٧/ ٣٧٩، وأبو الشيخ في طبقات المحدثين بأصبهان ٣/ ٥٠٨.

(٧) المغني ١/ ٥٠٥.

(٨) مكارم الأخلاق ص ٢٧٦.

(٩) سنن الترمذي ٤/ ٤٤٩،

حديث أبي أمامة وضعَّفه.

قلت: وسيأتي الكلام عليه في عيادة المريض بعد هذا.

(**وقال ﷺ: قُبلة المسلم**) وفي نسخة: المؤمن (**أخاه المصافحة**) أي[1] هي بمنزلة القُبلة وقائمة مقامها، فهي مشروعة، والقبلة غير مشروعة.

قال العراقي[2]: رواه الخرائطي[3] وابن عدي[4] من حديث أنس وقال: غير محفوظ.

قلت: وكذلك رواه المحاملي في أماليه وابن شاهين في الأفراد[5]، وفي سندهم عمرو بن عبد الجبار، قال في الميزان[6]: عن ابن عدي: روىٰ عن عمه مناكير، وأحاديثه غير محفوظة. ثم ساق له عدة أخبار، هذا منها.

وقد رُوي ذلك من حديث الحسين بن علي مرفوعًا بلفظ: «تقبيل المسلم يد أخيه المصافحة». أخرجه الديلمي[7] من طريق سعيد بن المرزبان عن مقسم عنه.

(**ولا بأس بقبلة يد المعظَّم في الدين تبرُّكًا به وتوقيرًا له. رُوىٰ عن ابن عمر ﷺ قال: قبَّلنا يد النبي ﷺ**) رواه أبو داود[8] بسند حسن؛ قاله العراقي[9].

(**وعن كعب بن مالك**) بن[10] أبي كعب الأنصاري السَّلَمي - بالفتح -

---

(١) فيض القدير ٤/ ٥٠٥.

(٢) المغني ١/ ٥٠٥.

(٣) مكارم الأخلاق ص ٢٧٧.

(٤) الكامل في الضعفاء ٥/ ١٧٩٠.

(٥) ورواه أيضا في الترغيب في فضائل الأعمال ص ١٢٧.

(٦) ميزان الاعتدال ٣/ ٢٧١.

(٧) وكذلك ابن الأعرابي في كتاب القبل والمعانقة والمصافحة ص ٤٠ (ط - مكتبة ابن تيمية).

(٨) سنن أبي داود ٣/ ٢٧٦، ٥/ ٤٣٩.

(٩) المغني ١/ ٥٠٦.

(١٠) تقريب التهذيب ص ٨١٢.

المدني، صحابي مشهور، وهو أحد الثلاثة الذين خُلِّفوا عن غزوة تبوك، مات في خلافة عليٍّ. روىٰ له الجماعة (**قال: لما نزلت توبتي**) من السماء (**أتيت النبيَّ ﷺ فقبَّلت يده**) رواه أبو بكر ابن المقري في كتاب «الرخصة في تقبيل اليد»[١] بسند ضعيف؛ قاله العراقي[٢].

(**ورُوي أن أعرابيًّا**) أي من سكان البادية (**قال: يا رسول الله، ائذن لي فأقبِّل رأسك ويدك. فأذنَ له ففعلَ**) رواه الحاكم[٣] من حديث بُرَيدة، إلا أنه قال «رجليك» موضع «يدك»، وقال: صحيح الإسناد؛ نقله العراقي[٤].

(**ولقي أبو عبيدة**) عامر بن الجرَّاح (**عمر بن الخطاب** ﷺ) حين قدم الشامَ، وكان أبو عبيدة عاملاً عليها من قِبَله (**فصافحه وقبَّل يده وتنحَّيا يبكيان**) وفي الحلية[٥] لأبي نعيم: حدثنا أبو بكر بن مالك، حدثنا عبد الله بن أحمد، حدثني أبي، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، حدثنا هشام بن عروة، عن أبيه قال: لما دخل عمر الشام تلقَّاه الناس وعظماء أهل الأرض، فقال عمر: أين أخي؟ قالوا: مَن؟ قال: أبو عبيدة. قالوا: الآن يأتيك. فلما أتاه نزل فاعتنقه، ثم دخل عليه بيته ... الحديث.

(**وعن البراء بن عازب**) الأنصاري الأوسي المدني (ﷺ **أنه سلَّم علىٰ رسول الله ﷺ وهو يتوضأ، فلم يردَّ عليه**) السلام (**حتىٰ فرغ من وضوئه فردَّ**

---

(١) الرخصة في تقبيل اليد ص ٥٦ (ط - دار العاصمة بالرياض) وفيه: «فقبلت يده وركبتيه».

(٢) المغني ١/ ٥٠٦.

(٣) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٢٨٧، ولفظه: «أتىٰ رجل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، علمني شيئا أزداد به يقينا. فقال: ادع تلك الشجرة. فدعا بها فجاءت حتىٰ سلمت علىٰ النبي ﷺ، ثم قال لها: ارجعي. فرجعت، ثم أذن له فقبل رأسه ورجليه، وقال: لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها». قال الحاكم: صحيح الإسناد. وتعقبه الذهبي بقوله: «بل واه، وفي إسناده صالح بن حيان، متروك».

(٤) المغني ١/ ٥٠٦.

(٥) حلية الأولياء ١/ ١٠١ - ١٠٢.

عليه) السلام (**ومد يده إليه فصافحه، فقال: يا رسول الله، ما كنتُ أظن هذا**) يعني المصافحة (**إلا من أخلاق الأعاجم**) جمع أعجمي (**فقال ﷺ**) مبيِّنًا فضل المصافحة وأنها من أخلاق العرب (**أن المسلمينِ إذا التقيا فتصافحا تحاتَّتْ**) أي تساقطت (**ذنوبهما**) قال العراقي[١]: رواه الخرائطي[٢] بسند ضعيف، وهو عند أبي داود[٣] والترمذي[٤] وابن ماجه[٥] مختصرًا: «ما من مسلمينِ يلتقيان فيتصافحان إلا غُفر لهما قبل أن يتفرَّقا». قال الترمذي: حسن غريب من حديث أبي إسحاق عن البراء.

قلت: وهذا اللفظ قد يذكره المصنف قريبًا.

(**وعنه ﷺ أنه قال: إذا مر الرجل بالقوم فسلَّم عليهم فردُّوا عليه**) السلام (**كان له عليهم فضل درجة؛ لأنه ذكَّرهم السلام**) وفي نسخة: بالسلام (**وإن لم يردُّوا عليه رد عليه ملأ خير منهم وأطيب - أو قال: وأفضل**) قال العراقي[٦]: رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق[٧] والبيهقي في الشعب[٨] من حديث ابن مسعود مرفوعًا، وضعَّف البيهقيُّ المرفوع، ورواه موقوفًا عليه بسند صحيح.

(**والانحناء عند السلام منهيٌّ عنه**) وهو من فعل الأعاجم (**قال أنس رضي الله عنه: قلنا: يا رسول الله، أينحني بعضنا لبعض**)؟ أي عند السلام (**قال: لا. قال: فيقبِّل**

---

(١) المغني ١/ ٥٠٦.
(٢) مكارم الأخلاق ص ٢٧٨.
(٣) سنن أبي داود ٥/ ٤٣٦.
(٤) سنن الترمذي ٤/ ٤٤٧.
(٥) سنن ابن ماجه ٥/ ٢٧٨.
(٦) المغني ١/ ٥٠٦ - ٥٠٧.
(٧) مكارم الأخلاق ص ٢٧٨.
(٨) شعب الإيمان ١١/ ١٩٨ - ٢٠٠.

بعضنا بعضًا؟ قال: لا. قال: فيصافح بعضنا بعضا؟ قال: نعم) قال العراقي[١]: رواه الترمذي[٢] وحسَّنه وابن ماجه[٣]، وضعَّفه أحمد[٤] والبيهقي[٥].

(والالتزام والتقبيل قد ورد به الخبر عند القدوم من السفر[٦]**، قال أبو ذر** رضي الله عنه**: ما لقيتُه** ﷺ **إلا صافحني، وطلبني يومًا فلم)** يجدني؛ لأني لم **(أكن في البيت، فلما أُخبِرتُ جئت وهو)** جالس **(علىٰ سرير)** فقام **(فالتزمني، فكانت أجود وأجود)** قال العراقي[٧]: رواه أبو داود[٨]، وفيه رجل من عنزة[٩] لم يُسَمَّ، وسمَّاه البيهقي في

---

(١) المغني ١/ ٥٠٧.

(٢) سنن الترمذي ٤/ ٤٤٧ - ٤٤٨. ولفظه: «قال رجل: يا رسول الله، الرجل منا يلقىٰ أخاه أو صديقه أينحني له؟ قال: لا. قال: أفيلتزمه ويقبله؟ قال: لا. قال: أفيأخذ بيده ويصافحه؟ قال: نعم».

(٣) سنن ابن ماجه ٥/ ٢٧٧. ولفظه: «قلنا: يا رسول الله، أينحني بعضنا لبعض؟ قال: لا. قلنا: أيعانق بعضنا بعضا؟ قال: لا، ولكن تصافحوا».

(٤) قال ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٣/ ٢٤١: «حدثنا صالح بن أحمد بن حنبل قال: قال أبي: كان حنظلة السدوسي ضعيف الحديث، يروي عن أنس بن مالك أحاديث مناكير، روىٰ: أينحني بعضنا لبعض».

(٥) قال في السنن الكبرىٰ ٧/ ١٦١ بعد روايته له: «وهذا يتفرد به حنظلة السدوسي، وقد كان اختلط، تركه يحيىٰ القطان لاختلاطه».

(٦) قال العراقي في المغني ١/ ٥٠٧: «رواه الترمذي من حديث عائشة قالت: قدم زيد بن حارثة ... الحديث، وفيه: فاعتنقه وقبله. وقال: حسن غريب». والحديث في سنن الترمذي ٤/ ٤٥٠ بلفظ: «قدم زيد بن حارثة المدينة ورسول الله ﷺ في بيتي، فأتاه فقرع الباب، فقام إليه رسول الله ﷺ عريانا يجر ثوبه، والله ما رأيته عريانا قبله ولا بعده، فاعتنقه وقبله».

(٧) المغني ١/ ٥٠٧.

(٨) سنن أبي داود ٥/ ٤٣٦.

(٩) عنزة: من أكبر قبائل العرب، تنتسب إلىٰ عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد، وتمتد منازلهم من نجد إلىٰ الحجاز، وانتشروا في سوريا والعراق، واستقر قليل منهم في تونس. معجم قبائل العرب ٢/ ٨٤٦.

الشعب[١]: عبد الله.

قلت: رواه من طريق أيوب بن بشير بن كعب عن رجل من عَنَزة، وتسمية البيهقي إياه عبد الله لا يخرجه من الجهالة.

(والأخذ بالرِّكاب في توقير العلماء ورد به الأثرُ) فقد **(فعل ابن عباس ذلك برِكاب زيد بن ثابت)** رضي الله عنهما، كما تقدم ذلك في كتاب العلم **(وأخذ عمر بغرز زيد)** بن ثابت رضي الله عنهما **(حتىٰ رفعه)** والغَرْز بفتح فسكون: رِكاب الإبل **(وقال: هكذا فافعلوا بزيد)** وبعلمائكم **(وأصحاب زيد قيام)** ينظرون.

(والقيام مكروه) إذا كان **(علىٰ سبيل الإعظام لا علىٰ سبيل الإكرام، قال أنس)** رضي الله عنه: **(ما كان شخص أحب إلينا)** وفي نسخة: إليهم **(من رسول الله ﷺ، وكانوا إذا رأوه لم يقوموا)** له **(لِما)** كانوا **(يعلمون من كراهيته لذلك)** رواه الترمذي[٢] وقال: حسن صحيح؛ قاله العراقي[٣].

(ورُوي أنه ﷺ قال مرة: إذا رأيتموني فلا تقوموا كما تصنع الأعاجم) قال العراقي[٤]: رواه أبو داود[٥] وابن ماجه[٦] من حديث أبي أمامة، وقال: كما تقوم الأعاجم. وفيه أبو العَدَبَّس، وهو مجهول.

---

(١) شعب الإيمان ١١/ ٢٩١، ولفظه: «لم يلقني قط إلا أخذ بيدي غير مرة واحدة، وكانت تلك أجودهن، أرسل إليَّ في مرضه الذي توفي فيه، فأتيته وهو مضطجع، فأكببت عليه، فرفع يديه فالتزمني».

(٢) سنن الترمذي ٤/ ٤٦٦ - ٤٦٧.

(٣) المغني ١/ ٥٠٧ - ٥٠٨.

(٤) السابق ١/ ٥٠٨.

(٥) سنن أبي داود ٥/ ٤٤١. ولفظه: «خرج علينا رسول الله ﷺ متوكئا علىٰ عصا، فقمنا إليه، فقال: لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضا».

(٦) سنن ابن ماجه ٥/ ٣٥٩. وفيه: «لا تفعلوا كما يفعل أهل فارس بعظمائها».

قلت: هو تُبَيع بن سليمان الكوفي؛ كذا في ديوان الذهبي، قال: وفيه جهالة[(١)].

(**وقال ﷺ: مَن سرَّه أن يَمْثُل له الرجال قيامًا فليتبوَّأ مقعده من النار**) رواه أبو داود[(٢)] والترمذي[(٣)] من حديث معاوية وقال: حسن؛ قاله العراقي[(٤)].

قلت: ويُروَىٰ بلفظ: «مَن سرَّه إذا رأتْه الرجالُ مقبلاً أن يمثُلوا له قيامًا فليتبوَّأ مقعده من النار». هكذا رواه الطبراني في الكبير[(٥)] وابن جرير[(٦)] وابن عساكر[(٧)] من حديث معاوية، ولفظ ابن عساكر: «بنىٰ الله له بيتًا في النار». وعند ابن جرير أيضًا من حديثه: «مَن سرَّه أن يستخِمَّ له بنو آدم قيامًا دخل النار». وقال[(٨)]: الاستخمام: الوثوب.

---

(١) الذي في ديوان الضعفاء ص ٥٥: «تبيع أبو العدبس، عن أبي مرزوق، لا يعرف». وفي ميزان الاعتدال ١/ ٣٥٨: «تبيع أبو العدبس، عن أبي مرزوق، وعنه أبو العنبس وحده، فيه جهالة».

(٢) سنن أبي داود ٥/ ٤٤١.

(٣) سنن الترمذي ٤/ ٤٦٧.

(٤) المغني ١/ ٥٠٨.

(٥) المعجم الكبير ١٩/ ٣٢٠.

(٦) تهذيب الآثار - مسند عمر ص ٥٦٧ - ٥٦٩. وليس فيه اللفظ المذكور.

(٧) تاريخ دمشق ٣١/ ٢١٧.

(٨) القائل هو أبو معاوية الضرير أحد رواة الحديث. وهذا الحديث أورده الزبيدي في تاج العروس في موضعين: الأول: في باب (جمم) ٣١/ ٤٢٧ - ٤٢٨، وقال: «أي يجتمعون له في القيام عنده ويحبسون أنفسهم عليه، ويروىٰ بالخاء». الثاني: في باب (خمم) ٣٢/ ١٢٨ ونقل عن الطحاوي أن معناه: تتغير روائحهم من طول قيامهم عنده». وهذا التفسير نقله الطحاوي عن بعض أهل اللغة وأنكره، ونصه في شرح مشكل الآثار ٣/ ١٥٧: «وقد كان بعض من ينتحل اللغة يزعم أن حديث معاوية الذي رواه عنه ابن بريدة إنما هو: من أحب أن يستخم له الرجال قياما. وإن كان ذلك علىٰ القيام الذي تفعله الأعاجم بعظمائهم من قيامهم علىٰ رؤوسهم ومن إطالتهم لذلك حتىٰ يستخموا معه، أي حتىٰ تتغير له روائحهم لإطالتهم لذلك القيام. وهذا عندنا مستحيل؛ لأن الحديث المروي في ذلك إنما دار علىٰ معاوية، لا مخرج له سواه، وقد كان فيه ما خاطب عبد الله بن عامر ما كان بغير إطالة من ابن عامر له في ذلك قياما، فدل ذلك علىٰ انتفاء هذا التأويل».

(وقال ﷺ: **لا يُقِمِ الرجلُ الرجلَ من مجلسه ثم يجلس فيه، ولكن توسَّعوا وتفسَّحوا**) متفق عليه[١] من حديث ابن عمر؛ قاله العراقي[٢].

قلت: وكذلك رواه مالك[٣] والترمذي[٤]، وكلهم إلىٰ قوله «ثم يجلس فيه». ورواه أحمد[٥] ومسلم أيضًا بلفظ: «لا يُقِم الرجلُ الرجلَ من مقعده ثم يجلس فيه، ولكن تفسَّحوا وتوسَّعوا».

ورواه الشافعي في مسنده[٦] ومسلم[٧] أيضًا من حديث جابر: «لا يُقِم أحدُكم أخاه يوم الجمعة ثم يخالفه إلىٰ مقعده فيقعد فيه، ولكن ليقلْ: افسحوا».

وعند الحاكم[٨] من حديث أبي بكرة: «لا يُقِم الرجلُ الرجلَ من مجلسه ثم يقعد فيه، ولا تمسح يدك بثوب مَن لا تملك».

(**وكانوا يحترزون عن ذلك لهذا النهي**.

وقال ﷺ: إذا أخذ القوم) أي[٩] جماعة الرجال، قال الصغاني[١٠]: وربما دخل النساء تبعًا (**مجالسهم فإن دعا رجلٌ أخاه فأوسعَ له**) مجلسه (**فليأتِه**) ندبًا

---

(١) صحيح البخاري ١/ ٢٨٩، ٤/ ١٤٥. صحيح مسلم ٢/ ١٠٤٠.

(٢) المغني ١/ ٥٠٨.

(٣) لم أقف عليه في الموطأ.

(٤) سنن الترمذي ٤/ ٤٦٣.

(٥) مسند أحمد ٨/ ٢٨٤، ٣٥٨، ١٠/ ٥٩.

(٦) مسند الشافعي ص ٢٤، وليس فيه (ثم يخالفه إلىٰ مقعده فيقعد فيه).

(٧) صحيح مسلم ٢/ ١٠٤١.

(٨) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٤٠٧.

(٩) فيض القدير ١/ ٣٣٨.

(١٠) وقاله من قبله الجوهري في الصحاح ٥/ ٢٠١٦، ونصه: «القوم: الرجال دون النساء، لا واحد له من لفظه، قال تعالىٰ: ﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾ ثم قال سبحانه: ﴿وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ﴾ وربما دخل النساء فيه علىٰ سبيل التبع؛ لأن قوم كل نبي رجال ونساء».

(فإنما هي) أي هذه الفعلة أو الخصلة التي هي التفسُّح **(كرامة)** من الله **(أكرمه بها أخوه)** المسلم، يعني إكرامًا من الله أجراه على يد ذلك الأخ **(فإن لم يوسع له فلينظر إلى أوسع مكان يجده)** في تلك البقعة **(فليجلس فيه)** وإن كان نازلاً بالنسبة لغيره، ولا يزاحم أحدًا، ولا يحرص على التصدُّر ويتهافت على تعظيم نفسه ويتهالك على الشموخ والترفُّع كما هو ديدن أهل الدنيا وعلماء السوء.

قال العراقي[١]: رواه البغوي في معجم الصحابة من حديث ابن شيبة، ورجاله ثقات، وابن شيبة هذا ذكره أبو موسى المديني في ذيله في الصحابة، وقد رواه الطبراني في الكبير[٢] من حديث مصعب بن شيبة عن أبيه عن النبي ﷺ أخصر منه، وشيبة بن جبير والد مصعب ليست له صحبة.

قلت: المسمَّى بشيبة خمسة من الصحابة[٣]، وابن شيبة روى عنه عبد الملك ابن عمير عند النسائي. وفي الإسناد اضطراب، وعزاه الجلال في جامعه[٤] إلى أبي شيبة الخُدْري من تخريج الحارث بن أبي أسامة[٥]، وأخاله وهمًا، وقال في موضع آخر من جامعه[٦]: «إذا جاء أحدكم فأوسع له أخوه فإنما هي كرامة أكرمه الله بها». وقال: أخرجه البخاري في التاريخ[٧] والبيهقي[٨] عن مصعب بن شيبة. قلت: والحديثان واحد، وراويهما شيبة والد مصعب، وهو شيبة بن جبير [ابن شيبة] بن

---

(١) المغني ١/ ٥٠٨.

(٢) المعجم الكبير ٧/ ٣٦٠.

(٣) ذكر ابن حجر في الإصابة ٥/ ٩٦ - ٩٧، ١١٦ ممن يسمى شيبة ستة، غالبهم مختلف في صحبته أو اسمه. والذي ثبتت صحبته منهم شيبة بن عثمان العبدري الحجبي.

(٤) كنز العمال ٩/ ١٣٩.

(٥) بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث ٢/ ٨٦١.

(٦) كنز العمال ٩/ ٢٦.

(٧) التاريخ الكبير ٧/ ٣٥٢.

(٨) شعب الإيمان ١١/ ١٩٧.

عثمان بن طلحة الحَجَبي المكي، روىٰ له الجماعة إلا البخاري، وقد اختُلف فيه، لكنه قليل الحديث، وليست له صحبة، والصحبة لجده شيبة بن عثمان. وفي سياق الجلال في الموضعين وسياق شارح كتابه أوهام ليس هذا محل ذكرها. وعبد الملك بن عمير أورده الذهبي في الضعفاء(١).

(**ورُوي أنه سلَّم رجل علىٰ رسول الله ﷺ وهو يبول فلم يجبْه**) رواه مسلم(٢) من حديث ابن عمر بلفظ «فلم يرد [عليه]» قاله العراقي(٣).

(**فيُكره السلام علىٰ من يقضي حاجته**) من بول أو غائط (**ويُكره أن يقول ابتداءً: عليك السلام، فإنه قاله رجل لرسول الله ﷺ، فقال ﷺ: إن «عليك السلام» تحية الميت. قاله ثلاثًا، ثم قال: إذا لقي أحدُكم أخاه فليقل: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته**) قال العراقي(٤): رواه أبو داود(٥) والترمذي(٦) والنسائي في اليوم والليلة(٧) من حديث أبي جُرَيٍّ الهجيمي، وهو صاحب القصة، قال الترمذي: حسن صحيح.

قلت: أخبرني به المسنِد عمر بن أحمد بن عقيل قال: أخبرنا عبد الله بن سالم وأحمد بن علي بن محمد والحسن بن علي بن يحيىٰ قالوا: أخبرنا محمد بن العلاء الحافظ، أخبرنا النور علي بن يحيىٰ، أخبرنا يوسف بن محمد وأبو سفيان ابن زكريا قالا: أخبرنا محمد بن عبد الرحمن الحافظ قال: أخبرنا أبو الفضل

---

(١) ديوان الضعفاء ص ٢٥٨. قال: «قال أحمد: مضطرب الحديث، وقال ابن معين: مختلط، وقال أبو حاتم: ليس بحافظ. ووثقه جماعة».

(٢) صحيح مسلم ١/ ١٧٥.

(٣) المغني ١/ ٥٠٩.

(٤) السابق ١/ ٥٠٩.

(٥) سنن أبي داود ٤/ ٤١٤، ٥/ ٤٣٥.

(٦) سنن الترمذي ٤/ ٤٤٣ - ٤٤٤.

(٧) السنن الكبرىٰ ٨/ ٤٣٣، ٩/ ١٢٧.

الحافظ قال: قُرئ على أم الفضل ابنة أبي إسحاق بن سلطان ونحن نسمع، عن أبي محمد بن أبي غالب وأبي نصر بن التمَّار كلاهما عن محمد بن إبراهيم ابن سفيان قال: أخبرنا محمد بن أحمد بن عمر، أنا عبد الوهاب بن محمد بن إسحاق، أنا أبي، أنا محمد بن يعقوب وأحمد بن محمد بن إبراهيم قالا: ثنا يحيىٰ بن جعفر، ثنا عبد الوهاب بن عطاء، عن الجُرَيري، عن أبي السَّلِيل، عن أبي تميمة الهُجَيمي، عن جابر رجل من قومه وهو أبو جُرَيٍّ رضي الله عنه قال: لقيت رسول الله ﷺ في بعض سكك المدينة وعليه إزار قطري[1]، فقلت: عليك السلام يا رسول الله. فقال: «عليك السلام تحية الموتىٰ، قل: السلام عليكم» قالها مرتين أو ثلاثًا. هذا حديث صحيح، أخرجه النسائي عن إبراهيم بن يعقوب عن عبد الصمد بن عبد الوارث عن أبيه عن الجريري واسمه سعيد بن إياس. فوقع لنا عاليًا بثلاث درجات.

وقال الطبراني[2]: حدثنا معاذ بن المثنَّىٰ، حدثنا مسدد، حدثنا يحيىٰ القَطَّان، عن المثنىٰ بن سعد أبي غِفار، عن أبي تميمة الهُجَيمي، عن أبي جريٍّ قال: قلت: يا رسول الله عليك السلام. قال: «لا تقلْ عليك السلام، عليك السلام تحية الموتىٰ ...» الحديث. وأخرجه أبو داود عن أبي بكر بن أبي شيبة عن أبي خالد الأحمر، والترمذي عن الحسن بن علي عن أبي أسامة، والنسائي عن عمران بن يزيد عن عيسىٰ بن يونس وعن محمد بن بشار عن عبد الوهاب الثقفي[3]، كلهم عن أبي غفار، منهم من سمَّىٰ أبا جري: جابر بن سليم، ومنهم مَن سمَّاه: سليم بن جابر. وأخرجه الترمذي والنسائي أيضًا من طرق عن خالد الحَذَّاء عن أبي تميمة عن رجل من قومه ولم يسمِّه.

---

(١) في مسند أحمد ٢٥/ ٣٠٩ ومستدرك الحاكم ٤/ ٣٠٤: «وعليه إزار من قطن منبتر الحاشية».

(٢) المعجم الكبير ٧/ ٧٣. الدعاء ص ١٧٢٣.

(٣) ليس في طريق محمد بن بشار عن عبد الوهاب الثقفي ذكر السلام. وعبد الوهاب إنما رواه عن خالد الحذاء.

(ويُستحَب للداخل إذا سلَّم) على القوم **(ولم يجد مجلسًا)** ولم يوسَّع له **(أن لا ينصرف)** عنهم **(بل يقعد وراء الصف، كان رسول الله ﷺ جالسًا في المسجد)** وحوله أصحابه **(إذ أقبل ثلاثة نفر، فأقبل اثنان إلىٰ رسول الله ﷺ، فأما أحدهما فوجد فرجة)** أي سعة **(فجلس فيها، وأما الثاني)** لم يجد فرجة **(فجلس خلفهم، وأما الآخَر فأدبر ذاهبًا، فلما فرغ رسول الله ﷺ)** من شغله الذي كان فيه **(قال: ألا أخبركم عن النفر الثلاثة؟ أما أحدهم فآوىٰ إلىٰ الله فآواه الله)** أي رجع وانعطف ومال إليه، فأدخله تحت كَنَفه وأقبل إليه **(وأما الثاني فاستحيا)** أي غلب عليه الحياء فلم يدخل في الصف **(فاستحيا الله منه، وأما الثالث فأعرض فأعرض الله عنه)** متفق عليه[١] من حديث أبي واقد الليثي؛ قاله العراقي[٢].

(وقال رسول الله ﷺ: ما من مسلمينِ يلتقيان فيتصافحان إلا غُفر لهما قبل أن يتفرَّقا) رواه أبو داود[٣] والترمذي[٤] وابن ماجه[٥] من حديث البراء بن عازب؛ قاله العراقي[٦].

قلت: وكذلك رواه أحمد[٧]، وقال الترمذي: حسن غريب، والبيهقي[٨] والضياء، وفي رواية لأحمد: «ما من مسلمينِ يلتقيان فيسلِّم أحدهما علىٰ صاحبه ويأخذ بيده لا يأخذ بيده إلا لله فلا يفترقان حتىٰ يُغفَر لهما». وفي رواية له[٩] ولأبي

---

(١) صحيح البخاري ١/ ٤٠، ١٦٩. صحيح مسلم ٢/ ١٠٤٠.

(٢) المغني ١/ ٥٠٩.

(٣) سنن أبي داود ٥/ ٤٣٦.

(٤) سنن الترمذي ٤/ ٤٤٧.

(٥) سنن ابن ماجه ٥/ ٢٧٨.

(٦) المغني ١/ ٥٠٩.

(٧) مسند أحمد ٣٠/ ٥١٧، ٥١٩، ٦٢٩.

(٨) السنن الكبرىٰ ٧/ ١٦٠.

(٩) مسند أحمد ١٩/ ٤٣٦.

يعلىٰ[1] والضياء[2] عن ميمون المَرْئي عن ميمون بن سياه عن أنس رفعه: «ما من مسلمينِ التقيا فأخذ أحدهما بيد صاحبه إلا كان حقًّا علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ أن يحضُر دعاءهما ولا يفرِّق بين أيديهما حتىٰ يغفر لهما». الحديث. وميمون بن موسىٰ المَرْئي من رجال الترمذي وابن ماجه، قال أحمد: كان يدلِّس[3]. وميمون بن سياه ضعَّفه ابن معين[4]، واحتجَّ به البخاري.

(وسلَّمت أم هانئ) فاختة ابنة أبي طالب أخت عليٍّ رضي الله عنه **(عليه ﷺ، فقال: مَن هذه؟ فقيل له: أم هانئ. فقال ﷺ: مرحبًا بأم هانئ)** أخبرنا به علي بن موسىٰ ابن شمس الدين، أخبرنا محمد بن سالم بن أحمد، أخبرنا محمد بن منصور. ح. وأخبرني أعلىٰ منه بدرج عمر بن أحمد بن عقيل، أخبرنا عبد الله بن سالم قال: أخبرنا محمد بن العلاء الحافظ، أخبرنا أحمد بن خليل، أخبرنا محمد ابن أحمد بن علي، أخبرنا النجم عمر بن محمد بن فهد، أخبرنا أبو الفضل الحافظ، أخبرنا أبو عبد الله ابن قَوَّام، أخبرنا أبو الحسن ابن هلال، أخبرنا أبو إسحاق بن نصر، أخبرنا أبو الحسن الطوسي، أخبرنا أبو محمد السَّيِّدي، أخبرنا أبو عثمان البحيري، أخبرنا أبو علي السرخسىٰ، أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب الزبيري، عن مالك، عن أبي النضر أن أبا مُرَّة مولىٰ أم هانئ أخبره أنه سمع أم هانئ رضي الله عنها تقول: ذهبت إلىٰ رسول الله ﷺ عام الفتح، فوجدته يغتسل، وفاطمة عليها السلام تستره، فسلَّمتُ، فقال: «مَن هذه»؟ قلت: أم هانئ بنت أبي طالب. فقال: «مرحبًا بأم هانئ ...» الحديث في قصتها مع أخيها، وفي آخره: «قد أجرْنا مَن أجرتِ يا أم هانئ». أخرجه مسلم[5] عن يحيىٰ بن يحيىٰ عن

---

(١) مسند أبي يعلىٰ ٧/ ١٦٦. وفيه: يجيب دعاءهما، بدل: يحضر دعاءهما.

(٢) الأحاديث المختارة ٧/ ٢٣٨ - ٢٣٩.

(٣) في العلل ومعرفة الرجال ٢/ ٥٢٣: «ما أرىٰ به بأسا، وكان يدلس، وكان لا يقول: حدثنا الحسن».

(٤) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٨/ ٢٣٣.

(٥) صحيح مسلم ١/ ٣٢٦.

مالك. وأخرجه ابن حبان[١] عن عمر بن سعيد عن أبي مصعب، فوافقناهما في شيخَي شيخهما بعلوٍّ.

(ومنها: أن يصون عِرض أخيه المسلم ونفسه وماله عن ظلم غيره مهما قدر) علىٰ ذلك **(ويردَّ عنه)** بيده ولسانه **(ويناضل دونه)** أي يدافع **(وينصره، فإن ذلك يجب عليه بمقتضىٰ أخوَّة الإسلام، فقد روىٰ أبو الدرداء)** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ **(أن رجلاً نال من رجل عند رسول الله ﷺ)** أي تكلم في حقه بسوء **(فردَّ عنه رجل)** آخر كان بالمجلس **(فقال النبي ﷺ: مَن رد عن عِرض أخيه)** في[٢] الدين، أي ردَّ علىٰ من اغتابه وعابه **(كان له حجابًا من النار)** يوم القيامة، وذلك لأن عِرض المؤمن كدمه، فمَن هتك عِرضه كان كمن سفك دمه، ومَن عمل علىٰ صون عرضه فكأنه صان دمه، فيجازَىٰ علىٰ ذلك بصونه عن النار يوم القيامة إن كان ممَّن يستحق دخولها وإلا كان زيادة رفعة في درجاته في الجنة.

قال العراقي[٣]: رواه الترمذي[٤] وحسَّنه.

قلت: وكذلك رواه عبد بن حميد[٥] وحميد بن زنجويه والروياني والخرائطي في مكارم الأخلاق[٦] والطبراني في الكبير والبيهقي[٧] وابن السني في عمل يوم وليلة[٨].

---

(١) صحيح ابن حبان ٣/ ٤٦٠.

(٢) فيض القدير ٦/ ١٣٥ - ١٣٦.

(٣) المغني ١/ ٥١٠.

(٤) سنن الترمذي ٣/ ٤٨٨.

(٥) المنتخب من مسند عبد بن حميد ١/ ١٩٨.

(٦) مكارم الأخلاق ص ٢٩١.

(٧) السنن الكبرىٰ ٨/ ٢٩٠.

(٨) عمل اليوم والليلة ص ٢٥٨.

(**وقال ﷺ: ما من امرئ مسلم يرد عن عِرض أخيه**) في الدين بأن يردَّ عنه مَن آذاه وعابه (**إلا كان حقًّا علىٰ الله أن يردَّ عنه نار جهنم يوم القيامة**) جزاءً بما فعل. قال العراقي[1]: رواه أحمد[2] من حديث أسماء بنت يزيد بنحوه، وهو عند الخرائطي في مكارم الأخلاق[3] والطبراني[4] بهذا اللفظ عن أبي الدرداء، وفيهما شهر بن حوشب.

قلت: حديث أسماء رواه أيضًا ابن أبي الدنيا[5]، ولفظه: «مَن ذبَّ عن عِرض أخيه بالغَيبة كان حقًّا علىٰ الله أن يعتقه من النار». ورُوي حديث أبي الدرداء بألفاظ أُخَر، منها: «مَن ردَّ عن عِرض أخيه ردَّ الله عن وجهه النارَ يوم القيامة». هكذا رواه أحمد[6] والترمذي - وقال: حسن - وابن أبي الدنيا في ذم الغيبة[7] والطبراني في الكبير، وإنما اقتصر الترمذي علىٰ قوله «حسن» ولم يقل «صحيح» لأن فيه مرزوقًا التيمي والد يحيىٰ، مجهول الحال. ومنها: «مَن ردَّ عن عِرض أخيه [بالغيبة] كان حقًّا علىٰ الله أن يردَّ عن عِرضه يوم القيامة». رواه الطبراني في الكبير والخرائطي[8]. ومنها: «مَن ردَّ عن عِرض أخيه [بالغيبة] كان حقًّا علىٰ الله أن يردَّ عن عِرضه يوم القيامة»[9]. رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغيبة.

---

(١) المغني ١/ ٥١٠.

(٢) مسند أحمد ٤٥/ ٥٨٣ - ٥٨٤.

(٣) مكارم الأخلاق ص ٢٩١.

(٤) مكارم الأخلاق ص ٣٦٢.

(٥) الصمت وآداب اللسان ص ١٤٨.

(٦) مسند أحمد ٤٥/ ٥٢٨.

(٧) ذم الغيبة والنميمة ص ١٠٥.

(٨) لم أقف علىٰ هذه الرواية عند الخرائطي.

(٩) كذا هنا، ولا فرق بين هذه الرواية والتي قبلها، فكان علىٰ الشارح أن يضم ابن أبي الدنيا إلىٰ من أخرج الرواية السابقة في عبارة واحدة دون الحاجة إلىٰ التكرار. والحديث في ذم الغيبة والنميمة لابن أبي الدنيا ص ٩٧.

(**وعن أنس** رضي الله عنه **أن النبي** ﷺ **قال: مَن ذُكر عنده أخوه المسلم وهو يستطيع نصره**) على مَن ذكره بسوء (**فلم ينصره**) ولو بكلمة (**أذلَّه الله** عز وجل) كذا في نسخة العراقي، وفي لفظ: أدركه الله (**بها في الدنيا والآخرة، ومَن ذُكر عنده أخوه المسلم فنصره نصره الله تعالى بها في الدنيا والآخرة**) قال العراقي[١]: رواه ابن أبي الدنيا في الصمت[٢] مقتصرًا على الجملة الأولى، وإسناده ضعيف.

قلت: ورواه الخرائطي في مكارم الأخلاق[٣] بتمامه، ولفظه «أدركه الله» بدل: أذلَّه. ورواه[٤] أيضًا من حديث عمران بن حصين بلفظ: «مَن ذُكر عنده أخوه المسلم بظهر الغيب وهو يقدر على أن ينصره فنصره نصره الله في الدنيا والآخرة».

(**وقال** ﷺ: **مَن حمى عِرض أخيه المسلم في الدنيا**) بالرد عنه (**بعث الله له مَلَكًا يحميه يوم القيامة من النار**) جزاءً بما فعل. قال العراقي[٥]: رواه أبو داود[٦] من حديث معاذ بن أنس بنحوه بسند ضعيف.

قلت: رواه من طريق سهل بن معاذ بن أنس الجُهَني عن أبيه، ولفظه: «مَن حمى مؤمنًا من منافق يغتابه بعث الله مَلَكًا يحمي لحمه يوم القيامة من نار جهنم، ومَن رمى مسلمًا بشيء يريد شَيْنه به حبسه الله على جسر جهنم حتى يخرج ممَّا قال». وهكذا رواه ابن المبارك[٧] وابن أبي الدنيا في ذم الغيبة[٨] والطبراني

---

(١) المغني ١/ ٥١٠.

(٢) الصمت وآداب اللسان ص ١٥٠. وفيه: من اغتيب عنده. بدل: من ذكر عنده.

(٣) مكارم الأخلاق ص ٢٩١ مقتصرا أيضا على الجملة الأولى، ولم يذكر ما بعدها. وقد رواه ابن وهب في جامعه ص ٥٣١ بتمامه بلفظ قريب من اللفظ الذي أورده الغزالي مع تقديم الجملة الثانية على الأولى.

(٤) مكارم الأخلاق ص ٢٩٢.

(٥) المغني ١/ ٥١٠.

(٦) سنن أبي داود ٥/ ٣٠٦.

(٧) الزهد والرقائق ص ٢١٩.

(٨) ذم الغيبة والنميمة ص ١٠٤ - ١٠٥.

في الكبير[١]. والأقرب إلىٰ سياق المصنِّف ما رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغيبة[٢] والخرائطي في مكارم الأخلاق[٣] من حديث أنس بلفظ: «مَن حمىٰ عن عِرض أخيه في الدنيا بعث الله تعالىٰ له مَلَكًا يوم القيامة يحميه من النار».

(وقال جابر) بن عبد الله **(وأبو طلحة)** زيد بن سهل الأنصاريان ﵄ **(سمعنا رسول الله ﷺ يقول: ما من امرئ مسلم ينصر مسلمًا في موضع يُهتَك فيه من عِرضه ويُستحَل من حرمته إلا نصره الله ﷿ في موضع)** وفي نسخة: في موطن **(يحب فيه نصرُه، وما من امرئ خذل مسلمًا في موطن تُنتهَك فيه حرمته إلا خذله الله في موطن يحب فيه نصرته)** أي[٤] موضع يكون فيه أحوج لنصرته وهو يوم القيامة، فخذلان المؤمن شديد التحريم دنيويًّا كان مثل أن يقدر علىٰ دفع عدوٍّ يريد البطش به فلا يدفعه، أو أخرويًّا كأنْ يقدر علىٰ نصحه من غيِّه بنحو وعظ فيترك.

قال العراقي[٥]: رواه أبو داود[٦] مع تقديم وتأخير، واختُلف في إسناده.

قلت: ولفظه عند أبي داود: «ما من امرئ [مسلم] يخذل امرءًا مسلمًا في موطن يُنتقَص فيه من عِرضه ويُنتهَك فيه من حرمته إلا خذله الله في موطن يحب فيه نصرته، وما من أحد ينصر مسلمًا في موطن يُنتقَص فيه من عِرضه أو يُنتهَك فيه من حرمته إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته». هكذا رواه أبو داود عنهما معًا ورواه كذلك أحمد[٧] والبخاري في تاريخه[٨] وابن أبي الدنيا في ذم الغيبة[٩]

---

(١) المعجم الكبير ٢٠/ ١٩٤.

(٢) ذم الغيبة والنميمة ص ٩٩.

(٣) مكارم الأخلاق ص ٢٩٢.

(٤) فيض القدير ٥/ ٤٧١.

(٥) المغني ١/ ٥١٠.

(٦) سنن أبي داود ٥/ ٣٠٧.

(٧) مسند أحمد ٢٦/ ٢٨٨.

(٨) التاريخ الكبير ١/ ٣٤٧.

(٩) ذم الغيبة والنميمة ص ١٠٠.

والطبراني في الكبير[١] والبيهقي[٢] والضياء. قال المنذري[٣]: اختُلف في إسناده. وقال الهيثمي[٤]: حديث جابر سنده حسن.

(**ومنها: تشميت العاطس**) يقال[٥] بالشين المعجمة وبإهمالها، فعلىٰ الأول من الشوامت وهي القوائم، وهذا هو الأشهر الذي عليه الأكثر، وعلىٰ الثاني من السمت بمعنىٰ قصد الشيء وصفته[٦] (**قال ﷺ في العاطس يقول: الحمد لله علىٰ كل حال**) أي شكر الله تعالىٰ علىٰ نعمته بالعطاس؛ لأنه بخرات الرأس الذي هو معدن الحس، وهو محل الفكر، وبسلامته تَسلم الأعضاء، فهو جدير أن يشكر عليه (**ويقول الذي يشمته**) ممَّن كان علىٰ قربه وسمع منه ذلك حيث لا مانع من إسماعه إياه: (**يرحمك الله**) أي أعطاك رحمة ترجع بها إلىٰ حالك الأول، أو يرجع بها كل عضو إلىٰ سمته، وهو دعاء أو خبر علىٰ طريق البِشارة (**ويرد**) علىٰ المشمِّت (**العاطسُ ويقول: يهديكم الله ويُصلِح بالَكم**) أي حالكم. واعتُرِض بأن الدعاء بالهداية للمسلم تحصيل الحاصل. ومُنع بأنه إنما المراد به معرفة تفاصيل أجزائه وإعانته علىٰ أعماله، وكل مؤمن يحتاج إلىٰ ذلك في كل طرفة عين.

قال العراقي[٧]: رواه البخاري[٨] وأبو داود[٩] من حديث أبي هريرة، ولم يقل البخاري: علىٰ كل حال.

---

(١) المعجم الكبير ٥/ ١٠٥.

(٢) السنن الكبرىٰ ٨/ ٢٩٠.

(٣) الترغيب والترهيب ص ١٠٥٢.

(٤) مجمع الزوائد ٧/ ٥٢٧.

(٥) فيض القدير ١/ ٤٠٣ - ٤٠٤.

(٦) انظر: تاج العروس ٤/ ٥٦٧ - ٥٦٨، ٥٨٢ - ٥٨٣.

(٧) المغني ١/ ٥١١.

(٨) صحيح البخاري ٤/ ١٣٣.

(٩) سنن أبي داود ٥/ ٣٦٤.

قلت: رواه النسائي[١] من حديث علي. وأخذ به قوم، وسيأتي في الذي يليه زيادة «رب العالمين». واختار جمعٌ الجمعَ فيقول: الحمد لله رب العالمين علىٰ كل حال.

وقد رُوي من حديث عبد الله بن عمرو: «مَن عطس أو تجشَّأ فقال: الحمد لله علىٰ كل حال من الحال دُفع عنه بها سبعون داء، أهونها الجُذام». هكذا رواه الخطيب[٢] وابن النجار، وسنده ضعيف، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات[٣].

(وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال: كان رسول الله** ﷺ **يعلِّمنا يقول: إذا عَطَسَ)** بفتح الطاء **(أحدكم فليقل)** ندبًا: **(الحمد لله رب العالمين)** ولا أصل لِما اعتِيدَ من قراءة بقية الفاتحة، ويُكرَه العدول عن الحمد إلىٰ «أشهد أن لا إله إلا الله» أو تقديمها علىٰ الحمد فهو مكروه؛ ذكره الحافظ ابن حجر[٤]، قال: وروىٰ ابن أبي شيبة[٥] أن ابن عمر سمع ابنه عطس فقال: أش، قال: وما أش؟ إن الشيطان جعلها بين العطسة والحمد **(فإذا قال ذلك فليقل مَن عنده)** ندبًا **(يرحمك الله)** دعاء أو خبر **(فإذا قالوا ذلك فليقل)** العاطس تأليفًا لهم ومكافأة لدعائهم: **(يغفر الله لي)** كذا لفظ الطبراني، وقال غيره: لنا **(ولكم)** قال العراقي[٦]: رواه النسائي في اليوم

---

(١) السنن الكبرىٰ ٩/ ٩٠.

(٢) تاريخ بغداد ٨/ ٥٥١.

(٣) الموضوعات ٣/ ٧٥ - ٧٦.

(٤) فتح الباري ١٠/ ٦١٦.

(٥) مصنف ابن أبي شيبة ٨/ ٤٩٢ عن مجاهد قال: عطس رجل عند ابن عمر فقال: أشهب. فقال ابن عمر: أشهب اسم شيطان وضعه إبليس بين العطسة والحمد لله ليُذكَر. ورواه البخاري في الأدب المفرد ص ٢٧٦ بلفظ: عطس ابن لعبد الله بن عمر - إما أبو بكر وإما عمر - فقال: آب. فقال ابن عمر: وما آب؟ إن آب اسم شيطان من الشياطين جعلها بين العطسة والحمد.

(٦) المغني ١/ ٥١١.

والليلة[١] وقال: حديث منكر. ورواه أيضًا أبو داود[٢] والترمذي[٣] من حديث سالم بن عبيد، واختُلف في إسناده.

قلت: حديث ابن مسعود رواه أيضًا الطبراني في الكبير[٤] والحاكم[٥] والبيهقي[٦] بلفظ: «إذا عطس أحدكم فليقل: الحمد لله رب العالمين، وليقل له: يرحمك الله، وليقل هو: يغفر الله لنا ولكم». وقال الطبراني: لي ولكم. وفي سند الطبراني أبيض ابن أبان، غير قوي، وقال الأزدي: يتكلمون فيه. ووثَّقه ابن حبان[٧].

وأما حديث سالم بن عبيد - وهو الأشجعي من أهل الصُّفَة، سكن الكوفة[٨] - فرواه أحمد[٩] وابن ماجه[١٠] والحاكم[١١] والبيهقي[١٢] باللفظ المزبور. ورواه البخاري في الأدب المفرد بلفظ: «إذا عطس أحدكم فليقل: الحمد لله، وليقل له أخوه أو صاحبه: يرحمك الله، فإذا قال له يرحمك الله فليقل: يهديكم الله ويُصلِح بالَكم»[١٣].

---

(١) السنن الكبرىٰ ٩/ ٩٤.

(٢) سنن أبي داود ٥/ ٣٦٣ - ٣٦٤.

(٣) سنن الترمذي ٤/ ٤٥٦.

(٤) المعجم الكبير ١٠/ ٢٠٠.

(٥) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٤٠٠.

(٦) شعب الإيمان ١١/ ٥٠١. وصحح هو والحاكم وقفه علىٰ ابن مسعود.

(٧) الثقات ٦/ ٨٦.

(٨) انظر: تهذيب الكمال ١٠/ ١٦٢ - ١٦٣. الاستيعاب ١/ ٣٣٩. أسد الغابة ٢/ ٣٨٥ - ٣٨٦. الإصابة ٤/ ١٠٠ - ١٠١.

(٩) مسند أحمد ٣٩/ ٢٧٣.

(١٠) لم أقف عليه عند ابن ماجه.

(١١) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٤٠١.

(١٢) شعب الإيمان ١١/ ٤٩٨ - ٤٩٩.

(١٣) هذا لفظ حديث أبي هريرة في الأدب المفرد ص ٢٧٣، ولم يخرج البخاري حديث سالم بن عبيد.

وروىٰ فيه[١] أيضًا من حديث ابن عباس بسند صحيح: يقول أي العاطس [إذا شُمِّت]: عافانا الله وإياكم من النار، يرحمكم الله.

وروىٰ أحمد[٢] والطبراني[٣] من حديث عبد الله بن جعفر: كان إذا عطس حمد اللهَ، فيقال له: يرحمك الله، فيقول: «يهديكم الله ويُصلِح بالَكم».

(و) يُروَىٰ أنه (**شمَّت رسولُ الله ﷺ عاطسًا ولم يشمت آخر، فسأله عن ذلك، فقال: إنه حمد الله تعالىٰ، وأنت سكتَّ**) متفق عليه[٤] من حديث أنس؛ قاله العراقي[٥].

وأخرج أحمد[٦] والبخاري في الأدب المفرد[٧] ومسلم[٨] والطبراني[٩] من حديث أبي موسىٰ الأشعري: «إذا عطس أحدكم فحمد اللهَ فشمِّتوه، وإذا لم يحمد الله فلا تشمِّتوه».

(**وقال ﷺ: يشمَّت المسلم إذا عطس ثلاثًا**) أي ثلاث مرات (**فإن زاد فهو زكام**) قال العراقي[١٠]: رواه أبو داود[١١] من حديث أبي هريرة: «شمِّتْ أخاك ثلاثًا ...» الحديث، وإسناده جيد.

---

(١) الأدب المفرد ص ٢٧٤ موقوفا.

(٢) مسند أحمد ٣/ ٢٧٧.

(٣) المعجم الكبير ١٤/ ١٦١.

(٤) صحيح البخاري ٤/ ١٣٢ - ١٣٣. صحيح مسلم ٢/ ١٣٦٣.

(٥) المغني ١/ ٥١١.

(٦) مسند أحمد ٣٢/ ٤٦٩.

(٧) الأدب المفرد ص ٢٧٧.

(٨) صحيح مسلم ٢/ ١٣٦٣.

(٩) الدعاء ص ١٦٩٤.

(١٠) المغني ١/ ٥١١.

(١١) سنن أبي داود ٥/ ٣٦٤ - ٣٦٥ موقوفا ومرفوعا.

قلت: ورىٰ ابن السني في عمل يوم وليلة[١] من حديث أبي هريرة ما هو أقرب إلىٰ سياق المصنف، ولفظه: «يشمَّت العاطس إذا عطس ثلاث مرات، فإن عطس فهو زكام».

ورویٰ ابن ماجه[٢] من حديث سلمة بن الأكوع: «يشمَّت العاطس ثلاثًا، فما زاد فهو مزكوم».

ولفظ أبي داود عن أبي هريرة: «إذا عطس أحدكم فليشمِّته جليسه، فإن زاد علىٰ ثلاث فهو مزكوم، ولا يشمَّت بعد ثلاث»[٣]. هكذا هو لفظ الجلال في جامعه الصغير[٤]. وقد عزاه النووي في الأذكار[٥] لابن السني[٦] وقال: فيه رجل لم أتحقَّق حالَه، وباقي إسناده صحيح. وعزاه الحافظ ابن حجر[٧] لأبي يعلىٰ، وقال: فيه سليمان الحرَّاني، وهو ضعيف. ولم يعرِّجوا علىٰ تخريجه لأبي داود، فليحرَّر.

وقد رویٰ الترمذي[٨] من حديث عمر بن إسحاق بن أبي طلحة عن أمه عن أبيها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رفعه: «شمِّتِ العاطسَ ثلاثًا، فإن زاد فإن شئتَ فشمِّتْه، وإن شئت فلا»، وقال: غريب.

ورویٰ أبو داود[٩] والحاكم وابن السني[١٠] من حديث عبيد بن رفاعة بن

---

(١) عمل اليوم والليلة ص ١٦٣. وفيه: المسلم، بدل: العاطس.

(٢) سنن ابن ماجه ٥/ ٢٨٥.

(٣) لم يروه أبو داود بهذا اللفظ، وإنما رواه باللفظ الذي ذكره العراقي.

(٤) كنز العمال ٩/ ١٦٠.

(٥) الأذكار ص ٢٣٤.

(٦) عمل اليوم والليلة ص ١٦٤.

(٧) فتح الباري ١٠/ ٦٢١.

(٨) سنن الترمذي ٤/ ٤٦٠. وقال: غريب، وإسناده مجهول.

(٩) سنن أبي داود ٥/ ٣٦٥. وهذا الحديث هو نفس الحديث السابق.

(١٠) عمل اليوم والليلة ص ١٦٥.

رافع الزُّرَقي مرسلاً: «شمِّت العاطسَ ثلاثًا، فإن زاد فإن شئتَ فشمِّته، وإن شئت فكُفَّ».

وقوله[(١)] في الحديث «فهو زكام» هو داء معروف. وفي [رواية] أخرىٰ: مزكوم. أي به زكام، وفيه أنه مَن زاد علىٰ ثلاث لا يشمَّت بالدعاء المشروع العاطس، بل يُدعَىٰ له بما يلائمه بنحو شفاء وعافية، فمَن فهم النهيَ عن مطلق الدعاء فقد وهمَ.

(**ورُوي أنه ﷺ شمت عاطسًا ثلاثًا، فعطس**) مرة (**أخرىٰ، فقال: أنت مزكوم**) قال ابن القيم[(٢)]: فيه تنبيه علىٰ الدعاء له بالعافية؛ لأن الزكمة علة، وإشارة إلىٰ الحث علىٰ تدارُك هذه العلة ولا يهملها فيعظُم أمرُها، وكلامه ﷺ [كله] حكمة ورحمة.

قال العراقي[(٣)]: رواه مسلم[(٤)] من حديث سلمة بن الأكوع.

قلت: ورواه ابن ماجه من حديثه بنحوه، وتقدم قريبًا، وفيه التقييد بالثلاث، فيُحمَل المطلق علىٰ المقيَّد.

(**وقال أبو هريرة**) رضي الله عنه: (**كان رسول الله ﷺ إذا عطس غضَّ صوتَه**) أي خفضه (**واستتر بثوبه أو يده. ورُوي: خمر وجهَه**) قال العراقي[(٥)]: رواه أبو داود[(٦)] والترمذي[(٧)] وقال: حسن صحيح. وفي رواية لأبي نعيم في اليوم والليلة: خمَّر وجهه وفاه.

---

(١) فيض القدير ١/ ٤٠٤.

(٢) زاد المعاد ٢/ ٤٠٣.

(٣) المغني ١/ ٥١١.

(٤) صحيح مسلم ٢/ ١٣٦٣.

(٥) المغني ١/ ٥١٢.

(٦) سنن أبي داود ٥/ ٣٦٣.

(٧) سنن الترمذي ٤/ ٤٦١.

قلت: ورواه أيضًا الحاكم[١] بلفظ: كان إذا عطس وضع يدة أو ثوبه علىٰ فيه وغضَّ به صوته.

وروىٰ الحاكم[٢] والبيهقي[٣] من حديث أبي هريرة: «إذا عطس أحدكم فليضع كفَّيه علىٰ وجهه، وليخفض صوته». قال الحاكم: صحيح. وأقرَّه الذهبي.

(وقال أبو موسىٰ الأشعري) رضي الله عنه **(كان اليهود يتعاطسون عند رسول الله** ﷺ**)** عمدًا **(رجاءَ أن يقول: يرحمكم الله، فكان يقول: يهديكم الله)** قال العراقي[٤]: رواه أبو داود[٥] والترمذي[٦] وقال: حسن صحيح.

(وروىٰ عبد الله بن عامر بن ربيعة) العَنْزي[٧]، أبو محمد المدني، حليف بني عدي بن كعب من قريش، وُلد في عهد رسول الله ﷺ، قال ابن منده: ومات النبي ﷺ وهو ابن خمس، وقيل: ابن أربع. روىٰ عن أبيه وعبد الرحمن بن عوف وعمر بن الخطاب وعائشة، روىٰ عنه الزهري ويحيىٰ بن سعيد الأنصاري، توفي سنة خمس وثمانين، روىٰ له الجماعة **(عن أبيه)** عامر[٨] بن ربيعة بن كعب بن مالك بن ربيعة بن عامر بن مالك بن حُجْر بن سلامان بن مالك بن ربيعة بن رُفَيدة بن عَنْز - بسكون النون - العنزي، أبي عبد الله، حليف آل الخطَّاب، من المهاجرين الأولين، شهد بدرًا والمشاهد كلَّها مع رسول الله ﷺ، توفي في فتنة عثمان، روىٰ له الجماعة **(أن رجلاً عطس خلف النبي** ﷺ **في الصلاة، فقال: الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا**

---

(١) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٤٣٢.

(٢) السابق ٤/ ٣٩٧.

(٣) شعب الإيمان ١١/ ٥٠٤.

(٤) المغني ١/ ٥١٢.

(٥) سنن أبي داود ٥/ ٣٦٦.

(٦) سنن الترمذي ٤/ ٤٥٥. وعندهما (يهديكم الله ويصلح بالكم).

(٧) تهذيب الكمال ١٥/ ١٤٠ - ١٤١.

(٨) السابق ١٤/ ١٧ - ٢٠.

فيه كما يرضاه ربُّنا، وبعدما يرضىٰ، والحمد لله علىٰ كل حال. فلما سلَّم النبيُّ ﷺ من الصلاة (**قال: مَن صاحب هذه الكلمات؟ فقال**) الرجل: (**أنا يا رسول الله، وما أردتُ بهنَّ إلا خيرًا. فقال: لقد رأيتُ اثنىٰ عشر مَلَكًا كلهم يبتدرونها أيُّهم يكتبها**) قال العراقي[١]: رواه أبو داود[٢] من حديث عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه، وإسناده جيد.

والمعنىٰ: أيُّهم يكتبها أول فيجيء بها إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، والسر في تخصيص هذا العدد لكون الكلمات اثنىٰ عشر.

(**وقال ﷺ: مَن عطس عنده فسبق إلىٰ الحمد لم يشتكِ خاصرتَه**) قال العراقي[٣]: رواه الطبراني في الأوسط[٤] وفي الدعاء[٥] من حديث عليٍّ بسند ضعيف.

قلت: وروىٰ البخاري في الأدب المفرد[٦] عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: من قال عند عطسة سمعها: الحمد لله رب العالمين علىٰ كل حال ما كان، لم يجد وجع الضرس ولا الأذن أبدًا. قال الحافظ ابن حجر[٧]: هو موقوف رجاله ثقات، ومثله لا يقال من قِبَل الرأي فله حكم الرفع، وأخرج الطبراني عن علي مرفوعًا: «مَن سبق العاطس

---

(١) المغني ١/ ٥١٢.

(٢) سنن أبي داود ١/ ٥٠٣، ولفظه: «عطس شاب من الأنصار خلف رسول الله ﷺ وهو في الصلاة فقال: الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه حتىٰ يرضىٰ ربنا وبعدما يرضىٰ من أمر الدنيا والآخرة. فلما انصرف رسول الله ﷺ، قال: من القائل الكلمة؟ فسكت الشاب، ثم قال: من القائل الكلمة؟ فإنه لم يقل بأسا. فقال: يا رسول الله، أنا قلتها لم أرد بها إلا خيرا. قال: «ما تناهت دون عرش الرحمن».

(٣) المغني ١/ ٥١٢.

(٤) المعجم الأوسط ٧/ ١٥٥.

(٥) الدعاء ص ١٦٩٠.

(٦) الأدب المفرد ص ٢٧٣.

(٧) فتح الباري ١٠/ ٦١٥.

بالحمد عوفي من وجع الخاصرة ولم يشتكِ ضرسَه أبدًا». وسنده ضعيف.

وأخرج تمام في فوائده وابن عساكر في التاريخ[١] من حديث ابن عباس: «مَن سبق العاطس بالحمد وقاه الله وجع الخاصرة، ولم يَرَ في فيه مكروهًا حتىٰ يخرج من الدنيا». وفي السند بقية، وقد عنعن. وأوره ابن الأثير في النهاية[٢] بلفظ: «مَن سبق العاطس بالحمد أَمِنَ الشَّوْص واللَّوْص والعِلَّوْص». وسنده ضعيف. فالشوص: وجع الضرس، وقيل: وجع في البطن[٣]، واللوص: وجع الأذن، وقيل: وجع المخ[٤]، والعِلَّوْص: وجع في البطن من التخمة[٥]. وقد نظمه بعض الشعراء، أنشدناه شيخُنا علي بن موسىٰ بن شمس الدين الحسيني وكتبته من إملائه وخطه قال: أنشدنا شيخ الوقت أحمد بن عبد الفتاح المَلَّوي قدَّس الله روحهما في الجنة:

من يستبِقْ عاطسًا بالحمد يأمن من ... شَوْص ولَوْص وعِلَّوْص كذا وردا

عنيتُ بالشوص داءَ الضرس ثم بما ... يليه البطنَ والضرسَ اتبعْ رَشَدا

(وقال ﷺ: **العُطاس من الله**) لأنه[٦] تنشأ عنه العبادة، فلذلك أضافه إلىٰ الله (**والتثاؤب**) بالهمز بعد الألف، هو فتح الفم لغلبة الأبخرة، وينشأ من ثقل النفس وامتلائها المتسبب عن نيل الشهوات الذي يأمر به الشيطان فيورث الغفلة والكسل، ولذلك قال: (**من الشيطان**) فأضافه إليه (**فإذا تثاءب أحدكم فليضع يده علىٰ فيه**) ليردَّه ما استطاع (**فإذا قال آه آه**) حكاية صوت التثاؤب (**فإن الشيطان يضحك من**

---

(١) تاريخ دمشق ٣٥/ ٣٨٦.

(٢) النهاية في غريب الحديث ٢/ ٥٠٩، ٣/ ٢٨٧، ٤/ ٢٧٦.

(٣) بعده في النهاية: «من ريح تنعقد تحت الأضلاع».

(٤) في النهاية: النحر. وكذا هو في القاموس المحيط. تاج العروس ١٨/ ١٥١.

(٥) في النهاية: وقيل التخمة. وعبارة القاموس المحيط: «العلوص: التخمة ووجع البطن». تاج العروس ١٨/ ٤٣.

(٦) فيض القدير ٤/ ٣٨٠.

جوفه) لِما أنه قد وجد إليه سبيلا وقوي سلطانُه عليه.

قال العراقي[١]: متفق عليه[٢] من حديث أبي هريرة دون قوله «العطاس من الله» فرواه الترمذي[٣] وحسَّنه والنسائي في اليوم والليلة[٤]، وقال البخاري «إن الله يحب العُطاس ويكره التثاؤب». ا.هـ.

وذلك لأن العطاس يورث خفة الدماغ ويروِّحه، ويزيل كدر النفس، وتنشأ عنه سعة المنافذ، وذلك محبوب إلىٰ الله، فإذا اتَّسعت ضاقت علىٰ الشيطان، وإذا ضاقت بالأخلاط والطعام اتسعت [للشيطان] وكثُر منه التثاؤبُ، فأضيفَ للشيطان مجازًا، وقال الحافظ ابن حجر[٥]: «إن الله يحب العطاس» أي الذي لا ينشأ عن زكام؛ لأنه المأمور بالتحميد والتشميت له.

قلت: وروىٰ أحمد[٦] والشيخان[٧] وأبو داود[٨] من حديث أبي سعيد: «إذا تثاءب أحدُكم فليضع يده علىٰ فيه، فإن الشيطان يدخل مع التثاؤب».

وروىٰ البخاري من حديث أبي هريرة: «إذا تثاءب أحدكم فليردَّه ما استطاع، فإن أحدكم إذا قال ها ضحك منه الشيطان».

وروىٰ ابن ماجه[٩] من حديثه: «إذا تثاءب أحدكم فليضع يده علىٰ فيه ولا يعوي، فإن الشيطان يضحك منه».

---

(١) المغني ١/ ٥١٢.

(٢) صحيح البخاري ٢/ ٤٤١، ٤/ ١٣٣، ١٣٤. صحيح مسلم ٢/ ١٣٦٣.

(٣) سنن الترمذي ٤/ ٤٦١.

(٤) السنن الكبرىٰ ٩/ ٩١.

(٥) فتح الباري ١٠/ ٦٢٣.

(٦) مسند أحمد ١٧/ ٤٢٥، ١٨/ ٣٨٧.

(٧) رواه مسلم في صحيحه ٢/ ١٣٦٣، ولم يروه البخاري.

(٨) سنن أبي داود ٥/ ٣٦٢. وليس عند مسلم وأبي داود (مع التثاؤب).

(٩) سنن ابن ماجه ٢/ ٢١١.

ويُروَىٰ: «إذا تجشَّأ أحدكم أو عطس فلا يرفع بهما الصوت، فإن الشيطان يحب أن يُرفع بهما الصوت». رواه البيهقي[١] من حديث عُبادة بن الصامت وشداد بن أوس وواثلة. ورواه أبو داود في مراسيله[٢] عن يزيد بن مَرْثَد.

(**وقال إبراهيم**) بن يزيد (**النخعي**) رحمه الله تعالىٰ: (**إذا عطس**) الرجل وهو (**في قضاء الحاجة**) أي في تلك الحالة (**فلا بأس أن يذكر الله تعالىٰ في نفسه**.

وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالىٰ: (**يحمد الله تعالىٰ في نفسه**) أي ولا يجهر به.

(**وقال كعب**) بن ماتع الحِمْيَري المعروف بالأحبار رحمه الله تعالىٰ: (**قال موسىٰ** عليه السلام: **يا رب، أقريب أنت فأناجيك أم بعيد فأناديك؟ فقال: أنا جليس مَن ذكرني. فقال: يا رب، فإنَّا نكون علىٰ حال نجلُّك**) أي ننزِّهك (**أن نذكرك عليها**) أي معها (**كالجنابة والغائط. فقال**): يا موسىٰ (**اذكرني علىٰ كل حال**)[٣] وقد روىٰ مسلم[٤] وأبو داود[٥] والترمذي[٦] وابن ماجه[٧] من حديث عائشة: كان ﷺ يذكر الله تعالىٰ علىٰ كل أحيانه. أي في كل أوقاته.

وأما حديث «أنا جليس مَن ذكرني» فأورده الديلمي بلا سند من حديث عائشة مرفوعًا. والقصة المذكورة أوردها البيهقي تمامًا في الذكر من شعب الإيمان

---

(١) شعب الإيمان ١١/ ٥٠٥.

(٢) المراسيل ص ٣٥٣.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ١/ ١٩٥، وأحمد في الزهد ص ٥٩، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٦١/ ١١٥ - ١١٦، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٦/ ٤٢، والبيهقي في شعب الإيمان ٢/ ١٧١.

(٤) صحيح مسلم ١/ ١٧٦.

(٥) سنن أبي داود ١/ ١٥٧.

(٦) سنن الترمذي ٥/ ٣٩٤.

(٧) سنن ابن ماجه ١/ ٢٧٠.

من طريق الحسين بن حفص عن سفيان عن عطاء بن أبي مروان حدثني أبي عن كعب قال: قال موسىٰ عليه السلام ... فذكره. ونحوه عند أبي الشيخ في الثواب من طريق عبد الله بن عمير. وهو في سابع عشر المجالسة[1] من طريق ثور بن يزيد عن عبيدة قال: لما كلَّم الله موسىٰ عليه السلام يوم الطور كان عليه جُبَّة من صوف مخلَّلة بالعيدان، محزوم وسطه بشريط ليف، وهو قائم علىٰ جبل وقد أسند ظهره إلىٰ صخرة [من الجبل] فقال الله: يا موسىٰ، إني قد أقمتك مقامًا لم يقُمْه أحد قبلك، ولا يقومه أحد بعدك، وقرَّبتك [مني] نجيًّا. قال موسىٰ: إلهي، ولِمَ أقمتَني هذا المقام؟ قال: لتواضُعك يا موسىٰ. قال: فلما سمع لذاذة الكلام من ربه نادىٰ موسىٰ: إلهي، أقريب فأناجيك أم بعيد فأناديك؟ قال: يا موسىٰ، أنا جليس مَن ذكرني.

وللبيهقي[2] في موضع آخر من طريق أبي أسامة عن شعبة[3] قال: قلت لمحمد بن النضر: أما تستوحش من طول الجلوس في البيت؟ فقال: وما لي أستوحش وهو يقول: أنا جليس مَن ذكرني. وكذا أخرجه أبو الشيخ من طريق حسين الجُعْفي قال: قال محمد بن النضر الحارثي لأبي الأحوص: أليس يُروَىٰ أنه قال: أنا جليس مَن ذكرني؟ فما أرجو بمجالسة الناس[4]. ومعناه في المرفوع من حديث أبي هريرة: «أنا مع عبدي ما ذكرني وتحرَّكت بي شفتاه».

(ومنها: **أنه إذا بُلي بذي خُلُق سيِّئ**) أي رديء (**فينبغي أن يجامله**) أي يعمل معه جميل الخُلق (**ويتَّقيه**) أي يحذر من شرِّه (**قال بعضهم: خالِصِ المؤمنين مخالصةً**) أي عاشِرْهم بإخلاص وحُسن نية (**وخالِقِ الفاجرَ مخالقة**) أي جامِلْ معه

(١) المجالسة وجواهر العلم ٦/ ٥٢.

(٢) شعب الإيمان ٢/ ١٨٢.

(٣) كذا هنا، وليس شعبة في الإسناد، وإنما القائل هو أبو أسامة.

(٤) ورواه ابن أبي عاصم في الزهد ص ٤٧ بلفظ: «أليس يزعمون أنه قال: أنا جليس من ذكرني؟ قال: بلىٰ. قال: ما علىٰ أحد أن لا يجالس الناس».

بحُسن الخُلق (**فإنَّ الفاجر يرضىٰ بالخُلق الحسن في الظاهر**) ويميل إليه فيكون سببًا لاستمالة قلبه. نقله صاحب القوت عن الشعبي عن صعصعة بن صوحان أنه قال لابن أخيه زيد: أنا كنت أَحَبَّ إلىٰ أبيك منك، وأنت أحب إليَّ من ابني، خصلتان أوصيك بهما فاحفظهما: خالِصِ المؤمنَ مخالصةً، وخالِقِ الفاجر مخالقةً، فإن الفاجر يرضىٰ منك بالخُلق الحسن، وإنه لَحقٌّ عليك مخالصة المؤمن[(١)].

(**وقال أبو الدرداء**) رضي الله عنه: (**إنَّا لنكْشِرُ**) أي نَبَشُّ (**في وجوه أقوام وإن قلوبنا لَتبغضهم**) كذا في القوت. وأخرجه أبو نعيم في الحلية[(٢)]: حدثنا عبد الله بن محمد ابن جعفر [حدثنا إبراهيم بن محمد بن الحسن] حدثنا عبد الجبار بن العلاء، حدثنا سفيان، عن خلف بن حوشب قال: قال أبو الدرداء: إنَّا لنكشِرُ في وجوه أقوام وإن قلوبنا لَتلعنُهم.

(**وهذا معنىٰ المداراة، وهي ملاطفة من يُخاف شره**) وأصلها المخاتلة، من دريت الصيد وأدريته: ختلته (**قال الله تعالىٰ**: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ۝٣٤﴾ [فصلت: ٣٤]) أي قريب. ولفظ القوت بعد نقل قول أبي الدرداء: فمعنىٰ هذا علىٰ الثقة والمداراة ليدفع بذلك شره وأذاه، كما جاء في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ قيل: السلام ﴿فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ۝٣٤﴾.

(**وقال ابن عباس**) رضي الله عنهما (**في معنىٰ قوله تعالىٰ**: ﴿وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾) [الرعد: ٢٢، القصص: ٥٤] قال: (**أي الفحش والأذىٰ**) وهو السيئة (**بالسلام والمداراة**) وهو الحسنة. أي يدفعون بالسلام عليهم والملاينة معهم في الكلام بالخُلق الجميل ما جُبلوا عليه من فحشهم وأذاهم، ومن الكلام المشهور: دارِهم ما

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب مداراة الناس ص ٣٨، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٤/ ٩٩.

(٢) حلية الأولياء ١/ ٢٢٢.

دمتَ في دارهم. وكذا قولهم: داروا سفهاءكم. وفي الخبر: «دارُوا الناسَ علىٰ قدر إحسانهم، وخالِطوا الناس علىٰ قدر أديانهم، وأنزِلوا الناس منازلهم، وداروا الناس بعقولكم». وفيه يقول الشاعر[1]:

كان لا يدري مداراة الوَرَىٰ ومداراة الورىٰ أمر مهم

(وفي معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ﴾ الآية [الحج: ٤٠] **قال**) ولفظ القوت: قيل: (**بالرهبة والرغبة والحياء والمداراة**) زاد صاحب القوت: وكذا معنىٰ قولهم: خالصِ المؤمنَ وخالقِ الفاجرَ، فالمخالصة بالقلوب من المودة واعتقاد المؤاخاة في الله عَزَّوَجَلَّ، والمخالقة: المخالطة في المعاملة والمبايعة وعند اللقاء.

(**وقالت عائشة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: **استأذن رجل علىٰ النبي** ﷺ**، فقال: ائذنوا له فبئس رجل العشيرة هو. فلما دخل ألانَ له القولَ**) ولاطفَه (**حتىٰ ظننتُ أنَّ له عنده منزلة**) وقدرًا (**فلما خرج قلتُ له: لما دخل قلتَ الذي قلتَ**) تعني قوله: بئس رجل العشيرة (**ثم ألنتَ له القولَ**) ولاطفتَه (**فقال**) ﷺ: (**يا عائشة، إن شر الناس منزلةً عند الله يوم القيامة مَن تركه الناسُ اتِّقاءَ فُحشِه**) أي تركوا مخالطته وتجنَّبوا معاشرته لأجل قبح قوله وفعله، وهذا أصل المداراة. رواه الشيخان[2] وأبو داود[3] والترمذي[4].

---

(١) هو زين الدين عمر بن مظفر الكندي المعروف بابن الوردي، وقد أنشده في تاريخه ٢/ ٣٢٨ (ط - المطبعة الوهبية بمصر) وقبله بيت آخر وهو:

كان والله عفيفا نزها وله عرض عريض ما اتهم

قالهما عندما عزل قاضي القضاة زين الدين البلفيائي عن قضاء حلب عام ٧٤٠ هـ لوحشة جرت بينه وبين طرغاي نائب حلب.

(٢) صحيح البخاري ٤/ ٩٧، ١٠١، ١١٥. صحيح مسلم ٢/ ١٢٠٢.

(٣) سنن أبي داود ٥/ ٢٧٢ - ٢٧٣.

(٤) سنن الترمذي ٣/ ٥٣٢.

وعند الخطيب في المتفق والمفترق[١] وابن النجار: «شر الناس يوم القيامة مَن اتُّقِي مجلسه لفحشه». وسنده حسن. وفي رواية للترمذي: «يا عائشة، إن من شر الناس مَن تركه الناس اتِّقاءَ فُحشِه». وقال: حسن صحيح.

وروىٰ الطبراني في الأوسط[٢] من حديث أنس: «إن شر الناس منزلة [عند الله] يوم القيامة من يخاف الناس شرَّه». وهو في ذم الغيبة[٣] لابن أبي الدنيا بلفظ: «شر الناس منزلةً يوم القيامة من يُخاف لسانه أو يُخاف شره».

(وفي الخبر: ما وقىٰ به المرءُ عِرضَه فهو له صدقة) وفي رواية: كُتب له به صدقة. قال العراقي[٤]: رواه أبو يعلىٰ[٥] وابن عدي[٦] من حديث جابر [وضعفه] ا.هـ.

ورواه الحاكم[٧] بلفظ «ما وقىٰ به المؤمنُ». وقد رواه عن جابر محمد بن المنكدر، وعنه مسور بن الصلت وعبد الحميد بن الحسن الهلالي: قلت لابن المنكدر: ما يعني به؟ قال: أن تعطي الشاعر أو ذا اللسان المتقَىٰ.

وللديلمي[٨] من طريق ابن المسيب عن أبي هريرة مرفوعًا: «ذُبُّوا بأموالكم عن أعراضكم». قالوا: يا رسول الله، كيف؟ قال: «تعطون الشاعر ومن يُخاف لسانه».

---

(١) المتفق والمفترق ١/ ١٥٦.

(٢) المعجم الأوسط ٥/ ٢٧٧، وأوله: أقبل رجل إلىٰ النبي ﷺ فأثنوا عليه شرا، فرحب به النبي ﷺ، فلما قفىٰ قال رسول الله ﷺ ... فذكره.

(٣) ذم الغيبة والنميمة ص ٨٧.

(٤) المغني ١/ ٥١٣.

(٥) مسند أبي يعلىٰ ٤/ ٣٦.

(٦) الكامل في الضعفاء ٥/ ١٩٥٩، ٦/ ٢٤٢٤، ٧/ ٢٧٠٧.

(٧) المستدرك علىٰ الصحيحين ٢/ ٦٣، وفيه: المرء.

(٨) وكذلك الخطيب في تاريخ بغداد ١٠/ ١٥٥، والسهمي في تاريخ جرجان ص ١٨٢.

ورواه ابن لال[١] من حديث عائشة.

(وفي الأثر: **خالِطوا الناس بأعمالهم، وزايِلوهم بالقلوب**) كذا في القوت، وتقدم معناه قريبًا، وهو في جزء الغسولي من حديث جابر بنحوه، وقد تقدم قريبًا. وأخرج[٢] العسكري في الأمثال من حديث ثوبان: «خالِطوا الناس بأخلاقكم، وخالفوهم [في أعمالهم]».

(**وقال**) أبو[٣] القاسم (**محمد بن**) علي بن أبي طالب الشهير بابن (**الحَنَفية**) وهي أمه، اسمها خَوْلة بنت جعفر بن قيس بن مَسلمة بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة بن الدُّول بن حنيفة، كانت من سبي اليمامة الذين سباهم أبو بكر الصدِّيق، دخل علىٰ عمر، وروىٰ عن عثمان وأبيه، وعنه ابناه الحسن وعبد الله ومنذر أبو يعلىٰ الثوري، وروىٰ ليث بن أبي سليم عن محمد بن نَشْر عن محمد ابن الحنفية عن علي قال: قلت: يا رسول الله، إن وُلد لي مولود بعدك أسمِّيه باسمك وأكنيه بكنيتك؟ قال: «نعم». قيل: إنه وُلد في خلافة أبي بكر، ومات برَضْوَىٰ سنة ثلاث وسبعين، وقيل غير ذلك، ودُفن بالبقيع، والمشهور أنه بالطائف هو وابن عباس في قبر واحد، روىٰ له الجماعة (**ليس بحكيم مَن لم يعاشر بالمعروف مَن لا يجد من معاشرته بُدًّا حتىٰ يجعل الله له فرجًا**) أخرجه أبو نعيم في الحلية[٤] قال: حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا أبو خليفة، حدثنا عبيد الله بن محمد ابن عائشة، حدثنا عبد الله بن المبارك، عن الحسن بن عمرو الفقيمي، عن منذر الثوري قال: قال محمد ابن الحنفية: ليس بحكيم مَن لم يعاشر بالمعروف مَن لا يجد من معاشرته بُدًّا حتىٰ يجعل الله له فرجًا ومَخرجًا.

---

(١) وكذلك أبو نعيم في تاريخ أصفهان ٢/ ٢١٣ مختصرا.

(٢) كنز العمال ٣/ ١٧.

(٣) تهذيب الكمال ٢٦/ ١٤٧ - ١٥٢.

(٤) حلية الأولياء ٣/ ١٧٥.

(ومنها: أن يجتنب مخالطة الأغنياء) أرباب الأموال **(ويختلط بالمساكين)** والفقراء ويعاشرهم ويجالسهم **(ويُحسِن إلىٰ الأيتام)** وهم الذين لا أب لهم ولا أم **(كان النبي ﷺ يقول: اللهم أحيني مسكينًا، وأمتني)** وفي لفظ: وتوفَّني **(مسكينًا، واحشرني في زمرة المساكين)** أي[1] اجمعني في جماعتهم، قال اليافعي: وناهيك بهذا شرفًا للمساكين، ولو قال «واحشر المساكين في زمرتي» لكفاهم شرفًا، فكيف وقد قال «واحشرني في زمرتهم». ثم إنه لم يسأل مسكنة ترجع للقلة بل إلىٰ الإخبات والتواضع؛ ذكره البيهقي[2]. وعليه جرىٰ المصنف، كما سيأتي له فيما بعد، ومنه أخذ السبكي قوله: المراد استكانة القلب لا المسكنة التي هي نوع من الفقر، فإنه أغنىٰ الناس بالله[3]. وسُئل القاضي زكريا عن معنىٰ هذا الحديث فقال: معناه [طلب] التواضع والخضوع، وأن لا يكون من الجبابرة المتكبِّرين والأغنياء المترفين.

---

(١) فيض القدير ٢/ ١٠٢.

(٢) السنن الكبرىٰ ٧/ ١٩.

(٣) قال التاج السبكي في طبقات الشافعية الكبرىٰ ٣/ ١٣٤: «وسماعىٰ مرات كثيرات من الإمام الوالد - وهو معتقدي - أنه ﷺ لم يكن فقيرا قط، ولا كانت حالته حالة الفقراء، بل كان أغنىٰ الناس بالله، وكان الله تعالىٰ قد كفاه أمر دنياه فىٰ نفسه وعياله ومعاشه. وأحفظ أن الإمام أقام من مجلسه من قال: كان النبي ﷺ فقيرا، قياما صعبا، وكاد يسطو به، وما نجاه منه إلا أنه استتابه واستسلمه. وكان رحمه الله يقول في قوله ﷺ (اللهم أحيني مسكينا): إن المراد به استكانة القلب لا المسكنة التي هي أن يجد ما لا يقع موقعا من كفايته، وذكر ذلك في باب الوصية من شرح المنهاج. وكان رحمه الله يشدد النكير علىٰ من يعتقد ذلك، والحق معه رضىٰ الله عنه، فإن من جاءت إليه مفاتيح خزائن الأرض وكان قادرا علىٰ تناول ما فيها كل لحظة كيف يوصف بالعدم؟! ونحن لو وجدنا من معه مال جزيل في صندوق من جوانب بيته لوسمناه بسمة الغناء المفرط، مع العلم بأنه قد يُسرق أو تغتاله غوائل الزمان فيصبح فقيرا، فكيف لا يسمىٰ مَن خزائن الأرض بالنسبة إليه أقرب من الصندوق إلىٰ صاحب البيت وهي في يده بحيث لا تتغير بل هو آمن عليها، بخلاف صاحب الصندوق، فما كان ﷺ فقيرا من المال قط ولا مسكينا. نعم، كان أعظم الناس جؤارا إلىٰ ربه وخضوعا له، وأشدهم في إظهار الافتقار إليه والتمسكن بين يديه».

قال العراقي[١]: رواه ابن ماجه[٢] والحاكم[٣] من حديث أبي سعيد وصحَّحه، والترمذي[٤] من حديث عائشة وقال: غريب.

قلت: رواه[٥] ابن ماجه من طريق أبي خالد الأحمر عن يزيد بن سِنان عن أبي المبارك عن عطاء بن أبي رباح عن أبي سعيد الخدري قال: أحِبُّوا المساكين، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول في دعائه ... وذكره. ورواه الطبراني في الدعاء[٦] من طريق أبي فروة يزيد بن محمد بن يزيد بن سنان الرهاوي حدثني أبي عن أبيه هو يزيد بن سنان عن عطاء بدون واسطة بين يزيد وعطاء، وبدون قول أبي سعيد، وبلفظ «توفَّني». ويزيد بن سنان ضعيف عندهم، لكن قد رواه الطبراني أيضًا من طريق خالد بن يزيد بن أبي مالك عن أبيه عن عطاء بلفظ «اللهم توفَّني إليك فقيرًا، ولا توفَّني إليك غنيًّا، واحشرني إليك في زمرة المساكين يوم القيامة». وخالد الأكثر علىٰ تضعيفه، وكأنَّ الحاكم اعتمد توثيقه فإنه قد أخرج هذا الحديث من طريقه في الرقاق من المستدرك بزيادة: «وإن أشقىٰ الأشقياء مَن اجتمع عليه فقرُ الدنيا وعذاب الآخرة»، وقال: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. وأقرَّه الذهبي في التلخيص. وكذا رواه البيهقي في الشعب[٧] بلفظ: «يا أيها الناس، لا يحملنَّكم العسرُ علىٰ أن تطلبوا الرزق من غير حِلِّه، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول ... وذكره بالزيادة. وهو عند أبي الشيخ ومن طريقه الديلمي بدون قول أبي سعيد. وله شواهد، فرواه الترمذي

---

(١) المغني ١/ ٥١٣.

(٢) سنن ابن ماجه ٥/ ٥٦٧.

(٣) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٤٦٦.

(٤) سنن الترمذي ٤/ ١٧٢ من حديث أنس، كما سيذكره الشارح قريبا. وليس هو من حديث عائشة.

(٥) المقاصد الحسنة ص ٨٤ - ٨٥.

(٦) الدعاء ص ١٤٦٦ - ١٤٦٧.

(٧) شعب الإيمان ٧/ ٣٥١.

في الزهد من جامعه والبيهقي في الشعب[١] من طريق ثابت بن محمد العابد الكوفي حدثنا الحارث بن النعمان الليثي عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم أحيني مسكينًا، وأمتني مسكينًا، واحشرني في زمرة المساكين يوم القيامة». فقالت عائشة: لِمَ يا رسول الله؟ قال: «إنهم يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفًا. يا عائشة، لا تردِّي المسكين ولو بشِق تمرة. يا عائشة، أحبِّي المساكين [وقرِّبيهم] فإن الله يقرِّبكِ يوم القيامة». وقال: إنه غريب. ا.هـ. والحارث قال البخاري[٢] وغيره: إنه منكَر الحديث. وتردَّد فيه ابن حبَّان فذكره في الثقات[٣] وفي الضعفاء[٤]. ورواه الطبراني في الدعاء[٥] من طريق بقية بن الوليد حدثنا الهقل بن زياد عن عبيد الله بن زياد سمعت جُنادة بن أبي أمية يقول: حدثنا عُبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: «اللهم أحيني مسكينًا، وتوفَّني مسكينًا، واحشرني في زمرة المساكين». ورجاله موثَّقون، وبقية قد صرَّح بالتحديث، ومع وجود هذه الطريق وغيرها مما تقدَّم لا يحسُن الحكمُ عليه بالوضع من ابن الجوزي[٦] وابن تيمية[٧]، وقد ردَّ عليهما الزركشي والحافظ ابن حجر[٨] والسيوطي[٩]، قال الأول: أساء ابن الجوزي بذكره له في الموضوعات. وقال الثاني: ليس كما قال، صحَّحه الضياء في

---

(١) السابق ٢/ ٥١، ١٣/ ١٠٦.

(٢) الضعفاء الصغير ص ٣٢.

(٣) الثقات ٤/ ١٣٥.

(٤) لم أجده في كتاب المجروحين لابن حبان.

(٥) الدعاء ص ١٤٦٧.

(٦) الموضوعات ٣/ ١٤١ - ١٤٢.

(٧) وعبارته في مجموع الفتاوىٰ ١٨/ ٣٨٢: «هذا يروىٰ، لكنه ضعيف لا يثبت، ومعناه: أحيني خاشعا متواضعا، لكن اللفظ لم يثبت».

(٨) التلخيص الحبير ٣/ ٢٣٣ - ٢٣٤، ونصه: «أسرف ابن الجوزي فذكر هذا الحديث في الموضوعات، وكأنه أقدم عليه لما رآه مباينا للحال التي مات عليها النبي ﷺ؛ لأنه كان مكفيا».

(٩) اللآلئ المصنوعة ٢/ ٣٢٤ - ٣٢٦.

المختارة[١]. وقال الثالث: أسرف ابنُ الجوزي بذكره في الموضوع. والله أعلم.

(وقال كعب الأحبار: كان سليمان عليه السلام في مُلكه إذا دخل المسجد فرأىٰ مسكينًا جلس إليه وقال: مسكين جالَس مسكينًا.

وقيل: ما كان من كلمة تقال لعيسىٰ عليه السلام أحب إليه من أن يقال له: يا مسكين) أي إنه عليه السلام كان يفرح إذا خوطبَ بذلك ويجد له لذة؛ لِما أن المسكنة من أشرف أوصاف العبودية، وكذلك كان نبيُّنا ﷺ أحب ما إليه أن يقال له: يا عبد الله.

(وقال كعب الأحبار) رحمه الله تعالىٰ: **(ما في القرآن من «يا أيها الذين آمنوا» فهو في التوراة: يا أيها المساكين)**[٢] والمراد به مَسكنة التواضع والإخبات لا ما يرجع إلىٰ القلة.

(وقال عُبادة بن الصامت) الأنصاري الأوسي رضي الله عنه، تقدمت ترجمته **(إن للنار سبعة أبواب، ثلاثة)** منها **(للأغنياء، وثلاثة)** منها **(للنساء، وواحد)** منها **(للفقراء والمساكين)** يشير إلىٰ أنهم أقل الناس دخولاً فيها ولذلك جُعل لهم باب واحد.

(وقال الفضيل) بن عياض رحمه الله تعالىٰ: **(بلغني أن نبيًّا من الأنبياء قال: يا رب، كيف لي أن أعلم رضاك عني؟ قال: انظر كيف رضا المساكين عنك)** أخرجه أبو نعيم في الحلية[٣].

(وقال ﷺ: إياكم ومجالسة الموتىٰ. قيل: ومَن الموتىٰ يا رسول الله؟ قال:

---

(١) الأحاديث المختارة ٨/ ٢٧١ عن عبادة بن الصامت.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ١٢/ ١٧٠ وعبد الرزاق في تفسيره ٢/ ١٢٢ وأبو نعيم في حلية الأولياء ٤/ ١١٦ والدينوري في المجالسة وجواهر العلم ٦/ ١٣٦ وابن الأعرابي في معجمه ٣/ ١٠٠٨ عن خيثمة بن عبد الرحمن.

(٣) لم أقف عليه في الحلية. وروىٰ الدينوري في المجالسة وجواهر العلم ٣/ ٥٠٥ - ٥٠٨ عن وهب بن منبه أثرا طويلا عن النبي أشعيا عليه السلام، وفي آخره: «وإن من علامة رضاي رضا المساكين».

الأغنياء) قال العراقي[١]: رواه الترمذي[٢] وضعَّفه والحاكم[٣] وصحَّح إسناده من حديث عائشة: «إياكِ ومجالسة الأغنياء».

قلت: وتُعُقِّب تصحيح الحاكم. ورواه ابن سعد في الطبقات[٤] أيضًا، ولفظهم: «يا عائشة، إن أردتِ اللحوقَ بي فليكفِكِ من الدنيا كزاد الراكب، وإياكِ ومجالسةَ الأغنياء، ولا تستخلقي ثوبًا حتىٰ ترقِّعيه».

(وقال موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ**)** في مناجاته: **(إلهیٰ، أين أبغيك)**؟ أي أطلبك **(قال)**: ابغِني **(عند المنكسرة قلوبهم)** أخرجه أبو نعيم في الحلية[٥] فقال: حدثنا أبو حامد، حدثنا محمد، حدثنا هارون، حدثنا سَيَّار، حدثنا جعفر، حدثنا مالك بن دينار قال: قال موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يا رب، أين أبغيك؟ ... فذكره. وقد ذكر المصنف في بداية الهداية[٦] أنه في الخبر: «أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي». قلت: وكأنه من الإسرائيليات، ولم يثبُت رفعُه عند أئمة الحديث.

(وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **لا تغبطنَّ فاجرًا بنعمة)** أي لا تفرح بمثلها له، ولا تَرْجُ أن يكون ذلك لك **(فإنك لا تدري إلىٰ ما يصير بعد الموت)** هل ينجو أم لا **(فإنَّ من ورائه طالبًا حثيثًا)** أیٰ مجدًّا. قال العراقي[٧]: رواه البخاري في التاريخ[٨] والطبراني في

---

(١) المغني ١/ ٥١٣.

(٢) سنن الترمذي ٣/ ٣٧٧.

(٣) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٤٥٤ وقال: صحيح الإسناد. وتعقبه الذهبي بقوله: «سعيد بن محمد الوراق عدم».

(٤) الطبقات الكبرىٰ ١٠/ ٧٥.

(٥) حلية الأولياء ٢/ ٣٦٤.

(٦) بداية الهداية ص ١٩٠.

(٧) المغني ١/ ٥١٣.

(٨) التاريخ الكبير ٢/ ٢٣٢.

الأوسط[1] والبيهقي في الشعب[2] من حديث أبي هريرة بسند ضعيف.

قلت: لفظ البيهقي في الشعب: «لا تغبطنَّ فاجرًا بنعمة، إن له عند الله قاتلاً لا يموت».

وله شاهد عند الحاكم[3] من حديث ابن عباس: «لا تغبطنَّ جامعَ المال من غير حِلِّه، فإنه إن تصدَّق لم يُقبَل [منه] وما بقي كان زاده إلىٰ النار».

(**وأما اليتيم، فقد قال ﷺ: مَن ضم يتيمًا من**) بين (**أبوين مسلمينِ**) أي[4] تكفَّل بمؤنته وما يحتاجه (**حتىٰ يستغني فقد وجبت له الجنة ألبتَّةَ**) نُصب علىٰ المصدر، والمراد به القطع بالشيء، والمراد أنه لا بد له من الجنة وإن تقدم عذابُه، لا أن المراد أنه يدخلها بلا عذاب ألبتة.

قال العراقي[5]: رواه أحمد[6] والطبراني[7] من حديث مالك بن عمرو، وفيه علي بن زيد بن جُدعان، متكلَّم فيه.

قلت: مالك[8] بن عمرو هو القُشَيري، وقيل: الكلابي، وقيل: العقيلي، ويقال: الأنصاري، انفرد بحديثه عليُّ بن زيد بن جُدعان، واختُلف عليه فيه، رواه عن زُرارة بن أوفَىٰ عنه، وبعض الناس[9] فرَّق بينهم. وعلي[10] بن زيد روىٰ له مسلم

---

(١) المعجم الأوسط ٤/ ٢٣٤.

(٢) شعب الإيمان ٦/ ٣٠٠.

(٣) المستدرك علىٰ الصحيحين ٢/ ٦.

(٤) فيض القدير ٦/ ١٧٤.

(٥) المغني ١/ ٥١٣ - ٥١٤.

(٦) مسند أحمد ٣١/ ٣٧٠ - ٣٧٣، ٣٣/ ٤٤١.

(٧) المعجم الكبير ١٩/ ٣٠٠.

(٨) أسد الغابة ٥/ ٣٤ - ٣٥. الإصابة ٩/ ٦٠ - ٦١.

(٩) منهم البخاري.

(١٠) تهذيب الكمال ٢٠/ ٤٤٤ - ٤٤٥.

مقرونًا بثابت البُناني والباقون إلا البخاري، وقد مات علي وثابت في سنة واحدة. ولفظ حديث مالك بن عمرو: «مَن ضمَّ يتيمًا إلىٰ طعامه وشرابه حتىٰ يستغني عنه وجبت له الجنة، ومَن أدرك والديه أو أحدهما فدخل النار فأبعده الله ...» الحديث. هكذا رواه أحمد بطوله. ورواه الباوَرْدي عن أبيِّ بن مالك العامري[١].

وروىٰ الطبراني في الأوسط[٢] من حديث عدي بن حاتم رفعه: «مَن ضم يتيمًا له أو لغيره حتىٰ يغنيه الله عنه وجبت له الجنةُ». وفيه المسيب بن شريك، وهو متروك.

وروىٰ الترمذي[٣] من حديث ابن عباس بسند ضعيف: «مَن قبض يتيمًا من بين المسلمين إلىٰ طعامه وشرابه أدخله الله الجنة البتَّةَ، إلا أن يعمل ذنبًا لا يُغفَر له».

(وقال ﷺ: **أنا وكافل اليتيم**) أي[٤] القائم بأمره ومصالحه، هَبْه من مال نفسه أو من مال اليتيم، كان ذا قرابة أم لا (**في الجنة كهاتين. وأشار بأصبعيه**) السبَّابة والوسطىٰ وفرَّجَ بينهما، أي إن الكافل في الجنة مع النبي، إلا أن درجته تقارب درجة النبي، وفي الإشارة إشارة إلىٰ أن بين درجته والكافل قدْر تفاوُت ما بين المشار به، ويحتمل أن المراد قُرب المنزلة حالَ دخولِ الجنة، أو المراد في سرعة الدخول، وذلك لِما فيه من حُسن الخلافة للأبوين ورحمة الصغير، وذلك مقصود عظيم في الشريعة. ومناسبة التشبيه أن النبي شأنه أن يُبعَث لقوم لا يعقلون أمر دينهم، فيكون كافلاً لهم ومرشدًا ومعلِّمًا، وكافل اليتيم يقوم بكفالة من لا يعقل فيرشده ويعلِّمه، وهذا تنويه عظيم بفضل قبول وصية من يوصَىٰ إليه، ومحل كراهة

---

(١) وهو نفسه مالك بن عمرو السابق ذكره، وسماه أحمد في مسنده: مالك بن الحارث.

(٢) المعجم الأوسط ٥/ ٢٩٠.

(٣) سنن الترمذي ٣/ ٤٧٨.

(٤) فيض القدير ٣/ ٤٩. فتح الباري ١٠/ ٤٥١.

الدخول في الوصايا أن يخاف تهمة أو ضعفًا عن القيام بحقِّها.

قال العراقي[١]: رواه البخاري[٢] من حديث سهل بن سعد، ومسلم[٣] من حديث أبي هريرة.

قلت: ورواه كذلك أحمد[٤] وأبو داود[٥] والترمذي[٦] من حديث سهل، ولفظهم «في الجنة هكذا». ورواه مسلم أيضًا من حديث عائشة وابن عمر بزيادة «له أو لغيره» بعد قوله «اليتيم»[٧].

(وقال ﷺ: مَن وضع يده علىٰ رأس يتيم ترحُّمًا كانت له بكل شعرة تمرُّ يده عليها حسنة) قال العراقي[٨]: رواه أحمد[٩] والطبراني[١٠] بإسناد ضعيف من حديث أبي أمامة دون قوله «ترحُّمًا». ولابن حبان في الضعفاء[١١] من حديث ابن أبي أوفىٰ: «مَن مسح يده علىٰ رأس يتيم رحمةً له ...» الحديث.

---

(١) المغني ١/ ٥١٤.

(٢) صحيح البخاري ٣/ ٤١٣، ٤/ ٩٢.

(٣) صحيح مسلم ٢/ ١٣٦٠.

(٤) مسند أحمد ٣٧/ ٤٧٦.

(٥) سنن أبي داود ٥/ ٤١٤.

(٦) سنن الترمذي ٣/ ٤٧٩.

(٧) لم يخرجه مسلم من حديث عائشة ولا من حديث ابن عمر، والزيادة المذكورة هي في حديث أبي هريرة. وحديث عائشة رواه أبو يعلىٰ في مسنده ٨/ ٢٨٠، والطبراني في المعجم الأوسط ٥/ ٨٤. ولم أقف عليه من حديث ابن عمر.

(٨) المغني ١/ ٥١٤.

(٩) مسند أحمد ٣٦/ ٤٧٤، ٦١٤.

(١٠) المعجم الكبير ٨/ ٢٣٩.

(١١) المجروحون من المحدثين ٢/ ٢٠٣ - ٢٠٤. وتمامه: «كتب الله له بكل شعرة حسنة، ورفع بكل شعرة درجة، ومحا عنه بكل شعرة سيئة».

قلت: وبلفظ المصنِّف رواه ابن المبارك في الزهد[١] عن ثابت بن عجلان بلاغًا. وأما حديث أبي أمامة عند أحمد والطبراني فلفظه: «مَن مسح رأس يتيم لا يمسحه إلا لله فإنَّ له بكل شعرة مرَّت عليها يده حسنة، ومَن أحسن إلىٰ يتيمه أو يتيم غيره كنت أنا وهو في الجنة كهاتين» وقرن بين أصبعيه. وهكذا رواه ابن المبارك[٢] أيضًا والحاكم وأبو نعيم في الحلية[٣].

ورویٰ الحكيم[٤] من حديث أنس بالجملة الأخيرة فقط: «مَن أحسنَ إلىٰ يتيم أو يتيمة كنت أنا وهو في الجنة كهاتين».

(**وقال ﷺ: خير بيت من**) وفي رواية: في (**المسلمين بيت فيه يتيم**) لا[٥] أبوان له ذكر أو أنثىٰ (**يُحسَن إليه**) بالبناء للمفعول، أي بالقول أو بالفعل أو بهما (**وشر بيت من**) وفي رواية: في (**المسلمين بيت فيه يتيم يُساء إليه**) أي بقول أو بفعل أو بهما.

قال العراقي[٦]: رواه ابن ماجه[٧] من حديث أبي هريرة، وفيه ضعفٌ.

قلت: وكذا رواه ابن المبارك[٨] والبخاري في الأدب المفرد[٩] وأبو نعيم في الحلية[١٠] بزيادة: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا». وقال الحافظ ابن حجر: رواه

---

(١) الزهد والرقائق ص ٢١٢.

(٢) السابق ص ٢١٢.

(٣) حلية الأولياء ٨/ ١٧٩ حتىٰ قوله (حسنة) ولم يذكر ما بعده.

(٤) نوادر الأصول ص ٤٥٠.

(٥) فيض القدير ٣/ ٤٨٤.

(٦) المغني ١/ ٥١٤.

(٧) سنن ابن ماجه ٥/ ٢٦٣.

(٨) الزهد والرقائق ص ٢١٢.

(٩) الأدب المفرد ص ٥٣.

(١٠) لم أقف عليه في الحلية.

ابن ماجه من طريق زيد بن أبي عتاب عن أبي هريرة، وزيد وثَّقه يحيىٰ بن معين[١]، والباقون من رجال الصحيح إلا شيخ ابن ماجه وهو ثقة.

وروىٰ العقيلي[٢] والخرائطي في مكارم الأخلاق[٣] وأبو نعيم في الحلية[٤] وابن النجار من حديث عمر بن الخطاب: «خير بيوتكم بيت فيه يتيم مكرم».

(ومنها: **النصيحة لكل مسلم، والجهد في إدخال السرور علىٰ قلبه. قال ﷺ: المؤمن يحب للمؤمن ما يحب لنفسه**) قال العراقي[٥]: لم أرَه بهذا اللفظ.

قلت: هو معنىٰ الحديث الذي يليه:

(وقال ﷺ: **لا يؤمن أحدكم**) إيمانًا[٦] كاملاً، ونفيُ اسم الشيء بمعنىٰ نفي الكمال عنه مستفيض في كلامهم، وخُصُّوا بالخطاب لأنهم الموجودون إذ ذاك، والحكم عام (**حتىٰ يحب لأخيه**) في الإسلام من الخير، كما هو في رواية النسائي وغيره (**ما يحب لنفسه**) من ذلك؛ ليكون المؤمنون كنفس واحدة، ومَن زعم - كابن الصلاح[٧] - أن هذا من الصعب الممتنع، غفل عن المعنىٰ المراد وهو أن يحب له حصول مثل ذلك من جهة لا يزاحمه فيها، وبه دُفع ما قيل: هذه

---

(١) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٣/ ٥٧١.

(٢) الضعفاء الكبير ١/ ١١٣.

(٣) مكارم الأخلاق ص ٢١٧.

(٤) حلية الأولياء ٦/ ٣٣٧.

(٥) المغني ١/ ٥١٤.

(٦) فيض القدير ٦/ ٤٤١ - ٤٤٢.

(٧) لم يزعم ذلك ابن الصلاح، وإنما ذكره وأنكره، ونصه في كتاب صيانة صحيح مسلم ص ٢٠٤ (ط - دار الغرب الإسلامي): «هذا الحديث قد يُعَد من الصعب الممتنع، وليس كذلك؛ إذ معناه والله أعلم: لا يكمل إيمان أحدكم حتىٰ يحب لأخيه في الإسلام مثل ما يحب لنفسه، والقيام بذلك يحصل بأن يحب له حصول مثل ذلك من جهة لا يزاحمه فيها بحيث لا ينقص النعمة علىٰ أخيه شيئا من النعمة عليه، وذلك سهل علىٰ القلب السليم، وإنما يعسر علىٰ القلب الدغل».

محبة عقلية لا تكليفية طبيعية؛ لأن الإنسان جُبل على حب الاستئثار، فتكليفه بأن يحب له مثل ما يحبه لنفسه مفضٍ إلىٰ أن لا يكمُل إيمانُ أحد إلا نادرًا، وذِكرُ الأخ غالبيٌّ، فالمسلم ينبغي له أن يحب للكافر الإسلامَ وما يترتَّب عليه من الخيور والأجور، ومقصود الحديث انتظام أحوال المعاش والمعاد والجري علىٰ قانون السداد ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٣] رواه ابن المبارك[١] والطيالسي[٢] وأحمد[٣] وعبد بن حميد[٤] والشيخان[٥] والترمذي[٦] - وقال: صحيح - والنسائي[٧] وابن ماجه[٨] والدارمي[٩]، كلهم من حديث أنس، لكن لفظ رواية مسلم «حتىٰ يحب لأخيه، أو قال: لجاره». ورواية البخاري وغيره «لأخيه» بغير شك. وفي رواية لأحمد «وحتىٰ يحب المرءَ لا يحبه إلا لله». ورواه ابن عساكر[١٠] من حديث أسد بن عبد الله بن يزيد القسري عن أبيه عن جدِّه بلفظ المصنف مع زيادة.

(وقال ﷺ: **إن أحدكم مرآة أخيه**) أي[١١] هو بمنزلة المرآة التي يرىٰ فيها ما

---

(١) الزهد والرقائق ص ٢١٧.

(٢) مسند الطيالسي ٣/ ٤٩٧.

(٣) مسند أحمد ٢٠/ ١٩٣، ٣٩٤، ٢١/ ٢٢٨، ٣٥٣، ٣٨٩، ٤٦١.

(٤) المنتخب من مسند عبد بن حميد ٢/ ٢١٨.

(٥) صحيح البخاري ١/ ٢١. صحيح مسلم ١/ ٤٠ - ٤١.

(٦) سنن الترمذي ٤/ ٢٨٤.

(٧) سنن النسائي ص ٧٦٢، ٧٦٥.

(٨) سنن ابن ماجه ١/ ٩٠.

(٩) سنن الدارمي ٢/ ٣٩٧.

(١٠) تاريخ دمشق ٨/ ٣١٣ من طريق سلم بن قتيبة بن مسلم قال: خطبنا أسد بن عبد الله بن يزيد بن أسد علىٰ منبر مرو وهو علىٰ راية خراسان فقال في خطبته: حدثني أبي عن جدي أن النبي ﷺ قال: لا يؤمن أحد حتىٰ يحب لأخيه ما يحب لنفسه، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، ولا يؤمن أحدكم حتىٰ يأمن جاره شره».

(١١) فيض القدير ٢/ ٤١٦.

به من شعث فيصلحه (**فإذا رأىٰ به**) بنحو بدنه أو ملبوسه (**شيئًا**) من الأذىٰ كمخاط وبصاق وتراب (**فليُمِطْه**) أي فلْيُزِلْه (**عنه**) ندبًا، فإنَّ بقاءه يشينه، والظاهر أنه يشمل الأذىٰ المعنوي أيضًا كما لو رأىٰ بعِرضه ما يشينه فيزيله عنه بإرشاده له إلىٰ ذلك، لكن يبعده زيادته في بعض الروايات «وليُرِه إياه»، إلا أن يقال: أراد برؤياه ما يعمُّ توقيفَه عليه ليجتنبه.

قال العراقي[1]: رواه أبو داود والترمذي، وقد تقدم.

قلت: الذي تقدم من حديث أبي هريرة لفظه: «المؤمن مرآة المؤمن، والمؤمن أخو المؤمن، يكفُّ عليه ضيعتَه، ويحوطه من ورائه». وهذا الذي رواه أبو داود، وقد رُوي مثل ذلك عن أنس أيضًا لكن بأول الحديث فقط، والذي ذكره المصنف هنا فمن رواية الترمذي خاصةً عن أبي هريرة.

(**وقال ﷺ: مَن قضىٰ حاجة لأخيه فكأنَّما خدم اللهَ تعالىٰ عمرَه**) أي[2] فينبغي لمَن عزم علىٰ معاونة أخيه في قضاء حاجاته أن لا يجبن عن إنفاذ قوله وصدعه بالحق إيمانًا بأن الله تعالىٰ في عونه.

قال العراقي[3]: رواه البخاري في التاريخ[4] والطبراني[5] والخرائطي[6] كلاهما في مكارم الأخلاق من حديث أنس بسند ضعيف.

---

(١) المغني ١/ ٥١٤ - ٥١٥.

(٢) فيض القدير ٦/ ٢٠٥.

(٣) المغني ١/ ٥١٥.

(٤) التاريخ الكبير ٨/ ٤٣.

(٥) مكارم الأخلاق ص ٣٤٣.

(٦) مكارم الأخلاق ص ٥٢.

(وقال يزيد بن معاوية) يكنىٰ[1] أبا خالد، ولي الخلافةَ سنة ستين، ومات سنة أربع وستين ولم يكمل الأربعين، وليس بأهل أن يُروَىٰ عنه، له ذِكرٌ في مراسيل أبي داود **(أرسل معاوية)** بن أبي سفيان الأموي، يعني والده رضي الله عنه **(إلىٰ الأحنف بن قيس)** التميمي رضي الله عنه، يكنىٰ أبا بحر **(فلما صار إليه قال له)** معاوية: **(يا أبا بحر، ما تقول في الولد)**؟ أي في منزلته من أبيه **(قال: يا أمير المؤمنين، ثمار قلوبنا، وعماد ظهورنا، ونحن لهم أرض ذليلة)** أي منقادة **(وسماء ظليلة)** أي مظلِّلة **(وبهم نَصُول)** أي نحمل **(علىٰ كل جليلة، فإن طلبوا)** مالاً **(فأعطِهم، وإن غضبوا فأرْضِهم، يمنحوك ودَّهم)** أي حبهم وميلهم **(ويحبوك جهدهم)** أي علىٰ قدْر طاقتهم **(ولا تكن عليهم ثقلاً)** وفي نسخة: قفلاً. أي لا تقفل عنهم باب العطاء **(فيملُّوا حياتك ويحبُّوا وفاتك ويكرهوا قُربك. فقال له معاوية: لله أنت يا أحنف! لقد دخلت عليَّ وأنا مملوء غيظًا وغضبًا علىٰ يزيد)** لأنه كان وجد عليه في شيء أنكر عليه ذلك **(فلما خرج الأحنف من عنده رضي)** معاوية **(عن يزيد)** وليته لم يرضَ عنه؛ لِما كان منه من سفك الدماء وتخريب الأرض، ولو لم يكن في صحيفة أعماله إلا واقعة الحَرَّة لكفتْه، ولكن كان ذلك في الكتاب مسطورًا، وكان أمر الله قدرًا مقدورًا **(وبعث إليه بمائتي ألف درهم ومائتي ثوب، فأرسل يزيد إلىٰ الأحنف)** منها **(بمائة ألف درهم ومائة ثوب، فقاسمَه إياها علىٰ الشطر)**[2] أي علىٰ النصف.

(فهذه هي الأخبار الدالَّة علىٰ تأكُّد حق الوالدين، وكيفية القيام بحقِّهما تُعرَف ممَّا ذكرناه في حق الأخوَّة، فإن هذه الرابطة آكَدُ من) رابطة **(الأخوَّة، بل يزيد ههنا أمران:**

---

(١) تقريب التهذيب ص ١٠٨٣.

(٢) القصة مطولة ومختصرة في: المجالسة وجواهر العلم للدينوري ٣/ ٤٨٤. النفقة علىٰ العيال لابن أبي الدنيا ص ٣٠٨. تاريخ دمشق لابن عساكر٦٥/ ٤٠٢ - ٤٠٣. العقد الفريد لابن عبد ربه٢/ ٢٧٣. عيون الأخبار لابن قتيبة ٣/ ١٠٥. ربيع الأبرار للزمخشري ٤/ ٢٦٤.

أحدهما: أن أكثر العلماء علىٰ أن طاعة الأبوين واجبة في الشبهات، وإن لم تجب في الحرام المحض، حتىٰ إذا كانا لا ينعمان) وفي نسخة: يتنغَّصان (**بانفرادك عنهما بالطعام فعليك أن تأكل معهما؛ لأن ترك الشبهة ورع، ورضا الوالدين حتم)** واجب (**وكذلك ليس لك أن تسافر في مباح أو نافلة إلا بإذنهما، والمبادرة إلىٰ الحج الذي هو فرض الإسلام نفل؛ لأنه)** مأمور به (**علىٰ التأخير**) والتراخي لا علىٰ الفور، وفيه خلاف نُقل في كتاب الحج (**والخروج لطلب العلم نفلٌ إلا إذا كنت تطلب علم الفرض من الصلاة والصوم ولم يكن في بلدك من يعلِّمك، وذلك كمن يُسلِم ابتداءً في بلدة ليس فيها من يعلِّمه شرع الإسلام فعليه الهجرة، ولا يتقيَّد بحق الوالدين**) ونقل بعض أصحابنا ممَّن تأخر عصره في كتابه «مرشد المتأهل»[١] ما لفظه: كل[٢] ما لا تأمن من الهلاك مع جهله فطلبُ علمه فرض عين لا يسوغ لك تركُه وإن منعك أبواك عن طلبه، سواء كان من الأمور الاعتقادية كمعرفة الصانع وصفاته وما يجب له وما يستحيل عليه وما يجوز وأن محمدًا عبده ورسوله الصادق في أفعاله وأقواله، أو من الطاعات التي تتعلَّق بالظاهر كالطهارة والصلاة والصيام وغيرها، أو ما يتعلق بالباطن كالنية والإخلاص والتوكُّل والصبر والشكر وغيرها، أو من المعاصي ممَّا يتعلق بالظاهر[٣] كشرب الخمر وأكل الحرام والربا وغير ذلك، أو بالفرْج كالزنا، أو باليد كالسرقة، أو ما يتعلق منها بالباطن كالحسد والكِبْر والرياء وسوء الظن وغير ذلك، فإنَّ معرفة هذه الأشياء فرض عين ويجب عليه طلبُها وإن لم يأذن له أبواه، وأما ما سوىٰ ذلك من العلوم فقيل: لا يجوز له الخروج لطلبه إلا بإذنهما. وكذلك لا يجوز طلب قراءة القرآن إلا بإذنهما إلا مقدار ما لا تجوز الصلاة بدونه، وقيل: لا بأس بالسفر علىٰ قصد التعلُّم إذا كان الطريق

---

(١) مرشد المتأهل: مختصر علىٰ تسعة فصول لمحمد بن محمد الأزنيقي التركي الحنفي المتوفى سنة ٨٨٥. كشف الظنون ٢/ ١٦٥٥. الأعلام ٧/ ٥٠.

(٢) من هنا إلىٰ قوله (إلا بإذنهما) ذكره إسماعيل حقي في روح البيان ٢/ ١٧٣ مع زيادة ونقص.

(٣) في المطبوعة: (باللسان) والتصويب من روح البيان، ويدل عليه السياق أيضا.

(وقال ﷺ: **مَن فرّج عن مؤمن مغموم**): الذي أصابه الغمُّ (**أو أغاث ملهوفًا**) أي مكروبًا (**غفر الله له ثلاثًا وسبعين مغفرة**) قال العراقي[١]: رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق[٢] وابن حبان في الضعفاء[٣] وابن عدي[٤] من حديث أنس بلفظ «مَن أغاث ملهوفًا».

قلت: وكذلك رواه البخاري في التاريخ[٥] وابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج[٦] والبيهقي[٧] والخطيب[٨] وابن عساكر[٩] باللفظ المذكور، وفي أخرىٰ زيادة: «منها واحدة بها صلاح أمره كله، واثنتان وسبعون درجات له عند الله يوم القيامة». والبيهقي رواه عن أبي طاهر، عن أبي داود الخَفَّاف، عن غسَّان بن المفضَّل، عن عبد العزيز بن عبد الصمد العَمِّي، عن زياد بن أبي حسان، عن أنس. وأخرجه البخاري في تاريخه في ترجمة عبَّاد بن عبد الصمد[١٠] وقال: هو منكَر الحديث. وقال في الميزان: زياد وهَّاه ابن حبان وقال: حدَّث عن أنس بنسخة أكثرها موضوع. ثم ساق منها هذا الخبر[١١]. وحكم ابن الجوزي[١٢]

---

(١) المغني ١/ ٥١٥.

(٢) مكارم الأخلاق ص ٤٨.

(٣) المجروحون من المحدثين ١/ ٣٨٣، ٢/ ١٦٢.

(٤) الكامل في الضعفاء ٣/ ١٠٥٢، ٦/ ٢٤٣٣.

(٥) التاريخ الكبير ٣/ ٣٥٠.

(٦) قضاء الحوائج ص ٣٦، ٧٤.

(٧) شعب الإيمان ١٠/ ١٢٣.

(٨) تاريخ بغداد ٦/ ٥٣٩.

(٩) تاريخ دمشق ١٩/ ١٣٨ - ١٣٩.

(١٠) بل في ترجمة زياد بن أبي حسان، وقال: «كان شعبة يتكلم فيه».

(١١) الذي في ميزان الاعتدال ٢/ ٨٨: «زياد بن أبي حسان النبطي الواسطي، قال الحاكم: روىٰ عن أنس وغيره أحاديث موضوعة، وروىٰ عن عمر بن عبد العزيز أيضا، كان شعبة شديد الحمل عليه وكذبه، وقال الدارقطني: متروك، وقال أبو حاتم وغيره: لا يحتج به». أما الكلام المذكور فهو في الميزان ٢/ ٣٦٩ في ترجمة عباد بن عبد الصمد. وانظر: المجروحين لابن حبان ٢/ ١٦١ - ١٦٢.

(١٢) الموضوعات ٢/ ١٧١.

بوضعه، وتعقَّبه الجلال[١] وقال: إن له شاهدًا. وفي رواية: حسنة، بدل: مغفرة. وهكذا رواه أبو يعلىٰ[٢] والعقيلي[٣] وابن عساكر، وفي سند كلٍّ منهم زياد بن أبي حسان المذكور. وللحديث طريق آخر ليس فيه زياد، وهو ما أخرجه ابن عساكر[٤] من طريق عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين عن أنس، ولفظه: «مَن أغاث ملهوفًا إغاثةً غفر الله له ثلاثًا وسبعين مغفرة، واحدة في الدنيا، واثنتين وسبعين في الدرجات العلَىٰ من الجنة ...» الحديث.

(**وقال** ﷺ: **انصرْ أخاك**) في[٥] الدين (**ظالمًا**) بمنعه من الظلم، من تسمية الشيء بما يؤول إليه، وهو من وجيز البلاغة (**أو مظلومًا**) بإعانته علىٰ ظالمه وتخليصه منه (**فقيل**) أي قال راويه: (**كيف ننصره ظالمًا**) يا رسول الله؟ (**قال: تمنعه من الظلم**) وتحول بينه وبينه، فإنَّ ذلك نصرة له؛ لأنه لو تُرِك علىٰ ظلمه جرَّه إلىٰ الاقتصاص منه، فمنعه من وجوب القَوَد نصرةٌ له، وهذا من قبيل الحكم للشيء وتسميته بما يؤول إليه، وهو من وجيز البلاغة. رواه البخاري في الصحيح[٦] من طريق معتمر بن سليمان عن حميد عن أنس به مرفوعًا، وفيه: قالوا: يا رسول الله، هذا ننصره مظلومًا، فكيف ننصره ظالمًا؟ فقال: «تأخذ فوق يديه». وفي لفظ المغيرة: «تمنعه من الظلم فذاك نصرك إياه». ورواه البخاري أيضًا مختصرًا من طريق هُشَيم عن حميد الطويل وعبيد الله بن أبي بكر بن أنس سمعا أنسًا به، بل أخرجه في الإكراه من حديث عبيد الله فزاد: فقال رجل: يا رسول الله، أنصره إذا كان مظلومًا، أفرأيتَ إذا كان ظالمًا كيف أنصره؟ قال: «تحجزه - أو

---

(١) اللآلئ المصنوعة ٢/ ٨٦.

(٢) مسند أبي يعلىٰ ٧/ ٢٥٥.

(٣) الضعفاء الكبير ٢/ ٤٣١. وفيه: مغفرة.

(٤) تاريخ دمشق ٥٣/ ١١٨.

(٥) فيض القدير ٣/ ٥٨ - ٥٩.

(٦) صحيح البخاري ٢/ ١٩٠، ٤/ ٢٨٧.

تمنعه - من الظلم، فإنَّ ذلك نصرُه». وقد رواه أيضًا أحمد[١] والترمذي[٢]. وعند مسلم[٣] من وجه آخر، وفيه بيان سببه، فرواه في الأدب من طريق زهير عن أبي الزبير عن جابر قال: اقتتل غلامان غلام من المهاجرين وغلام من الأنصار، فنادىٰ المهاجري: يا للمهاجرين، ونادىٰ الأنصاري: يا للأنصار. فقال: «ما هذا؟ دعوىٰ أهل الجاهلية»؟! قالوا: لا يا رسول الله، إلا أن غلامين اقتتلا فكسع أحدُهما الآخَر. فقال: «لا بأس، ولينصر الرجل أخاه ظالمًا أو مظلومًا، إن كان ظالمًا فلينْهَه فإنه له نصرة، وإن كان مظلومًا فلينصره». ورواه الدارمي[٤] وابن عساكر[٥] من حديث جابر بلفظ: «انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا، إن يكُ ظالمًا فارددْه عن ظلمه، وإن يك مظلومًا فانصره».

(وقال ﷺ: إن من أحب الأعمال إلىٰ الله) تعالىٰ **(إدخال السرور علىٰ قلب)** أخيه **(المؤمن، أو أن يفرِّج عنه غمًّا)** أي يكشفه عنه بالقول أو بالفعل أو بهما أو بالمال **(أو يقضي عنه دَينًا)** بأن يُرضِي غريمه بما عليه **(أو يُطعِمه من جوع)** قال العراقي[٦]: رواه الطبراني في الصغير[٧] والأوسط[٨] من حديث عمر بسند ضعيف.

---

(١) مسند أحمد ١٩/ ١٤، ٢٠/ ٣٦٣.

(٢) سنن الترمذي ٤/ ١٠٦.

(٣) صحيح مسلم ٢/ ١٢٠٠.

(٤) سنن الدارمي ٢/ ٤٠١، ولفظه: «لينصر الرجل أخاه ظالما أو مظلوما، فإن كان ظالما فلينهه فإنه له نصرة، وإن كان مظلوما فلينصره».

(٥) تاريخ دمشق ١٣/ ٣٤٥.

(٦) المغني ١/ ٥١٦.

(٧) المعجم الصغير ٢/ ١٠٦، ولفظه: «أحب الأعمال إلىٰ الله سرور تدخله علىٰ مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه دينا، أو تطرد عنه جوعا».

(٨) المعجم الأوسط ٥/ ٢٠٢، ولفظه: «سئل رسول الله ﷺ: أي الأعمال أفضل؟ قال: إدخالك السرور علىٰ مؤمن أشبعت جوعته، أو كسوت عريه، أو قضيت له حاجة».

قلت: وروىٰ الطبراني في الكبير[١] من حديث ابن عباس: «أحبُّ الأعمالِ إلىٰ الله بعد الفرائض إدخال السرور علىٰ المسلم». وروىٰ[٢] أيضًا من حديث الحكم بن عمير: «أحب الأعمال إلىٰ الله مَن أطعم مسكينًا من جوع أو دفع عنه مَغرمًا أو كشف عنه كربًا». وفي سند الأول إسماعيل بن عمرو البَجَلي، وثَّقه ابن حبان[٣]، وضعَّفه غيرَه. وفي الثاني سليمان بن سلمة الخبائري، وهو ضعيف.

(وقال ﷺ: **مَن حمىٰ مؤمنًا من منافق يعنته**) أي يؤذيه ويوقعه في العَنَت وفي الشدة. هكذا في النسخ، وفي بعضها: يغتابه (**بعث الله له مَلَكًا يحمي لحمه**) يوم القيامة (**من نار جهنم**) رواه ابن المبارك وأحمد وأبو داود وابن أبي الدنيا في ذم الغيبة والطبراني عن سهل بن معاذ بن أنس الجُهَني عن أبيه، وقد تقدم قريبًا. ولم يذكره العراقي.

(وقال ﷺ: **خصلتان ليس فوقهما شيء من الشر: الشرك بالله والضر لعباد الله. وخصلتان ليس فوقهما شيء من البِر: الإيمان بالله والنفع لعباد الله**) قال العراقي[٤]: ذكره صاحب الفردوس[٥] من حديث عليٍّ، ولم يسنده ولدُه في مسنده.

قلت: وقد نظمه الشاعر[٦]:

كنْ كيف شئتَ فإن الله ذو كرم وما عليك إذا أذنبتَ من باس

(١) المعجم الكبير ١١/ ٧١.

(٢) السابق ٣/ ٢٤٥.

(٣) الثقات ٨/ ١٠٠.

(٤) المغني ١/ ٥١٦.

(٥) الفردوس بمأثور الخطاب ٢/ ١٩٩.

(٦) هو شرف الدين أحمد بن محمد بن أبي الوفاء الموصلي المعروف بابن الحلاوي، والبيتان في ذيل مرآة الزمان ١/ ١٠٠ لأبي الفتح اليونيني (ط - مطبعة دائرة المعارف العثمانية بالهند). وعجز البيت الأول فيه هكذا: وما عليك بما تأتيه من باس

إلا اثنتان فلا تقربهما أبدًا الشرك بالله والإضرار بالناس

(وقال ﷺ: **مَن لم يهتم للمسلمين فليس منهم**) قال العراقي[١]: رواه الحاكم[٢] من حديث حذيفة، والطبراني في الأوسط[٣] من حديث أبي ذر، وكلاهما ضعيف.

قلت: ورواه الطبراني في الأوسط[٤] أيضًا من حديث حذيفة، ولفظه: «من لا يهتم بأمر المسلمين فليس منهم، ومَن لم يصبح ويُمْسِ ناصحًا لله ورسوله ولكتابه ولإمامه وعامَّة المسلمين فليس منهم».

(وقال) أبو محفوظ (**معروف**) بن فيروز (**الكَرْخي**) قدَّس الله سره: (**من قال: اللهم أصلِحْ أحوال أمة محمد، اللهم ارحم أمة محمد، اللهم فرِّج عن أمة محمد، كل يوم ثلاث مرات كتبه الله من الأبدال**)[٥] جمع[٦] بدل، وهم طائفة من الأولياء، كأنهم أرادوا أنهم أبدال الأنبياء وخلفاؤهم، وهم عند القوم سبعة لا يزيدون ولا ينقصون؛ قاله أبو البقاء[٧].

---

(١) المغني ١/ ٥١٦.

(٢) المستدرك على الصحيحين ٤/ ٤٥٩. قال الذهبي في التلخيص: «إسحاق بن بشر عدم، وأحسب الخبر موضوعا». ورواه ٤/ ٤٦٣ من حديث ابن مسعود. قال الذهبي: «إسحاق بن بشر ومقاتل بن سليمان ليسا بثقتين ولا صادقين».

(٣) المعجم الأوسط ١/ ١٥١.

(٤) السابق ٧/ ٢٧٠.

(٥) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٨/ ٣٦٦، وفيه: عشر مرات.

(٦) التوقيف على مهمات التعاريف ص ٣٦.

(٧) في شرح ديوان المتنبي لأبي البقاء العكبري ٣/ ١٩٦ (ط - مصطفى البابي الحلبي): «الأبدال جمع بدل وبديل، وهذا جمع فعيل على أفعال، وهم العبَّاد، سُموا أبدالا لأنهم أبدال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في إجابة دعواتهم ونصحهم للخلق، وقيل: إذا مات أحدهم أبدل الله مكانه آخر، فهم لا ينقصون حتى تقوم الساعة، ويقال: هم أربعون رجلا في أقطار الأرض».

وقال أبو نعيم في الحلية[1]: حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا محمد بن الخزر الطبراني، حدثنا سعيد بن أبي زيدون، حدثنا عبد الله بن هارون الصوري، حدثنا الأوزاعي، عن الزهري، عن نافع، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «خيار أمَّتي في كل قرن خمسمائة، والأبدال أربعون، فلا الخمسمائة ينقصون ولا الأربعون، كلما مات رجل أبدل الله من الخمسمائة مكانه وأدخَل من الأربعين مكانهم». قالوا: يا رسول الله، دُلَّنا على أعمالهم. قال: «يعفون عمَّن ظلمهم، ويُحسِنون إلىٰ مَن أساء إليهم، ويتواسون فيما آتاهم الله تعالىٰ».

وروىٰ من طريق الثوري عن منصور عن إبراهيم عن الأسود عن عبد الله رفعه: «إن لله في الخلق ثلاثمائة ...» ثم ساق الحديث، وفيه: «ويدْعون فيُرفَع بهم أنواع البلاء».

والدعاء المذكور مشهور بـ «دعاء الأبدال»، وإن زاد الداعي «ﷺ» عند ذِكر اسمه الشريف فحسن، ويُروَىٰ بدل الجملة الثالثة: اللهم تجاوزْ عن أمَّة محمد ﷺ. وقد أوصىٰ المشايخ بهذا الدعاء لمريديهم رجاءَ حصول البركة في اللحوق بهم وإن لم يكونوا مثلهم.

ومن هذا النمط أيضًا: اللهم احفظ ما خلقتَ، وبارك فيما رزقت، ولا تسلب ما أنعمت، ولا تهتك ما سترتَ، أصبحت بين العباد ما لي مراد، سبحان مَن له المراد فيما يريد. فهذا أيضًا من دعائهم، من قاله كل يوم ثلاث مرات كتبه الله منهم.

(**وبكىٰ علي بن الفضيل**) بن[2] عياض التميمي رحمه الله تعالىٰ، من العلماء العاملين، صدوق، روىٰ عن عبد العزيز بن أبي رَوَّاد وغيره، وعنه أبوه والقدماء، ومات قبل أبيه، سمع آية فمات، روىٰ له النسائي ووثَّقه (**يومًا، فقيل له: ما يبكيك؟**

---

(١) حلية الأولياء ١/ ٨ - ٩.

(٢) تهذيب الكمال ٢١/ ٩٦ - ١٠٦.

فقال: **أبكي علىٰ مَن ظلمني إذا وقف غدًا بين يدي الله تعالىٰ وسُئل عن ظلمه)** لِمَ ظلمتَ فلانًا؟ (**ولم تكن له حُجة**) فكأنَّه بكاء شفقةً عليه ورحمة له، وهذا من أوصاف الأبدال.

(**ومنها: أن يعود مرضاهم**) أي يأتي إلىٰ زيارتهم (**والمعرفة والإسلام كافٍ**) وفي نسخة: كافيان (**في إثبات هذا الحق ونيل فضله**) أي التعارف الظاهر وكونه مسلمًا، والظاهر أن كلاًّ منهما شرط، فإذا عدم أحدهما سقط حق العيادة (**وأدب العائد**) للمريض: (**خفة الجلسة**) عنده لئلاَّ يمل المريضُ منه، فقد روىٰ[1] الديلمي من حديث أبي هريرة: «من تمام العيادة خفَّة القيام عند المريض» (**وقلة السؤال**) عن أحواله، فإنَّ كثرته ربما تضجره (**وإظهار الرقة**) له (**والدعاء**) له (**بالعافية، وغض البصر عن عورات الموضع**) أي لا يتطلَّع إلىٰ ما في الموضع من فُرُش وأوانٍ وغيرها، ولا يرفع بصره إلىٰ جوانب الموضع، فإن هذا ربما يكدِّر خاطرَ المريض. ومن جملة آدابه: أنه إذا جلس عنده فعُرض عليه طعام أو شراب فلا يأكل ولا يشرب، فقد روىٰ الديلمي[2] من حديث أبي أمامة: «إذا عاد أحدكم مريضًا فلا يأكل عنده [شيئًا] فإنه حظه من عيادته» (و) آدابه (**عند الاستئذان**): أن (**لا يقابل البابَ**) في وقوفه، فإنه ربما يقع بصره عند فتحه علىٰ ما لا يحل له النظر إليه، بل يقف في طرف منه (و) إذا دق الباب (**يدق برفق**) ولين لا بإزعاج (**ولا يقول «أنا» إذا قيل له: مَن**) بالباب؟ فقد ورد النهيُ عن ذلك، وأول من قال «أنا» الشيطان (**ولا يقول: يا غلام**) يا ولد، يا جارية (**لكن يحمد ويسبِّح ويهلِّل**) معلنًا بذلك، وإن قال: فلان ابن فلان، لا بأس بذلك؛ لأن المقصود الإعلام، وهو يحصل بذكر الاسم أكثر من التسبيح، وإن جمع بينهما فحسن (**قال ﷺ: تمام عيادة المريض أن يضع أحدهم يده علىٰ جبهته، - أو**) قال: (**علىٰ يده - ويسأله: كيف هو؟ وتمام تحياتكم**

---

(١) كنز العمال ٩/ ١٠٣.

(٢) الفردوس بمأثور الخطاب ١/ ٣٠٤.

المصافحة) وفي لفظ «وتمام تحيتكم بينكم المصافحة». رواه أحمد[١] والترمذي[٢] وضعَّفه وابن أبي الدنيا[٣] والبيهقي[٤] من حديث أبي أمامة بلفظ «من تمام». ورواه الأخيران[٥] أيضًا بلفظ: «من تمام عيادة أحدكم أخاه أن يضع يده عليه فيسأله كيف أصبح وكيف أمسىٰ». وعند الطبراني في الكبير[٦] من حديث أبي رهم: «وإن من الحسنات عيادة المريض، وإن من تمام عيادته أن تضع يدك عليه وتسأله كيف هو». ومن[٧] حديث أبي أمامة أيضًا بلفظ المصنف. وكلٌّ من السياقين في أثناء الحديث. وأما الجملة الأخيرة من الحديث فقد تقدم ذِكرُها في أول الباب.

(وقال ﷺ: مَن عاد مريضًا قعد في مخارف الجنة) جمع مَخْرَف: موضع الاختراف، وخَرَف الثمارَ واخترفها: قطعها وجناها[٨]. والمراد بمخارف الجنة: مجاني ثمارها **(حتىٰ إذا قام وكَّل الله به سبعين ألف مَلَك يصلُّون عليه)** أي يستغفرون له **(حتىٰ الليل)** قال العراقي[٩]: رواه أصحاب السنن[١٠] والحاكم[١١] من حديث علي: «مَن أتىٰ أخاه المسلمَ عائدًا مشىٰ في خِرافة الجنة حتىٰ يجلس، فإذا جلس غمرته الرحمةُ، فإن كان غدوة صلىٰ عليه سبعون ألف مَلَك حتىٰ يمسي،

---

(١) مسند أحمد ٣٦/ ٥٧٢.

(٢) سنن الترمذي ٤/ ٤٤٩.

(٣) المرض والكفارات ص ٩١ (ط - الدار السلفية بالهند).

(٤) شعب الإيمان ١١/ ٤٢٣.

(٥) المرض والكفارات ص ٧٠. شعب الإيمان ١١/ ٤٢٤.

(٦) المعجم الكبير ٢٢/ ٣٣٦.

(٧) السابق ٨/ ٢٥١.

(٨) انظر: المصباح المنير ص ١٦٧.

(٩) المغني ١/ ٥١٦.

(١٠) سنن أبي داود ٤/ ١١ - ١٢. سنن الترمذي ٢/ ٢٩١. سنن ابن ماجه ٣/ ١١. السنن الكبرىٰ للنسائي ٧/ ٥٢.

(١١) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٤٩٥.

وإن كان مساء ...» الحديث. لفظ ابن ماجه، وصحَّحه الحاكم، وحسَّنه الترمذي. ولمسلم[١] من حديث ثوبان: «مَن عاد مريضًا لم يزل في خرافة الجنة».

قلت: وبقية حديث ابن ماجه: «وإن كان مساء صلىٰ عليه سبعون ألف مَلَك حتىٰ يصبح». ولفظ البيهقي[٢] من حديث علي: «مَن عاد مريضًا قعد في خِراف الجنة، فإذا قام من عنده وُكِّل به سبعون ألف مَلَك يصلُّون عليه حتىٰ الليل». وهذا أقرب إلىٰ سياق المصنف. وفي لفظ عنده[٣] من حديثه أيضًا: «مَن عاد مريضًا مشىٰ في خِراف الجنة، فإذا جلس عنده استنقع في الرحمة، فإذا خرج من عنده وكَّل اللهُ به سبعين ألف مَلَك يستغفرون له ويحفظونه ذلك اليوم». ولفظ[٤] ابن النجار من حديثه: «مَن عاد مريضًا ابتغاء مرضاة الله وتنجيز موعود الله ورغبة فيما عنده وكَّل الله به سبعين ألف مَلَك يصلُّون عليه، إن كان صباحًا حتىٰ يمسي، وإن كان مساء حتىٰ يصبح»[٥]. ولفظ ابن صصرَىٰ في أماليه من حديثه: «مَن عاد مريضًا إيمانًا بالله واحتسابًا وتصديقًا بكتابه وكَّل الله به سبعين ألف مَلَك يصلُّون عليه من حيث يصبح حتىٰ يمسي، ومن حيث يمسي حتىٰ يصبح، وكان ما كان قاعدًا عنده في خِراف الجنة»[٦].

وقد رُوي نحو ذلك من حديث ابن عباس، ولفظه عند الطبراني في الكبير[٧]: «مَن عاد مريضًا خاض في الرحمة، فإذا جلس إليه غمرته الرحمةُ، فإن عاده من أول

---

(١) صحيح مسلم ٢/ ١١٩٥ - ١١٩٦.

(٢) شعب الإيمان ١١/ ٤٠٥.

(٣) السابق ١١/ ٤٠٨.

(٤) كنز العمال ٩/ ١٠٠ - ١٠١.

(٥) رواه ابن أبي الدنيا في المرض والكفارات ص ١٢٤، ولكن عنده بعد قوله «يصلون عليه»: «حتىٰ يدخل بيته».

(٦) وهكذا رواه أيضا قوام السنة في الترغيب والترهيب ٣/ ٨٥.

(٧) المعجم الكبير ١١/ ١٩٨.

النهار استغفر له سبعون ألف مَلَك حتىٰ يمسي، وإن عاده من آخر النهار استغفر له سبعون ألف مَلَك حتىٰ يصبح». قيل: يا رسول الله، هذا للعائد، فما للمريض؟ قال: «أضعاف ذلك».

وأما حديث ثوبان فقد رواه أيضًا أحمد[1] وابن جرير والطبراني في الكبير[2] بزيادة: قيل: يا رسول الله، وما خِرافة الجنة؟ قال: «جَناها». ورواه الطبراني وابن جرير أيضًا بزيادة «حتىٰ يرجع». وفي لفظ لمسلم أيضًا: «عائد المريض يمشي في مَخرفة الجنة حتىٰ يرجع». وهكذا رواه أيضًا ابن جرير وابن قانع[3].

(وقال ﷺ: إذا عاد الرجلُ المريضَ خاض في الرحمة، فإذا قعد عنده قرَّتْ فيه) قال العراقي[4]: رواه الحاكم[5] والبيهقي[6] من حديث جابر وقالا «انغمس فيها»، قال الحاكم: صحيح علىٰ شرط مسلم. وكذا صحَّحه ابن عبد البر[7]، وذكره مالك في الموطأ[8] بلاغًا بلفظ «قرَّت فيه». ورواه الواقدي بلفظ «استقرَّ فيها». وللطبراني في الصغير[9] من حديث أنس: «فإذا قعد عنده غمرته الرحمة». وله في الأوسط[10] من حديث كعب بن مالك وعمرو بن حزم «استنقع فيها».

قلت: لفظ حديث جابر: «مَن عاد مريضًا خاض في رحمة الله، فإذا جلس

---

(١) مسند أحمد ٣٧/ ٧٣، ١٠١.

(٢) المعجم الكبير ٢/ ١٠١.

(٣) معجم الصحابة ١/ ١١٩. وليس فيه (حتىٰ يرجع).

(٤) المغني ١/ ٥١٧.

(٥) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٤٩٥.

(٦) السنن الكبرىٰ ٣/ ٥٣٤.

(٧) التمهيد ٢٤/ ٢٧١، وعبارته: «هذا الحديث محفوظ عن جابر من رواية أهل المدينة».

(٨) الموطأ ٢/ ٩٤٦.

(٩) المعجم الصغير ١/ ٣١٤.

(١٠) المعجم الأوسط ١/ ٢٧٧، ٥/ ٢٧٣.

انغمس فيها». وهكذا رواه أحمد[١] والنسائي[٢] والبخاري في الأدب المفرد[٣] والحارث بن أبي أسامة[٤] وابن منيع والبزار[٥] والبخاري في التاريخ[٦] وابن حبان[٧] والضياء في المختارة.

وهكذا رواه الطبراني في الأوسط[٨] من حديث أبي هريرة.

وأما حديث أنس عند الطبراني في الصغير فلفظه: «مَن عاد مريضًا خاض في الرحمة حتىٰ تبلغه، فإذا قعد عنده غمرته الرحمةُ».

وهكذا رواه أيضًا في الكبير من حديث ابن عباس مع زيادة في آخره تقدم ذِكرُها قبل هذا الحديث.

ورواه بهذا اللفظ أيضًا ابن عساكر في التاريخ[٩] من حديث عثمان بن عفان.

ورواه أحمد[١٠] وابن أبي الدنيا[١١] والطبراني[١٢] والبيهقي[١٣] من حديث أبي أمامة.

---

(١) مسند أحمد ٢٢/ ١٦٢.

(٢) لم أقف عليه عند النسائي.

(٣) الأدب المفرد ص ١٦٠.

(٤) بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث ١/ ٣٥٤.

(٥) كشف الأستار عن زوائد البزار ١/ ٣٦٨.

(٦) لم أقف عليه في التاريخ الكبير.

(٧) صحيح ابن حبان ٧/ ٢٢٢.

(٨) المعجم الأوسط ٢/ ٣٥٢.

(٩) تاريخ دمشق ٦٧/ ٢٢٦.

(١٠) مسند أحمد ٣٦/ ٦٤٧.

(١١) المرض والكفارات ص ٩٨.

(١٢) المعجم الكبير ٨/ ٢٥١.

(١٣) شعب الإيمان ١١/ ٤٢٣.

وأخرج البزار[١] من حديث عبد الرحمن بن عوف: «عائد المريض في مَخرفة الجنة، فإذا جلس عنده غمرته [الرحمة]».

وأما حديث كعب بن مالك عند الطبراني في الأوسط والكبير[٢] أيضًا فلفظه: «مَن عاد مريضًا خاض في الرحمة، فإذا جلس عنده استنقع فيها». وهكذا رواه ابن جرير أيضًا.

وقد رواه الطبراني أيضًا في الكبير[٣] من حديث كعب بن عجرة.

وأما حديث عمرو بن حزم عند الطبراني في الأوسط وفي الكبير أيضًا فلفظه: «مَن عاد مريضًا لا يزال يخوض في الرحمة، حتىٰ إذا قعد عنده استنقع فيها، ثم إذا قام من عنده لا يزال يخوض فيها حتىٰ يرجع من حيث خرج ...» الحديث. وهكذا رواه أيضًا بطوله ابن جرير والبغوي والبيهقي[٤] وابن عساكر[٥] من طريق عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عن جده.

وقد رُويت هذه اللفظة من حديث علي وابن عباس، أما حديث عليٍّ فأخرجه البيهقي في الشعب بلفظ «فإذا جلس عنده استنقع في الرحمة».

ولفظ حديث ابن عباس عنده[٦] أيضًا: «مَن عاد مريضًا يلتمس وجه الله خاض في رحمته خوضًا، فإذا قعد عنده استنقع فيها استنقاعًا».

(**وقال ﷺ: إذا عاد المسلم أخاه**) في الدين (**أو زاره**) احتسابًا لله (**قال الله تعالىٰ: طِبتَ وطاب مَمْشاك**) أي مشيُك (**وتبوَّأت منزلاً في الجنة**) أي اتخذتَه. قال

---

(١) مسند البزار ٣/ ٢٤٦.

(٢) المعجم الكبير ١٩/ ١٠٢.

(٣) السابق ١٩/ ١٥٩.

(٤) السنن الكبرىٰ ٤/ ٩٨.

(٥) تاريخ دمشق ٥٥/ ٥.

(٦) شعب الإيمان ١١/ ٤٠٨.

العراقي[١]: رواه الترمذي[٢] وابن ماجه[٣] من حديث أبي هريرة، إلا أنه قال: ناداه منادٍ. قال الترمذي: غريب. قلت: فيه عيسىٰ بن سِنان القَسْمَلي، ضعَّفه الجمهور.

قلت: وكذلك رواه ابن جرير، ولفظهم: «مَن عاد مريضًا أو زار أخًا له في الله ناداه منادٍ أن طبتَ ...» الحديث. وعيسىٰ بن سنان الحنفي، أبو سنان القسملي الفلسطيني، نزيل البصرة، حدَّث بها عن يعلىٰ بن شداد بن أوس ووهب وعدة، وعنه عيسىٰ بن يونس وأبو أسامة، وجمعٌ ضعَّفه، وبعضهم قوَّاه؛ كذا في الكاشف[٤]. وقال في الضعفاء[٥]: ضعَّفه يحيىٰ بن معين.

(وقال ﷺ: **إذا مرض العبد بعث الله تعالىٰ له مَلَكين، فيقول لهما**) وفي نسخة: فقال (**انظرا ماذا يقول لعُوَّاده**) جمع عائد (**فإن هو**) أي المريض (**إذا جاؤوه**) وسألوه عن حاله (**حمد الله تعالىٰ وأثنىٰ عليه رفعا ذلك إلىٰ الله تعالىٰ وهو أعلم، فيقول: لعبدي عليَّ إن توفَّيتُه**) أي من هذا المرض (**أن أُدخِله الجنة، وإن أنا شفيته أن أبدل له لحمًا خيرًا من لحمه، ودمًا خيرًا من دمه، وأن أكفِّر عنه سيِّئاته**) قال العراقي[٦]: رواه مالك في الموطأ[٧] مرسلاً من حديث عطاء بن يسار، ووصله ابن عبد البر في التمهيد[٨] من روايته عن أبي سعيد الخدري، وفيه عبَّاد بن كثير،

---

(١) المغني ١/ ٥١٧.

(٢) سنن الترمذي ٣/ ٥٣٩.

(٣) سنن ابن ماجه ٣/ ١٢.

(٤) الكاشف للذهبي ٢/ ١١٠، وفيه: «... وأبو أسامة وجمع، ضُعِّف ولم يُترك».

(٥) الذي في ديوان الضعفاء ص ٣١١: «ضعفه أبو حاتم وغيره». وفي المغني في الضعفاء ٢/ ٨٤: «ضعيف الحديث، وقواه بعضهم». وفي ميزان الاعتدال ٣/ ٣١٢: «ضعفه أحمد وابن معين، وهو ممن يكتب حديثه علىٰ لينه، وقواه بعضهم يسيرا، وقال العجلي: لا بأس به، وقال أبو حاتم: ليس بالقوي». وانظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٦/ ٢٧٧.

(٦) المغني ١/ ٥١٧.

(٧) الموطأ ٢/ ٩٤٠.

(٨) التمهيد ٥/ ٤٧.

ضعيف. وللبيهقي[١] من حديث أبي هريرة: «قال الله: إذا ابتليتُ عبدي المؤمن فلم يشكُني إلىٰ عُوَّاده أطلقتُه من إساري، ثم أبدلته لحمًا خيرًا من لحمه، ودمًا خيرًا من دمه، ثم يستأنف العمل». وإسناده جيد. انتهىٰ.

قلت: وكذلك رواه الحاكم[٢].

وممَّا يقرُب من سياقه ما رُوي عن شداد بن أوس رفعه: «قال الله تعالىٰ: إذا ابتليتُ عبدًا من عبادي مؤمنًا فحمدني وصبر علىٰ ما ابتليته فإنه يقوم من مضجعه ذلك كيوم ولدته أمُّه من الخطايا، ويقول الرب للحفظة: إني أنا قيَّدت عبدي هذا وابتليته، فأجْرُوا له ما كنتم تُجْرُون له قبل ذلك من الأجر وهو صحيح». رواه أحمد[٣] وأبو يعلىٰ والطبراني[٤] وأبو نعيم[٥].

(**وقال ﷺ: مَن يُرِد اللهُ به خيرًا**) أي[٦] جميع الخيرات، أو خيرًا غزيرًا (**يُصِب**) بكسر الصاد عند الأكثر، والفاعل الله، ورُوي بفتحها، واستحسنه ابن الجوزي[٧]، ورجَّحه الطيبي[٨] بأنه أليق بالأدب؛ لآية: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝٨٠﴾ [الشعراء: ٨٠] والضمير في قوله (منه) علىٰ التقديرين للخير، ويصح عَوْدُ الضمير في «يُصِب» إلىٰ مَن وفىٰ منه إلىٰ الله أو إلىٰ الخير، والمعنىٰ أن الخير لا يحصل للإنسان إلا بإرادته تعالىٰ وعلمه.

---

(١) السنن الكبرىٰ ٣/ ٥٢٥.

(٢) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٤٩٣.

(٣) مسند أحمد ٢٨/ ٣٤٤.

(٤) المعجم الكبير ٧/ ٣٣٦.

(٥) حلية الأولياء ٩/ ٣٠٩.

(٦) فيض القدير ٦/ ٢٤٣.

(٧) كشف المشكل من حديث الصحيحين ٣/ ٥٢٩.

(٨) شرح مشكاة المصابيح ٤/ ١٣٣٨.

قال العراقي[١]: رواه البخاري[٢] من حديث أبي هريرة.

قلت: وكذلك رواه أحمد[٣] والنسائي[٤] وابن حبان[٥]. وقال الحافظ ابن حجر: ونسبه أبو الفضل بن عمار الشهيد إلىٰ تخريج مسلم وأعلَّه، وليس هو في النسخ الموجودة الآن.

(وعن) أمير[٦] المؤمنين **(عثمان)** بن عفَّان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي، أبي عمرو، ويقال: أبو عبد الله، ويقال: أبو ليلىٰ، الأموي، ذو النورين، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أمه أروَىٰ بنت كُرَيز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف، وأمها أم حكيم البيضاء ابنة عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ. أسلم قديمًا، وهاجر الهجرتين، وتزوج ابنتَي رسول الله ﷺ رقيَّة فماتت عنده، ثم أم كلثوم فماتت عنده أيضًا، فقال: «لو كان عندي غيرهما لزوَّجتكها». وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة الذين جعل فيهم عمر الشورىٰ وأخبر أن رسول الله ﷺ توفي وهو عنهم راضٍ، بويع له بالخلافة يوم السبت غُرَّة المحرَّم سنة أربع وعشرين بعد دفن عمر بثلاثة أيام باجتماع الناس عليه، وقُتل في وسط أيام التشريق سنة خمس وثلاثين عن اثنتين وثمانين، ودُفن بحُش كوكب[٧]، روىٰ له الجماعة **(مرضت، فعادني النبي ﷺ، فقال: بسم الله الرحمن الرحيم، أعيذك بالله**

(١) المغني ١/ ٥١٨.

(٢) صحيح البخاري ٤/ ٢٤.

(٣) مسند أحمد ١٢/ ١٧٥.

(٤) السنن الكبرىٰ ٧/ ٤٥.

(٥) صحيح ابن حبان ٧/ ١٦٨.

(٦) تهذيب الكمال ١٩/ ٤٤٥ - ٤٦٠. وانظر: الطبقات الكبرىٰ لابن سعد ٣/ ٥١ - ٧٩. الاستيعاب لابن عبد البر ٢/ ١١ - ٢٠.

(٧) بعده في التهذيب: «وكوكب رجل من الأنصار، والحش: البستان، كان عثمان قد اشتراه وزاده في البقيع، وكان أول من قُبر فيه».

الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولَد ولم يكن له كفوًا أحد من شر ما تجد. قال ذلك مِرارًا) وفي نسخة: ثلاثًا. قال العراقي[١]: رواه ابن السني في اليوم والليلة[٢] والطبراني[٣] والبيهقي[٤] في الأدعية من حديث عثمان بن عفان [بإسناد حسن].

(ودخل ﷺ علىٰ علي رضي الله عنه وهو مريض، فقال له: قل: اللهم إني أسالك تعجيل عافيتك، أو صبرًا علىٰ بليَّتك، أو خروجًا من الدنيا إلىٰ رحمتك، فإنك ستُعطَىٰ إحداهنَّ) قال العراقي[٥]: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المرض[٦] من حديث أنس بسند ضعيف: أن رسول الله ﷺ دخل علىٰ رجل وهو يشتكي. ولم يسمِّ عليًّا. وروىٰ البيهقي في الدعوات[٧] من حديث عائشة أن جبريل علَّمها للنبي ﷺ وقال: إن الله يأمرك أن تدعو بهؤلاء الكلمات.

قلت: ويُروَىٰ عن علي رضي الله عنه قال: كنت شاكيًا، فمرَّ بي رسول الله ﷺ وأنا أقول: اللهم إن كان أجلي قد حضر فأرحني، وإن كان متأخرًا فارفعني، وإن كان بلاءً فصبِّرْني. فقال رسول الله ﷺ: «كيف قلتَ»؟ قال: فأعاد عليه ما قال، فضربه برجله وقال: «اللهم عافِه – أو: اشفِه» شعبة الشاكُّ. قال: فما اشتكيت وجعي بعده. رواه الترمذي[٨] والنسائي والحاكم[٩] وابن حبان[١٠] في صحيحهما، وقال

---

(١) المغني ١/ ٥١٨.

(٢) عمل اليوم والليلة ص ٣٣٤.

(٣) الدعاء ص ١٣٢٤.

(٤) الدعوات الكبير ٢/ ٢٢٩.

(٥) المغني ١/ ٥١٨.

(٦) المرض والكفارات ص ٤٠ - ٤١.

(٧) الدعوات الكبير ١/ ٣١٤.

(٨) سنن الترمذي ٥/ ٥٢٦ - ٥٢٧.

(٩) المستدرك علىٰ الصحيحين ٢/ ٧٢٨.

(١٠) صحيح ابن حبان ١٥/ ٣٨٨.

الترمذي، واللفظ له: حسن صحيح. وقال الحاكم: صحيح علىٰ شرط الشيخين، ولفظه «اللهم اشفِه، اللهم عافِه». ولفظ النسائي «اللهم اشفِه، اللهم عافه[١]».

(ويُستحَب للعليل أيضًا أن) يضع يده علىٰ الموضع الذي يألَم من جسده و(يقول: أعوذ بعزَّة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر) رواه مالك في الموطأ[٢] من حديث عثمان بن أبي العاص الثقفي أنه أتىٰ رسولَ الله ﷺ وقال له: بي وجع قد كاد يهلكني. قال: فقال لي: «امسح بيمينك سبع مرات وقل: أعوذ بعزَّة الله وقدرته من شر ما أجد». قال: فقلت ذلك فأذهب اللهُ ما كان بي، فلم أزل آمر به أهلي وغيرَهم.

وروىٰ الجماعة إلا البخاري[٣] من حديثه أنه شكا إلىٰ رسول الله ﷺ وجعًا يجده في جسده منذ أسلم، فقال له رسول الله ﷺ: «ضع يدك علىٰ الذي يألم من جسدك وقل: بسم الله، ثلاثًا، وقل سبع مرات: أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر». زاد أبو دواد والترمذي والنسائي: قال: ففعلت ذلك، فأذهب اللهُ ما كان بي، فلم أزل آمر به أهلي وغيرَهم.

وأخرجه الترمذي[٤] أيضًا من حديث أنس، ولفظه: «ضع يدك حيث تشتكي ثم قل: بسم الله، أعوذ بعزَّة الله وقدرته من شر ما أجد من وجعي هذا، ثم ارفع يدك، ثم أَعِدْ ذلك وِترًا».

(وقال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إذا اشتكىٰ أحدهم بطنه) أي وجعًا في بطنه (فليسأل امرأته شيئًا من صَداقها) الذي عليه فتهبه له (فيشتري به عسلاً فيشربه)

---

(١) في المطبوعة: (اعفه). وأثبتنا ما في السنن الكبرىٰ. وعليه، فهو موافق للفظ الحاكم.

(٢) الموطأ ٢/ ٩٤٢.

(٣) صحيح مسلم ٢/ ١٠٤٩. سنن أبي داود ٤/ ٣٣٢. سنن الترمذي ٣/ ٥٩١. سنن ابن ماجه ٥/ ١٦٨. السنن الكبرىٰ ٧/ ٧٦، ١٥٠، ٩/ ٣٦٧ - ٣٦٨.

(٤) سنن الترمذي ٥/ ٥٤٣.

ممزوجًا (**بماء السماء**) أي المطر (**فيجتمع له الهناء والمَراء والشفاء والماء المبارك**) أما ما يأخذه من الصداق فإنه هنيء مريء بنص الآية: ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ۝٤﴾ [النساء: ٤] وأما العسل فإنه شفاء بنص القرآن: ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ [النحل: ٦٩] وأما ماء السماء فإنه طهور، قال الله تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ۝٤٨﴾ [الفرقان: ٤٨] وكان بعض مشايخنا يأمر بكتابة سورة الفاتحة في إناء نظيف بماء ورد وزعفران، ثم يُمحَىٰ بماء المطر، ثم يُمزَج به ذلك العسل المشترَىٰ من دراهم الصداق، فيشربه المريض إن كان الوجع من الباطن، أو يمسح به موضع الألم إن كان ظاهرًا، وكان يقول: هذا من المجرَّبات.

فصل في ذِكر أدعية تتعلق بالباب:

عن عائشة ﵂ قالت: إن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكىٰ يقرأ علىٰ نفسه بالمعوِّذات وينفث، فلما اشتد وجعُه كنت أقرأ عليه وأمسح بيده رجاءَ بركتها. رواه الجماعة إلا الترمذي[1].

وعنها: أن النبي ﷺ كان يقول للمريض: «بسم الله، تربة أرضنا بريقة بعضنا يشفىٰ سقيمنا». رواه الجماعة إلا الترمذي[2]. زاد البخاري في آخره في رواية أخرىٰ: بإذن ربنا. وفي لفظ: بإذن الله.

وعنها: أن النبي ﷺ كان يعوِّذ بعض أهله يمسح بيده اليمنىٰ ويقول: «اللهم ربَّ الناس أذهِب الباسَ، اشْفِ وأنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك شفاءً لا يغادر

---

(١) صحيح البخاري ٣/ ١٨٣، ٣٤٤، ٤/ ٤٢، ٤٦. صحيح مسلم ٢/ ١٠٤٦. سنن أبي داود ٤/ ٣٣٨. سنن ابن ماجه ٥/ ١٧٣. السنن الكبرىٰ للنسائي ٦/ ٣٨٤، ٧/ ٦٩، ٧٥، ٩/ ٣٧١.

(٢) صحيح البخاري ٤/ ٤٤. صحيح مسلم ٢/ ١٠٤٦. سنن أبي داود ٤/ ٣٣٤. سنن ابن ماجه ٥/ ١٦٨. السنن الكبرىٰ للنسائي ٧/ ٧٨، ٩/ ٣٧٦.

سقمًا». رواه البخاري[١] ومسلم[٢] والنسائي[٣]. ولهم في رواية أخرىٰ: «امسح الباس رب الناس، بيدك الشفاء، لا كاشف له إلا أنت».

وعن أبي سعيد أن جبريل أتىٰ النبيَّ ﷺ فقال: يا محمد، اشتكيت؟ قال: «نعم». قال: باسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك، ومن شر كل نفس أو عين حاسد، الله يشفيك، باسم الله أرقيك. رواه مسلم[٤] والترمذي[٥] والنسائي[٦] وابن ماجه[٧].

وعن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «مَن عاد مريضًا لم يحضُر أجلُه فقال عنده سبع مرات: أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك، إلا عافاه الله من ذلك المرض». رواه أبو داود[٨] - واللفظ له - والترمذي[٩] والنسائي[١٠] والحاكم[١١] وابن حبان[١٢] في صحيحيهما بمعناه، وقال الحاكم: صحيح علىٰ شرطهما. وفي رواية للنسائي: كان النبي ﷺ إذا عاد المريض جلس عند رأسه ثم قال ... فذكر مثله بمعناه.

وعن عبد الله بن عمرو قال: قال النبي ﷺ: «إذا جاء الرجل يعود مريضًا

---

(١) صحيح البخاري ٤/ ٣١، ٤٤، ٤٥.

(٢) صحيح مسلم ٢/ ١٠٤٥ - ١٠٤٦.

(٣) السنن الكبرىٰ ٧/ ٥٩، ٦٠، ٧٦، ٩/ ٣٧٢ - ٣٧٣.

(٤) صحيح مسلم ٢/ ١٠٤٣.

(٥) سنن الترمذي ٢/ ٢٩٣ - ٢٩٤.

(٦) السنن الكبرىٰ ٧/ ١٢٣، ٩/ ٣٧٠.

(٧) سنن ابن ماجه ٥/ ١٦٩.

(٨) سنن أبي داود ٤/ ١٥.

(٩) سنن الترمذي ٣/ ٥٩٣.

(١٠) السنن الكبرىٰ ٩/ ٣٨٤ - ٣٨٥.

(١١) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٤٨٦ - ٤٨٧، ٤/ ٣٣٨، ٥٧٨.

(١٢) صحيح ابن حبان ٧/ ٢٤٠، ٢٤٤.

فليقل: [اللهم] اشْفِ عبدك، ينكي لك عدوًّا أو يمشي لك إلىٰ جنازة». رواه أبو داود[(١)] - واللفظ له - والحاكم[(٢)] وابن حبان[(٣)]، وقال الحاكم: صحيح علىٰ شرط مسلم. وعنده: «يمشي لك إلىٰ صلاة أو ينكي لك عدوًّا».

وعن أبي هريرة قال: جاءني النبي ﷺ يعودني، فقال: «ألا أرقيك برقية رقاني بها جبريل عليه السلام»؟ فقلت: بلىٰ بأبي وأمي. قال: «بسم الله أرقيك، والله يشفيك من كل داء فيك من شر النفَّاثات في العُقَد ومن شر حاسد إذا حسد». فرقىٰ بها ثلاث مرات.

وعن سلمان قال: عادني رسول الله ﷺ وأنا عليل، فقال: «يا سلمان، شفىٰ الله سقمك، وغفر ذنبك، وعافاك في دينك وجسمك إلىٰ مدة أجلك». رواهما الحاكم في المستدرك[(٤)].

وعن فُضَيل بن عمرو قال: جاء رجل إلىٰ علي رضي الله عنه فقال: إن فلانًا يشتكي. قال: فيسرك أن يبرأ؟ قال: نعم. قال: قل: يا حليم، يا كريم، اشْفِ فلانًا. رواه ابن أبي شيبة في مصنفه[(٥)].

(**وجملة آداب المريض: الصبر**) علىٰ ما ابتلاه به ربُّه. وفي نسخة: حُسن الصبر (**وقلة الشكوىٰ**) لعُوَّاده (**وقلة الضجر**) أي القلق مهما استطاع، وأما الأنين فلا بأس به، فقد ورد أن أنين المريض تسبيح (**والفزع إلىٰ الدعاء**) بأن يُحسِن الله عواقبَه، ويدفع عنه الثقل (**والتوكل بعد الدواء علىٰ خالق الدواء**) أي استعمال الدواء لا يمنع في التوكل، فقد ورد: «تداووا عِباد الله، فما من داء إلا وأُنزِل له

---

(١) سنن أبي داود ٤/ ١٥.

(٢) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٤٨٨، ٧٤٤.

(٣) صحيح ابن حبان ٧/ ٢٣٩.

(٤) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٧٤٤، ٢/ ٦٣٦.

(٥) مصنف ابن أبي شيبة ٨/ ٣٧.

دواء، علمه مَن علمه، وجهله مَن جهله» **(وقال ﷺ: يا أبا هريرة، ألا أخبرك بأمر هو حق)**؟ أي لا يُستراب فيه **(من تكلم به في أول مضجعه)** أي رقوده **(من مرضه نجَّاه الله من النار)** ببركة ما تكلم به **(فقلت: بلىٰ يا رسول الله. قال: تقول: لا إله إلا الله)** وفي بعض النسخ هنا زيادة: وحده لا شريك له **(يحيي ويميت وهو حي لا يموت، سبحان الله رب العباد والبلاد، والحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه علىٰ كل حال، الله أكبر كبيرًا إن كبرياء ربنا وجلاله وقدرته بكل مكان، اللهم إن أنت أمرضتَنىٰ لتقبض روحي في مرضي هذا فاجعل روحي في أرواح من سبقت لهم منك الحسنىٰ، وباعدني من النار كما باعدتَ أولياءك الذين سبقت لهم منك الحسنىٰ)** قال العراقي[1]: رواه ابن أبي الدنيا في الدعاء وفي المرض والكفارات[2] بسند ضعيف.

(ورُوي أنه ﷺ قال: عيادة المريض بعد ثلاث فواق ناقة) أي قدْرها، أشار به إلىٰ خفَّة الجلوس عنده، قال ابن فارس[3]: فُواق الناقة: رجوع اللبن في ضرعها بعد الحلب.

قال العراقي[4]: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المرض[5] من حديث أنس بإسناد فيه جهالة.

قلت: ورواه البيهقي في الشعب[6] والديلمي[7] بلفظ «العيادة فُواق ناقة». إلا

---

(١) المغني ١/ ٥١٨.

(٢) المرض والكفارات ص ١٢٩. وزاد في آخره: «فإن مت في مرضك ذلك فإلىٰ رضوان الله والجنة، وإن كنت قد اقترفت ذنوبا تاب الله عليك».

(٣) مقاييس اللغة ٤/ ٤٦١.

(٤) المغني ١/ ٥١٨.

(٥) المرض والكفارات ص ١٤٢.

(٦) شعب الإيمان ١١/ ٤٣٢.

(٧) الفردوس بمأثور الخطاب ٣/ ٨٠.

أن الديلمي لم يذكر له سندًا.

(**وقال طاووس**) اليماني رحمه الله تعالىٰ: (**أفضل العيادة أخفُّها**) رواه[١] ابن المظفَّر في «فضائل العباس» من طريق هود بن عطاء قال: سمعت طاووسًا يقول: أفضل العيادة ما خف منها[٢]. ورواه صاحب الفردوس[٣] من حديث عثمان بن عفان مرفوعًا: «أفضل العيادة أخفُّها». وروىٰ[٤] من حديث جابر مرفوعًا: «أفضل العيادة أجرًا سرعة القيام من عند المريض». ومنهم مَن صحَّف حديثَ عثمان المتقدم فرواه بالباء الموحدة فقال: أفضل العبادة أخفها. وهو غلط، والصواب بالياء التحتية. وفي تخفيف العيادة أخبار وآثار غير ما ذكره المصنف.

(**وقال ابن عباس** رضي الله عنهما: **عيادة المريض مرة سنَّة، فما زاد فنافلة**) أخرجه[٥] البزار[٦] من طريق النضر بن عربي عن عكرمة عنه بلفظ: «عيادة المريض أول يوم سنَّة، وما زاد فهي له نافلة». وقال: لا نعلمه بهذا اللفظ من هذا الطريق إلا عن ابن عباس. قال السخاوي: وهو منتقَد برواية الطبراني له في الكبير[٧] من طريق علي بن عروة عن عمرو بن دينار عن ابن عباس، لكن ابن عروة ضعيف متروك، وحديث

---

(١) المقاصد الحسنة ص ٦٩.

(٢) ورواه من هذا الطريق أيضا ابن أبي الدنيا في المرض والكفارات ص ١٣١. ورواه ص ٦٧ من طريق أخرىٰ عنه بلفظ: خير العيادة أخفها. وهكذا رواه البيهقي في شعب الإيمان ١١/ ٤٣٢ من طريقه. ورواه عبد الرزاق في مصنفه ٣/ ٥٩٤ ومن طريقه البيهقي في شعب الإيمان ١١/ ٤٣٣ عن معمر عن عبد الله بن طاووس عن أبيه بلفظ: أفضل العيادة أخفها.

(٣) الفردوس بمأثور الخطاب ٢/ ١٧٨. وفيه: خير، بدل: أفضل. ورواه أيضا: القضاعي في مسند الشهاب ٢/ ٢١٨، وأبو الشيخ في طبقات المحدثين بأصفهان ١/ ٤٤٨.

(٤) كنز العمال ٩/ ٩٧.

(٥) المقاصد الحسنة ص ٢٩٤.

(٦) كشف الأستار عن زوائد البزار ١/ ٣٦٨.

(٧) المعجم الكبير ١١/ ١١٢.

النضر حديث حسن، وأخرجه الطبراني في الأوسط[١] من طريق النضر هذا عن عكرمة عنه بلفظ: «فما كان بعد ذلك فتطوُّعٌ». وقوله «سنَّة» يريد بها سنَّة النبي ﷺ، كما هو الصحيح في المسألة، فيحتمل أن يكون مراده أول مرة. ولهذا لاحظ المصنِّفُ فقال «مرة»، فتأملْ.

(**وقال بعضهم: عيادة المريض بعد ثلاث**) المراد بالبعض: النعمان بن أبي عيَّاش الزُّرَقي أحد التابعين الفضلاء من أبناء الصحابة فيما أخرجه البيهقي في الشعب[٢] وابن أبي الدنيا في عيادة المريض[٣] عنه بهذا اللفظ.

وقد رُوي معنىٰ ذلك في المرفوع من حديث أنس: كان النبي ﷺ لا يعود مريضًا إلا بعد ثلاث. أخرجه ابن ماجه[٤] وابن أبي الدنيا في المرض والكفارات[٥] والبيهقي في الشعب[٦]، كلهم من طريق مَسلمة بن عُلَيٍّ - مصغرًا - حدثنا ابن جريج عن حُمَيد الطويل عنه.

وعنه أيضًا مرفوعًا: «المريض لا يُعاد حتىٰ يمرض ثلاثة أيام». أخرجه الديلمي من طريق أبي عصمة نوح بن أبي مريم عن عبد الرحمن بن الحارث عن أبيه عن أنس به[٧].

---

(١) المعجم الأوسط ٨/ ١٧٣.

(٢) شعب الإيمان ١١/ ٤٢٩.

(٣) المرض والكفارات ص ١٨٨.

(٤) سنن ابن ماجه ٣/ ٨.

(٥) المرض والكفارات ص ٦٠.

(٦) شعب الإيمان ١١/ ٤٣٠.

(٧) نص السخاوي في المقاصد الحسنة ص ٢٩٣: «وللديلمي في مسنده من حديث أبي عصمة نوح بن أبي مريم الملقب بالجامع، وغيره - كما قال البيهقي - أوثق منه ،عن عبد الرحمن بن الحارث عن أبيه عن أنس رفعه في حديث: والعيادة بعد ثلاث. وكذا عنده بلا سند عن أنس رفعه: المريض لا يعاد حتىٰ يمرض ثلاثة أيام». والحديث في الفردوس بمأثور الخطاب ٥/ ٢٢٢. وهو من طريق نوح بن أبي مريم عن أبان عن أنس.

ورُوي كذلك من حديث أبي هريرة رفعه: «لا يُعاد المريض إلا بعد ثلاث». أخرجه الطبراني في الأوسط[١] من طريق نصر بن حماد، عن روح بن جناح، عن الزهري، عن ابن المسيب، عن أبي هريرة.

(**وقال ﷺ: أَغِبُّوا في العيادة**) أي[٢] زوروا المريض يومًا بعد يوم (**وأربعوا فيها**) اتركوا يومين بعد [يوم] العيادة ثم عودوه في الرابع. وقال الزمخشري[٣]: الإغباب: أن تعوده يومًا وتتركه يومًا، أي لا تلازموا المريض كل يوم لِما يجد من الثقل. والإرباع: أن تتركه يومين بعد يوم العيادة ثم تعوده في الرابع.

قال العراقي[٤]: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المرض[٥] وأبو يعلى من حديث جابر، وزاد: إلا أن يكون مغلوبًا. وإسناده ضعيف.

قلت: وبهذه الزيادة رواه أيضًا البيهقيُّ في الشعب[٦] وغيرُه بلفظ: «أغِبُّوا في العيادة، وأربعوا العيادة، وخير العيادة أخفُّها، إلا أن يكون مغلوبًا فلا يُعاد، والتعزية مرة». وقد رواه الخطيب[٧] كذلك. إلا أن الإغباب في الزيادة إذا كان المريض

---

(١) المعجم الأوسط ٤/ ١٨.

(٢) فيض القدير ٢/ ١٥.

(٣) الفائق في غريب الحديث ٣/ ٤٦، وعبارته: «أغبوا في عيادة المريض وأربعوا إلا أن يكون مغلوبا. الإغباب: أن تعوده يوما وتتركه يوما، والإرباع: أن تدعه يومين وتعوده في الثالث، هذا إذا كان صحيح العقل، فإذا غُلب وخيف عليه تُعُهِّد كل يوم». وكلام الزمخشري مأخوذ عن نص الجوهري في الصحاح ١/ ١٩٠، ٣/ ١٢١٥ عدا قوله: هذا إذا ... الخ. وقال ابن الأثير في النهاية ٢/ ١٩٠ - مادة (ربع): «أي دعوه يومين بعد العيادة وأتوه اليوم الرابع، وأصله من الرِّبع في أوراد الإبل وهو أن ترد يوما وتترك يومين لا تسقى ثم ترد اليوم الرابع». وقال في مادة (غبب) ٣/ ٣٣٦: «أغبوا المريض، أي لا تعودوه في كل يوم؛ لما يجد من ثقل العواد».

(٤) المغني ١/ ٥١٨ - ٥١٩.

(٥) المرض والكفارات ص ١٦٨.

(٦) شعب الإيمان ١١/ ٤٣٠.

(٧) تاريخ بغداد ١٣/ ٢٤١ مقتصرا على قوله (أغبوا في العيادة).

صحيح العقل، وإلا فلا يعاد.

وروى البغوي في مسند عثمان من حديثه مرفوعًا: «عودوا المريض، واتبِعوا الجنازة، والعيادة غِبًّا أو رِبْعًا، إلا أن يكون مغلوبًا فلا يُعاد، والتعزية مرة»[١]. ثم قال البغوي: هو مجهول الإسناد.

(**ومنها: أن يتَّبع جنائزهم**) وفي بعض النسخ: أن يشيِّع (**قال رسول الله ﷺ: مَن شيَّع**) وفي نسخة: مَن تبع (**جنازة فله قيراط من الأجر، فإن وقف حتى تُدفَن فله قيراطان**) قال العراقي[٢]: رواه الشيخان من حديث أبي هريرة.

(**وفي الخبر: القيراط مثل**) جبل (**أُحُد**) قال العراقي: رواه مسلم من حديث ثوبان وأبي هريرة، وأصله متفق عليه.

قلت: رُوي في الباب عن أبي هريرة، وأبي سعيد، وعبد الله بن مغفَّل، وثوبان [والبراء] وابن عمر، وأبيِّ بن كعب، وابن مسعود.

فلفظ حديث أبي هريرة[٣]: «مَن تبع جنازة مسلم إيمانًا واحتسابًا وكان معها حتى يصلَّى عليها ويُفرَغ من دفنها فإنه يرجع من الأجر بقيراطين، كل قيراط مثل أُحُد، ومَن صلى عليها ثم رجع قبل أن تُدفَن فإنه يرجع بقيراط من الأجر». هكذا رواه البخاري والنسائي وابن حيان. ويُروَى: «مَن صلى على جنازة فله قيراط، ومن انتظرها حتى توضَع في اللحد فله قيراطان، والقيراطان مثل الجبلين العظيمين». وهكذا رواه أحمد والنسائي وابن ماجه. ورواه النسائي أيضًا بلفظ: «مَن تبع جنازة

---

(١) كنز العمال ٩/ ٩٦ من حديث أنس.

(٢) المغني ١/ ٥١٩.

(٣) حديث أبي هريرة رواه: البخاري في صحيحه ١/ ٣٢، ٤٠٧. ومسلم في صحيحه ١/ ٤٢٠ - ٤٢١. وأبو داود في سننه ٤/ ٤١. والترمذي في سننه ٢/ ٣٤٥. والنسائي في سننه ص ٣١٩، ٧٦٤. وابن ماجه في سننه ٣/ ٧٣. وأحمد في مسنده ١٣/ ١٨٩ وفي مواضع أخرى كثيرة. وابن حبان في صحيحه ٧/ ٣٤٧ - ٣٥٠.

فصلىٰ عليها ثم انصرف فله قيراط من الأجر، ومَن تبعها فصلىٰ عليها ثم قعد حتىٰ يُفرَغ من دفنها فله قيراطان من الأجر، كل واحد منهما أعظم من أُحُد». ويُروَىٰ: «من صلىٰ علىٰ جنازة ولم يتبعها فله قيراط، فإن تبعها فله قيراطان». قيل: وما القيراطان؟ قال: «أصغرهما مثل أُحد». هكذا رواه مسلم والترمذي.

وأما حديث أبي سعيد فلفظه مثل لفظ أبي هريرة، هكذا رواه أحمد[١] والضياء في المختارة.

وأما حديث عبد الله بن مغفَّل فلفظه: «مَن تبع جنازة حتىٰ يُفرَغ منها فله قيراطان، فإن رجع قبل أن يُفرَغ منها فله قيراط». هكذا رواه النسائي[٢] والطبراني في الكبير. ويُروَىٰ: «من شيَّع جنازة حتىٰ تُدفَن فله قيراطان، ومَن رجع قبل أن تُدفَن فله قيراط مثل أحد». وهكذا رواه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول[٣]. ويُروَىٰ: «من صلىٰ علىٰ جنازة فله قيراط، فإن انتظرها حتىٰ يُفرَغ منها فله قيراطان». وهكذا رواه أحمد[٤].

وأما حديث ثوبان فلفظه: «مَن تبع جنازة حتىٰ يصلَّىٰ عليها كان له من الأجر قيراط، ومَن مشىٰ مع الجنازة حتىٰ تُدفَن كان له من الأجر قيراطان، والقيراط مثل أُحد»[٥]. وهكذا رواه الطيالسي[٦] وأحمد[٧] ومسلم[٨] وابن ماجه[٩] وأبو عوانة.

---

(١) مسند أحمد ١٧/ ٢٤٢، ٣١٧، ١٨/ ٤١١.

(٢) سنن النسائي ص ٣١١.

(٣) نوادر الأصول ص ٣٠٠. وليس فيه (مثل أحد).

(٤) مسند أحمد ٣٤/ ١٨٣.

(٥) هذا ليس لفظ حديث ثوبان، وإنما لفظ حديث البراء الآتي بعده.

(٦) مسند الطيالسي ٢/ ٣٢٨.

(٧) مسند أحمد ٣٧/ ٥٩، ٦٧، ١١٠، ١١٢، ١١٩.

(٨) صحيح مسلم ١/ ٤٢١ - ٤٢٢.

(٩) سنن ابن ماجه ٣/ ٧٤.

ويُروَىٰ: «من صلىٰ علىٰ جنازة فله قيراط، فإن شهد دفنها فله قيراطان، القيراط مثل أُحد». كذا رواه مسلم وابن ماجه.

وأما حديث البراء فلفظه مثل لفظ ثوبان عند الطيالسي، هكذا رواه أحمد[١] والنسائي[٢] والروياني[٣] والضياء. ويُروَىٰ: «مَن صلىٰ علىٰ جنازة فله قيراط، ومَن شهد دفنها فله قيراطان، أحدهما مثل أحد». هكذا رواه ابن النجار.

وأما حديث ابن عمر فلفظه: «مَن تبع جنازة حتىٰ يصلي عليها ثم رجع فله قيراط، ومن صلىٰ عليها ثم مشىٰ معها حتىٰ يدفنها قله قيراطان، القيراط مثل أُحد». هكذا رواه الطبراني في الكبير[٤].

وأما حديث أبيٍّ بن كعب فلفظه: «مَن تبع جنازةً حتىٰ يصلَّىٰ عليها ويُفرَغ منها فلة قيراطان، ومَن تبعها حتىٰ يصلَّىٰ عليها فله قيراط، والذي نفسي بيده لَهو أثقلُ في ميزانه من أُحد». هكذا رواه أحمد[٥] وابن ماجه[٦] وأبو عوانة والدارقطني في الأفراد والطبراني في الأوسط[٧] والضياء في المختارة[٨].

وأما حديث ابن مسعود فلفظه كلفظ حديث ثوبان، وهي الرواية الثانية التي تقدم ذِكرُها[٩].

---

(١) مسند أحمد ٣٠/ ٥٦٠.

(٢) سنن النسائي ص ٣١١.

(٣) مسند الروياني ١/ ٢٨٦.

(٤) المعجم الكبير ١٣/ ٢٢٥.

(٥) مسند أحمد ٣٥/ ١٢٩.

(٦) سنن ابن ماجه ٣/ ٧٤.

(٧) المعجم الأوسط ١/ ١٧٥.

(٨) الأحاديث المختارة ٣/ ٣٧٢، ٣٧٥.

(٩) وصحح الدارقطني في العلل ٥/ ٧٤ وقفه علىٰ ابن مسعود.

(ولمَّا روىٰ أبو هريرة) رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (هذا الحديث وسمعه ابن عمر) رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (قال) مصدِّقًا له: (لقد فرَّطنا إذًا في قراريط كثيرة) هكذا هو في صحيح البخاري.

(والقصد) الأعظم (من التشييع) أي من اتِّباع الجنازة (أداء حق المسلمين) إذ هو من جملة الحقوق المذكورة في الحديث المتقدم في أول الباب (والاعتبار) والتفكُّر فيما يؤول إليه الحال (كان مكحول الدمشقي) هو[1] أبو عبد الله بن أبي مسلم شهراب بن شاذل بن سند بن شروان بن بزدل بن يغوث بن كسرىٰ، وكان جده من أهل هراة، فتزوج امرأة من ملوك كابُل، ثم هلك عنها [وهي حامل] فانصرفت إلىٰ أهلها، فولدت شهراب، فلم يزل في أخواله بكابل حتىٰ وُلد له مكحول، وسُبي من ثمة، فرُفع إلىٰ سعيد بن العاص، فوهبه لامرأة من هُذَيل فأعتقته. تابعي ثقة، روىٰ عن عدة من الصحابة، وهو فقيه أهل الشام، صدوق، مات سنة اثنتي عشرة ومائة، وقيل غير ذلك (إذا رأىٰ جنازة قال: اغدوا، فإنَّا رائحون) الغدوُّ: السير في أول النهار، والرَّواح في آخره (موعظة بليغة وغفلة سريعة، يذهب الأول) فالأول (والآخِر لا عقل له)[2] فإنه لو كان له عقل لاتَّعظ بها، فالسعيد مَن وُعظ بغيره.

(وخرج) أبو يحيىٰ (مالك بن دينار) البصري (خلف جنازة أخيه وهو يبكي ويقول: لا تقرُّ عيني حتىٰ أعلم إلىٰ ما صرتَ، ولا واللهِ لا أعلمه ما دمتُ حيًّا.

وقال) سليمان بن مِهران (الأعمش) الكوفي: (كنا نشهد الجنازة فلا ندري

---

(١) تهذيب الكمال ٢٨/ ٤٦٤ - ٤٧٥.

(٢) هذا الأثر رواه أبو داود في الزهد ص ٢٢٢ وأبو نعيم في حلية الأولياء ١/ ٢١٧ وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٧/ ١٩٤ عن أبي الدرداء أنه كان إذا رأىٰ جنازة قال: اغدوا فإنا رائحون، أو روحوا فإنا غادون، موعظة بليغة وغفلة سريعة، كفىٰ بالموت واعظا، يذهب الأول فالأول ويبقىٰ الآخر لا حلم له. وروىٰ عبد الرزاق في مصنفه ٣/ ٥٤٩ وأبو نعيم في حلية الأولياء ١/ ٣٨٣ وابن عساكر في تاريخ دمشق ٦٧/ ٣٧٩ مثله عن أبي هريرة.

من نعزِّي؛ لحزن القوم كلهم)[١] فلا يُدرَىٰ من المعزَّىٰ فيهم، وهذا لكثرة اعتبارهم بالموت.

(ونظر إبراهيم الزَّيَّات) أحد العارفين بالله (إلىٰ أناس يترحَّمون علىٰ ميت، فقال: لو ترحمون أنفسكم لكان أَولىٰ، إنه) أي الميت قد (نجا من أهوال ثلاثة: وجه مَلَك الموت قد رأىٰ) وذلك عند قبض روحه (ومرارة الموت قد ذاق، وخوف الخاتمة قد أَمِنَ) فهذه ثلاث عقبات، فما من ميت إلا وقد عاين هذه الثلاثة واستراح.

(وقال ﷺ: يتّبع الميتَ ثلاثةٌ، فيرجع اثنان ويبقىٰ واحد، يتبعه أهله وماله وعمله، فيرجع أهله وماله، ويبقىٰ) معه (عملُه) قال العراقي[٢]: رواه مسلم[٣] من حديث أنس.

قلت: وكذلك رواه ابن المبارك[٤] وأحمد[٥] والبخاري[٦] والترمذي[٧] - وقال: حسن صحيح - والنسائي[٨].

(ومنها: أن يزور قبورهم، والمقصود من هذه الزيارة الدعاء) لهم (والاعتبار) بهم، فإنه سيصير إلىٰ ما صاروا إليه (وترقيق القلب) إذا علاه صدأ الوحشة (قال

---

(١) رواه أحمد في الزهد ص ٢٩٥، وابن أبي شيبة في مصنفه ١٢/ ٢٨٠، وابن أبي الدنيا في كتاب القبور ص ٦٧، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٥/ ٥٠.

(٢) المغني ١/ ٥١٩.

(٣) صحيح مسلم ٢/ ١٣٥٣.

(٤) الزهد والرقائق ص ٢٠٨.

(٥) مسند أحمد ١٩/ ١٣٥.

(٦) صحيح البخاري ٤/ ١٩٤.

(٧) سنن الترمذي ٤/ ١٨٧.

(٨) سنن النسائي ص ٣١١.

ﷺ: **ما رأيت منظرًا**) أي[1] منظورًا (**إلا والقبر أفظع**) أي أقبح وأشنع (منه) بالنصب. وإنما كان كذلك لأنه بيت الدود والوحدة والغربة.

قال العراقي[2]: رواه الترمذي[3] وابن ماجه[4] والحاكم[5] من حديث عثمان، وقال: صحيح الإسناد، وقال الترمذي: حسن غريب.

قلت: رووه من طريق عبد الله بن بَحِير عن هانئ مولىٰ عثمان وتعقَّب الذهبيُّ الحاكمَ بأن ابن بحير ليس بعمدة، ولكن منهم من يقوِّيه، وهانئ روىٰ عنه جمعٌ، ولا ذِكر له في الكتب الستة. قلت: عبد الله بن بَحير بن رَيْسان، أبو وائل القاص الصنعاني، وثَّقه ابن معين، واضطرب فية كلام ابن حبان[6]؛ كذا في [تقريب] التهذيب[7]. وقال في الكاشف[8]: روىٰ عن هانئ مولىٰ عثمان، وعنه هشام بن يوسف وعبد الرزاق، وُثِّقَ[9].

(**وقال عمر**) بن الخطاب رضي الله عنه: **خرجنا مع رسول الله** ﷺ) أي متوجِّهين إلىٰ مكة، حتىٰ إذا كنا بشرف الروحاء (**فأتىٰ المقابرَ، فجلس إلىٰ قبر**) منها، أي عنده (**وكنت أدنىٰ القوم منه**) أي أقربهم إليه (**فبكىٰ وبكينا، فقال: ما يبكيكم؟ قلنا: بكينا لبكائك**) يا رسول الله (**قال: هذا قبر**) أمي (**آمنة بنت وهب، استأذنت ربي في**

---

(١) فيض القدير ٥/ ٤٤٦.

(٢) المغني ١/ ٥١٩.

(٣) سنن الترمذي ٤/ ١٤٢.

(٤) سنن ابن ماجه ٥/ ٦٥٢.

(٥) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٥٢٠،

(٦) حيث ذكره في الثقات ٧/ ٢٢، ٨/ ٣٣١. وقال في المجروحين ١/ ٥١٨: «أبو وائل القاص، اسمه عبد الله بن بحير الصنعاني، وليس هذا بعبد الله بن بحير بن ريسان، ذاك ثقة، وهذا واهٍ».

(٧) تقريب التهذيب ص ٤٩٣.

(٨) الكاشف للذهبي ١/ ٥٣٩ - ٥٤٠.

(٩) بعده في الكاشف: وليس بذاك.

زيارتها فأذن لي، فاستأذنته في أن أستغفر لها فأبىٰ عليَّ) أي لم يأذن لي **(فأدركني ما يدرك الولد من الرقة)** قال العراقي[١]: رواه مسلم[٢] من حديث أبي هريرة مختصرًا، وأحمد[٣] من حديث بُرَيدة، وفيه: فقام إليه عمر ففداه بالأب والأم يقول: يا رسول الله، ما لك ... الحديث.

(وكان[٤] **عثمان)** بن عفان (رضي الله عنه **إذا وقف علىٰ قبر بكىٰ حتىٰ يبل لحيته)** وفي لفظ: حتىٰ تبتلَّ لحيته **(ويقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول)** ولفظ الجماعة: فيقال له: تذكر الجنة والنار ولا تبكي وتبكي من هذا؟! فيقول: إن رسول الله ﷺ قال: **(إن القبر أول)** منزل من **(منازل الآخرة، فإن نجا منه صاحبه)** أي[٥] من القبر، أي من عذابه ونكاله **(فما بعده)** من أهوال الحشر والموقف والحساب والصراط والميزان وغيرها **(أيسر)** عليه منه **(وإن لم ينجُ منه)** أي من عذابه **(فما بعده)** ممَّا ذُكر **(أشد)** منه عليه، فما يراه الإنسان فيه عنوان ما سيصير إليه.

قال العراقي[٦]: رواه الترمذي وحسَّنه وابن ماجه والحاكم وصحَّح إسناده.

---

(١) المغني ١/ ٥١٩.

(٢) صحيح مسلم ١/ ٤٣٣ - ٤٣٤، وليس فيه ذكر عمر بن الخطاب، ولفظه: «استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي، واستأذنته أن أزور قبرها فأذن لي». وفي لفظ آخر: «زار النبي ﷺ قبر أمه، فبكىٰ وأبكىٰ من حوله، فقال: استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يؤذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي، فزوروا القبور فإنها تذكر الموت».

(٣) مسند أحمد ٣٨/ ١١١، ولفظه: «كنا مع النبي ﷺ، فنزل بنا ونحن معه قريب من ألف راكب، فصلىٰ ركعتين، ثم أقبل علينا بوجهه وعيناه تذرفان، فقام إليه عمر بن الخطاب ففداه بالأب والأم يقول: يا رسول الله، ما لك؟ قال: إني سألت ربي في استغفار لأمي فلم يأذن لي، فدمعت عيناي رحمة لها من النار ...» وذكر بقية الحديث.

(٤) هذا الحديث هو بقية الحديث السابق: ما رأيت منظرا ... الخ.

(٥) فيض القدير ٢/ ٣٧٩.

(٦) المغني ١/ ٥٢٠.

قلت: ورواه أحمد[١] كذلك، كلهم من طريق عبد الله بن بحير بن ريسان الصنعاني عن هانئ مولىٰ عثمان عن عثمان، وقد تعقَّبه الذهبي في تلخيصه بالكلام الذي سبق في ابن بحير قريبًا.

(وقال مجاهد: أول ما يكلم ابنَ آدم حفرتُه) أي قبره **(فتقول: أنا بيت الدود وبيت الوحدة وبيت الغربة وبيت الظُّلمة، فهذا ما أعددتُ لك، فما أعددتَ لي)**[٢]؟ ولهذا كان يزيد الرقاشي إذا مر بقبر صرخ صراخ الثكلىٰ. وفي «العاقبة»[٣] لعبد الحق: عن أبي الحجاج مرفوعًا: «يقول القبر للميت إذا وُضع فيه: ويحك يا ابن آدم! ماغرَّك بي؟ ألم تعلم أني بيت الفتنة وبيت الظُّلمة وبيت [الوحدة وبيت] الدود. قلت: أبو الحجاج هذا هو عبد بن عبدٍ الثُّمالي، له صحبة[٤]، وحديثه هذا قد رواه الحكيم[٥] وأبو يعلىٰ[٦] والطبراني[٧] وأبو نعيم في الحلية[٨]، وبقيته بعد قوله «الدود»: «ما غرَّك بي إذ كنتَ تمشي فَدَّادًا؟ فإن كان مصلحًا أجاب عنه مجيب

---

(١) مسند أحمد ١/ ٥٠٣.

(٢) رواه ابن المبارك في الزهد والرقائق ص ٤٦٧ عن عبد الله بن عبيد عمير بلفظ: «بلغني أن الميت يقعد في حفرته وهو يسمع وخط مشيعيه، ولا يكلمه شيء أول من حفرته، تقول: ويحك ابن آدم! أليس قد حُذرتني وحُذرت ضيقي وظلمتي ونتني؟! فهذا ما أعددت لك، فما أعددت لي»؟ ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه ١٢/ ١٦٧ عن عبد الله بن عبيد بن عميرعن أبيه بلفظ: «إن القبر ليقول: يا ابن آدم، ماذا أعددت لي؟ ألم تعلم أني بيت الغربة وبيت الوحدة وبيت الأكلة وبيت الدود»؟ ورواه عبد الرزاق في مصنفه ٣/ ٤٤٣ عن عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ قال: «روح الميت بيد الملك، يقول: اسمع ما يثنىٰ عليك حين يغسل وحين يحمل، فإذا دفن كلمته الأرض وقالت: أما علمت أني بيت الغربة والوحشة والدود فماذا أعددت لي»؟

(٣) العاقبة في ذكر الموت والآخرة لعبد الحق الإشبيلي ص ١٨٩ (ط - مكتبة دار الأقصىٰ بالكويت).

(٤) انظر: الاستيعاب لابن عبد البر ٢/ ٣٨٤.

(٥) نوادر الأصول ص ٥١١.

(٦) مسند أبي يعلىٰ ١٢/ ٢٨٦.

(٧) المعجم الكبير ٢٢/ ٣٧٧.

(٨) حلية الأولياء ٦/ ٩٠.

القبر فيقول: أرأيتَ إن كان [ممن] يأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر؟ فيقول: إني إذًا أعود عليه خضرًا، ويعود جسده نورًا، وتصعد روحه إلىٰ رب العالمين.

وقال ابن السَّمَّاك: إن الميت إذا عُذِّب في قبره نادته الموتىٰ: أيها المخلَّف بعد إخوانه وجيرانه، أما كان لك فينا معتبَر؟ أما كان لك في تقدُّمنا إياك فكرة؟ أما رأيت انقطاع آمالنا وأنت في مهلة آمالك[1]؟

(وقال أبو ذر) الغِفاري رضي الله عنه: **(ألا أخبركم بيوم فقري؟ يوم أوضع في قبري.**

وكان أبو الدرداء) رضي الله عنه **(يقعد إلىٰ القبور)** أي عندها ويلازمها كثيرًا **(فقيل له في ذلك، فقال: أجلس إلىٰ قوم يذكِّرونني معادي)** أي آخرتي **(وإن قمت عنهم لم يغتابوني**[2].

وقال حاتم) بن علوان **(الأصم)** قُدِّس سره: **(مَن مر بالمقابر فلم يتفكَّر لنفسه)** أي لم يتَّعظ **(ولم يدْعُ لهم)** بالمغفرة **(فقد خان نفسَه)** بترك الاعتبار **(وخانهم)** بترك الاستغفار.

(وقال ﷺ: ما من ليلة إلا وينادي منادٍ: يا أهلِ القبور، مَن تغبطون؟ قالوا: نغبط أهل المساجد؛ لأنهم يصومون ولا نصوم، ويصلُّون ولا نصلي، ويذكرون الله ولا نذكره) قال العراقي[3]: لم أجد له أصلاً.

(وقال سفيان) بن سعيد الثوري رحمه الله: **(مَن أكثرَ ذِكر القبر)** أي وحدته وظلمته وضيقه **(وجده روضة من رياض الجنة)** لأن الإكثار من ذكره علامة

---

(١) سيأتي هذا الأثر بلفظ آخر في كتاب ذكر الموت.

(٢) روىٰ نحوه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور ص ٥٠ من طريق سلمان بن صالح قال: فُقد الحسن ذات يوم، فلما أمسىٰ قال له أصحابه: أين كنتَ اليوم؟ قال: كنت عند إخوان لي إن نسيت ذكروني، وإن غبت عنهم لم يغتابوني. فقال له أصحابه: هم الإخوان واللهِ هؤلاء يا أبا سعيد، دلنا عليهم. قال: هؤلاء أهل القبور.

(٣) المغني ١/ ٥٢٠.

الاتِّعاظ والاعتبار، وذا مما يبعثه علىٰ تحسين الاعتبار وتقصير الآمال، فإذا دخله وجده فسيحًا **(ومَن غفل عن ذِكره)** ولم يتَّعظ بأهواله **(وجده حفرة من حُفَر النار)** وبهذا يُعلَم أن فظاعة القبر إنما هي بالنسبة للعصاة والمخلِّطين لا للسعداء.

وقد روىٰ الترمذي[١] والطبراني معًا من حديث أبي سعيد والطبراني فقط في الأوسط[٢] من حديث أبي هريرة وابن أبي الدنيا[٣] والبيهقي في الشعب[٤] من حديث ابن عمر: «القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حُفَر النار». ولفظ البيهقي: «القبر حفرة من حُفَر جهنم أو روضة من رياض الجنة».

وأخرج أحمد في الزهد[٥] وابن المبارك في كتاب القبور عن وهب: كان عيسىٰ عليه السلام واقفًا علىٰ قبر ومعه الحواريون[٦]، فذكروا القبر ووحشته وظلمته وضيقه، فقال عيسىٰ عليه السلام: كنتم في أضيق منه في أرحام أمهاتكم، فإذا أحب اللهُ أن يوسِّع وسَّع.

(وكان) أبو يزيد **(الربيع بن خُثَيم)** بن عائذ الثوري الكوفي التابعي، تقدمت ترجمته في كتاب تلاوة القرآن **(قد حفر في داره قبرًا، فكان إذا وجد في قلبه قساوةً دخله فاضطجع فيه ومكث ساعة ثم قال: رب ارجعون لعلِّي أعمل صالحًا فيما تركتُ. ثم يقول: يا ربيع، قد رجعتَ فاعمل الآن قبل أن لا ترجع.**

وقال ميمون بن مهران) الجَزَري[٧]، أبو أيوب الرَّقِّي، قال العِجلي[٨]: تابعي

(١) سنن الترمذي ٤/ ٢٤٨ وقال: غريب.

(٢) المعجم الأوسط ٨/ ٢٧٣.

(٣) القبور ص ١١٦.

(٤) لم يخرجه في الشعب، وإنما في كتاب إثبات عذاب القبر ص ٥٥.

(٥) الزهد ص ٤٨.

(٦) بعده في الزهد: «أو قال: في نفر من أصحابه، وصاحب القبر يدلىٰ فيه».

(٧) تهذيب الكمال ٢٩/ ٢١٠ - ٢٢٧.

(٨) معرفة الثقات ٢/ ٣٠٧.

ثقة. وثَّقه أبو زُرعة[١] والنسائي، وقال ابن سعد: كان ثقة، قليل الحديث[٢]. وذكره ابن حبان في كتاب الثقات[٣]. وكان عمر بن عبد العزيز قد ولاَّه على خَراج الجزيرة وقضائها. وُلد سنة أربعين، ومات سنة ثماني عشرة، روى له الجماعة إلا البخاري، وقد تقدم ذِكره قريبًا، وأن البخاري روى له في الأدب المفرد. وقال أبو نعيم في الحلية[٤]: حدثنا محمد بن أحمد بن أبان قال: حدثنا أبي قال: حدثنا أبو بكر بن سفيان قال: حدثني محمد بن الحسين، حدثني أبو منصور الواسطي، حدثنا المغيرة بن مطرف الرؤاسي قال: حدثنا خالد بن صفوان، عن ميمون بن مهران قال: (**خرجت مع عمر بن عبد العزيز**) الأموي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (**إلى المقبرة**) أي في دمشق (**فلما نظر إلى القبور بكى**) ثم أقبل إليَّ (**وقال: يا ميمون**) ولفظ الحلية: فقال: يا أبا أيوب (**هذه قبور آبائي بني أمية، كأنهم لم يشاركوا أهل الدنيا في لذَّاتهم**) وعيشهم (**أما تراهم صرعَى قد خَلَتْ بهم المَثُلات**) واستحكم فيهم البِلَى (**وأصابت الهوامُّ**) أي الديدان (**من أبدانهم**) ولفظ الحلية: في أبدانهم مقيلاً. قال: (**ثم بكى**) حتى غُشي عليه، ثم أفاق (**وقال**) انطلِقْ بنا (**فوالله ما أعلم أحدًا أنعم ممَّن صار إلى هذه القبور وقد أَمِنَ من عذاب الله**) ولفظ الحلية: وقد أمن عذابَ الله عَزَّ وَجَلَّ.

(**وآداب المعزِّي**) يقال[٥]: عزَّاه تعزيةً: إذا قال له: أحسنَ اللهُ عزاءك، أي رزقك الصبر الحسن، والعَزاء كـ«سحاب» اسم من ذلك، كالكلام من كلَّمه تكليمًا، وتعزَّى هو: تصبَّر، وشعاره أن يقول: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون (**خفض الجناح**) أي لِين الجانب (**وإظهار الحزن**) وفي نسخة: الخوف (**وقلة الحديث**) مع الحاضرين،

---

(١) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٨/ ٢٣٤.

(٢) الذي في الطبقات الكبرى ٩/ ٤٨٣: «كثير الحديث».

(٣) الثقات ٥/ ٤١٧.

(٤) حلية الأولياء ٥/ ٢٦٩.

(٥) المصباح المنير ص ٤٠٨.

فإنه مرجوم (**وترك التبسُّم**) والالتفات، ولا[١] بأس بتعزية أهل الميت وترغيبهم في الصبر؛ لِما رُوي: «مَن عزَّىٰ مصابًا فله مثل أجره». ولا بأس بالجلوس لها ثلاثة أيام من غير ارتكاب محظور من فرش البُسُط والأطعمة من أهل البيت؛ لأنها تُتخَذ عند السرور.

(**وآداب تشييع الجنازة: دوام الخشوع، وترك الحديث، وملاحظة الميت**) والاعتبار به (**والتفكُّر في الموت والاستعداد له**) بما أمكن من صالح الأعمال، كتقديم الصدقات، وصلة الأقارب، والتسبيح والتهليل، وقراءة سورة الإخلاص، والتنصُّل عن المَذامِّ والحقوق، وخلوص التوبة، وإدراك ما فاته من الخيور، وغير ذلك (**وأن يمشي أمام الجنازة بقربها**) فإنه[٢] شفيع لها، والشفيع يتقدم، هذا مذهب الشافعي رحمه الله تعالىٰ، ويدل له حديث ابن عمر: كان رسول الله ﷺ يمشي بين يديها وأبو بكر وعمر. وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالىٰ: المشي خلفها أفضل؛ لِما رواه البراء بن عازب قال: أمرنا رسول الله ﷺ باتِّباع الجنازة. وعن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «حق المسلم علىٰ المسلم خمس» وذكر منها اتباع الجنازة. والاتِّباع لا يقع إلا علىٰ التوالي، وكان علي رضي الله عنه يمشي خلفها، وقال: إن فضل الماشي خلفها علىٰ الماشي أمامها كفضل الصلاة المكتوبة علىٰ النافلة، وأن أبا بكر وعمر كانا يعلمان ذلك، لكنهما [سهلان] يسهِّلان علىٰ الناس. وعن ابن عمر مثله، ورُوي عن ابن عمر أنه مشىٰ خلف الجنازة، فسأله نافع: كيف المشي في الجنازة خلفها أم أمامها؟ فقال: أما تراني أمشي خلفها. وعن أنس أن رسول الله ﷺ وأبا بكر وعمر كانوا يمشون أمام الجنازة. وبهذا عُلم أن في المشي أمامها فضيلة، والمشي خلفها أفضل؛ لِما فيه من الأمر والنهي والفعل والحث عليه، ولهذا مشىٰ ابن عمر خلفها، وهو الراوي لمشي النبي ﷺ أمامها، ولأن المشي خلفها أمكنُ

---

(١) تبيين الحقائق ١/ ٢٤٦.

(٢) السابق ١/ ٢٤٤ - ٢٤٥.

للمعاونة عند الحاجة إليها إذا نابت نائبة، فكان أَولىٰ، ولا يستقيم قول من قال: إن الشفيع يتقدم عادةً؛ لأن الشفاعة في الصلاة وهم يتأخَّرون عنها عندها، ولأن الشفيع [إنما يتقدم] عادةً إذا خِيفَ عليه بطش المشفوع عنده فيمنعه الشفيع، ولا يتحقَّق ذلك هنا (**والإسراع بالجنازة سنَّة**) قال العراقي[1]: متفق عليه[2] من حديث أبي هريرة: أسرِعوا بالجنازة ... الحديث.

قلت: وتمامه: «فإن تكُ صالحة فخيرٌ تقدِّمونها إليه، وإن تكُ سوىٰ ذلك فشرٌّ تضعونه عن رقابكم». وكذلك رواه أحمد[3] وأصحاب السنن[4]. وقد رُوي أيضًا من حديث ابن عمر، وفيه: عن أعناقكم، بدل: عن رقابكم.

ثم[5] المسنون أن يُسرَع بالميت وقت المشي بلا خَبَب، وحدُّه بحيث لا يضطرب الميتُ علىٰ الجنازة، وعن أبي موسىٰ الأشعري قال: مرَّت برسول الله ﷺ جنازة تمخض مخض الزق، فقال: «عليكم بالقصد». وعن ابن مسعود قال: سألنا نبيَّنا ﷺ عن المشي بالجنازة، فقال: «ما دون الخَبَب». والمستحَب أن يسرع بتجهيزه كلِّه.

(**فهذه جُمَل آداب تنبِّه**) الغافلَ (**علىٰ آداب المعاشرة مع عموم الخلق**) وأصنافهم (**والجملة الجامعة لمعرفتها أن لا تستصغر منهم أحدًا**) أي لا تستحقره (**حيًا كان أو ميتًا فتهلك؛ لأنك لا تدري لعله**) أي الذي تستصغره (**خير منك**) فإنه (**وإن كان فاسقًا فلعله يُختَم لك بمثل حاله**) وهو الفسق (**ويُختَم له بالصلاح**) فإن الخاتمة تتضمن علىٰ الأعمال (**ولا تنظر إليهم بعين التعظيم لهم في حال دنياهم**)

---

(١) المغني ١/ ٥٢٠.

(٢) صحيح البخاري ١/ ٤٠٥. صحيح مسلم ١/ ٤١٩.

(٣) مسند أحمد ١٢/ ٢٠٨، ٢١٦، ١٣/ ١٨٨، ١٦/ ٢٢١.

(٤) سنن أبي داود ٤/ ٤٦. سنن الترمذي ٢/ ٣٢٥. سنن النسائي ص ٣٠٧. سنن ابن ماجه ٣/ ٣٤.

(٥) تبيين الحقائق ١/ ٢٤٤.

أي لا تعظِّمهم لأجل دنياهم **(فإن الدنيا صغيرة)** أي ذليلة **(عند الله، صغير ما فيها)** أي أمورها إلا ما استُثني منها، بل إنها لا تسوىٰ عند الله جناح بعوضة، كما ورد في الخبر **(ومهما عظُم أهلُ الدنيا في نفسك)** وعينك **(فقد عظُمت الدنيا)** لأنه لازمٌ من تعظيم أهلها لأجل تعظيمها **(فتسقط من عين الله عَزَّوَجَلَّ)** أي تبعُد من رحمته **(ولا تبذل لهم دينك)** الذي هو رأس مالك **(لتنال من دنياهم)** التي بأيديهم **(فتصغر في أعينهم)** وتزول هيبتُك عندهم **(ثم تُحرَم دنياهم)** أي لا يعطونك منها **(فإن لم تُحرَم كنت قد استبدلتَ الذي هو أدنىٰ بالذي هو خير)** وفي هذا سُئل ابن المبارك عن حاله، فأنشد:

نرقِّع دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقىٰ ولا ما نرقِّعُ

(ولا تُعادِهم بحيث تُظهِر العداوةَ) وتجاهر بها **(فيطول الأمر عليك في المعاداة فيذهب دينك ودنياك فيهم ويذهب دينهم فيك)** فإن من لازِم عداوتهم أن يعادوه، ومعاداة أهل الإيمان محاربة لله ورسوله فتكون أنت سببًا في ذلك **(إلا إذا رأيتَ منكَرًا)** شرعيًّا **(في الدين فتعادي أفعالهم القبيحة)** لا ذواتهم **(وتنظر إليهم بعين الرحمة لهم)** والشفقة عليهم **(لتعرُّضهم لمقت الله وعقوبته بعصيانهم)** وتمرُّدهم علىٰ الله **(فحسبهم جهنم يصلونها)** أي يدخلونها **(فما لك تحقد عليهم)**؟! أي فمثل هؤلاء لا يُحقَدون **(ولا تسكن إليهم في مودَّتهم لك)** إن أظهروها **(و)** حسن **(ثنائهم)** لك و**(عليك في وجهك)** في ملأ من الناس **(وحُسن بِشرهم لك)** عند الملتقَىٰ **(فإنك إن طلبتَ حقيقة ذلك لم تجد في المائة إلا واحدًا، وربما لا تجده)** ففي الخبر: «الناس كالإبل المائة لا تجد فيها راحلة» **(و)** إن بُليتَ بمعاشرتهم **(لا تشكُ إليهم أحوالك فيَكِلك الله إليهم)** فتخسر عاقبتك، فإنَّ مَن وكله الله إلىٰ غيره فقد هلك **(ولا تطمع أن يكونوا لك في الغيبة والسر كما)** يكونوا لك **(في العلانية، فإن ذلك طمع كاذب)** وسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً **(وأنَّىٰ تظفر بذلك)** فإنه كالمُحال **(ولا تطمع فيما بين أيديهم)** من الأموال والأرزاق **(فتستعجل الذل)** والهوان عندهم **(ولا تنال**

الغرضَ) المطلوب منهم **(ولا تَعْلُ عليهم تكبُّرًا لاستغنائك عنهم، فإن الله يلجئك إليهم)** ويضطرك لهم **(عقوبةً علىٰ التكبُّر بإظهار الاستغناء)** وقد جرت سنَّة الله بذلك **(وإذا سألتَ أحدًا منهم حاجة)** دنيوية **(فقضاها فهو أخ مستفاد)** فتمسَّكْ به **(وإن لم يقضِ)** لمانع **(فلا تعاقبه فيصير)** لك **(عدوًّا)** يحقد عليك في نفسه **(تطول عليك مقاساته)** وتصعُب معالجتُه **(ولا تشتغل بوعظ مَن لا ترىٰ فيه لوائح القبول)** بقرائن ظاهرة **(فلا يسمع منك)** قولك **(ويعاديك، وليكنْ وعظك)** لهم **(عرْضًا)** تعرضه عليهم **(واسترسالاً من غير تنصيص)** ولا تخصيص **(علىٰ الشخص)** بعينه، كما كان ﷺ يفعل ذلك، فكان يقول إذا أراد التحذير عن شيء بلغه عن بعض أفراد أمَّته: ما بال رجال يقولون كذا ويفعلون كذا؟ **(ومهما رأيت منهم كرامة)** أي إكرامًا لك **(وخيرًا)** وصل إليك **(فاشكر الله الذي سخَّرهم لك)** فانقادوا **(واستعذِ بالله أن يَكِلك إليهم)** فتنسىٰ المنعم المطلق **(فإذا بلغتك عنهم غِيبةٌ)** أي كلمة سوء في حق أحد من المسلمين **(أو رأيت منهم شرًّا)** لجماعة المسلمين **(أو أصابك منهم ما يشوِّش)** القلبَ والخاطر **(فكِلْ أمرهم إلىٰ الله، واستعذْ بالله من شرِّهم، ولا تشغل نفسَك بالمكافأة)** أي المجازاة **(فيزيد الضررُ)** ويطير الشرر **(ويضيع العمر بشغله. ولا تقل لهم)**: أنتم **(لم تعرفوا موضعي)** من الحب **(واعتقدْ أنك لو استحقَّيت ذلك لجعل الله لك موضعًا في قلوبهم)** ومهابة في عيونهم **(فالله)** عَزَّوَجَلَّ هو **(المحبِّب والمبغِّض إلىٰ القلوب)** وقلوبهم بيده يصرفها كيف شاء **(وكنْ فيهم سميعًا لحقِّهم)** فأعطِه ما يستوجبه **(أصم عن باطلهم)** ولغوهم **(نطوقًا)** أي كثير النطق **(بحقهم، صموتًا)** كثير السكوت **(عن باطلهم)** فإنه لا يعنيك **(واحذر صحبة أكثر الناس، فإنهم لا يقيلون عثرة)** أي سقطة **(ولا يغفرون زلَّة)** أي خطيئة **(ولا يسترون عورة)** أي عيبًا **(ويحاسبون علىٰ النقير والقِطمير)** أي الشيء التافه الحقير **(ويحسدون علىٰ القليل والكثير، ينتصفون)** لأنفسهم من غيرهم **(ولا ينصفون)** في أنفسهم للغير **(ويؤاخذون علىٰ الخطأ والنسيان)** ويدقِّقون **(ولا يعفون)** ولا يسامحون **(يعيِّرون)** ولا يغيِّرون **(ويمشون بين الإخوان بالنميمة والبهتان، فصحبة**

أكثرهم خسران) واتِّباع لهوىٰ الشيطان **(وقطيعتهم رجحان)** والعزلة عنهم سلامة الإنسان **(إن رضوا فظاهرهم المَلَق)** بالتحريك **(وإن سخطوا فباطنهم الحَنَق)** بالتحريك أيضًا وهو الاغتياظ **(ولا يؤمَنون في حَنَقهم)** فإنه يُخشىٰ من بوادرهم **(ولا يُرجَون في مَلَقهم)** أي تملُّقهم **(ظاهرهم ثياب)** فاخرة **(وباطنهم ذئاب)** كاسرة **(يقطعون بالظنون)** ويتَّهمون **(ويتغامزون وراءك بالعيون)** أي إذا قمت من عندهم **(ويتربَّصون)** أي ينتظرون **(بصديقهم من)** أجل **(الحسد ريب المنون)** أي الهلاك **(يحصون عليك العثرات)** أي يعدُّونها **(في صحبتهم ليواجهوك)** وفي نسخة: ليجهوك **(بها في)** وفي نسخة: عند **(غضبهم ووحشتهم، ولا تعوِّل)** أي لا تعتمد **(علىٰ مودة من لم تخبره حق الخبرة إلا بأن تصحبه مدة في دار أو موضع واحد وتجرِّبه في)** حالتَي **(عزله وولايته وغناه وفقره)** وعسره ويسره **(أو تسافر معه)** إلىٰ موضع آخر **(أو تعامله في الدينار والدرهم، أو تقع في شدة فتحتاج إليه)** وقد مرَّ بعضُ ذلك من قول سيدنا عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **(فإن رضيتَه في هذه الأحوال)** واختبرتَه خبرة الرجال **(فاتخذْه أبًا لك إن كان كبيرًا)** فوقِّرْه توقير الأب **(أو ابنًا لك إن كان صغيرًا)** فعاملْه معاملة الشفقة **(أو أخًا لك إن كان مِثلاً لك)** في السن، وقد رُوي مثل ذلك من قول الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **(فهذة جملة آداب المعاشرة مع أصناف الخلق)** علىٰ نيَّاتهم واختلاف طبقاتهم. والله أعلم.

حقوق الجوار

(اعلمْ أن الجوار) أي المجاورة (تقتضي حقًّا وراء ما يقتضيه حق أخوَّة الإسلام، فيستحق الجار المسلم ما يستحقه كل مسلم وزيادة؛ إذ قال النبي ﷺ: الجيران) جمع[١] جار، كنار ونيران (ثلاثة: جار) وفي رواية: فجار (له حق واحد) علىٰ جاره، وهو أدنىٰ الجيران حقًّا (وجار له حقانِ، وجار له ثلاثة حقوق، فالجار الذي له ثلاثة حقوق) هو (الجار المسلم ذو الرحم فله حق الجوار وحق الإسلام وحق الرحم، وأما) الجار (الذي له حقَّان فالجار المسلم له حق الجوار وحق الإسلام، وأما الذي له حق واحد فالجار المشرك) يعني الكافر، وخص المشرك لغلبته حينئذٍ. وفي رواية: «الجيران ثلاثة: فجار له حق واحد وهو أدنىٰ الجيران حقًّا، وجار له حقان، وجار له ثلاثة حقوق؛ فأما الذي له حق واحد فجار مشرك لا رحم له له حق الجوار، وأما الذي له حقانِ فجار مسلم له حق الإسلام وحق الجوار، وأما الذي له ثلاثة حقوق فجار مسلم ذو رحم له حق الإسلام وحق الجوار وحق الرحم». فاستفدنا من الحديث أن للمجاورة مراتب بعضها ألصق من بعض علىٰ الترتيب المذكور في الرواية الثانية، وأقرب أهل المرتبة الثالثة في الرواية الثانية وأحقُّها بما يستوجبه الجار من الإكرام لَزوجتُه، فإن كانت قريبة فهي آكَدُ، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾ [النساء: ٣٦] قيل: الأول المسلم والثاني الكافر، وقيل: الأول القريب المسكن والثاني بعيده، وقيل: الأول البعيد والثاني الزوجة.

قال العراقي[٢]: رواه الحسن بن سفيان والبزار[٣] في مسنديهما وأبو الشيخ

---

(١) فيض القدير ٣/ ٣٦٦ - ٣٦٧.

(٢) المغني ١/ ٥٢٠.

(٣) كشف الأستار عن زوائد البزار ٢/ ٣٨٠.

في كتاب الثواب وأبو نعيم في الحلية[١] من حديث جابر، ورواه ابن عدي[٢] من حديث عبد الله بن عمرو، وكلاهما ضعيف.

قلت: وكذلك رواه الديلمي والطبراني[٣] من حديث جابر، وله طرق متصلة ومرسلة، وفي الكل مقال، وشيخ الطبراني فيه عبد الله بن محمد الحارثي[٤]، وضَّاع.

(فانظر كيف أثبتَ للمشرك حقًّا بمجرَّد الجوار) وقد تقدم أن المراد به الكافر **(وقد قال ﷺ: أحسِنْ مجاورة مَن جاورك تكنْ مسلمًا)** وفي لفظ «مؤمنًا»، والحديث بطوله قد تقدَّم عن أبي الدرداء. فهذا أعمُّ من أن يجاور مسلمًا أو مشركًا، فهو علىٰ كل حال مأمور بإحسان الجار.

(وقال ﷺ: ما زال جبريل يوصيني بالجار) قال[٥] العلائي: الظاهر أن المراد جار الدار لا جار الجوار؛ لأن التوارث كان في صدر الإسلام بجوار العهد، ثم نُسخ **(حتىٰ)** إنه لمَّا أكثرَ [عليَّ] من المحافظة علىٰ رعاية حقه **(ظننتُ أنه سيورِّثه)** أي سيحكم بتوريث الجار من جاره بأن يأمرني عن الله به، قيل: بأن يجعل له مشاركة في المال بفرض [سهم] يُعطاه مع الأقارب، أو بأن ينزِّل منزلة من يرث بالبر والصلة، قال الحافظ ابن حجر[٦]: والأول أَولىٰ، فإن الثاني استمر، والخبر مُشعِر بأن التوريث لم يقع. وقال ابن العربي في العارضة[٧]: نبَّه بذلك علىٰ أن الحقوق إذا تأكَّدت بالأسباب فأعظمُها حرمة الجوار وهو قرب الدار، فقد أنزله بذلك منزلة الرحم، وكاد يوجب له حقًّا في المال. وللجوار مراتب، منها الملاصقة، ومنها

---

(١) حلية الأولياء ٥/ ٢٠٧.

(٢) الكامل في الضعفاء ٥/ ١٨١٨.

(٣) مسند الشاميين ٣/ ٣٥٦.

(٤) هذا خطأ، فعبد الله بن محمد هو شيخ البزار، أما شيخ الطبراني فهو الحسن بن علي المعمري.

(٥) فيض القدير ٥/ ٤٤٧ - ٤٤٨.

(٦) فتح الباري ١٠/ ٤٥٦.

(٧) عارضة الأحوذي ٨/ ١٢٣.

المخالطة بأن يجمعهما مسجد أو مدرسة أو محلّة أو سوق أو نحو ذلك، ويتأكّد الحق مع المسلم[١]. ا.هـ. قال المناوي: وفيه إشارة إلىٰ ما بالَغَ به بعض الأئمة من إثبات الشفعة له، وله مراتب بعضها أقل من بعض، فأعلاها مَن جمع صفات الكمال ثم أكثرها ... وهلم جرًّا، وعكسه مَن جمع ضدها كذلك، فيعطَىٰ كلٌّ حقه بحسب حاله ويرجَّح عند تعارض الصفات. والميراث قسمان: حسي ومعنوي، فالحسي هو المراد هنا، والمعنوي ميراث العلم، وقد يُلحَظ هنا أيضًا، فإنَّ حق الجار علىٰ جاره تعليمه ما يجب. وأُخذ من تعميم الجار في هذا الخبر - حيث لم يخصَّ جارًا دون جار - أنه يجب ودُّ أهل المدينة ومحبة عوامِّهم وخواصِّهم، قال المجد اللغوي: وكل ما احتجَّ به مَن رمىٰ عوامَّهم بالبدع وترك الاتِّباع لا يصلُح حجةً، فإن ذلك إذا ثبت في شخص معين لا يخرج عن حكم الجار ولو جارَ، ولا يزول عنه شرف مساكنة الدار كيف دارَ.

قال العراقي[٢]: متفق عليه[٣] من حديث عائشة وابن عمر.

قلت: حديث عائشة رواه أيضًا أحمد[٤] والأربعة[٥]، ورواه البيهقي في الشعب[٦] من طريق الليث عن يحيىٰ بن سعيد عنها بلفظ «يورِّثه»، وفيه زيادة «وما زال يوصيني بالمملوك حتىٰ ظننت أنه يضرب له أجلاً أو وقتًا إن بلغه عتق»، وقال: هو صحيح علىٰ شرط مسلم والبخاري. وأما حديث ابن عمر فرواه أيضًا أحمد[٧] وأبو داود والترمذي

---

(١) بعده في العارضة: «ويبقىٰ أصله مع الكافر والمسلم، وقد يكون مع العاصي بالستر عليه».

(٢) المغني ١/ ٥٢١.

(٣) صحيح البخاري ٤/ ٩٤. صحيح مسلم ٢/ ١٢١٤.

(٤) مسند أحمد ٤٠/ ٣٠٤، ٤١/ ١٤٧، ٤٢/ ٣٤٧، ٤٣/ ١٤٤.

(٥) سنن أبي داود ٥/ ٤١٤. سنن الترمذي ٣/ ٤٩٦. سنن ابن ماجه ٥/ ٢٥٩. ولم أقف عليه عند النسائي.

(٦) شعب الإيمان ١١/ ٦٩.

(٧) مسند أحمد ٩/ ٤١٠.

من طريق مجاهد عنه[١]، وله سبب سيأتي ذِكره قريبًا في كلام المصنف.

وفي الباب عن ابن عمرو وأبي هريرة وجابر وزيد بن ثابت وأبي أمامة وعلي ومحمد بن مَسلمة؛ فحديث ابن عمرو رواه أحمد[٢] والبخاري في الأدب المفرد[٣] والطبراني في الكبير[٤] والبيهقي في الشعب[٥]. وحديث أبي هريرة رواه أحمد[٦] وابن حبان[٧]. وحديث جابر رواه عبد بن حميد[٨] والبخاري في الأدب المفرد[٩]. وحديث زيد بن ثابت رواه الطبراني في الكبير[١٠]. وحديث أبي أمامة رواه أحمد[١١] والطبراني في الكبير[١٢]. وحديث علي رواه الطبراني في الكبير[١٣]. وحديث محمد بن مسلمة رواه الطبراني في الكبير[١٤] بلفظ: «حتىٰ كنت أنتظر أن يأمرني بتوريثه».

(وقال ﷺ: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره) قال العراقي[١٥]:

---

(١) حديث ابن عمر ليس عند أبي داود ولا الترمذي، وليس هو من طريق مجاهد، وإنما من طريق عمر ابن محمد بن زيد عن أبيه عنه.

(٢) مسند أحمد ١١/ ٣٨.

(٣) الأدب المفرد ص ٤٤.

(٤) المعجم الكبير ١٣/ ٤٣٤، ٤٥٢.

(٥) شعب الإيمان ١٢/ ١٠٧.

(٦) مسند أحمد ١٢/ ٤٩١، ١٣/ ٤١٥، ١٥/ ٤٦٥، ١٦/ ١١، ٣٩٤.

(٧) صحيح ابن حبان ٢/ ٢٦٧، ١٣/ ١٦٥.

(٨) المنتخب من مسند عبد بن حميد ٢/ ١٩٠.

(٩) الأدب المفرد ص ٥٠.

(١٠) المعجم الكبير ٥/ ١٥١.

(١١) مسند أحمد ٣٦/ ٦٣٤.

(١٢) المعجم الكبير ٨/ ١٦٦.

(١٣) السابق ١/ ١٠٢.

(١٤) السابق ١٩/ ٢٣٥.

(١٥) المغني ١/ ٥٢١.

متفق عليه[١] من حديث أبي شريح.

قلت: أخبرنا به عمر بن أحمد بن عقيل، أخبرنا عبد الله بن سالم، أخبرنا محمد بن العلاء الحافظ، أخبرنا علي بن يحيىٰ، أخبرنا يوسف بن زكريا، أخبرنا محمد بن عبد الرحمن الحافظ، أخبرنا أحمد بن علي الحافظ قال: أخبرنا أبو عبد الله بن قوام، أخبرنا أبو الحسن ابن هلال وأبو الحسن العسقلاني قالا: أخبرنا أبو إسحاق الواسطي، أخبرنا أبو الحسن الطوسي، أخبرنا أبو محمد السَّيِّدي، أخبرنا أبو عثمان البحيري، أخبرنا أبو علي السرخسي، أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب الزهري، أخبرنا مالك[٢]، عن سعيد المقبُري، عن أبي شُرَيح الكعبي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرمْ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه». هذا حديث صحيح، أخرجه أحمد[٣] عن يحيىٰ القَطَّان قال: حدثني مالك. فوقع لنا بدلاً عاليًا. وأخرجه البخاري وأبو داود[٤] والنسائي[٥] من حديث مالك. وأخرجه مسلم والترمذي[٦] والنسائي جميعًا عن قتيبة عن الليث عن سعيد.

(وقال ﷺ: لا يؤمن عبد حتىٰ يأمن جارُه بوائقه) جمع[٧] بائقة وهي النازلة وهي الداهية والشر الشديد، وباقت الداهية: إذا نزلت.

---

(١) صحيح البخاري ٤/ ٩٥، ١١٦. صحيح مسلم ١/ ٤١، ٢/ ٨٢٦.

(٢) الحديث في الموطأ ٢/ ٩٢٩.

(٣) مسند أحمد ٤٥/ ١٣٨.

(٤) سنن أبي داود ٤/ ٢٧٧.

(٥) لم أقف عليه عند النسائي.

(٦) سنن الترمذي ٣/ ٥١٣.

(٧) المصباح المنير ص ٦٦.

قال العراقي[١]: رواه البخاري[٢] من حديث أبي شريح.

قلت: وروىٰ ابن عساكر[٣] من طريق أسد بن عبد الله بن يزيد القسري عن أبيه عن جده رفعه: «لا يؤمن أحدكم حتىٰ يأمن جارُه شرَّه».

وروىٰ[٤] ابن النجار من حديث أنس: «لا يؤمن عبدٌ حتىٰ يكون لسانه وقلبه سواء، وحتىٰ يأمن جارُه بوائقَه، ولا يخالف قولَه فعلُه».

(**وقال ﷺ: أول خصمينِ يوم القيامة جاران**[٥]).

وقال ﷺ: إذا أنت رميت كلب جارك فقد آذيتَه) قال العراقي[٦]: لم أجد له أصلاً.

(**ويُروَىٰ أن رجلاً جاء إلىٰ ابن مسعود رضي الله عنه فقال له: إن لي جارًا يؤذيني ويشتمني ويضيِّق عليَّ. فقال له: اذهب، فإن هو عصىٰ الله فيك فأطِع الله فيه**) أي لا تؤذِه، ولا تضيِّق عليه.

(**وقيل لرسول الله ﷺ: إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذي جيرانها. فقال ﷺ: هي في النار**) قال العراقي[٧]: رواه أحمد[٨] والحاكم[٩] من حديث أبي

(١) المغني ١/ ٥٢١.

(٢) صحيح البخاري ٤/ ٩٤.

(٣) تاريخ دمشق ٨/ ٣١٣.

(٤) كنز العمال ١/ ٤١.

(٥) قال العراقي في المغني ١/ ٥٢١: «رواه أحمد والطبراني من حديث عقبة بن عامر بسند ضعيف». والحديث في مسند أحمد ٢٨/ ٦٠١، والمعجم الكبير للطبراني ١٧/ ٣٠٣، ٣٠٩.

(٦) المغني ١/ ٥٢١.

(٧) السابق ١/ ٥٢١.

(٨) مسند أحمد ١٥/ ٤٢١.

(٩) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٢٨٠.

هريرة، وقال: صحيح الإسناد.

(وجاء رجل إلىٰ النبي ﷺ يشكو جاره) أنه يؤذيه **(فقال له النبي ﷺ: اصبر)** علىٰ أذاه **(ثم قال له في الثالثة أو الرابعة: اطرح متاعك في الطريق)** فذهب فطرح متاعه في الطريق **(قال: فجعل الناس يمرُّون به فيقولون: ما لك؟ فيقال: آذاه جارُه. فجعلوا يقولون: لعنه الله. فجاءه جاره فقال له: رُدَّ متاعَك، فواللهِ لا أعود)** إلىٰ أذاك. قال العراقي[1]: رواه أبو داود[2] وابن حبان[3] والحاكم[4] من حديث أبي هريرة، وقال: صحيح علىٰ شرط مسلم.

(وروىٰ الزُّهري) [محمد بن مسلم] بن عبيد الله [بن عبد الله] بن شهاب رحمه الله تعالىٰ **(أن رجلاً أتىٰ النبيَّ ﷺ، فجعل يشكو جارَه، فأمر ﷺ أن ينادَىٰ علىٰ باب المسجد: ألا إن أربعين دارًا جارٌ. قال الزهري: أربعون هكذا وأربعون هكذا وأربعون هكذا وأربعون هكذا. وأومأ إلىٰ أربع جهات)** قال العراقي[5]: رواه أبو داود في المراسيل[6]، ووصله الطبراني[7] من حديث [الزهري عن] ابن كعب بن مالك عن أبيه، ورواه أبو يعلىٰ[8] من حديث أبي هريرة وقال: أربعون

---

(١) المغني ١/ ٥٢١ - ٥٢٢.

(٢) سنن أبي داود ٥/ ٤١٤.

(٣) صحيح ابن حبان ٢/ ٢٧٨.

(٤) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٢٧٩.

(٥) المغني ١/ ٥٢٢.

(٦) المراسيل ص ٢٥٧ مختصرا بلفظ: «الساكن من أربعين دارا جار». وليس فيه قصة الرجل ولا النداء علىٰ باب المسجد.

(٧) المعجم الكبير ١٩/ ٧٣، ولفظه: «أتىٰ النبي ﷺ رجل فقال: يا رسول الله، إني نزلت في محلة بني فلان، وإن أشدهم لي أذىٰ أقدمهم لي جوارا. فبعث رسول الله ﷺ أبا بكر وعمر وعليا يأتون المسجد فيقومون علىٰ بابه فيصيحون: ألا إن أربعين دارا جار، ولا يدخل الجنة من خاف جاره بوائقه».

(٨) مسند أبي يعلىٰ ١٠/ ٣٨٥، ولفظه: «حق الجوار أربعون دارا هكذا وهكذا وهكذا وهكذا =

ذراعًا، وكلاهما ضعيف.

قلت: لفظ[1] أبي داود في المراسيل: قلت له - يعني الزهري: وكيف أربعون دارًا جار؟ قال: أربعون عن يمينه وعن يساره وعن خلفه وبين يديه. وسنده صحيح، وقال الحافظ[2]: رجاله ثقات. وفيه حُجة لمذهب الشافعي أنه لو أوصىٰ لجيرانه صُرف لأربعين دارًا من كل جانب من الجوانب الأربعة[3]، وقال أبو حنيفة: يُصرَف إلىٰ الجار الملاصق فقط[4].

ورویٰ الديلمي[5] في مسنده من طريق عبد السلام بن الجنوب عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة رفعه بلفظ: «الجار ستون دارًا عن يمينه، وستون عن يساره، وستون من خلفه، وستون بين يديه[6]».

(وقال ﷺ: اليُمْن والشؤم في المرأة والمسكن والفرس؛ فيُمْن المرأة خفة مهرها ويُسر نكاحها وحسن خُلُقها، وشؤمها غلاء مهرها وعسر نكاحها وسوء خلقها. ويُمن المسكن سعته وحسن جوار أهله، وشؤمه ضيقه وسوء جوار أهله. ويُمْن الفرس ذله وحسن خُلُقه، وشؤمه صعوبته وسوء خلقه) قال العراقي[7]: رواه مسلم[8] من حديث ابن عمر: «الشؤم في الدار والمرأة والفرس». وفي رواية

= يمينا وشمالا وقداما وخلفا». (أربعون دارا) هكذا في المسند وفي مجمع الزوائد ٨/ ٣٠٧. وفي المطالب العالية لابن حجر ١٢/ ٥٣ (ط - دار العاصمة): «أربعون ذراعا» كما قال العراقي.

(١) فيض القدير ١/ ٤٧٣.

(٢) التلخيص الحبير ٣/ ٢٠١.

(٣) انظر: الأم ٥/ ٢٠٦. فتح العزيز ٧/ ٨٩. روضة الطالبين ٦/ ١٦٨.

(٤) انظر: تبيين الحقائق ٦/ ٢٠٠. البناية شرح الهداية ١٣/ ٤٦١ - ٤٦٣. الدر المختار ص ٧٤٠.

(٥) الفردوس بمأثور الخطاب ٢/ ١١٩.

(٦) في الفردوس: وستون من قدامه.

(٧) المغني ١/ ٥٢٢.

(٨) صحيح مسلم ٢/ ١٠٥٩ - ١٠٦٠. ورواه أيضا البخاري في صحيحه ٢/ ٣٢٠، ٣/ ٣٦١، ٤/ ٤٦، ٥٠.

له: «إن يكن من الشؤم شيء حقًّا». وله من حديث سهل بن سعد: «إن كان ففي الفرس والمرأة والمسكن». وللترمذي[١] من حديث حكيم بن معاوية: «لا شؤم، وقد يكون اليُمْن في الدار والمرأة والفرس». ورواه ابن ماجه[٢] فسمَّاه: مِخْمَر بن معاوية. وللطبراني[٣] من حديث أسماء بنت عُمَيس قالت: يا رسول الله، ما سوء الدار؟ قال: «ضِيق ساحتها وخُبث جيرانها». قيل: فما سوء الدابَّة؟ قال: «منعُها ظهرها وسوء خُلقها». قيل: فما سوء المرأة؟ قال: «عقم رحمها وسوء خُلُقها». وكلاهما ضعيف. ورويناه في كتاب «الخيل» للدمياطي من حديث سالم بن عبد الله مرسلاً: «إذا كان الفرس ضَرُوبًا فهو مشؤوم، وإذا كانت المرأة قد عرفت زوجًا قبل زوجها فحنَّت إلىٰ الزوج الأول فهي مشؤومة، وإذا كانت الدار بعيدة من المسجد لا يُسمَع فيها الأذان والإقامة فهي مشؤومة». وإسناده ضعيف[٤].

---

(١) سنن الترمذي ٤/ ٥١٥.

(٢) سنن ابن ماجه ٣/ ٤٠٨.

(٣) المعجم الكبير ٢٤/ ١٥٣ - ١٥٤.

(٤) بعده في المغني: «ووصله صاحب مسند الفردوس بذكر ابن عمر فيه». وفي كتاب غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب للسفاريني ٢/ ٣٢٦ (ط - دار الكتب العلمية) ما نصه: «قال الحافظ الدمياطي: ومن أغرب ما وقع لي في تأويله ما رويناه بالإسناد الصحيح عن يوسف بن موسىٰ القطان عن سفيان بن عيينة عن الزهري عن سالم عن أبيه أن النبي ﷺ قال: البركة في ثلاث: في الفرس والمرأة والدار. قال يوسف: سألت ابن عيينة عن معنىٰ هذا الحديث، فقال: سألت عنه الزهري فقال: سألت عنه سالما فقال: سألت عنه أبي عبد الله بن عمر فقال: سألت عنه النبي ﷺ فقال: إذا كان الفرس ضروبا فهو مشؤوم، وإذا كانت المرأة عرفت زوجا غير زوجها فحنت إلىٰ الزوج الأول فهي مشؤومة، وإذا كانت الدار بعيدة عن المسجد لا يسمع فيها الأذان والإقامة فهي مشؤومة، وإذا كن بغير هذه الصفات فإنهن مباركات».

قلت: أما حديث سهل بن سعد فقد رواه أيضًا مالك[١] وأحمد[٢] والبخاري[٣] وابن ماجه[٤] بلفظ: «إن كان الشؤم في شيء ...» الحديث. وحديث ابن عمر متفق عليه. ورواه كذلك مسلم[٥] والنسائي[٦] من حديث جابر، وفي لفظ لمسلم: «إن كان في شيء ففي الرَّبْع والخادم والفرس». ورواه النسائي[٧] من حديث الزهري عن محمد بن زيد بن قنفذ عن سالم مرسلاً وزاد فيه: السيف. ورواه الطبراني في الكبير[٨] من حديث عبد المهيمن بن عباس بن سهل بن سعد عن أبيه عن جده بلفظ: «لا شؤم، فإن يكُ شؤمٌ ففي الفرس والمرأة والمسكن». وأما حديث معاوية بن حكيم عن عمِّه حكيم بن معاوية النُّمَيري، فقال البخاري: في صحبته نظر[٩]. وروىٰ أحمد[١٠] والحاكم[١١] والبيهقي[١٢] من حديث عائشة: «إن من يُمْن المرأة تيسير خِطبتها، وتيسير صَداقها، وتيسير رحمها».

واختلف[١٣] العلماء في هذا علىٰ أقوال:

---

(١) الموطأ ٢/ ٩٧٢.

(٢) مسند أحمد ٣٧/ ٤٨٩، ٥١٠.

(٣) صحيح البخاري ٢/ ٣٢١، ٣/ ٣٦١.

(٤) سنن ابن ماجه ٣/ ٤٠٩.

(٥) صحيح مسلم ٢/ ١٠٦٠.

(٦) سنن النسائي ص ٥٥٦.

(٧) السنن الكبرىٰ ٨/ ٣٠٦.

(٨) المعجم الكبير ٦/ ١٢٣.

(٩) الذي في التاريخ الكبير للبخاري ٣/ ١١: «حكيم بن معاوية النميري، سمع النبي ﷺ». فأثبت له الصحبة.

(١٠) مسند أحمد ٤١/ ٢٧.

(١١) المستدرك علىٰ الصحيحين ٢/ ٢١٦.

(١٢) السنن الكبرىٰ ٧/ ٣٨٥.

(١٣) طرح التثريب ٨/ ١٢٠ - ١٢٤.

أحدها: إنكاره، وأنه ﷺ إنما حكاه عن معتقَد [أهل] الجاهلية، وهو قول عائشة، رواه ابن عبد البر في التمهيد[١].

الثاني: أنه علىٰ ظاهره، وأن هذه الأمور قد تكون سببًا في الشؤم، فيُجرِي الله الشؤم عند وجودها بقَدَره.

الثالث: ليس المراد بشؤمها ما يُتوقَّع بسبب اقتنائها من الهلاك، بل شؤم الدار والمرأة والفرس ما ذُكر في سياق المصنف. وقال معمر: سمعت من يفسِّر هذا الحديث ويقول: شؤم المرأة إذا كانت غير ولود، وشؤم الفرس إذا لم يُغْزَ عليه في سبيل الله، وشؤم الدار الجارُ السوء. واستحسنه ابن عبد البر، وقد أشار البخاري إلىٰ هذا التأويل[٢].

الرابع: المراد بالشؤم في هذه الأحاديث عدم الموافقة، كما سيأتي في حديث سعد ونافع بن عبد الحارث قريبًا[٣].

(واعلمْ أنه ليس حق الجوار كف الأذىٰ) عنه **(فقط، بل)** حقه **(احتمال الأذىٰ)** منه مع الكف **(فإنَّ الجار أيضًا قد كفَّ أذاه)** عنه **(فليس في ذلك قضاء حق)** إذ هو كفٌّ في مقابلة كفٍّ **(ولا يكفي احتمال الأذىٰ)** فقط **(بل لا بد من الرفق)** معه

---

(١) التمهيد ٩/ ٢٧٩ - ٢٩١.

(٢) بعده في طرح التثريب: «بأن قرن بالاستدلال بهذا الحديث قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ ﴾».

(٣) ذكر العراقي قولا خامسا، ونصه: «ذكر الخطابي أن معناه بعد إبطال الطيرة: إن كانت لأحدكم دار يكره سكناها أو امرأة يكره صحبتها أو فرس لا يعجبه ارتباطه فليفارقها، بأن ينتقل عن الدار، ويطلق المرأة، ويبيع الفرس. ومحل هذا الكلام محل استثناء الشيء من غير جنسه، وسبيله سبيل الخروج من كلام إلىٰ غيره. وذكر النووي أن الخطابي نقل هذا عن كثيرين. ويشهد له قوله في الصحيحين: إن كان الشؤم في شيء. ففي قول علىٰ أن هذا الكلام لم يُذكر علىٰ سبيل الجزم به، بل علىٰ سبيل التشبيه والتقريب». وانظر: معالم السنن للخطابي ٤/ ٢٣٦. وشرح صحيح مسلم للنووي ١٤/ ٣١٦ - ٣١٩.

(وإسداء الخير والمعروف) له وإليه **(إذ يقال: إن الجار الفقير يتعلَّق بالجار الغني يوم القيامة ويقول: يا رب، سَلْ هذا لِمَ منعني معروفه وسد بابه دوني)** وقد كنت محتاجًا إلىٰ فضله.

(وبلغ ابن المقفَّع) هو[1] أبو محمد عبد الله، فصيح بليغ، وكان اسمه رُوزبة أو داذَبة بن داذ جِشْنِش قبل إسلامه، وكنيته أبو عمر، فلما أسلم تسمَّىٰ بعبد الله وتكنَّىٰ بأبي محمد، ولُقِّب أبوه بالمقفَّع لأن الحجاج ضربه ضربًا مبرِّحًا فتقفَّعت يدُه، أي تشنَّجت. كذا في العُباب للصغاني **(أن جارًا له يبيع داره في دَين)** أي لأجل دين (ركبه، وكان) ابن المقفَّع **(يجلس في ظل داره، فقال: ما قمتُ إذًا بحرمة ظل داره إن باعها لعُدْمه)** بالضم، أي لفقره. وفي نسخة: معدمًا **(فدفع إليه الثمن)** أي ثمن الدار **(وقال: لا تبتعها)**[2] وفي نسخة: لا تَبِعْها.

(وشكا بعضُهم كثرة الفأر في داره، فقيل له: لو اقتنيتَ هرًّا) أي لو اتخذته **(فقال: أخشىٰ أن يسمع الفأر صوت الهر فيهرب إلىٰ دور الجيران، فأكون قد أحببت لهم ما لا أحب لنفسي)** وفي نسخة: ما لم أحب.

(وجملة حق الجار: أن يبتدئه بالسلام، ولا يطيل معه الكلام، ولا يُكثِر عن حاله السؤالَ، ويعوده في المرض، ويعزِّيه في المصيبة، ويقوم معه في العزاء، ويهنِّئه في الفرح، ويُظهِر الشركة في السرور معه، ويصفح عن زلاَّته، ولا يطَّلع) وفي نسخة: ولا يتطلَّع **(من السطح إلىٰ عوراته، ولا يضايقه في وضع الجذع)** أي الخشبة **(علىٰ جداره ولا في مصبِّ الماء من ميزابه ولا في مَطرح التراب من فِنائه)** أي حوالي داره، فإن كل ذلك من جملة المرافق **(ولا يضيِّق طريقه إلىٰ الدار، ولا يتبعه بالنظر فيما يحمله إلىٰ داره، ويستر ما ينكشف له من عوراته، وينعشه من صرعته إذا نابته نائبةٌ)**

---

(١) تاج العروس ٢٢/ ٥٩.

(٢) ذكر هذه القصة ابن قتيبة في عيون الأخبار ١/ ٤٦٢. وفيه: «إن باعها معدما وبت واجدا».

أي حدثت به حادثة (**ولا يغفل عن ملاحظة داره عند غَيبته**) بل يحوطها (**ولا يسمع عليه كلامًا**) وفي نسخة: ولا يستمع عليه كلامه (**ويغض بصره عن حرمته، ولا يديم النظر إلىٰ خادمه**) خصوصًا إذا كان مقبول الذات (**ويتلطَّف بولده في كلمته**) وفي نسخة: لولده (**ويرشده إلىٰ ما جهله من أمور دينه ودنياه**) ممَّا تُناط به المصالح (**هذا إلىٰ جملة الحقوق التي ذكرناها للمسلمين عامةً**) قال[1] ابن أبي جمرة[2]: والذي يشمل الجميعَ إرادتُه الخير له، وموعظته بالحسنىٰ، والدعاء له بالهداية، وترك الأذىٰ والإضرار مع اختلاف أنواعه حسيًّا كان أو معنويًّا، إلا في الموضع الذي يجب فيه الإضرار بالقول أو الفعل، فإن كان كافرًا يعظه بعرض الإسلام عليه وإظهار محاسنه برفق والترغيب فيه، ويعظ الفاسقَ بما يناسبه أيضًا، ويستر عليه زللَه عن غيره، وينهاه برفق، فإن أفادَ وإلا هجره قاصدًا تأديبه، مع إعلامه بالسبب ليكف (**وقد قال ﷺ: أتدرون ما حق الجار**) علىٰ الجار؟ (**إن استعان بك أعنتَه، وإن استنصرك نصرته، وإن استقرضك**) أي طلب منك أن تقرضه شيئًا (**أقرضته**) إن تيسَّرَ معك (**وإن افتقر عُدْتَ عليه**) وفي نسخة: جُدْتَ (**وإن مرض عُدْته، وإن مات اتبعت جنازته**) إلىٰ المصلَّىٰ ثم إلىٰ القبر (**وإن أصابه خير هنَّأته**) به (**وإن أصابته مصيبة**) في نفس أو مال أو أهل (**عزَّيته**) بما ورد في السنَّة من المأثور (**ولا تستطِل عليه بالبناء**) رفعًا يضرُّه [كما] أشار إليه بقوله (**فتحجب عنه**) وفي نسخة: فتحجز. أي تمنع عنه (**الريح**) أو الضوء. فإن خلا عن الضرر جاز [الرفع] إلا لذميٍّ علىٰ مسلم (**إلا بإذنه، ولا تؤذه، وإن اشتريت فاكهة فاهْدِ له، فإن لم تفعل فأدخِلْها سرًّا، ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده، ولا تؤذِه بقُتار**) بالضم، أي ريح (**قِدْرك**) أي طعامك الذي تطبخه في القِدر. فأطلق الظرف وأراد المظروف (**إلا أن تغرف له منها**) شيئًا يُهدَىٰ مثله عرفًا، فلا تحصل سنَّةُ القيام بحقه بقليل محتقَر لا يقع موقعًا من كفايته، كما يدل له قولُه في رواية أخرىٰ «فأصِبْهم منها بمعروف»؛ إذ هو ظاهر

---

(١) فيض القدير ٣/ ٣٩٣.

(٢) بهجة النفوس شرح مختصر صحيح البخاري ٤/ ١٦٤.

في أن المراد شيء يُهدَىٰ مثله عادةً؛ ذكره العلائي (**ثم قال: أتدرون ما حق الجار؟ والذي نفس محمد بيده لا يبلغ حقَّ الجار إلا مَن رحمه الله**. هكذا رواه **عمرو بن شعيب**) بن[١] محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص السهمي المدني، يكنَّىٰ أبا إبراهيم، وقيل: أبا عبد الله، نزل الطائف ومكة. روىٰ (**عن أبيه**) شعيب (**عن جده**) عبد الله بن عمرو بن العاص، أما عمرو فأكثر رواياته عن أبيه، وروىٰ أيضًا عن الرُّبيِّع بنت معوِّذ وزينب بنت أبي سلمة وطاووس وابن المسيب في آخرين، وعنه عمرو بن دينار وعطاء وداود بن أبي هند وابن جريج والأوزاعىٰ وخلق كثير، ووثَّقه يحيىٰ بن معين والنسائي. واختلف فيه قول يحيىٰ بن سعيد وأحمد، وقال أبو داود: ليس بحجة. وقال ابن عدي[٢]: روىٰ عنه أئمة الناس[٣]، إلا أن أحاديثه عن أبيه عن جده مع احتمالهم إياه لم يُدخِلوها في صحاح ما خرَّجوا وقالوا: هي صحيفة. مات بالطائف سنة ثماني عشرة ومائة.

وأما والده شعيب[٤] فقد روىٰ عن جده عبد الله وابن عمر وابن عباس وغيرهم، روىٰ عنه ابناه عمرو وعمر وثابت البُناني وعطاء الخراساني وغيرهم. ذكره ابن حبان في كتاب الثقات[٥] وقال: لا يصح له سماع من عبد الله بن عمرو. وقال البخاري وأبو داود والدارقطني والبيهقي وغيرهم: إنه سمع منه. وهو الصواب.

وأما أبوه محمد بن عبد الله فإنه روىٰ عن أبيه، وعنه ابنه شعيب وحكيم بن الحارث معًا. وليس مرادًا هنا، فإن ضمير «عن جده» راجع إلىٰ شعيب، وهو أقرب مذكور، ومن هنا سبب الاختلاف ودخول الشبه في روايات عمرو.

---

(١) تهذيب الكمال ٢٢/ ٦٤ - ٧٥.

(٢) الكامل في الضعفاء ٥/ ١٧٦٨.

(٣) بعده في التهذيب والكامل: «وثقاتهم وجملة من الضعفاء».

(٤) تهذيب الكمال ١٢/ ٥٣٤ - ٥٣٦.

(٥) الثقات ٦/ ٤٣٧.

وأما جده[١] عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد [بن سعد] بن سهم القرشي فإنه صحابي مشهور وابن صحابي، يكنىٰ أبا محمد، أسلم قبل أبيه، وكان بينه وبين أبيه في السن اثنتا عشرة سنة [روىٰ] **(عن النبي ﷺ)** وعن أبيه وعن أبي بكر وعمر وغيرهم، وعنه ابنه محمد وحفيده شعيب وأبو أُمامة بن سهل وابن المسيب وأبو سلمة وآخرون. توفي ليالي الحَرَّة، وكانت سنة ثلاث وستين[٢]، مات بمصر، وقيل: بفلسطين، وقيل: بمكة، وقيل: بالمدينة، وقيل: بالطائف.

قال العراقي[٣]: رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق[٤] وابن عدي في الكامل[٥]، وهو ضعيف.

قلت: ورواه الطبراني في الكبير[٦] من حديث بَهْز بن حكيم بن معاوية بن حَيْدة عن أبيه عن جده قال: سألت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، ما حق جاري عليَّ؟ قال: «حق الجار إن مرض عدتَه، وإن مات شيَّعته، وإن استقرضك أقرضته، وإن أعوز سترته، وإن أصابه خير هنَّأته، وإن أصابته مصيبة عزَّيته، ولا ترفع بناءك فوق بنائه فتسد عليه الريح، ولا تؤذِه بريح قِدْرك إلا أن تغرف له منها». قال الهيثمي[٧]: فيه أبو بكر الهُذَلي، وهو ضعيف. وقال العلائي: فيه إسماعيل بن عيَّاش، ضعيف، لكن ليست العهدة فيه عليه بل علىٰ شيخه أبي بكر الهذلي، فإنه

---

(١) تهذيب الكمال ١٥/ ٣٥٧ - ٣٦٢.

(٢) اختلف في وفاته اختلافا كثيرا، وهي بين سنة ثلاث وستين وسنة سبع وسبعين.

(٣) المغني ١/ ٥٢٣.

(٤) مكارم الأخلاق ص ٩٥.

(٥) الكامل في الضعفاء ٥/ ١٨١٨.

(٦) المعجم الكبير ١٩/ ٤١٩.

(٧) مجمع الزوائد ٨/ ٣٠٣.

أحد المتروكين. وقال الحافظ[١]: هذا الحديث رُوي بأسانيد واهية، لكن اختلاف مخرِّجيها يُشعِر بأن للحديث أصلاً.

(وقال مجاهد) التابعي رحمه الله تعالىٰ: **(كنت عند عبد الله بن عمرو)** رضي الله عنهما **(وغلام له يسلخ شاة، فقال: يا غلام، إذا سلختَ فابدأ بجارنا اليهودي. حتىٰ قال ذلك مِرارًا، فقال له: كم تقول هذا! فقال: إن رسول الله ﷺ لم يزل يوصينا بالجار حتىٰ حسبنا أنه سيورِّثه)** قال العراقي[٢]: رواه أبو داود[٣] والترمذي[٤]، وقال: حسن غريب.

قلت: ولفظ أبي داود والترمذي: عن مجاهد قال: كنا عند ابن عمرو عند القسمة وغلامه يسلخ شاة، فقال: ابدأ بجارنا اليهودي. ثم قالها مرة فمرة، فقيل له: لِمَ تذكر اليهودي؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ ... فذكره.

(وقال هشام) بن[٥] حسان الأزدي القُرْدُوسي، أبو عبد الله البصري، ثقة ثبت، روىٰ عن الحسن وابن سيرين، مات سنة سبع [أو ثمان] وأربعين [ومائة] **(كان الحسن)** يعني البصري **(لا يرىٰ بأسًا أن يطعم الجار اليهودي والنصراني من أضحيته)**[٦] وفي نسخة: أن تُطعِم من أضحيتك. وقال مالك: يُكرَه أن يطعم منها

---

(١) فتح الباري ١٠/ ٤٦٠.

(٢) المغني ١/ ٥٢٣.

(٣) سنن أبي داود ٥/ ٤١٤. ولفظه: «ذبح عبد الله بن عمرو شاة، فقال: أهديتم لجاري اليهود؟ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما زال جبريل يوصيني بالجار حتىٰ ظننت أنه سيورثه».

(٤) سنن الترمذي ٣/ ٤٩٦. ولفظه: «ذُبحت لعبد الله بن عمرو شاة في أهله، فلما جاء قال: أهديتم لجارنا اليهودي؟ أهديتم لجارنا اليهودي؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما زال جبريل يوصيني بالجار حتىٰ ظننت أنه سيورثه».

(٥) تقريب التهذيب ص ١٠٢٠ - ١٠٢١.

(٦) رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق ص ٨٩.

يهوديًّا أو نصرانيًّا[١].

(وقال أبو ذر) الغفاري (رضي الله عنه: **أوصاني خليلي)** رسول الله (صلى الله عليه وسلم **وقال: إذا طبختَ قِدْرًا فأكثِرْ ماءها، ثم انظر بعض أهل البيت من جيرانك فاغرف لهم منها)** قال العراقي[٢]: رواه مسلم[٣].

قلت: وروى ابن أبي شيبة في المصنَّف[٤] من حديث جابر: «إذا طبختم اللحم فأكثِروا المرق، فإنه أوسع وأبلغ للجيران».

(وقالت عائشة رضي الله عنها**: قلت لرسول الله** صلى الله عليه وسلم**: إن لي جارين، أحدهما مقبل عليَّ ببابه، والآخَر ناءٍ)** أي بعيد **(ببابه عني، وربما كان الذي عندي لا يسعهما)** أي لا يكفيهما **(فأيُّهما أعظم حقًّا؟ فقال: المقبل عليكِ ببابه)** قال العراقي[٥]: رواه البخاري[٦].

(ورأى) أبو بكر **(الصدِّيق)** رضي الله عنه **(ولده عبد الرحمن)** شقيق[٧] عائشة، تأخر إسلامه إلى قُبَيل الفتح، وشهد اليمامة والفتوح، ومات سنة ثلاث وخمسين في طريق مكة فجأة، وقيل: بعد ذلك **(وهو يماظُّ)** أي يخاصم **(جاره، فقال: لا تماظِّ**

---

(١) اختلاف الأئمة العلماء لابن هبيرة ١/ ٣٣٩. التفريع لابن الجلاب البصري ١/ ٣٩٣ (ط - دار الغرب الإسلامي).

(٢) المغني ١/ ٥٢٣.

(٣) صحيح مسلم ٢/ ١٢١٤. وفيه: «مرقا» بدل: قدرا. وفيه «فأصبهم منها بمعروف»، بدل: فاغرف لهم منها. وفي لفظ آخر له: «إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها، وتعاهد جيرانك».

(٤) لم أقف عليه في المصنف، وقد رواه أحمد في مسنده ٢٣/ ١٧٨.

(٥) المغني ١/ ٥٢٣.

(٦) صحيح البخاري ٢/ ١٢٩، ٢٣٥، ٤/ ٩٥. ولفظه: «قلت: يا رسول الله، إن لي جارين، فإلى أيهما أهدي؟ قال: إلى أقربهما منك بابا». ورواه الخرائطي في مكارم الأخلاق ص ٩٣ باللفظ الذي أورده الغزالي.

(٧) تقريب التهذيب ص ٥٧٢.

جارك) أي لا تخاصمه **(فإن هذا يبقىٰ والناس يذهبون**[١]**.**

وقال الحسن بن عيسىٰ) بن[٢] ماسَرْجِس الماسرجسي، أبو علي **(النيسابوري)** مولىٰ عبد الله بن المبارك، ذكره ابن حِبان في كتاب الثقات، ولم يزل من عقبه بنيسابور فقهاء ومحدِّثون، مات سنة تسع وثلاثين ومائتين[٣]، روىٰ له مسلم وأبو داود **(سألت عبد الله بن المبارك قلت: الرجل المجاور)** لي **(يأتيني فيشكو غلامي أنه أتىٰ إليه أمرًا والغلام ينكره، فأكره أن أضربه)** أي لإنكاره **(ولعله بريء)** ممَّا ينسبه إليه **(وأكره أن أدعه)** أي أتركه **(فيجد عليَّ جاري)** أي يأخذ في نفسه حيث إني لم أضربه **(فكيف أصنع؟ فقال: إن غلامك لعله أن يحدث حدثًا فيستوجب به الأدبَ، فاحفظ عليه)** ذلك. وفي نسخة: فاحفظه عليه **(فإذا اشتكاه جارك فأدِّبْه علىٰ ذلك الحدث، فتكون قد أرضيتَ جارك وأدَّبتَه علىٰ ذلك الحدث**[٤]**.**

وهذا تلطُّفٌ في الجمع بين الحقَّين): حق الجار وحق المِلك.

(وقالت عائشة رضي الله عنها**: خلال المكارم عشرة)** والحصر[٥] إضافيٌّ باعتبار الذِّكر هنا **(تكون في الرجل ولا تكون في أبيه، وتكون في العبد ولا تكون في سيده، يقسمها الله تعالىٰ لمَن أحب: صِدق الحديث)** لأن[٦] الكذب يجانب الإيمانَ؛ لأنه إذا قال «كان كذا» ولم يكن فقد افترىٰ علىٰ الله لزعمه أنه كوَّنه، فصِدقُ الحديث من الإيمان **(وصدق البأس)** لأنه من الثقة بالله شجاعةً وسماحةً **(وإعطاء السائل)** لأنه من الرحمة **(والمكافأة بالصنائع)** لأنه من الشكر **(وصلة الرحم)** لأنها من

---

(١) رواه ابن المبارك في الزهد والرقائق ص ٢٢٢، والخرائطي في مكارم الأخلاق ص ٩٢.

(٢) تهذيب الكمال ٦/ ٢٩٤ - ٢٩٩.

(٣) وقيل: سنة أربعين ومائتين.

(٤) رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق ص ٩٤.

(٥) فيض القدير ٦/ ٢.

(٦) نوادر الأصول ص ٧٢٩.

العطف (**وحفظ الأمانة**) لأنه من الوفاء (**والتذمُّم للجار**) أي التعهُّد، وأصله أخذُ الذِّمام وهو ما يُذَم من العهد علىٰ إضاعته[1] (**والتذمُّم للصاحب**) لأن كلاًّ منهما من نزاهة النفس (**وقِرَىٰ الضيف**) لأنه من السخاء، فهذه مكارم الأخلاق الظاهرة، وهي تنشأ من مكارم الأخلاق الباطنة (**ورأسهن**) كلهنَّ (**الحياء**) **لأنه من عفَّة الروح**، فكل خُلُق من هذه الأخلاق مكرمة يسعد مَن مُنحها بالواحد منها فكيف بمن جُمعت له كلها؟ وأخرج ابن عساكر[2] عن سعيد بن العاص: لو أن المكارم كانت سهلة لسابقكم إليها اللئام، لكنها كريهة مرة، لا يصبر عليها إلا مَن عرف فضلها. هكذا رواه الحكيم والخرائطي في مكارم الأخلاق[3] عن عائشة موقوفًا، وإسناده ضعيف. ورواه الدارقطني[4] والديلمي[5] وابن لال والبيهقي[6] وابن عساكر[7] من طريق أيوب الوزَّان عن الوليد بن مسلم عن نابت عن الأوزاعي عن الزهري عن عروة عن عائشة مرفوعًا. قال البيهقي: وهو بالموقوف أشبهُ. وقال ابن الجوزي[8]: حديث لا يصح، ولعله من كلام بعض السلف، ونابت بن يزيد ضعيف. وقال الحاكم: مجهول.

(**وقال أبو هريرة** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: **قال رسول الله** ﷺ: **يا نساء المسلمات، لا تحقرن جارةٌ لجارتها ولو فِرْسِن شاة**) رواه أحمد[9] والشيخان[10] من حديثه. وفي رواية:

---

(١) انظر: تاج العروس ٣٢/ ٢٠٥، ٢٠٩.

(٢) تاريخ دمشق ٢١/ ١٣٦ - ١٣٧. وفيه: «إلا من عرف فضلها ورجا ثوابها».

(٣) مكارم الأخلاق ص ٩٥، ١٠٣، ١٨٦.

(٤) المؤتلف والمختلف للدارقطني ١/ ٣٢١ (ط - دار الغرب الإسلامي).

(٥) الفردوس بمأثور الخطاب ٤/ ١٥١.

(٦) شعب الإيمان ١٠/ ١٦١ - ١٦٣.

(٧) تاريخ دمشق ٦١/ ٣٧٠ - ٣٧٢.

(٨) العلل المتناهية ٢/ ٧٢٩.

(٩) مسند أحمد ١٣/ ٣٣، ٤٢٨، ٣٥٥، ١٦/ ٢٥٤، ٣٣٨.

(١٠) صحيح البخاري ٢/ ٢٢٧، ٤/ ٩٤. صحيح مسلم ١/ ٤٥٧.

«إحداكنَّ لجارتها ولو كراع شاة محرق». وهكذا رواه الطبراني في الكبير[١] والبيهقي في الشعب[٢] من حديث حواء.

(وقال ﷺ: **إن من سعادة المرء المسلم المسكن الواسع والجار الصالح والمركب الهنيء**) قال العراقي[٣]: رواه أحمد[٤] من حديث نافع بن عبد الحارث وسعد بن أبي وقاص، وحديث نافع أخرجه الحاكم[٥] وقال: صحيح الإسناد.

قلت: وحديث سعد أخرجه الطيالسي[٦] من طريق إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه عن جده بلفظ: «**سعادة لابن آدم ثلاث، وشقاوة لابن** آدم ثلاث، فمن سعادة ابن آدم: الزوجة الصالحة والمركب الصالح والمسكن الواسع، ومن شقاوة ابن آدم: المسكن السوء والمرأة السوء والمركب السوء».

(**وقال عبد الله**) بن مسعود رضي الله عنه: (**قال رجل: يا رسول الله، كيف لي أن أعلم إذا أحسنتُ أو أسأتُ؟ قال: إذا سمعتَ جيرانك يقولون قد أحسنتَ فقد أحسنت، وإذا سمعتهم يقولون قد أسأت فقد أسأت**) قال العراقي[٧]: رواه أحمد[٨] والطبراني[٩] من حديث عبد الله بن مسعود، وإسناده جيد.

---

(١) المعجم الكبير ٢٤/ ٢٢١.

(٢) شعب الإيمان ٥/ ١٣١.

(٣) المغني ١/ ٥٢٤.

(٤) مسند أحمد ٣/ ٥٥، ٢٤/ ٨٦. ولفظ حديث سعد: «من سعادة ابن آدم المرأة الصالحة والمسكن الصالح والمركب الصالح».

(٥) المستدرك على الصحيحين ٤/ ٢٨١.
وأخرج أيضا حديث سعد ٢/ ١٧٢.

(٦) مسند الطيالسي ١/ ١٧١.

(٧) المغني ١/ ٥٢٤.

(٨) مسند أحمد ٦/ ٣٥٧.

(٩) المعجم الكبير ١٠/ ٢٣٨.

قلت: ورواه أيضًا ابن ماجه[١] وابن حبان[٢]، ورجاله رجال مسلم. ورواه ابن ماجه[٣] أيضًا من حديث كلثوم الخزاعي.

(**وقال جابر** رضي الله عنه: **من كان له جار في حائط**) أي مزرعة أو بستان (**أو شريك فلا يبعْه حتىٰ يعرضه عليه**) قال العراقي[٤]: رواه ابن ماجه[٥] والحاكم[٦] دون ذِكر الجار، وقال: صحيح الإسناد. وهو عند الخرائطي في مكارم الأخلاق[٧] بلفظ المصنف. ولابن ماجه[٨] من حديث ابن عباس: «من كانت له أرض فأراد بيعها فليعرضها علىٰ جاره». ورجاله رجال الصحيح.

قلت: الحديث الذي ليس فيه ذِكر الجار قد رواه أيضًا عبد الرزاق في المصنَّف[٩] ومسلم[١٠] وابن حبان[١١]، ولفظه: «من كان له شريك في حائط فلا يبعْ نصيبه من ذلك حتىٰ يعرضه علىٰ شريكه، فإن رضي أخذ، وإن كره ترك». ولفظ ابن ماجه: «من كانت له نخل أو أرض فلا يبعْها حتىٰ يعرضها علىٰ شريكه».

وأما حديث ابن عباس فقد رواه أيضًا الطبراني في الكبير[١٢].

---

(١) سنن ابن ماجه ٥/ ٦٢٤.

(٢) صحيح ابن حبان ٢/ ٢٨٥.

(٣) سنن ابن ماجه ٥/ ٦٢٣.

(٤) المغني ١/ ٥٢٤.

(٥) سنن ابن ماجه ٤/ ١٢١.

(٦) المستدرك علىٰ الصحيحين ٢/ ٧٢. ولم يصححه.

(٧) مكارم الأخلاق ص ٩٨.

(٨) سنن ابن ماجه ٤/ ١٢٢.

(٩) مصنف عبد الرزاق ٨/ ٨٢.

(١٠) صحيح مسلم ٢/ ٧٥٥.

(١١) صحيح ابن حبان ١١/ ٥٨١، ٥٨٣.

(١٢) المعجم الكبير ١١/ ٢٩٤.

(وقال أبو هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**: قضىٰ رسول الله** ﷺ **أن الجار يضع جذوعه)** وفي نسخة: جِذعه **(في حائط جاره)** إن احتاج لذلك **(شاء)** الجار ذلك **(أَمْ أَبَىٰ)** أي امتنع. قال العراقي[1]: رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق[2] هكذا، وهو متفق عليه[3] بلفظ: «لا يمنعنَّ أحدكم جارَه أن يغرز خشبه في جداره».

(وقال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا**: قال رسول الله** ﷺ**: لا يمنعنَّ أحدكم جاره أن يضع خشبه في حائطه)** قال العراقي[4]: رواه ابن ماجه[5] بإسناد ضعيف، واتفق عليه الشيخان من حديث أبي هريرة.

قلت: ورواه أيضًا الخرائطي في مساوئ الأخلاق[6] والبيهقي[7]، ولفظهما: «علىٰ حائطه» بزيادة في آخره: «وإذا اختلفتم في الطريق الميتاء فاجعلوها سبعة أذرُع». وعند الطبراني في الكبير[8] بلفظ: «لا يمنعنَّ أحدكم أخاه المؤمن خشبًا يضعه علىٰ جداره».

(وكان أبو هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ **يقول: ما لي أراكم عنها معرضين! واللهِ لأرمينَّها بين أكتافكم)** رواه البخاري في الصحيح[9].

(وقد ذهب بعض العلماء إلىٰ وجوب ذلك) نظرًا إلىٰ ظاهر الأحاديث

---

(١) المغني ١/ ٥٢٤.

(٢) مكارم الأخلاق ص ٩٨.

(٣) صحيح البخاري ٢/ ١٩٥، ٤/ ٢٠. صحيح مسلم ٢/ ٧٥٥

(٤) المغني ١/ ٥٢٤.

(٥) سنن ابن ماجه ٤/ ٢٥.

(٦) مساوئ الأخلاق ص ١٨٤.

(٧) السنن الكبرىٰ ٦/ ١١٤.

(٨) المعجم الكبير ١١/ ٢٠٤.

(٩) هذه تتمة الحديث السابق المتفق عليه: «لا يمنع أحدكم جاره أن يغرز خشبه في جداره».

الواردة فيه.

(وقال ﷺ: مَن أراد الله به خيرًا عسله. قيل: وما عسله؟ قال: يحبِّبه إلىٰ جيرانه) هكذا رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق[1] من حديث عمرو بن الحمق، ورواه البيهقي في الزهد[2] بلفظ: «يفتح له عملاً صالحًا قبل موته حتىٰ يرضىٰ عنه مَن حوله». وإسناده جيد. ورواه أحمد[3] من حديث أبي عنبة الخولاني بالجملة الأولىٰ فقط؛ قاله العراقي[4].

---

(١) مكارم الأخلاق ص ٩٩.

(٢) الزهد الكبير ص ٣٠٨.

(٣) مسند أحمد ٢٩/ ٣٢٣. وزاد: «يفتح الله له عملا صالحا قبل موته ثم يقبضه عليه».

(٤) المغني ١/ ٥٢٥.

حقوق الأقارب والرحم

اعلمْ أن أقسام القرابة ثلاثة: الأول: ذو رحم غير محرَّم كأولاد الأعمام والعمات وأولاد الأخوال والخالات. الثاني: محرم غير ذي رحم كالأمهات والأخوات والعمات والخالات من الرضاعة والزوجة وموطوءة الأب وحليلة الابن. الثالث: ذو رحم محرم ما سوىٰ القسمين المذكورين. إذا عرفتَ هذا، فقال بعضهم: إن الرحم التي تجب صلتها هي قرابة كل ذي رحم محرم، وقال آخرون: هي قرابة كل قريب محرَّمًا كان أو غيره، فينزَّل العم والأخ الأكبر والخال منزلة الوالد، وتنزَّل الخالة والعمَّة والأخت الكبرىٰ منزلة الأم في التوقير والخدمة والإطاعة.

(قال رسول الله ﷺ: **يقول الله تعالىٰ: أنا الرحمن، وهذه الرحم، شققت لها اسمًا من اسمي، فمَن وصلها وصلتُه، ومَن قطعها بتتُّه**) أي قطعته. قال العراقي[١]: متفق عليه[٢] من حديث عائشة.

قلت: ورواه الحكيم[٣] من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده بلفظ: «يقول الله تعالىٰ: أنا الرحمن، وهي الرحم، جعلت لها شجنة مني، فمَن وصلها وصلتُه، ومَن قطعها بتته إلىٰ يوم القيامة، لسان ذَلِق [تقول فيما شاءت]». ويُروَىٰ: «قال الله تعالىٰ: أنا الرحمن، وأنا خلقت الرحم وشققت لها اسمًا من اسمي،

---

(١) السابق ١/ ٥٢٥.

(٢) صحيح البخاري ٤/ ٨٩. صحيح مسلم ٢/ ١١٩٠.

ولفظ البخاري: «الرحم شجنة، فمن وصلها وصله الله، ومن قطعها قطعه الله».

ولفظ مسلم: «الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله».

(٣) نوادر الأصول ص ٦٠٣.

فمَن وصلها وصلتُه، ومَن قطعها قطعته، ومَن بتَّها بتتُّه». هكذا رواه أحمد[١] وابن أبي شيبة في المصنَّف[٢] والبخاري في الأدب المفرد[٣] وأبو داود[٤] والترمذي[٥] - وقال: صحيح - والبغوي وابن حبان[٦] والحاكم[٧] والبيهقي[٨] من حديث عبد الرحمن بن عوف. ورواه الخرائطي في مساوئ الأخلاق[٩] والخطيب[١٠] من حديث أبي هريرة. ورواه الحكيم[١١] من حديث ابن عباس بلفظ: «قال الله تبارك وتعالىٰ للرحم: خلقتُكِ بيدي، وشققت لكِ من اسمي، وقرَّبت مكانك مني، وعزَّتي وجلالي لأصلنَّ مَن وصلك، ولأقطعنَّ مَن قطعك، ولا أرضىٰ حتىٰ ترضين».

(**وقال ﷺ: مَن سرَّه أن يُنسأ له**) أي يؤخَّر (**في أثره ويوسَّع عليه في رزقه فليصل رحمه. وفي رواية أخرىٰ: مَن سرَّه أن يُمَدَّ له في عمره ويوسَّع له في رزقه فليتَّقِ الله وليصل رحمه**) قال العراقي[١٢]: متفق عليه[١٣] من حديث أنس دون قوله «فليتَّقِ الله»، وهو بهذه الزيادة عند أحمد[١٤] والحاكم[١٥] من حديث علي بإسناد جيد.

---

(١) مسند أحمد ٣/ ١٨٩، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٧.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة ٨/ ٣٨٧.

(٣) الأدب المفرد ص ٣٠.

(٤) سنن أبي داود ٢/ ٣٨٨.

(٥) سنن الترمذي ٣/ ٤٧١.

(٦) صحيح ابن حبان ٢/ ١٨٦ - ١٨٧.

(٧) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٢٦٨ - ٢٧٠.

(٨) السنن الكبرىٰ ٧/ ٤١ - ٤٢.

(٩) مساوئ الأخلاق ص ١٣٢.

(١٠) تاريخ بغداد ٣/ ٤٣٣.

(١١) نوادر الأصول ص ٦٠١.

(١٢) المغني ١/ ٥٢٥.

(١٣) صحيح البخاري ٢/ ٧٩، ٤/ ٨٩. صحيح مسلم ٢/ ١١٩١.

(١٤) مسند أحمد ٢/ ٣٨٧.

(١٥) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٢٧٣، وسقط من الإسناد اسم علي رضي الله عنه.

قلت: حديث أنس رواه أيضًا أبو داود[١]، ولفظه: «مَن سرَّه أن يُبسَط له في رزقه وأن يُنسأ له في أثره فليصلْ رحمه». وكذلك رواه أحمد ومسلم من حديث أبي هريرة[٢]. وعند أحمد وأبي داود والنسائي من حديث أنس: «مَن سرَّه أن يُعظِم اللهُ رزقَه وأن يمدَّ في أجله فليصل رحمه»[٣]. ويُروَىٰ: «مَن سرَّه النَّساءَ في الأجل والزيادة في الرزق فليصلْ رحمه». هكذا رواه أحمد[٤] والضياء في المختارة من حديث ثوبان. وفي رواية: «مَن سرَّه أن تطول أيامُ حياته ويُزاد في رزقه فليصل رحمه». كذا رواه ابن جرير والطبراني في الكبير[٥] من حديث ابن عباس. أما حديث عليٍّ فلفظه: «مَن سرَّه أن يمدَّ الله له في عمره ويوسِّع له في رزقه ويدفع عنه مِيتة السوء فليتَّق الله وليصلْ رحمه». هكذا رواه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند وابن جرير وصحَّحه والخرائطي في مكارم الأخلاق[٦] والطبراني في الأوسط[٧] وابن النجار.

(وقيل لرسول الله ﷺ: أيُّ الناس أفضل؟ قال: أتقاهم لله، وأوصلهم لرحمه،

---

(١) سنن أبي داود ٢/ ٣٨٧.

(٢) الحديث بهذا اللفظ ليس عند أحمد ولا مسلم، وإنما رواه البخاري في صحيحه ٤/ ٨٩.

(٣) هذا لفظ أحمد في مسنده ٢٠/ ٤٤. ولم يروه أبو داود بهذا اللفظ ولا النسائي، أما أبو داود فتقدم لفظه، وأما النسائي فرواه في السنن الكبرىٰ ١٠/ ٢٢٩ بلفظ: «من سره أن يبسط عليه رزقه أو ينسأ في أجله فليصل رحمه».

(٤) مسند أحمد ٣٧/ ٨٧.

(٥) المعجم الكبير ١١/ ٣٠٧. ورواه الحاكم في المستدرك ٤/ ٢٧٢ وزاد في أوله: «مكتوب في التوراة: من سره ...» الخ.

(٦) مكارم الأخلاق ص ١٠١.

(٧) المعجم الأوسط ٣/ ٢٣٣.

وآمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكَر) قال العراقي[١]: رواه أحمد[٢] والطبراني[٣] من حديث درَّة بنت أبي لهب بإسناد حسن.

(وقال أبو ذر رضي الله عنه: أوصاني خليلي رسول الله ﷺ بصلة الرحم وإن أدبرت، وأمرني أن أقول الحق وإن كان مرًّا) قال العراقي[٤]: رواه أحمد[٥] وابن حبان في صحيحه[٦].

قلت: وأخرج أبو نعيم في الحلية[٧] من طريق أبي إدريس الخولاني عن أبي ذر: «قال[٨]: قل الحق وإن كان مرًّا ...» الحديث.

(وقال ﷺ: إن الرحم معلَّقة بالعرش، وليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل الذي إذا انقطعت رحمُه وصلها) قال العراقي[٩]: رواه الطبراني[١٠] والبيهقي[١١] من حديث عبد الله بن عمرو، وهو عند البخاري[١٢] دون قوله «الرحم معلَّقة بالعرش» فرواها مسلم من حديث عائشة.

---

(١) المغني ١/ ٥٢٥.

(٢) مسند أحمد ٤٥/ ٤٢١.

(٣) المعجم الكبير ٢٤/ ٢٥٨.

(٤) المغني ١/ ٥٢٥.

(٥) مسند أحمد ٣٥/ ٣٢٧، ٤٠٧.

(٦) صحيح ابن حبان ٢/ ١٩٤.

(٧) حلية الأولياء ١/ ١٦٨.

(٨) يعني النبي ﷺ.

(٩) المغني ١/ ٥٢٦.

(١٠) المعجم الكبير ١٣/ ٣٦٧، ٤٣٤، ٤٤٧ - ٤٤٩.

(١١) السنن الكبرى ٧/ ٤٣.

(١٢) صحيح البخاري ٤/ ٩٠.

قلت: وعند أحمد[١] والطبراني من حديث ابن عمرو: «الرحم شُجْنة معلَّقة بالعرش». ولفظ مسلم من حديث

عائشة: «الرحم شُجنة من الرحمن، قال الله: مَن وصلكِ وصلتُه، ومَن قطعكِ قطعتُه»[٢]. وعند البخاري من حديث أبي هريرة وعائشة: «الرحم شُجنة من الرحمن، قال الله: مَن وصلك وصلته، ومن قطعك قطعته». وأما قوله: ليس الواصل ... الخ، فكذلك رواه أبو داود[٣] والترمذي[٤] وابن حبان[٥] من حديث ابن عمرو. ورواه أيضًا ابن النجار[٦] من حديث أنس.

(وقال ﷺ: إن أعجل الطاعة ثوابًا صلة الرحم، حتىٰ إن أهل البيت لَيكونون فجارًا فتنمىٰ) أي تزداد **(أموالهم ويكثُر عددُهم إذا وصلوا أرحامهم)** قال العراقي[٧]: رواه ابن حبان[٨] من حديث أبي بكرة، والخرائطي في مكارم الأخلاق[٩] والبيهقي في الشعب[١٠] من حديث عبد الرحمن بن عوف بسند ضعيف.

---

(١) مسند أحمد ١١/ ٧٧، ٤١٨. وليس فيه (شجنة). وفي رواية أخرىٰ ١١/ ٣٣: «والرحم شجنة من الرحمن».

(٢) هذا ليس لفظ حديث عائشة، وإنما لفظ حديث أبي هريرة عند البخاري، أما لفظ مسلم عن عائشة فقد ذكرته قريبا.

(٣) سنن أبي داود ٢/ ٣٨٩.

(٤) سنن الترمذي ٣/ ٤٧٢.

(٥) صحيح ابن حبان ٢/ ١٨٩.

(٦) وكذلك الخطيب في تاريخ بغداد ٥/ ٩٤.

(٧) المغني ١/ ٥٢٦.

(٨) صحيح ابن حبان ٢/ ١٨٢ - ١٨٣. وزاد في آخره: «وما من أهل بيت يتواصلون فيحتاجون».

(٩) مكارم الأخلاق ص ١٠٣.

(١٠) شعب الإيمان ١٠/ ٣٤٥. وزاد: «وإن أعجل المعصية عقابا البغي، واليمين الفاجرة تذهب المال وتعقم الرحم وتذر الديار بلاقع».

(**وقال زيد بن أسلم**) أبو[1] عبد الله العَدَوي، مولىٰ عمر، ثقة عالِم، وكان يرسل، مات سنة ست وثلاثين (**لما خرج رسول الله ﷺ إلىٰ مكة عرض له رجل فقال: إن كنت تريد النساء البِيض والنوق الأُدْم فعليك ببني مُدْلِج**[2]) وهي قبيلة من العرب (**فقال ﷺ: إن الله قد منعني من بني مدلج بصلتهم الرحم**) قال العراقي[3]: رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق[4]، وزاد: «وطعنهم في لبَّات الإبل»، وهو مرسل صحيح الإسناد.

قلت: وبخط الحافظ ابن حجر: هو في غريب الحديث[5] لأبي عبيد وقال: الذي يُراد من هذا الحديث أن الصدقة والصلة يدفعان ميتة السوء والمكاره.

(**وقالت أسماء بنت أبي بكر** ﵄) زوجة[6] الزبير بن العوام، وهي شقيقة عبد الله بن أبي بكر، أسلمت قديمًا، وهاجرت إلىٰ المدينة وهي حامل بعبد الله بن الزبير، وكانت تسمَّىٰ: ذات النطاقين، وتوفيت بمكة سنة ثلاث وسبعين بعد قتل ابنها عبد الله بيسير، وكانت قد بلغت مائة سنة لم يسقط لها سن، ولم يُنكَر لها عقل. روىٰ لها الجماعة (**قَدِمتْ عليَّ أمي**) وهي أم العزَّىٰ قُتَيلة بنت عبد العزَّىٰ بن عبد أسعد بن جابر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لؤيٍّ (**فقلت: يا رسول الله، إن أمي قدمت عليَّ، وهي مشركة، أفأصلها؟ قال: نعم. وفي رواية: أفأعطيها؟ قال:**

---

(١) تقريب التهذيب ص ٣٥٠.

(٢) مدلج: بطن من كنانة، من العدنانية، وهم بنو مدلج بن مرة بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، كان منهم من اختص بعلم القيافة. وكانوا مع خالد بن الوليد يوم فتح مكة. معجم قبائل العرب ٣/ ١٠٦١.

(٣) المغني ١/ ٥٢٦.

(٤) مكارم الأخلاق ص ١٠٣.

(٥) غريب الحديث ٢/ ٣٢٧.

(٦) تهذيب الكمال ٣٥/ ١٢٣ - ١٢٥.

نعم، صِليها) رواه البخاري[١] ومسلم[٢] والنسائي[٣]. وفي رواية: فاستأذنتُ رسول الله ﷺ، فقال: «صِلي أمكِ».

(وقال ﷺ: الصدقة علىٰ المساكين) الأجانب[٤] **(صدقة)** فقط **(و)** هي **(علىٰ ذي الرحم ثنتان)** أي صدقتان اثنتان: صدقة وصلة، ففيه حثٌّ علىٰ الصدقة علىٰ الأقارب وتقديمهم علىٰ الأباعد، لكن هذا غالبيٌّ، وقد يكون الحال بالعكس، ولهذا قال الحافظ ابن حجر[٥]: لا يلزم من ذلك أن تكون هبة ذي الرحم أفضل مطلقًا؛ لاحتمال كون المسكين محتاجًا ونفعه بذلك متعديًا، والآخَر بعكسه.

قال العراقي[٦]: رواه الترمذي[٧] وحسَّنه والنسائي[٨] وابن ماجه[٩] من حديث سلمان بن عامر الضَّبِّي.

قلت: ورواه كذلك أحمد[١٠] والحاكم[١١] وابن خزيمة[١٢] وابن حبان[١٣] وصحَّحوه، وأقرَّ الذهبيُّ تصحيح الحاكم، ولفظهم: «الصدقة علىٰ المسكين

---

(١) صحيح البخاري ٢/ ٢٤٢، ٤١٦، ٤/ ٨٨.

(٢) صحيح مسلم ١/ ٤٤٧.

(٣) لم أقف عليه عند النسائي.

(٤) فيض القدير ٤/ ٢٣٧.

(٥) فتح الباري ٥/ ٢٥٩.

(٦) المغني ١/ ٥٢٧.

(٧) سنن الترمذي ٢/ ٣٩.

(٨) سنن النسائي ص ٤٠٣.

(٩) سنن ابن ماجه ٣/ ٢٩٧.

(١٠) مسند أحمد ٢٦/ ١٦٦، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ٢٩/ ٤١١، ٤١٢، ٤١٤، ٤١٦.

(١١) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٥٦٣.

(١٢) صحيح ابن خزيمة ٣/ ٢٧٨، ٤/ ٧٧.

(١٣) صحيح ابن حبان ٨/ ١٣٣.

صدقة، وهي على ذي الرحم اثنتان: صدقة وصلة».

(**ولما أراد أبو طلحة**) زيد بن سهل الأنصاري (**أن يتصدَّق بحائط**) نخل (**له كان يعجبه عملاً بقوله تعالىٰ**: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] **قال: يا رسول الله، هو في سبيل الله وللفقراء والمساكين. فقال ﷺ: وجب أجرُك على الله، فاقسمْه في أقاربك**) رواه البخاري، وقد تقدم في كتاب الزكاة.

(**وقال ﷺ: أفضل الصدقةِ**) الصدقةُ (**على ذي الرحم الكاشح**) وهو[١] الذي يضمر العداوة ويطوي عليها كشحه، أو الذي يطوي عنك كشحه ولا يألفك[٢]. وإنما كان أفضل لِما فيه من قهر النفس للإذعان لمعاديها.

قال العراقي[٣]: رواه أحمد[٤] والطبراني[٥] من حديث أبي أيوب، وفيه الحجاج بن أرطاة. ورواه البيهقي[٦] من حديث أم كلثوم بنت عُقْبة.

قلت: والحجاج بن أرطاة حاله معروف، ورواه عبد الله بن أحمد في زيادات المسند[٧] وابن شاهين والطبراني في الكبير[٨] وابن منده وابن الأثير[٩] كلهم من طريق سفيان بن حسين عن الزهري عن أيوب بن بشير عن حكيم بن حزام. قال

---

(١) فيض القدير ٢/ ٣٨.

(٢) الفائق في غريب الحديث للزمخشري ٣/ ٢٦٣.

(٣) المغني ١/ ٥٢٧.

(٤) مسند أحمد ٣٨/ ٥١١.

(٥) المعجم الكبير ٤/ ١٣٩، ١٧٣.

(٦) السنن الكبرىٰ ٧/ ٤٤.

(٧) مسند أحمد ٢٤/ ٣٦.

(٨) المعجم الكبير ٣/ ٢٢٦.

(٩) رواه في أسد الغابة ١/ ٣٤٧ - ٣٤٨ من طريق محمد بن الوليد الزبيدي عن الزهري عن أيوب بن بشير، وليس فيه حكيم بن حزام.

الحافظ في الإصابة[١]: وهو معلول. ووُجد في نسخ الجامع للجلال عزو حديث حكيم بن حزام إلىٰ تخريج أحمد والطبراني، وقال الهيثمي[٢]: إن سنده حسن. وعن ابن طاهر أنه صحيح، وأقرَّه الحافظ[٣]. وأخرجه البخاري في الأدب المفرد وأبو داود والترمذي من حديث أبي سعيد الخدري، وأخرجه الطبراني في الكبير[٤] والحاكم[٥] من حديث أم كلثوم، ورجال الطبراني رجال الصحيح؛ قاله الهيثمي[٦]. وقال الحاكم: هو علىٰ شرط مسلم. وأقرَّه الذهبيُّ.

(وهو في معنىٰ قوله) ﷺ: **(أفضل الفضائل)** جمع[٧] فضيلة وهي الخصلة الجميلة التي يحصل لصاحبها بسببها شرف وعلوٌّ منزلة عند الحق أو الخلق، والثاني لا عبرة به إلا إن أُوصلَ إلىٰ الأول[٨] **(أن تصل مَن قطعك وتعطي مَن حرمك)** أي منعك؛ لَما فيه من المشقَّة في مجاهدة النفس وإرغامها، ومكابدة الطبع؛ لميله إلىٰ المؤاخذة والانتقام **(وتصفح عمَّن ظلمك)** لأن ذلك أشق علىٰ النفس من سائر العبادات الشاقة، فكان أفضل، فالعفو[٩] عمَّن ظلمك نهاية الحِلم والشجاعة، وإعطاء مَن حرمك غاية الجود، ووصلُ مَن قطعك نهاية الإحسان.

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ١/ ١٥٩ - ١٦٠.

(٢) مجمع الزوائد ٣/ ٢٩٦.

(٣) الدراية في تخريج أحاديث الهداية ٢/ ٢٩١.

(٤) المعجم الكبير ٢٥/ ٨٠.

(٥) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٥٦٣.

(٦) مجمع الزوائد ٣/ ٢٩٦.

(٧) فيض القدير ٢/ ٤٥ - ٤٦.

(٨) هذا تعريف القرطبي في المفهم ٦/ ٢٣٧، وعبارته: «الفضائل جمع فضيلة، وأصلها الخصلة الجميلة التي بها يحصل للإنسان شرف وعلو منزلة وقدر، ثم ذلك الشرف وذلك الفضل إما عند الخلق وإما عند الخالق، فأما الأول فلا يُلتفت إليه إن لم يوصل إلىٰ الشرف المعتبر عند الخالق. فإذًا الشرف المعتبر والفضل المطلوب علىٰ التحقيق إنما هو الذي هو شرف عند الله تعالىٰ».

(٩) الذريعة إلىٰ مكارم الشريعة للراغب ص ٤٨.

قال العراقي[١]: رواه أحمد[٢] من حديث معاذ بن أنس بسند ضعيف، وللطبراني نحوه من حديث أبي أمامة، وقد تقدم. انتهىٰ.

قلت: رواه[٣] كذلك الطبراني في الكبير[٤]، قال المنذري[٥]: فيه زَبَّان بن فائد وهو ضعيف. قلت: وسهل بن معاذ راويه ضعَّفه ابن معين[٦].

(ورُوي أن عمر) بن الخطاب (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **كتب إلىٰ عمَّاله)** في أطراف البلاد: **(مُروا الأقاربَ أن يتزاوروا)** أي يزور بعضهم بعضًا غِبًّا، فإنَّ ذلك يورث الألفةَ **(ولا يتجاوروا)** أي لا يتساكنوا في محل واحد.

(وإنما قال ذلك لأن التجاور يوجب التزاحمَ علىٰ الحقوق، وربما يورث الوحشةَ و) تُرفَع الحرمة والهيبة فيفضي إلىٰ **(قطيعة الرحم)** والتدابُر.

---

(١) المغني ١/ ٥٢٧.

(٢) مسند أحمد ٢٤/ ٣٨٣. وفيه: وتصفح عمن شتمك.

(٣) يعني حديث معاذ بن أنس.

(٤) المعجم الكبير ٢٠/ ١٨٨.

(٥) الترغيب والترهيب ص ٩٥٧، وليس فيه (وهو ضعيف)، وإنما فيه: «رواه الطبراني من طريق زبان بن فائد».

(٦) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٤/ ٢٠٤.

حقوق الوالدين والولد

اعلمْ أنه (لا يخفَىٰ) علىٰ أحد (**أنه إذا تأكَّد حقُّ القرابة والرحم فألصَقُ الأرحام وأمسُّها الولادة، فيتضاعف تأكُّدُ الحق فيها، وقد قال ﷺ: لن يجزي ولدٌ والدَه**) وفي[1] لفظ: لا يجزي ولدٌ والدًا. والمعنىٰ: لا يكافئه بإحسانه وقضاء حقه، والأم مثله بطريق الأَولىٰ، ومثلهما الأجداد والجدَّات من النسب (**حتىٰ يجده**) وفي لفظ: إلا أن يجده (**مملوكًا فيشتريه فيعتقه**) أي يخلِّصه من الرق بسبب شرائه أو نحوه؛ لأن الرقيق كالمعدوم؛ لاستحقاق غيره منافعه ونقصه عن المناصب الشريفة، فيتسبَّب في عتقه المخلِّص له من ذلك كأنه أوجده كما كان الأب سببًا في إيجاده، فهو تسبُّبٌ في إيجادٍ معنويٍّ في مقابلة الإيجاد الصوري. وقال ابن العربي[2]: المعنىٰ فيه أن الأبوين أخرجا الولد من حيِّز العجز إلىٰ حيِّز القدرة، فإنه تعالىٰ أخرج الخلق من بطون أمهاتهم لا يقدرون علىٰ شيء، كما لا يعلمون شيئًا، فكفله الوالدان حتىٰ خلق الله له القدرة والمعرفة واستقلَّ بنفسه بعد العجز، فكفاه بفضل الله وقوَّته لا بصورة الأمر وحقيقته أن يجد والده في عجز المِلك فيخرجه إلىٰ قدرة الحرية. ا.هـ. لكن جعل الطيبي[3] الحديثَ من قبيل التعليق بمُحال للمبالغة، يعني لا يجزي ولدٌ والده إلا أن يملكه فيعتقه، وهو مُحال، فالمجازاة مُحال. ا.هـ. وتبعه عليه بعضُهم فقال: القصد بالخبر الإيذان بأن قضاء حقِّه مُحال؛ لأنه حصر قضاء حقه في هذه الصورة، وهي مستحيلة؛ إذ العتق يفارق الشراء، فقضاء حقه مستحيل.

(١) فيض القدير ٦/ ٤٤٥.

(٢) عارضة الأحوذي ٨/ ٩٣.

(٣) شرح مشكاة المصابيح ٨/ ٢٤٣٠.

قال العراقي[١]: رواه مسلم[٢] من حديث أبي هريرة.

قلت: رواه في العتق بلفظ «لا يجزي». ورواه البخاري في الأدب المفرد[٣] وأبو داود[٤] والترمذي[٥] والنسائي[٦] وابن ماجه[٧] وابن حبان[٨].

وقال التقي السبكي في «النظر المصيب في عتق القريب»: وقد رُوي القول بأن مَن ملك ذا رحم محرم فهو حر عن عمر بن الخطاب، نقله ابن حزم[٩] عنه، وحكاه غيره عن ابن شبرمة والحسن وجابر بن زيد وإبراهيم النخعي وعطاء والحكم وحماد وقتادة والزهرئ والليث والثوري والحسن بن صالح، وهو مذهب أبي حنيفة وأحمد في المشهور عنه، ونقله الترمذي[١٠] عن [بعض] أهل العلم، وهو قول ابن وهب، وهي رواية عن مالك، وصحَّحها ابن عبد السلام المالكي، وشرط هؤلاء شيئين، أحدهما: القرابة وهي الرحم، والآخر: المحرمية، فلو وُجد الرحم بلا محرمية لم يوجب العتق كابن العم، ولو وُجدت المحرمية بلا رحم كالرضاع لم يوجب العتق، فالرضاع والمصاهرة محل إجماع لا يعتق [وابن العم لا يعتق] عند الأكثرين، إلا الأوزاعي فإنه قال: يعتق كل ذي رحم محرم وغير محرم حتى ابن العم وابن الخالة. ومحل الاختلاف بين الشافعية والحنفية في الرحم المحرم

---

(١) المغني ١/ ٥٤٧.

(٢) صحيح مسلم ١/ ٧٠٦.

(٣) الأدب المفرد ص ١٦.

(٤) سنن أبي داود ٥/ ٤١٠.

(٥) سنن الترمذي ٣/ ٤٧٠.

(٦) السنن الكبرىٰ ٥/ ١٢.

(٧) سنن ابن ماجه ٥/ ٢٥٠.

(٨) صحيح ابن حبان ٢/ ١٦٧.

(٩) المحلىٰ ٨/ ٢٠٣.

(١٠) سنن الترمذي ٣/ ٤٠.

كالإخوة وأولادهم والأعمام والأخوات، وجعلوا القرابات ثلاثة أقسام، هذا قسمًا متوسطًا تجب صلته وتحرُم قطيعتُه، وهو دون قرابة الولادة وأعلىٰ من بنوَّة العم، وهذا يقتضي أن بنوة العم لا توجب الصلة، والظاهر أن وجوب الصلة عامٌّ في كل الأقارب؛ لأنها تسمَّىٰ رحمًا، ولذلك يخصَّص فيقال: ذو رحم محرم. ورأيت في كتاب «بر الوالدين» لأبي بكر الطرطوشي من المالكية عن بعض العلماء ما يوافق كلام الحنفية، وأن صلة الرحم إنما تجب إذا كانت هناك محرمية، ولعل هذا عن الحنفية، والذي يظهر ما قدَّمناه أن الصلة واجبة في كل مَن يُعرَف من القرابة، ويوافقه إطلاق الصحاح[1] الرحم علىٰ القرابة، وقول الأزهري[2]: بينهما رحم: أي قرابة قريبة. تحمل علىٰ رحمة عظيمة، وهذا الذي قلتُ إنه الذي يظهر هو الذي اختاره الطرطوشي، واستدلَّ له بحديث: «إن الله يسأل عن الرحم ولو بأربعين». وقاس بعضُهم علىٰ النكاح وزد عليه الرضاع، وتعلق بعضهم بصلة الرحم وزد عليه الرحم الذي ليس بمحرم، وقاس بعضهم علىٰ الوالدين والولد، ولا يصح؛ لأن الوالدين والأولاد جمعوا مع الرحم والمحرمية شيئًا ثالثًا وهو الجزئية أحدهما بعضٌ من الآخر، وهو أقوىٰ المعاني، ولا يُقاس عليه ما هو دونه بكثير، علىٰ أن داود الظاهري خالف في عتق الوالدين والأولاد بملكهم وقال: لا يعتق أحد علىٰ أحد، واحتجَّ بما صح عن رسول الله ﷺ قال: «لا يجزي ولدٌ والدًا إلا أن يجده مملوكًا فيشتريه فيعتقه». رواه مسلم من حديث جابر[3] مرفوعًا، ورواه أحمد من حديث أبي هريرة مرفوعًا. فقال داود: الحديث يقتضي إنشاء إعتاق فلا يعتق عليه. وخالفه ابن حزم فقال: يعتق كل ذي رحم محرم. ومالك في المشهور عنه يقول بعتق الوالدين والأولاد والإخوة والأخوات، وهم السبعة الذين ذكرهم الله في كتابه الذين يستحقُّون ميراثه، ولا يعتق العم والعمة ولا الخال والخالة، وهو قول يحيىٰ بن

---

(١) الصحاح للجوهري ٥/ ١٩٢٦.

(٢) تهذيب اللغة ٥/ ٥١.

(٣) لم يروه من حديث جابر، وإنما من حديث أبي هريرة كما تقدم.

سعيد الأنصاري، ورُوي عن أبي سلمة بن عبد الرحمن. والظاهر أنه صحيح عنهم. وعن ربيعة ومجاهد ومكحول، ولم يصحَّ عنهم. وقال الشافعي: لا يعتق إلا الأصول والفروع بعلة البعضيَّة. وهي رواية عن أحمد. وأبو حنيفة قال بالتخصيص أيضًا في رواية عنه فيما إذا ملك المكاتب ذا رحم محرم منه أنه لا يعتق عليه، ولم يراعِ الصلة مطلقًا كالأوزاعي، فمذهب الأوزاعي أقرب منه؛ لأن معه دليلاً وهو صلة الرحم. وتمسَّك أصحاب الشافعي في الرد علىٰ أبي حنيفة بالقياس علىٰ ابن العم، فإنهم وافقوا عليه، وبأن ذا الرحم المحرم لو استحق العتق لمُنع من بيعه إذا اشتراه، وهو مكاتب كالوالد والولد، وبأن الصلة لا تجب في تحريم منكوحة أحدهما علىٰ الآخر، ولا في القصاص وهو القذف، ولا في وجوب النفقة في الكسب، ولا في السفر بغير إذنه، بخلاف الولادة فإنه تجب فيها صلة الرحم في جميع الحقوق فأوجبت العتق بأن الولادة قرابة بعضيَّة فيصير كما لو ملك بعضَ نفسه، وهذه قرابة مجاورة فيصير كما لو ملك غيرَه. ومع ذلك المسألة مشكلة؛ لعدم نص خاص فيها إلا الحديث، والحديث فيه ما فيه، فلو صح [كان] علىٰ الرأس والعين، وإذا لم يصحَّ فمذهب داود يبتدره الذهنُ، ومذهب الشافعي أمتنُ وأدق، ويليه مذهب الأوزاعي، وأبعدها مذهب أبي حنيفة وأحمد لا مستنَد له إلا الحديث لو صح، وأبعد منه مذهب مالك لا يعضده حديثٌ ولا نظرٌ. فهي خمسة مذاهب. انتهىٰ.

(**وقد قال ﷺ: بر الوالدين أفضل من الصلاة والصدقة والصوم والحج والعمرة والجهاد في سبيل الله تعالىٰ**) قال العراقي[1]: لم أجده هكذا، وروىٰ أبو يعلىٰ[2] والطبراني في الصغير[3] والأوسط[4] من حديث أنس: أتىٰ رجلٌ رسولَ الله ﷺ فقال: إني أشتهي الجهاد ولا أقدر عليه. قال: «هل بقي من والديك أحد»؟

---

(١) المغني ١/ ٥٢٨.

(٢) مسند أبي يعلىٰ ٥/ ١٥٠.

(٣) المعجم الصغير ١/ ١٤٤.

(٤) المعجم الأوسط ٣/ ١٩٩، ٤/ ٣٧٢.

قال: أمي. قال: «فأَبْلِ اللهَ في برها، فإذا فعلتَ ذلك فأنت حاج ومعتمر ومجاهد». وإسناده حسن.

قلت: ولفظ الطبراني في الأوسط: «هل بقي أحد من والديك»؟ قال: أمي. قال: «فأَبْلِ اللهَ [عذرًا] في برِّها، فإذا فعلتَ ذلك فأنت حاج ومعتمر ومجاهد، وإذا رضيت عنك أمُّك فاتقِ الله وبِرَّها».

وفي المصنَّف[١] لابن أبي شيبة عن الحسن مرسلاً: «بر الوالدين يجزئ عن الجهاد».

(**وقال ﷺ: مَن أصبح مرضيًا لأبويه أصبح له بابان مفتوحان إلىٰ الجنة**) وفي[٢] رواية: من الجنة (**ومَن أمسىٰ مثل ذلك، وإن كان واحدًا فواحد**) وفي رواية: فواحدًا. أي فكان الباب المفتوح واحدًا (**وإن ظلما وإن ظلما وإن ظلما، ومن أصبح مسخطًا لأبويه أصبح له بابان مفتوحان إلىٰ النار**) وفي رواية: من النار (**ومَن أمسىٰ مثل ذلك، وإن كان واحدًا فواحد**) وفي رواية: فواحدًا. قال رجل: وإن ظلما؟ قال: (**وإن ظلما وإن ظلما وإن ظلما**) قال الطيبي[٣]: أراد بالظلم ما يتعلق بالأمور الدنيوية لا الأخروية.

قال العراقي[٤]: رواه البيهقي في الشعب[٥] من حديث ابن عباس، ولا يصح.

قلت: ورواه ابن عساكر في التاريخ[٦]، قال في اللسان[٧]: رجاله ثقات

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة ٨/ ٣٩٢.

(٢) فيض القدير ٦/ ٦٧ - ٦٨.

(٣) شرح مشكاة المصابيح ١٠/ ٣١٧٣.

(٤) المغني ١/ ٥٢٨.

(٥) شعب الإيمان ١٠/ ٣٠٧.

(٦) تاريخ دمشق ٣٣/ ٣٦٥.

(٧) لسان الميزان ٥/ ٣٨ - ٣٩.

أثبات غير عبد الله بن يحيىٰ السرخسي فقد اتهمه ابن عدي[١] بالكذب، ولفظه: «مَن أصبح مطيعًا لله في والديه أصبح له بابان مفتوحان من الجنة، وإن كان واحدًا فواحد، ومن أمسىٰ عاصيًا لله في والديه أصبح له بابان مفتوحان من النار، وإن كان واحدًا فواحد». قال رجل: وإن ظلماه؟ قال: «وإن ظلماه، وإن ظلماه، وإن ظلماه». ورواه الديلمي[٢] أيضًا من حديثه. وهو في الأفراد للدارقطني[٣] من حديث زيد بن أرقم بلفظ: «من أصبح والداه راضيينِ عنه أصبح وله بابان مفتوحان من الجنة، ومن أمسىٰ ووالداه راضيينِ عنه أمسىٰ وله بابان مفتوحان من الجنة، ومن أصبحا ساخطينِ عليه أصبح له بابان مفتوحان من النار، ومن أمسيا ساخطينِ عليه أمسىٰ له بابان مفتوحان من النار، وإن كان واحدًا فواحد». فقيل: وإن ظلماه؟ قال: «وإن ظلماه، وإن ظلماه».

(وقال ﷺ: إن الجنة يوجد ريحها من مسيرة خمسمائة عام، ولا يجد ريحها عاقٌّ) أي لوالديه **(ولا قاطع رحم)** قال العراقي[٤]: رواه الطبراني في الصغير[٥] من حديث أبي هريرة دون ذِكر القاطع، وهي في الأوسط[٦] من حديث جابر، إلا أنه قال: «من مسيرة ألف عام». وإسنادهما ضعيف.

(وقال ﷺ: برَّ أمك وأباك وأختك وأخاك ثم أدناك فأدناك) قال العراقي[٧]:

---

(١) الكامل في الضعفاء ٤/ ١٥٨٠، قال: «حدث بأحاديث لم يتابعوه عليها، وكان متهما في روايته عن قوم أنه لم يلحقهم مثل علي بن حجر وغيره».

(٢) الفردوس بمأثور الخطاب ٣/ ٦٢١.

(٣) ومن طريقه رواه ابن الجوزي في البر والصلة ص ٩٦ (ط - مؤسسة الكتب الثقافية).

(٤) المغني ١/ ٥٢٨.

(٥) المعجم الصغير ١/ ٢٥٠، ولفظه: «تراح ريح الجنة من مسيرة خمسمائة عام، ولا يجد ريحها منان بعمله ولا مدمن خمر ولا عاق».

(٦) المعجم الأوسط ٦/ ١٨، وفيه: «إياكم وعقوق الوالدين، فإن ريح الجنة يوجد من مسيرة ألف عام، والله لا يجدها عاق ولا قاطع رحم ولا شيخ زانٍ ولا جار إزاره خيلاء».

(٧) المغني ١/ ٥٢٨ - ٥٢٩.

رواه النسائي[١] من حديث طارق المحاربي، وأحمد[٢] والحاكم[٣] من حديث أبي رمثة، ولأبي داود[٤] نحوه من حديث كُلَيب بن منفعة عن جده، وله[٥] وللترمذي[٦] والحاكم[٧] وصحَّحه من حديث بَهْز بن حكيم عن أبيه عن جده: مَن أبر؟ قال: «أمَّك، ثم أمك، ثم أمك، ثم أباك، ثم الأقرب فالأقرب». وفي الصحيحين[٨] من حديث أبي هريرة: قال رجل: مَن أحقُّ الناس بحسن الصحبة؟ قال: «أمك، ثم أمك، ثم أمك، ثم أبوك» لفظ مسلم.

قلت: ولفظ البخاري: جاء رجل إلىٰ النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، مَن أحقُّ الناس بحسن صحابتي؟ قال: «أمك». قال: ثم مَن؟ قال: «ثم أمك». قال: ثم مَن؟ قال: «أمك». قال: ثم مَن؟ قال: «أبوك». هكذا رواه من طريق أبي زُرعة ابن عمرو بن جرير عن أبي هريرة. وأخرجه ابن ماجه[٩] بنحوه.

وأما حديث كُلَيب بن منفعة [عن جده] فلفظه عند أبي داود: أنه أتىٰ النبيَّ ﷺ فقال: يا رسول الله، مَن أَبَرُّ؟ قال: «أمك وأباك وأختك وأخاك ومولاك الذي يلي ذلك، حق واجب ورحم موصولة». وذكره البخاري في تاريخه الكبير[١٠]

---

(١) سنن النسائي ص ٣٩٤، ولفظه: «يد المعطي العليا، وابدأ بمن تعول، أمك وأباك وأختك وأخاك ثم أدناك أدناك».

(٢) مسند أحمد ١١/ ٦٧٤، ٦٧٦، ٦٧٨، ٢٩/ ٤١.

(٣) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٢٦١.

(٤) سنن أبي داود ٥/ ٤١١.

(٥) السابق ٥/ ٤١٠.

(٦) سنن الترمذي ٣/ ٤٦٣.

(٧) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٢٦٠.

(٨) صحيح البخاري ٤/ ٨٦. صحيح مسلم ٢/ ١١٨٦.

(٩) سنن ابن ماجه ٤/ ٢٧٢، ٥/ ٢٥٠.

(١٠) التاريخ الكبير ٧/ ٢٣٠.

تعليقًا. وقال ابن أبي حاتم[١]: كليب بن منفعة قال: أتىٰ جدي النبيَّ ﷺ فقال: مَن أبر؟ مرسل.

قال بعض العلماء[٢]: ينبغي أن يكون للأم ثلاثة أمثال ما للأب؛ لأنه ﷺ كرَّر الأم ثلاث مرات، وذكر الأب في المرة الرابعة فقط، وإذا تُؤمِّل هذا المعنىٰ شهد له العيانُ، وذلك أن صعوبة الحمل وصعوبة الوضع وصعوبة الرضاع والتربية تنفرد بها الأم وتشقىٰ بها دون الأب، فهذه ثلاث منازل يخلو منها الأب. وقيل: للأم ثلثا البر، وللأب الثلث، ووجهه الحديث الذي ذُكر فيه حق الأم مرتين والأب مرة، ورُوي هذا عن الليث بن سعد. وذكر المحاسبي أن تفضيل الأم علي الأب في البر هو إجماع العلماء. وفيه تنزيل الناس منازلهم، وأنه يوفَّىٰ كل أحد حقه علىٰ قدر قرباه وحرمته ورحمه.

(**ورُوي أن الله تعالىٰ أوحىٰ إلىٰ موسىٰ** عليه السلام**: يا موسىٰ، إنه مَن بر والديه وعقَّني كتبتُه**) عندي (**بارًّا، ومَن برَّني وعقَّ والديه كتبته**) عندىٰ (**عاقًّا**) وهذا يدل علىٰ أن حقوق الله تعالىٰ مبنيَّة علىٰ المسامحة.

(**وقيل: لما دخل يعقوب علىٰ**) ابنه (**يوسف عليهما السلام**) بمصر (**لم يقُمْ له**) يوسف (**فأوحىٰ الله تعالىٰ إليه: أتتعاظم أن تقوم لأبيك؟ وعزَّتي وجلالي لا أخرجتُ من صُلْبك نبيًّا**) لكن أخرج[٣] أبو الشيخ عن ثابت البُناني قال: لما قَدِم يعقوب علىٰ يوسف تلقَّاه يوسف علىٰ العَجَل، ولبس حلية الملوك، وتلقَّاه فرعون إكرامًا ليوسف، فقال يوسف لأبيه: إن فرعون قد أكرمنا، فقلْ له. فقال له يعقوب: لقد بوركتَ يا فرعون. وأخرج أيضًا عن سفيان الثوري قال: لما التقىٰ يوسف ويعقوب عانق كلُّ واحد منهما صاحبه وبكىٰ، فقال يوسف: يا أبتِ، بكيتَ عليَّ

---

(١) الجرح والتعديل ٧/ ١٦٧.

(٢) عمدة القاري للعيني ٢٢/ ١٢٩. إكمال المعلم لعياض ٨/ ٥.

(٣) الدر المنثور ٨/ ٣٤٣.

حتىٰ ذهب بصرك، ألم تعلم أن القيامة تجمعنا؟ قال: بلىٰ يا بنيَّ، ولكن خشيت أن تُسلَب دينك فيُحال بينك وبيني[١].

(**وقال ﷺ: ما علىٰ أحد**) وفي[٢] رواية: «**ما علىٰ أحدكم**». يقال لمَن أهمل شيئًا أو غفل عنه أو قصَّر فيه: ما عليه لو فعل كذا، أو لو كان كذا، أيْ أيُّ شيء يلحقه من الضرر أو العيب أو العار ونحو ذلك لو فعل كذا؟ فكأنَّه استفهام يتضمَّن تنبيهًا وتوبيخًا[٣] (**إذا أراد أن يتصدَّق بصدقة**) وفي رواية: أن يتصدَّق لله صدقةً تطوعًا (**أن يجعلها لوالديه**) أي أصلَيْه وإن عَلَيا. وفي رواية: عن والديه (**إذا كانا مسلمينِ**) خرج الكافران (**فيكون لوالديه أجرها، ويكون له مثل أجورهما من غير أن ينقُص من أجورهما شيء**) وفي رواية: بعد أن لا ينقص من أجورهما شيئًا.

قال العراقي[٤]: رواه الطبراني في الأوسط[٥] من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده بسند ضعيف دون قوله «إذا كانا مسلمينِ».

قلت: وقد أخرجه ابن عساكر[٦] وابن النجار في تاريخيهما بلفظ المصنف.

(**وقال مالك بن ربيعة**) بن[٧] البَدَن، أبو أسيد الساعدي، مشهور بكنيته، شهد بدرًا وغيرها، قال المدائني: وهو آخر البدريين موتًا، قيل: سنة ثلاثين، وقيل: تأخَّر بعدها[٨] (**بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل من بني سَلِمة**) بفتح السين وكسر اللام: قبيلة من الأنصار (**فقال: يا رسول الله، هل بقي عليَّ من بر والديَّ**) أي

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان ٣/ ١٨٣.

(٢) فيض القدير ٥/ ٤٥٦.

(٣) الشافي شرح مسند الشافعي لمجد الدين ابن الأثير ١/ ١٢٢ (ط - مكتبة الرشد).

(٤) المغني ١/ ٥٢٩.

(٥) المعجم الأوسط ٧/ ٩٢، ٣٥٨.

(٦) تاريخ دمشق ٥٣/ ٣٠٧.

(٧) تقريب التهذيب ص ٩١٥.

(٨) في التقريب: «مات سنة ثلاثين، وقيل: بعد ذلك، حتىٰ قال المدائني: مات سنة ستين».

أبي وأمي (**شيء أبرهما به بعد وفاتهما؟ قال: نعم، الصلاة عليهما**) أي الدعاء لهما (**والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما**) من بعدهما، وهو أن يكون بينهما وبين أحد عهد في معونة وبر ولم يتمكّنا من ذلك حتىٰ ماتا فيقوم الولد به بعدهما (**وإكرام صديقهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما**) قال العراقي[١]: رواه أبو داود[٢] وابن ماجه[٣] [وابن حبان[٤]] والحاكم[٥] وقال: صحيح الإسناد.

قلت: لكن في سياق أبي داود تأخير قوله «وإكرام صديقهما» بعد قوله «لا توصل إلا بهما».

(**وقال ﷺ: إن أبر البر**) وفي[٦] رواية: إن من أبر البر، أي الإحسان، جعل البر بارًّا ببناء أفعل التفضيل منه وإضافته إليه مجازًا، وأن المراد منه: أفضل البر، فأفعل التفضيل للزيادة المطلقة. وقال الأكمل: «أبر البر» من قبيل: جل جلاله، وجَدَّ جدُّه، بجعل الجد جادًّا وإسناد الفعل إليه (**أن يصل الرجل أهل وُدِّ أبيه**) بضم الواو بمعنىٰ المودة (**بعد أن يولِّي الأب**) أي يدبر بموت أو سفر، قال التوربشتي[٧]: وقد تخبَّط الناس في ضبط «يولي»، والذي أعرفه أن الفعل مسنَد إلىٰ الأب، أي بعد أن يغيب أبوه أو يموت. والمعنىٰ: أن من جملة المَبَرَّات الفُضْلَىٰ مَبَرَّة الرجل أحباء أبيه، فإن مودة الآباء قرابة الأبناء، أي إذا غاب أبوه أو مات يحفظ أهل وده ويُحسِن إليهم؛ فإنه من تمام الإحسان إلىٰ الأب. وفي شرح الترمذي للعراقي: إنما جعله أبر البر أو من أبر البر؛ لأن الوفاء بحقوق الوالدين والأصحاب بعد موتهم أبلغُ؛

---

(١) المغني ١/ ٥٢٩.

(٢) سنن أبي داود ٥/ ٤١١.

(٣) سنن ابن ماجه ٥/ ٢٥٣.

(٤) صحيح ابن حبان ٢/ ١٦٢.

(٥) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٢٦٥.

(٦) فيض القدير ٢/ ٤٠٥. شرح مشكاة المصابيح للطيبي ١٠/ ٣١٥٩.

(٧) الميسر في شرح مصابيح السنة ٢/ ١٠٦٦.

لأن الحي يجامَل، والميت لا يُستحيا منه، ولا يجامَل إلا بحسن العهد. ويحتمل أن أصدقاء أبيه كانوا مكفيِّين في حياته بإحسانه إليهم وانقطع بعد موته فأُمر بصلته.

قال العراقي[١]: رواه مسلم[٢] من حديث ابن عمر.

قلت: لفظ أبي داود[٣]: «إن أبر البر صلة المرء أهل ود أبيه بعد أن يولِّي». وأخرجه كذلك أحمد[٤] والترمذي[٥]، قالوا: مر بابن عمر أعرابي وهو راكب حمارًا، فقال: ألستَ ابن فلان؟ قال: بلىٰ. فأعطاه حماره وعمامته، فقيل له فيه، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول ... فذكره. وفي رواية لمسلم عنه: أعطاه حمارًا كان يركبه وعمامة كانت علىٰ رأسه، فقالوا له: أصلحك الله، إنهم الأعراب، وإنهم يرضون باليسير. فقال: إن أبا هذا كان ودًّا لعمر، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول ... فذكره.

وأخرج الطبراني في الأوسط[٦] من حديث أنس: «من البر أن تصل صديقَ أبيك».

(**وقال ﷺ: بر الوالدة علىٰ الولد ضِعفانِ**) قال العراقي[٧]: غريب بهذا اللفظ، وقد تقدم قبل هذا بثلاثة أحاديث حديث بَهْز بن حكيم وحديث أبي هريرة، وهو معنىٰ هذا الحديث.

(**وقال ﷺ: دعوة الوالدة أسرعُ إجابةً. قيل: يا رسول الله، ولِمَ ذاك؟ قال: هي**

---

(١) المغني ١/ ٥٢٩.

(٢) صحيح مسلم ٢/ ١١٨٩.

(٣) سنن أبي داود ٥/ ٤١٢.

(٤) مسند أحمد ٩/ ٤٣٥، ٤٦٨، ١٠/ ١٤، ١٣٦.

(٥) سنن الترمذي ٣/ ٤٦٧ - ٤٦٨.

(٦) المعجم الأوسط ٧/ ٢١٣.

(٧) المغني ١/ ٥٢٩.

أرحم من الأب، ودعوة الرحيم لا تسقُط) قال العراقي[١]: لم أقف له علىٰ أصل.

(وسأله ﷺ **(رجلٌ فقال: يا رسول الله، مَن أبر؟ قال: برَّ والديك. فقال: ليس لي والدان. قال: برَّ ولدك، فكما أن لوالديك عليك حقًّا كذلك لولدك عليك حق)** قال العراقي[٢]: رواه النُّوقاني في كتاب «معاشرة الأهلين» من حديث عثمان ابن عفان دون قوله: فكما أن لوالديك ... الخ[٣]، وهذه القطعة رواها الطبراني[٤] من حديث ابن عمر، قال الدارقطني في العلل[٥]: إن الأصح وقفُه علىٰ ابن عمر.

(وقال ﷺ**: رحم الله والدًا أعان ولده علىٰ برِّه)** بتوفية[٦] ما له عليه من الحقوق. قال العراقي[٧]: رواه أبو الشيخ في كتاب الثواب من حديث علي وابن عمر بسند ضعيف[٨]، ورواه النوقاني[٩] من رواية الشعبي مرسلاً **(أي لم يحمله علىٰ العقوق لسوء عمله)** أي لأن الوالد إذا كان غاويًا جافيًا جرَّ الولد إلىٰ القطيعة والعقوق.

(وقال ﷺ**: ساووا بين أولادكم في العطية)** هكذا وُجد هذا الحديث في بعض

---

(١) السابق ١/ ٥٢٩.

(٢) السابق ١/ ٥٣٠.

(٣) ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب النفقة علىٰ العيال ص ٣٠٧ معضلا عن عمران بن عبد الله الخزاعي.

(٤) المعجم الكبير ١٣/ ١٤٠، ولفظه: «سماهم الله الأبرار؛ لأنهم بروا الآباء والأمهات والأبناء، كما أن لوالديك عليك حقا كذلك لولدك».

(٥) العلل ١٢/ ٤١١ - ٤١٢.

(٦) فيض القدير ٤/ ٢٩.

(٧) المغني ١/ ٥٣٠.

(٨) ورواه من حديث علي: السلمي في آداب الصحبة ص ٩٧، وزاد في آخره: بالإفضال عليه.

(٩) وكذلك ابن أبي شيبة في مصنفه ٨/ ٣٩٣، وابن أبي الدنيا في النفقة علىٰ العيال ص ٣٠٦، وهناد في الزهد ص ٤٨٦. ورواه ابن وهب في جامعه ص ٢١٢ عن عطاء بن أبي رباح مرسلا، وزاد: «قالوا: كيف يا رسول الله؟ قال: يقبل إحسانه، ويتجاوز عن إساءته».

النسخ، وليس هو في كثير من النسخ ولا في نسخة العراقي، وقد رواه الطبراني في الكبير[١] وابن عساكر في تاريخه[٢] من حديث ابن عباس بزيادة: «فلو كنتُ مفضِّلاً أحدًا لفضَّلتُ النساءَ».

(وقد قيل: **ولدك ريحانتك تشمُّها سبعًا**) أي إلىٰ سبع سنين هو بمنزلة الريحان تشمُّه وتحبه (**وخادمك سبعًا**) أي من ابتداء سبعة أخرىٰ، فهو بمنزلة الخادم يعينك في المهمَّات (**ثم هو عدوُّك أو شريكك**) أي بمنزلتهما.

(وقال **أنس**) بن مالك (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **قال النبي ﷺ: الغلام يُعَقُّ عنه يوم السابع**) من ولادته، وسيأتي الكلام عليه قريبًا. يقال[٣]: عقَّ عن ولده عقًّا: إذا ذبح العقيقة وهي الشاة تُذبَح يوم الأسبوع (**ويسمَّىٰ**) فيه[٤]، ولو قدَّم التسميةَ غداةَ ولادته جاز كما اقتضاه صنيع البخاري، ومنهم مَن حمل التسمية علىٰ أنه يسمَّىٰ عند الذبح كما يسمَّىٰ علىٰ الأضحية (**ويُماط عنه الأذىٰ**) أي يُزال بأن يُغسَل بدنه ويُزال شعر رأسه (**فإذا بلغ ست سنين أُدِّبَ، فإذا بلغ عشرًا عُزل فراشه**) أي جُعل له فراش علىٰ حدة (**فإذا بلغ ثلاث عشرة سنة ضُرب علىٰ الصلاة والصوم**) أي علىٰ تركِهما (**فإذا بلغ ست عشرة سنة زوَّجَه أبوه، ثم أخذ بيده وقال: قد أدَّبتُك وعلَّمتُك وأنكحتك، أعوذ بالله من فتنتك في الدنيا وعذابك في الآخرة**) قال العراقي[٥]: رواه أبو الشيخ في كتاب «الضحايا والعقيقة»، إلا أنه قال: وأدِّبوه لسبع، وزوِّجوه لسبع عشرة. ولم يذكر الصوم، وفي إسناده مَن لم يُسَمَّ[٦].

(١) المعجم الكبير ١١/ ٣٥٤.

(٢) تاريخ دمشق ٢١/ ٣٣٣.

(٣) المصباح المنير ص ٤٢٢.

(٤) فيض القدير ٤/ ٤١٥.

(٥) المغني ١/ ٥٣٠.

(٦) ورواه ابن السني في عمل اليوم والليلة ص ٢٥٦ ومن طريقه قوام السنة في الترغيب والترهيب ١/ ٣٥٦ بلفظ: «اضربوا علىٰ الصلاة لسبع، واعزلوا فراشه لتسع، وزوجوه لسبع عشرة إذا =

قلت: وروىٰ أبو داود[١] والطبراني في الكبير[٢] من حديث عبد الملك بن الربيع ابن سَبْرة عن أبيه عن جده رفعه: «مُروا الصبيَّ بالصلاة إذا بلغ سبع سنين، وإذا بلغ عشر سنين فاضربوه عليها».

وأخرج الدارقطني[٣] والطبراني في الأوسط[٤] من حديث أنس: «مُروهم بالصلاة لسبع سنين، واضربوهم عليها لثلاث عشرة».

وأخرج أحمد[٥] وابن أبي شيبة[٦] وأبو داود[٧] وأبو نعيم في الحلية[٨] والحاكم[٩] والبيهقي[١٠] والخطيب[١١] والخرائطي في مكارم الأخلاق[١٢] من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: «مُروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين، وفرِّقوا بينهم في المضاجع».

(وقال ﷺ: من حق الولد علىٰ والده أن يُحسِن أدبه) قال الماوردي[١٣]: التأديب يلزم من وجهين، أحدهما: ما لزم الوالدَ للولد في صغره، الثاني: ما لزم

= كان، فإذا فعل فليجلسه بين يديه ثم ليقل: لا جعلك الله عليَّ فتنة في الدنيا ولا في الآخرة».

(١) سنن أبي داود ١/ ٣٨٤.

(٢) المعجم الكبير ٧/ ١٣٥.

(٣) سنن الدارقطني ١/ ٥٠٤.

(٤) المعجم الأوسط ٤/ ٢٥٦.

(٥) مسند أحمد ١١/ ٢٨٤، ٣٦٩.

(٦) مصنف ابن أبي شيبة ٢/ ٢٣٩.

(٧) سنن أبي داود ١/ ٣٨٥.

(٨) حلية الأولياء ١٠/ ٢٦.

(٩) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٢٩٩.

(١٠) السنن الكبرىٰ ٢/ ٣٢٣، ٣٢٤، ٣/ ١١٩.

(١١) تاريخ بغداد ٣/ ٨٨.

(١٢) مكارم الأخلاق ص ١٥٦.

(١٣) أدب الدنيا والدين ص ٢٤٣.

الإنسانَ في نفسه عند كِبَره؛ فالأول أن يأخذ ولدَه بمبادئ الآداب ليستأنس بها وينشأ عليها فيسهُل عليه قبولُها عند الكِبَر. قال [بعض] الحكماء: بادِروا بتأديب الأطفال قبل تراكُم الأشغال وتفرُّق البال. والثاني أدبانِ: أدب مواضعة وإصلاح، وأدب رياضة واستصلاح. فالأول يؤخذ تقليدًا علىٰ ما استقرَّ عليه اصطلاح العقلاء، والثاني ما لا يجوز في العقل أن يكون بخلافه، وأمثلته كثيرة.

وقال الحليمي[1]: تحسين أدبه بأن ينشِّئه علىٰ الأخلاق الحميدة، ويعلِّمه القرآن ولسان العرب وما لا بدَّ منه من أحكام الدين، فإذا بلغ حدَّ العقل عرَّفه الباري بالأدلة التي توصله إلىٰ معرفته من غير أن يُسمِعه شيئًا من مقالات الملحدين، لكن يذكرها له في الجملة أحيانًا ويحذِّره منها وينفِّره منها بكل ممكن، ويبدأ من الدلائل بالأقرب الأجلىٰ ثم بما يليه، وكذا يفعل بالدلائل الدالَّة علىٰ نبوَّة نبيِّنا ﷺ.

قيل: كان[2] لعامر بن عبد الله بن الزبير ابن لم يرضَ سيرته، فحبسه وقال: لا تخرج حتىٰ تحفظ القرآن. فأرسل إليه: قد حفظتُه فأخرِجْني. فقال: لا بيت خير لك من بيت جمعتَ فيه كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، فأقِمْ. فما أُخرِج إلا لجنازة عامر، وكان أُدخِل شابًّا فأُخرِج شيخًا.

(و) أن (**يُحسِن اسمه**) فلا يسمِّيه باسم مستكره كحرب ومرَّة وحَزْن، ولا بما يُتطيَّر بنفيه كنافع وأفلح وبركة ويسار. قال صاحب القاموس في سِفْر السعادة[3]: أمرُ الأمَّة بتحسين الأسماء فيه تنبيه علىٰ أن الأفعال ينبغي أن تكون مناسِبة للأسماء؛ لأن الأسماء قوالب الأفعال ودالَّة عليها، لا جَرَم اقتضت الحكمةُ الربَّانية أن يكون بينهما تناسب وارتباط، وتأثير الأسماء في المسميات والمسميات في الأسماء بيِّن، وإليه أشار القائل بقوله:

---

(١) المنهاج في شعب الإيمان ٣/ ٣٠٧ - ٣١٠.

(٢) ربيع الأبرار للزمخشري ١/ ٤٢٧.

(٣) سفر السعادة للفيروزآبادي ص ٨١ (ط - دار العصور بمصر).

وقلَّما أبصرتْ عيناك ذا لقب ... إلا ومعناه إن فكَّرتَ في لقبه[١]

قال العراقي[٢]: رواه البيهقي في الشعب[٣] من حديث ابن عباس وحديث عائشة، وضعَّفهما.

قلت: حديث ابن عباس لفظه: قالوا: يا رسول الله، قد علمنا حق الوالد على الولد، فما حق الولد على والده؟ ... فذكره. ثم قال البيهقي: محمد بن الفضل بن عطية - أي أحد رُواته - ضعيف بمرة، لا يُحتج بما انفرد به. ا.هـ. وقال الذهبي[٤]: تركوه. واتَّهمه بعضهم، أي بالوضع. وفيه أيضًا محمد بن عيسى المدائني، قال الدارقطني[٥]: ضعيف متروك. وقيل: كان مغفلا[٦].

وأما حديث عائشة فلفظه: «حق الولد على والده أن يُحسِن اسمَه، ويحسن مرضعه، ويحسن أدبه». وفيه عبد الصمد بن النعمان، وهو ضعيف.

وفي الباب عن أبي هريرة وأبي رافع، أما حديث أبي رافع فلفظه: «حق الولد على والده أن يعلِّمه الكتابة والسباحة والرماية، وأن لا يرزقه إلا طيبًا». وفي رواية: «وأن لا يورِّثه برزقه إلا طيِّبًا». رواه الحكيم[٧] وأبو الشيخ في الثواب والبيهقي[٨]، وإسناده ضعيف. ورواه ابن السني[٩] بلفظ: «أن يعلِّمه كتاب الله».

---

(١) البيت في المفردات للراغب ص ٤٥٢ دون نسبة.

(٢) المغني ١/ ٥٣١.

(٣) شعب الإيمان ١١/ ١٣٣، ١٣٨.

(٤) المغني في الضعفاء ٢/ ٢٥٣. الكاشف ٢/ ٢١٠.

(٥) الضعفاء والمتروكون للدارقطني ص ٢٢٠. سؤالات الحاكم للدارقطني ص ١٣٦.

(٦) في تاريخ بغداد ٣/ ٦٩٧ عن أبي أحمد الحاكم: «سمعت من يحكي عنه أنه كان مغفلا لم يكن يدري ما الحديث».

(٧) نوادر الأصول ص ٧٥٩.

(٨) السنن الكبرى ١٠/ ٢٦.

(٩) وكذلك أبو نعيم في حلية الأولياء ١/ ١٨٤.

وأما حديث أبي هريرة فلفظه: «حق الولد علىٰ والده أن يُحسِن اسمه، ويزوِّجه إذا أدرك، ويعلِّمه الكتاب». رواه أبو نعيم في الحلية[1] والديلمي في مسند الفردوس، إلا أن الأخير قال: الصلاة، بدل: الكتاب[2].

(وقال ﷺ: كل غلام) أي مولود ذكرًا كان أو أنثىٰ **(رهين أو رهينة بعقيقته)** أي[3] هي لازمة له، فشبَّهه في عدم انفكاكه منها بالرهن في يد مرتهنه، يعني إذا لم يُعَقَّ عنه فمات طفلاً لا يشفع في أبويه؛ كذا نقله الخطابي[4] عن أحمد واستجوده، وذكره ابن الجوزي في الكشف عن مشكل الصحيحين[5]. وتُعُقِّبَ[6] بأنه لا يقال لمن يشفع في غيره: مرهون، فالأَولىٰ أن يقال: إن العقيقة سبب لفكاكه من الشيطان الذي طعنه حالَ خروجه، فهي تخليص له من حبس الشيطان له في أسره ومنعه له من سعيه في مصالح آخرته، فهي[7] سنَّة مؤكَّدة عند الشافعي ومالك، بل أخذ بظاهره الليث وجمعٌ فأوجبوها، وقال أبو حنيفة: هي علىٰ الاختيار. وهي شاتان للذكر وشاة للأنثىٰ عند الشافعي، وعند مالك شاة للذكر كالأنثىٰ **(تُذبَح عنه)** بالبناء للمفعول، فأفاد أنه لا يتعيَّن الذابح، وعند الشافعية يتعيَّن مَن تلزمه نفقةُ المولود،

---

(١) لم أقف عليه في الحلية، وقد رواه قوام السنة في الترغيب والترهيب ١/ ٣٥٠.

(٢) في الفردوس بمأثور الخطاب ٢/ ١٣١: (ويعلمه الكتاب) كما هنا.

(٣) فيض القدير ٤/ ٤١٥ - ٤١٦. فتح الباري ٩/ ٥٠٠ - ٥١٠.

(٤) معالم السنن ٤/ ٢٨٥.

(٥) كشف المشكل عن حديث الصحيحين ٤/ ١٧٢.

(٦) المتعقِّب هو ابن القيم الجوزية في كتاب تحفة المودود بأحكام المولود ص ١٠٢ - ١٠٦.

(٧) انظر أحكام العقيقة عند الشافعية في: فتح العزيز ١٢/ ١١٦ - ١٢١. روضة الطالبين ٣/ ٢٢٩ - ٢٣٢. الحاوي الكبير ١٢/ ١٢٦ - ١٣٠. مغني المحتاج ٤/ ٣٩٠ - ٣٩٧. وعند الحنفية في: بدائع الصنائع ٦/ ٢٩٥ - ٢٩٨. حاشية الشرنبلالي علىٰ درر الحكام ١/ ٢٦٦. وعند الحنابلة في: المغني لابن قدامة ١٣/ ٣٩٣ - ٣٩٧. المبدع شرح المقنع ٣/ ٢٧٣ - ٢٧٨. كشاف القناع عن متن الإقناع ٢/ ٢٥٢ - ٣٥٤ (ط - عالم الكتب). وعند المالكية في: المدونة الكبرىٰ ١/ ٥٥٤. جامع الأمهات ص ٢٣٢. المدخل لابن الحاج ٣/ ٢٩١ - ٢٩٥. الذخيرة للقرافي ٤/ ١٦٢ - ١٦٦.

وعند الحنابلة يتعيَّن الأب إلا إن تعذَّرَ **(يوم السابع)** من يوم ولادته، وهل يُحسَب يوم الولادة؟ وجهان، رجَّح الرافعي الحسبان، واختلف ترجيح النووي. وتمسَّك به من قال بتأقيتها به، وإن ذبح قبله لم يقع الموقعَ، وإنما تفوت بعده، وهو قول مالك، وعند الشافعية أنَّ ذِكر السابع للاختيار لا للتعيين، ونقل الترمذي عن العلماء أنهم يستحبُّون أن يذبح يوم السابع، فإن لم يتهيَّأ فالرابع عشر، فالحادي والعشرين، قال الحافظ: ولم أرَه صريحًا إلا للبوشنجي **(ويُحلَق رأسه)** أي كله؛ لأنه أنفعُ للرأس، مع ما فيه من فتح المَسامِّ ليخرج البخار بسهولة، وفيه تقوية حواسِّه، وإطلاقه يقتضي أن يشمل الأنثىٰ، وبه قال أحمد في رواية عنه، وحكىٰ الماوردي كراهة حلق رأسها.

قال العراقي[١]: رواه أصحاب السنن[٢] من حديث سَمُرة، وقال الترمذي: حسن صحيح.

قلت: وكذلك رواه أحمد[٣] والحاكم[٤] والبيهقي[٥]، وأعلَّه بعضهم بأنه من رواية الحسن عن سمرة، ولم يثبُت سماعُه منه، قال عبد الحق في الأحكام[٦]: سماع الحسن عن سمرة لا يصح إلا في حديث العقيقة. وقال غيره[٧]: إن حديث الحسن عن سمرة كله كتاب إلا حديث العقيقة.

قال التقي السبكي في النظر المصيب: قد صحَّح الترمذي عدَّة أحاديث من رواية الحسن عن سمرة، ولا ينازَع فيها، ولكن سماعه منه لحديث العقيقة وغيره

---

(١) المغني ١/ ٥٣١.

(٢) سنن أبي داود ٣/ ٣٧٩. سنن الترمذي ٣/ ١٨١. سنن النسائي ص ٦٥١. سنن ابن ماجه ٤/ ٥٨٠.

(٣) مسند أحمد ٣٣/ ٢٧١، ٣١٤، ٣١٨، ٣٥٦، ٣٦٠، ٣٩١.

(٤) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٣٦٥.

(٥) السنن الكبرىٰ ٩/ ٥٠٣، ٥١٠.

(٦) الأحكام الوسطىٰ ١/ ٤١٤، ٢/ ٥٤، ٩٨، ٤/ ١٥.

(٧) هو المزي في تحفة الأشراف ٤/ ٦١.

مختلَف فيه، علي بن المديني يثبته ويحتجُّ بحديث العقيقة، وأحمد بن حنبل ويحيىٰ بن معين ينكرانه، وهؤلاء كبار، أحمد ويحيىٰ في طرف الإنكار، وعليٌّ في طرف الإثبات، والبخاري إنما قال في كتابه[١]: حدثنا عبد الله بن أبي الأسود، حدثنا قريش بن أنس، عن حبيب بن الشهيد قال: أمرني ابن سيرين أن أسأل الحسن ممَّن سمع حديثَ العقيقة، فسألته، فقال: من سمرة بن جندب. وهذا مجرد تاريخ نقله البخاري، فلا يلزم أن يكون له ما شرطه علىٰ نفسه من شرط الصحيح في كتابه من الحديث، وإن كان أصحاب الأطراف ذكروه في الأحاديث. وقال الترمذي[٢]: أخبرني محمد بن إسماعيل عن علي بن عبد الله عن قريش بن أنس بهذا الحديث. قال محمد: قال علي: وسماع الحسن من سمرة صحيح، واحتجَّ بهذا الحديث. وهذا الكلام من البخاري الآخَرُ مجرد تاريخ، وتحديثه للترمذي بالحديث في خارج الصحيح ولم يخرجه في الصحيح، فتركُه إخراجه في كتابه يدل علىٰ أنه ليس من شرطه، فرجع الحال إلىٰ أن المثبِت لسماع الحسن من سمرة هو علي بن المديني، وناهيك به نبلاً وجلالة وحفظًا وإتقانًا وعلمًا وكل شيء، وفي مقابلته أحمد وابن معين، فرأيت في العلل للأثرم: أنه ذكر لأبي عبد الله عن علي أنه يصحِّح سماعَ الحسن من سمرة ويحتجُّ بحديث حبيب ابن الشهيد، فقال: ذاك إنما هو عن ذاك الشيخ قريش. يقول هذا كالمستضعف لحديثه، وقال: ما أرىٰ ذاك بشيء. وأما يحيىٰ فروىٰ له أبو قِلابة عبد الملك بن محمد عن قريش حديث العقيقة، فقال أبو قلابة: سمعت يحيىٰ يقول: لم يسمع الحسن من سمرة. قال: فقلت: علىٰ مَن تطعن؟ علىٰ قريش بن أنس أو علىٰ حبيب بن الشهيد؟ فسكت[٣]. وسكوت يحيىٰ عن جوابه لا يدل علىٰ شيء، ولو كان أبو قلابة انفرد عن قريش لقلنا إنه كان عند اختلاط قريش صغيرًا ومثله لا يضبط، لكن علي بن المديني قد سمع من قريش،

(١) صحيح البخاري ٣/ ٤٥٠.

(٢) سنن الترمذي ١/ ٢٢٣ - ٢٢٤.

(٣) تهذيب الكمال ٢٣/ ٥٨٧ - ٥٨٨.

وكذلك أبو موسىٰ الزَّمِن وهارون، والحمل في ذلك علىٰ قريش، وإن كان ثقة متفقًا عليه لكنه تغيَّرَ واختلط قبل موته بست سنين، فلا يجوز الاحتجاج بحديثه فيما انفرد، فأما ما وافق فيه الثقات فهو المعتبَر. فهذا ما وقفنا عليه من الاختلاف في سماع الحسن من سمرة، فما وجدنا الأقدمين قد صحَّحوه منه وليس ذلك إلا في الترمذي علمنا أنهم اطَّلعوا علىٰ موافقة غيره له، وما لا فليس كذلك فيُتوقَّف فيه. وبما ذكرناه ظهر أنه ليس لنا أن نحكم بكل حديث ورد لنا عن الحسن عن سمرة بالصحة، وظهر أن البخاري لم يصحِّح حديث العقيقة، ولم يوجد منه ما يدل علىٰ أن قريش بن أنس من شرطه. والله أعلم.

(وقال) أبو الخطاب **(قتادة)** بن دِعامة السدوسي البصري راوي حديث العقيقة في سياق أبي داود بلفظ: ويدمي، بدل: ويسمِّي، لما سُئل عن التدمية قال: **(إذا ذُبحت العقيقة أُخِذتْ صوفة منها فاستُقبِل بها أوداجها)** أي تلك الذبيحة **(ثم توضع)** تلك الصوفة **(علىٰ يافوخ الصبي حتىٰ يسيل منها)** وفي نسخة: منه **(مثل الخيط، ثم يُغسَل رأسه ويُحلَق بعده)** وهذا كان في الجاهلية، واستمر زمنًا في صدر الإسلام ثم نُسخ، وأمرهم النبي ﷺ أن يجعلوا مكان الدم خلوقًا ويُتصدَّق بزنة شعره ذهبًا أو فضة، ولذلك كره الجمهور التدمية. وقد ذكر الحافظ الاختلاف في الحديث السابق فقال: منهم[1] من قال: ويدمَّىٰ ويُحلَق رأسه، بدل: ويسمَّىٰ. ثم قال: والأصح: يسمَّىٰ[2]. وقال[3] ابن المنذر[4]: تُكُلِّم في حديث سمرة الذي فيه «ويدمىٰ». وانتصر ابن حزم[5] لهذه الرواية وأثبتها وقال: لا بأس أن يمس بشيء

---

(١) يعني من أصحاب قتادة.

(٢) الذي صحح هذه الرواية هو أبو داود ونقلها عنه ابن حجر في الفتح، وعبارة أبي داود في سننه: «ويسمىٰ أصح، كذا قال سلام بن أبي مطيع عن قتادة وإياس بن دغفل وأشعث عن الحسن».

(٣) طرح التثريب ٥/ ٢١٥.

(٤) الإشراف علىٰ مذاهب العلماء ٣/ ٤١٨ - ٤١٩.

(٥) المحلىٰ ٧/ ٥٢٣ - ٥٢٥.

من دم العقيقة. وحكاه ابن المنذر عن الحسن وقتادة، ثم قال: وأنكر ذلك غيرُهم وكرهه، وممَّن كرهه الزهري ومالك والشافعي وأحمد وإسحاق، وكذلك نقول، وفي حديث عائشة أن أهل الجاهلية كانوا يخضبون قطنة بدم العقيقة، فإذا حلقوا وُضع على رأسه، فأمرهم رسول الله ﷺ أن يجعلوا مكان الدم خلوقًا. وثبت أنه قال: «أهريقوا عنه دمًا، وأميطوا عنه الأذىٰ». فإذا كان قد أمر بإماطة الأذىٰ عنه - والدم أذىٰ - فغير جائز أن ينجَّس رأس الصبي [بدم]. ا.هـ.

وروىٰ الديلمي[(١)] والبيهقي[(٢)] من حديث سلمان بن عامر رضي الله عنه رفعه: «الغلام مرتهَن بعقيقته، فأهريقوا عنه الدم، وأميطوا عنه الأذىٰ».

ونقل المناوي عن جماعة قالوا: وندبُ إماطة الأذىٰ يعرِّفك أن ما اعتِيدَ من لطخ رأس المولود بدم العقيقة غير جائز؛ لأنه تنجيس له بلا ضرورة، وذلك من أكبر الأذىٰ، وقد جاء النهي عنه صريحًا؛ لأنه من فعل الجاهلية.

قلت: يشير إلىٰ ما رواه ابن ماجه[(٣)] من رواية يزيد بن عبدِ المُزَني [مرسلاً]. «يُعَقُّ عن الغلام، ولا يُمسُّ رأسه بدم». ورواه البزار وغيره[(٤)] بزيادة: عن أبيه. وهو مرسل أيضًا، كما قاله البخاري. لكن نقل الولي العراقي عن شيخه الإسنوي[(٥)] أنه نقل عن الماوردي في الإقناع[(٦)] الجزم بأنه لا يُكرَه لطخ رأسه بالدم[(٧)].

---

(١) الفردوس بمأثور الخطاب ٣/ ١٠٧.

(٢) السنن الكبرىٰ ٩/ ٥٠٢ - ٥٠٣، ٥١٠.

(٣) سنن ابن ماجه ٤/ ٥٨٠.

(٤) كالبيهقي في السنن الكبرىٰ ٩/ ٥٠٩، والطبراني في المعجم الكبير ١٤/ ٤٢٥ - ٤٢٦، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني ٢/ ٣٣٩، وأبو نعيم في معرفة الصحابة ٤/ ١٨٠٦، ١٨٩٨.

(٥) المهمات للإسنوي ٩/ ٥٤.

(٦) الإقناع ص ١٨٦ (ط - دار إحسان بإيران).

(٧) في طرح التثريب: «فجزم بأنه لا يكره لطخ جبهته، وحينئذ فلا يكره لطخ رأسه بطريق الأولىٰ».

قلت: وكأنَّ المصنِّف ممَّن يقول بذلك ويميل إلىٰ عدم الكراهة، فإنَّ سياقه قد دلَّ علىٰ ذلك، فتأملْ.

(وجاء رجل إلىٰ عبد الله بن المبارك) رحمه الله تعالىٰ **(فشكا إليه بعض ولده، فقال: هل دعوتَ عليه؟ قال: نعم. قال: أنت أفسدتَه)** يشير بذلك إلىٰ أن دعوة الوالد في ولده مستجابة، فلا ينبغي للوالد أن يدعو عليه فيتسبَّب لإفساد حاله.

(ويُستحب الرفق بالولد. رأىٰ الأقرع بن حابس) التميمي، من المؤلَّفة قلوبهم **(النبيَّ ﷺ وهو يقبِّل ولده الحسنَ، فقال)** الأقرع: **(إنَّ لي عشرة من الولد ما قبَّلتُ واحدًا منهم)** فنظر إليه **(فقال ﷺ: إن مَن لا يَرحم لا يُرحم)** أي مَن لا يكون من أهل الرحمة لا يرحمه الله. قال العراقي[١]: رواه البخاري[٢] من حديث أبي هريرة. انتهىٰ.

قلت: وكذلك رواه أحمد[٣] ومسلم[٤] والترمذي[٥]، ورواه ابن ماجه[٦] من حديث جرير، وكلهم اقتصروا علىٰ القطعة الأخيرة منه، ورواه البخاري أيضًا في الأدب المفرد[٧] بتمامه.

(وقالت عائشة ﵂: قال لي رسول الله ﷺ يومًا: اغسلي وجه أسامة) هو ابن زيد بن حارثة بن شُراحيل القُضاعي، حِبُّ رسول الله وابن حِبِّ رسول الله

---

(١) المغني ١/ ٥٣١.

(٢) صحيح البخاري ٤/ ٩١.

(٣) مسند أحمد ١٢/ ١٧، ٢٣٦، ١٣/ ٨٨، ١٦/ ٣٩٣.

(٤) صحيح مسلم ٢/ ١٠٩٥.

(٥) سنن الترمذي ٣/ ٤٧٤.

(٦) هكذا عزاه الشارح لابن ماجه، وليس هو في سننه، وقد رواه البخاري ٤/ ٩٤، ٣٧٩ ومسلم ٢/ ١٠٩٥. وليس فيه قصة الأقرع وتقبيل الحسن.

(٧) الأدب المفرد ص ٤١ من حديث أبي هريرة. وص ٤٢، ١١٨، ١١٩ من حديث جرير.

(فجعلتُ أغسله وأنا أَنِفة) يقال: أَنِفَ من كذا: إذا استكبر أو استحىٰ. وفي نسخة: وأنا أَتَّقيه. أي أتحذَّره **(فضرب بيدي ثم أخذه فغسل وجهه ثم قبَّله، ثم قال: قد أحسن بنا إذ لم يكن جارية)** قال العراقي[1]: لم أجده هكذا، ولأحمد[2] من حديث عائشة أن أسامة عثر بعتبة الباب فدَمِيَ، فجعل النبي ﷺ يمصُّه ويقول: «لو كان أسامة جارية لحلَّيتُها ولكسوتها حتىٰ أنفقها». وإسناده صحيح.

قلت: ما أورده المصنف نقله الذهبي في ترجمة أسامة في كتابه سير النبلاء[3] عن مجالد عن الشعبي عن عائشة بلفظ أتم منه، فدلَّ علىٰ أن للحديث أصلاً؛ هكذا وجدته بهامش المغني. وبخط الحافظ ابن حجر: أخرجه ابن سعد[4] من الوجه الذي أخرجه أحمد، وزاد: فقال: «يا عائشة، أميطي عنه [الدم]» فتقذَّرتُه.

قلت: وكذلك رواه من هذا الوجه ابنُ أبي شيبة في المصنَّف[5] وابن ماجه[6] والبيهقي[7].

(وأقبل الحسن) بن علي ﵄. وفي نسخة: دخل الحسن. وفي أخرىٰ: الحسين

---

(١) المغني ١/ ٥٣١.

(٢) مسند أحمد ٤٢/ ٧. ورواه في موضع آخر ٤٣/ ٥٠ بلفظ: «عثر أسامة بن زيد بأسكفة - أو عتبة - الباب، فشج في جبهته، فقال لي رسول الله ﷺ: أميطي - أو نحي - عنه الأذىٰ. قالت: فتقذرته، فجعل رسول الله ﷺ يمصه ثم يمجه، وقال: لو كان أسامة جارية لكسوته وحليته حتىٰ أنفقه».

(٣) سير أعلام النبلاء ٢/ ٥٠١، ونصه: «مجالد عن الشعبي عن عائشة: أمرني رسول الله ﷺ أن أغسل وجه أسامة وهو صبي، وما ولدت، ولا أعرف كيف يُغسل الصبيان، فآخذه فأغسله غسلا ليس بذاك، فأخذه، فجعل يغسل وجهه ويقول: لقد أحسن بنا أسامة إذ لم يكن جارية، ولو كنتَ جارية لحليتك وأعطيتك».

(٤) الطبقات الكبرىٰ ٤/ ٥٧.

(٥) مصنف ابن أبي شيبة ١٠/ ٥٣٣.

(٦) سنن ابن ماجه ٣/ ٣٩٥.

(٧) شعب الإيمان ١٣/ ٣٨٠.

(يتعثَّر) وفي أخرىٰ: تعثَّر الحسنُ (وهو علىٰ منبره ﷺ) وفي نسخة: والنبي ﷺ علىٰ منبره (فنزل) عن المنبر (فحمله وقرأ قول الله تعالىٰ: ﴿أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾) [التغابن: ١٥] قال العراقي[(١)]: رواه أصحاب السنن[(٢)] من حديث بُرَيدة في الحسن والحسين معًا يمشيان ويعثران، قال الترمذي: حسن غريب.

(وقال عبد الله بن شدَّاد) بن[(٣)] الهاد بن عمرو بن [عبد الله بن] جابر بن بِشر بن عَتوارة الليثي، أبو الوليد المدني، وأمه سلمىٰ بنت عُمَيس الخثعمية أخت أسماء، وهو وعبد الله بن عباس وخالد بن الوليد وعبد الله بن جعفر أولاد الخالة، من كبار التابعين وثقاتهم، فُقِدَ يوم دُجَيل، روىٰ له الجماعة (بينما رسول الله ﷺ يصلي بالناس إذ جاءه الحسين) بن علي ﵄ (فركب عنقه وهو ساجد، فأطال السجودَ بالناس حتىٰ ظنُّوا أنه قد حدث أمر، فلما قضىٰ) ﷺ (صلاته قالوا: قد أطلتَ السجود يا رسول الله حتىٰ ظننا أنه قد حدث أمرٌ. فقال): كل ذلك لم يكن (إن ابني) كان (قد ارتحلني) أي ركبني كما تُركَب الراحلة (فكرهتُ أن أعجله حتىٰ يقضي حاجته) قال العراقي[(٤)]: رواه النسائي[(٥)] من حديث عبد الله ابن شداد عن أبيه، وقال فيه: الحسن أو الحسين، علىٰ الشك. ورواه الحاكم[(٦)] وقال: صحيح علىٰ شرط الشيخين.

---

(١) المغني ١/ ٥٣٢.

(٢) سنن أبي داود ٢/ ١٠٨. سنن الترمذي ٦/ ١١٨. سنن النسائي ص ٢٣١، ٢٦١. سنن ابن ماجه ٥/ ٢١٥. ولفظ الحديث عند أبي داود: «خطبنا رسول الله ﷺ، فأقبل الحسن والحسين عليهما قميصان أحمران يعثران ويقومان، فنزل فأخذهما فصعد بهما المنبر، ثم قال: صدق الله: ﴿أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ رأيت هذين فلم أصبر. ثم أخذ في الخطبة».

(٣) تهذيب الكمال ١٥/ ٨١ - ٨٥.

(٤) المغني ١/ ٥٣٢.

(٥) سنن النسائي ص ١٨٦.

(٦) المستدرك علىٰ الصحيحين ٣/ ١٩٦، ٤/ ٦٢.

قلت: ورواه أيضًا أحمد[١] والبغوي[٢] والطبراني في الكبير[٣] والضياء عنه عن أبيه أن النبي ﷺ صلىٰ، فسجد، فركبه الحسن، فأطال السجود، فقالوا: يا رسول الله [سجدتَ] سجدة أطلتَها حتىٰ ظننًا أنه قد حدث أمرٌ أو أنه يوحَىٰ إليك. فقال: «كل ذلك لم يكن، ولكن ابني ارتحلني ...» والباقي سواء. قال البغوي: وليس لشداد مسنَد غيره.

وقد ظهر بما تقدم أن هذا من مسند شداد لا ابنه عبد الله، فتعيَّن أن يُزاد: عن أبيه.

(وفي ذلك فوائد، إحداها: القرب من الله تعالىٰ، فإن العبد أقرب ما يكون من الله تعالىٰ إذا كان ساجدًا، وفيه الرفق بالولد والبر، وتعليم لأمَّته.

وقال ﷺ: ريح الولد من ريح الجنة) أي تُشَمُّ منه رائحة الجنة لا تشبَّه بروائح الدنيا، ومنه الخبر: «الولد الصالح ريحانة من رياحين الجنة». ومنه قيل لعلي رضي الله عنه: أبا الريحانتين. قال العراقي[٤]: رواه الطبراني في الأوسط[٥] والصغير[٦] وابن حبان في الضعفاء[٧] من حديث ابن عباس، وفيه مندل بن علي، ضعيف.

قلت: ورواه البيهقي أيضًا في الشعب[٨] من هذا الطريق. وفي الأوسط شيخ الطبراني محمد بن عثمان بن سعيد، ضعيف أيضًا.

---

(١) مسند أحمد ٢٥/ ٤١٩، ٤٥/ ٦١٣.

(٢) معجم الصحابة ٣/ ٢٨٧ - ٢٨٨.

(٣) المعجم الكبير ٧/ ٣٢٦.

(٤) المغني ١/ ٥٣٢.

(٥) المعجم الأوسط ٦/ ٨٢.

(٦) المعجم الصغير ٢/ ٨٤.

(٧) المجروحون من المحدثين ٢/ ٣٦٤.

(٨) شعب الإيمان ١٣/ ٤٠٩.

(وقال يزيد بن معاوية) يكنىٰ[1] أبا خالد، ولي الخلافةَ سنة ستين، ومات سنة أربع وستين ولم يكمل الأربعين، وليس بأهل أن يُروَىٰ عنه، له ذِكرٌ في مراسيل أبي داود **(أرسل معاوية)** بن أبي سفيان الأموي، يعني والده رضي الله عنه **(إلىٰ الأحنف بن قيس)** التميمي رضي الله عنه، يكنىٰ أبا بحر **(فلما صار إليه قال له)** معاوية: **(يا أبا بحر، ما تقول في الولد)**؟ أي في منزلته من أبيه **(قال: يا أمير المؤمنين، ثمار قلوبنا، وعماد ظهورنا، ونحن لهم أرض ذليلة)** أي منقادة **(وسماء ظليلة)** أي مظلِّلة **(وبهم نَصُول)** أي نحمل **(علىٰ كل جليلة، فإن طلبوا)** مالاً **(فأعطِهم، وإن غضبوا فأرْضِهم، يمنحوك ودَّهم)** أي حبهم وميلهم **(ويحبوك جهدهم)** أي علىٰ قدْر طاقتهم **(ولا تكن عليهم ثقلاً)** وفي نسخة: قفلاً. أي لا تقفل عنهم باب العطاء **(فيملُّوا حياتك ويحبُّوا وفاتك ويكرهوا قُربك. فقال له معاوية: لله أنت يا أحنف! لقد دخلت عليَّ وأنا مملوء غيظًا وغضبًا علىٰ يزيد)** لأنه كان وجد عليه في شيء أنكر عليه ذلك **(فلما خرج الأحنف من عنده رضي)** معاوية **(عن يزيد)** وليته لم يرضَ عنه؛ لِما كان منه من سفك الدماء وتخريب الأرض، ولو لم يكن في صحيفة أعماله إلا واقعة الحَرَّة لكفتْه، ولكن كان ذلك في الكتاب مسطورًا، وكان أمر الله قدرًا مقدورًا **(وبعث إليه بمائتي ألف درهم ومائتي ثوب، فأرسل يزيد إلىٰ الأحنف)** منها **(بمائة ألف درهم ومائة ثوب، فقاسمَه إياها علىٰ الشطر)**[2] أي علىٰ النصف.

(فهذه هي الأخبار الدالَّة علىٰ تأكُّد حق الوالدين، وكيفية القيام بحقِّهما تُعرَف ممَّا ذكرناه في حق الأخوَّة، فإن هذه الرابطة آكَدُ من) رابطة **(الأخوَّة، بل يزيد ههنا أمران:**

---

(١) تقريب التهذيب ص ١٠٨٣.

(٢) القصة مطولة ومختصرة في: المجالسة وجواهر العلم للدينوري ٣/ ٤٨٤. النفقة علىٰ العيال لابن أبي الدنيا ص ٣٠٨. تاريخ دمشق لابن عساكر٦٥/ ٤٠٢ - ٤٠٣. العقد الفريد لابن عبد ربه٢/ ٢٧٣. عيون الأخبار لابن قتيبة ٣/ ١٠٥. ربيع الأبرار للزمخشري ٤/ ٢٦٤.

أحدهما: أن أكثر العلماء علىٰ أن طاعة الأبوين واجبة في الشبهات، وإن لم تجب في الحرام المحض، حتىٰ إذا كانا لا ينعمان) وفي نسخة: يتنغَّصان **(بانفرادك عنهما بالطعام فعليك أن تأكل معهما؛ لأن ترك الشبهة ورع، ورضا الوالدين حتم)** واجب **(وكذلك ليس لك أن تسافر في مباح أو نافلة إلا بإذنهما، والمبادرة إلىٰ الحج الذي هو فرض الإسلام نفل؛ لأنه)** مأمور به (علىٰ التأخير) والتراخي لا علىٰ الفور، وفيه خلاف نُقل في كتاب الحج **(والخروج لطلب العلم نفلٌ إلا إذا كنت تطلب علم الفرض من الصلاة والصوم ولم يكن في بلدك من يعلِّمك، وذلك كمن يُسلِم ابتداءً في بلدة ليس فيها من يعلِّمه شرع الإسلام فعليه الهجرة، ولا يتقيَّد بحق الوالدين)** ونقل بعض أصحابنا ممَّن تأخر عصره في كتابه «مرشد المتأهل»[١] ما لفظه: كل[٢] ما لا تأمن من الهلاك مع جهله فطلبُ علمه فرض عين لا يسوغ لك تركُه وإن منعك أبواك عن طلبه، سواء كان من الأمور الاعتقادية كمعرفة الصانع وصفاته وما يجب له وما يستحيل عليه وما يجوز وأن محمدًا عبده ورسوله الصادق في أفعاله وأقواله، أو من الطاعات التي تتعلَّق بالظاهر كالطهارة والصلاة والصيام وغيرها، أو ما يتعلق بالباطن كالنية والإخلاص والتوكُّل والصبر والشكر وغيرها، أو من المعاصي ممَّا يتعلق بالظاهر[٣] كشرب الخمر وأكل الحرام والربا وغير ذلك، أو بالفرْج كالزنا، أو باليد كالسرقة، أو ما يتعلق منها بالباطن كالحسد والكِبْر والرياء وسوء الظن وغير ذلك، فإنَّ معرفة هذه الأشياء فرض عين ويجب عليه طلبُها وإن لم يأذن له أبواه، وأما ما سوىٰ ذلك من العلوم فقيل: لا يجوز له الخروج لطلبه إلا بإذنهما. وكذلك لا يجوز طلب قراءة القرآن إلا بإذنهما إلا مقدار ما لا تجوز الصلاة بدونه، وقيل: لا بأس بالسفر علىٰ قصد التعلُّم إذا كان الطريق

---

(١) مرشد المتأهل: مختصر علىٰ تسعة فصول لمحمد بن محمد الأزنيقي التركي الحنفي المتوفى سنة ٨٨٥. كشف الظنون ٢/ ١٦٥٥. الأعلام ٧/ ٥٠.

(٢) من هنا إلىٰ قوله (إلا بإذنهما) ذكره إسماعيل حقي في روح البيان ٢/ ١٧٣ مع زيادة ونقص.

(٣) في المطبوعة: (باللسان) والتصويب من روح البيان، ويدل عليه السياق أيضا.

آمنًا وإن كره الوالدان أو أحدهما؛ لأن الغالب فيه السلامة، والحزن علىٰ الغَيبة ينقطع بالطمع علىٰ الرجوع، وعلىٰ هذا سفر الحج والتجارة، بخلاف الجهاد فإنه تعريض النفس علىٰ الهلاك، وفيه إلحاق المشقَّة بهما، فإذا خرج بغير إذنهما يكون عاقًّا، وبر الوالدين أحَبُّ من الجهاد وغيره. ا.هـ.

ووجدت بخط قاضي القضاة تاج الدين ابن السبكي ما نصه[1]: مسألة: الذي أراه في بر الوالدين وتحريم عقوقهما أنه تجب طاعتهما في كل ما ليس بمعصية، ويشتركان في هذا هما والإمام، أعني الخليفة وولي الأمر، لقوله ﷺ: «اسمعْ وأطعْ ما لم تؤمَر بمعصية». ويزيد الوالدان علىٰ الإمام بشيء آخر وهو أنهما قد يتأذَّيان من فعل أو قول يصدر من الولد وإن لم ينهياه عنه، فيحرُم عليه ذلك؛ لأنه يحرُم عليه كلُّ ما يؤذيهما، بخلاف الإمام، وكذلك إذا تأذَّيا بترك قول أو ترك فعل منه وجب عليه فعله لرضاهما وإن لم يأمراه به، وإذا أمراه بترك سنَّة أو مباح أو بفعل مكروه فالذي أراه تفصيل وهو أنه إن أمراه بترك سنَّة دائمًا فلا يسمع منهما؛ لأن في ذلك تغيير الشرع، وتغيير الشرع حرام، وليس لهما فيه غرض صحيح، فهما المؤذيان لأنفسهما بأمرهما بذلك، وأما إن أمراه بترك سنَّة في بعض الأوقات فإن كانت غير راتبة وجبت طاعتُهما، وإن كانت راتبة فإن كان لمصلحة لهما وجبت طاعتُهما، وإن كان شفقةً عليه ولم يحصل لهما أذىٰ بفعلها فالأمر منهما في ذلك محمول علىٰ الندب لا علىٰ الإيجاب، فلا تجب طاعتُهما، فإن علم من حالهما أنه أمرُ إيجاب وجبت طاعتهما، وما في البخاري من أن أمه إن نهتْه عن حضور العِشاء في جماعة شفقةً لم يطعها[2] - إما أن يُحمَل علىٰ عدم الإيجاب لقوله «شفقة»، وإما أن يُحمَل علىٰ أن المراد: علىٰ الدوام؛ لِما قلناه من تغيير الشرع، وتغيير الشرع حرام، وإن كان ماله أو مسكنه حلالاً صافيًا عن الشبهة وأمراه أن يأكل أو يسكن

---

(١) رسالة في بر الوالدين للسبكي ص ٢١ - ٢٤ (ط - دار البشائر الإسلامية).

(٢) رواه البخاري في صحيحه ١/ ٢١٥ عن الحسن البصري.

معهما وفيما يأكلانه أو يسكنانه شبهةٌ وجبت طاعتهما، كما قاله الطرطوشي؛ لأن مخالفتهما حرام، والورع ليس بواجب، وإن نهياه عن الصلاة في أول الوقت فإن كان على الدوام لم يسمع منهما؛ لأن فيه تغيير الشرع، وإن كان في وقت وجبت طاعتهما، كما قاله الطرطوشي، وهو دون حضور الجماعة والسنن الراتبة؛ لأنه صفة لا مستقل، وحاصله أنه يجب امتثال أمرهما والانتهاء عن نهيهما ما لم يكن معصية على الإطلاق، وإنما يكون معصية إذا كان فيه مخالفة لأمر الله الواجب أو لشرعه المقرَّر، وفي هذا هما والإمام سواء، ويزيد فيهما تحريمُ ما يؤذيهما بأيِّ شيء كان وإن كان مباحًا وبوجوب طاعتهما وإن كان ما يأمران به لحظِّ أنفسهما، بخلاف الإمام فإنه لا يأمر إلا بما فيه مصلحة المسلمين، ولا تجب طاعته في حق نفسه، ولا يحرُم أذاه بمباح، والوالدان يحرُم أذاهما هيِّنًا كان الأذى أو ليس بهيِّن، خلافًا لِمَن شرط في تحريم الأذى أن يكون ليس بالهيِّن، فأقول: يحرُم إيذاؤهما مطلقًا، إلا أن يكون إيذاؤهما بما هو حق واجب لله فحق الله أولى. فعلى ما قلتُه، لو أمراه بطلاق امرأته ونحوه وجبت عليه طاعتهما. هذا الذي أعتقده وأرجو أنه حق إن شاء الله تعالى. والله أعلم.

(وقال أبو سعيد الخدري) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **(هاجر رجل إلى رسول الله ﷺ من اليمن وأراد الجهاد)** في سبيل الله **(فقال)** له **(ﷺ: هل باليمن أبواك؟ قال: نعم. قال: فهل أذنا لك)** في الخروج؟ **(فقال: لا. فقال ﷺ: فارجع إلى أبويك فاستأذنهما، فإن فعلا فجاهدْ، وإلا فبرَّهما ما استطعتَ، فإن ذلك خير ما تلقَى اللهَ به بعد التوحيد)** قال العراقي[1]: رواه أحمد[2] وابن حبان[3] دون قوله: ما استطعت ... الخ.

---

(١) المغني ١/ ٥٣٢.

(٢) مسند أحمد ١٨/ ٢٤٨.

(٣) صحيح ابن حبان ٢/ ١٦٥.

قلت: وروىٰ أحمد[١] والشيخان[٢] وأبو داود[٣] والترمذي[٤] والنسائي[٥] من حديث عبد الله بن عمرو قال: جاء رجل إلىٰ النبي ﷺ فاستأذنه في الجهاد، فقال: «أحيٌّ والداك»؟ قال: نعم. قال: «فيهما فجاهِدْ». ورواه أيضًا الطبراني في الكبير[٦] من حديث ابن عمر.

(وجاء) رجل (**آخر إلىٰ النبي ﷺ يستشيره في الغزو، فقال: ألك والدة؟ فقال: نعم. قال: فالزمْها، فإن الجنة عند رجليها**) وفي نسخة: عند قدميها. قال العراقي[٧]: رواه النسائي[٨] وابن ماجه[٩] والحاكم[١٠] من حديث معاوية بن جاهمة أن جاهمة أتىٰ النبيَّ ﷺ. قال الحاكم: صحيح الإسناد.

قلت: ورواه القضاعي في مسند الشهاب[١١] والخطيب في الجامع[١٢] من حديث أنس بلفظ: «الجنة تحت أقدام الأمهات». وإسناده ضعيف، وفيه مَن لا يُعرَف، وعزاه بعضهم إلىٰ مسلم من حديث النعمان بن بشير.

(وجاء) رجل (آخر) إلىٰ النبي ﷺ (**يطلب البيعة علىٰ الهجرة وقال: ما جئتك**

---

(١) مسند أحمد ١١/ ١٠٢، ٣٧٧، ٤١٤، ٤٤٥، ٦٣٤.

(٢) صحيح البخاري ٢/ ٣٥٩، ٤/ ٨٦. صحيح مسلم ٢/ ١١٨٦.

(٣) سنن أبي داود ٣/ ٢٢٧.

(٤) سنن الترمذي ٣/ ٣٠٠.

(٥) سنن النسائي ص ٤٧٨.

(٦) المعجم الكبير ١٣/ ١٥٤.

(٧) المغني ١/ ٥٣٢.

(٨) سنن النسائي ص ٤٧٨.

(٩) سنن ابن ماجه ٤/ ٣٢٥ - ٣٢٦.

(١٠) المستدرك علىٰ الصحيحين ٢/ ١٢٥، ٤/ ٢٦٢.

(١١) مسند الشهاب ١/ ١٠٣.

(١٢) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ٢/ ٣٤٧.

حتىٰ أبكيت والديَّ. قال: ارجع إليهما فأضحِكْهما كما أبكيتهما) قال العراقي[١]: رواه أبو داود[٢] والنسائي[٣] وابن ماجه[٤] والحاكم[٥] من حديث عبد الله بن عمرو، وقال: صحيح الإسناد.

(وقال ﷺ: حق كبير الإخوة علىٰ صغيرهم كحق الوالد علىٰ ولده) أي[٦] في وجوب احترامه وتعظيمه وتوقيره وعدم مخالفة ما يشير به ويرتضيه.

قال العراقي[٧]: رواه أبو الشيخ في كتاب الثواب[٨] من حديث أبي هريرة، ورواه أبو داود في المراسيل[٩] من رواية سعيد بن عمرو بن العاص مرسلاً، ووصله صاحب مسند الفردوس[١٠] فقال: عن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص عن أبيه عن جدِّه سعيد بن العاص، وإسناده ضعيف.

قلت: وكذلك رواه الحاكم في التاريخ والخطيب في التاريخ[١١] أيضًا وأبو الشيخ في الثواب أيضًا مسنَدًا مرفوعًا.

(وقال ﷺ: إذا استصعبت علىٰ أحدكم دابَّته أو ساءَ خُلُقُ زوجته أو أحد

---

(١) المغني ١/ ٥٣٣.

(٢) سنن أبي داود ٣/ ٢٢٦.

(٣) سنن النسائي ص ٦٤٢.

(٤) سنن ابن ماجه ٤/ ٣٢٧.

(٥) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٢٦٢.

(٦) فيض القدير ٣/ ٣٩٤.

(٧) المغني ١/ ٥٣٣.

(٨) وكذلك أبو نعيم في تاريخ أصفهان ١/ ١٢٢.

(٩) المراسيل ص ٣٣٦.

(١٠) الفردوس بمأثور الخطاب ٢/ ١٣٢.

ووصله أيضا البيهقي في شعب الإيمان ١٠/ ٣١٤.

(١١) تاريخ بغداد ٦/ ٣١١ عن سعيد بن عمرو مرسلا.

من أهل بيته فليؤذِّن في أذنه) قال العراقي[1]: رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث الحسين بن علي بن أبي طالب بسند ضعيف نحوه.

---

(١) المغني ١/ ٥٣٣.

حق المملوك

(اعلمْ أن مِلك النكاح قد سبقت حقوقه في آداب النكاح، فأما ملك اليمين فهو أيضًا يقتضي حقوقًا في المعاشرة لا بد من مراعاتها، فقد كان آخر ما أوصىٰ به رسولُ الله ﷺ أن قال: اتقوا الله فيما ملكت أيمانُكم، أطعِموهم مما تأكلون، واكسُوهم مما تلبسون، ولا تكلِّفوهم من العمل ما لا يطيقون، فما أحببتم فأمسِكوا، وما كرهتم فبيعوا، ولا تعذِّبوا خلق الله، فإن الله تعالىٰ ملَّككم إياهم، ولو شاء لملَّكهم إيَّاكم) قال العراقي[١]: هو مفرَّق في عدة أحاديث، فروىٰ أبو داود[٢] من حديث علي: كان آخر كلام رسول الله ﷺ: «الصلاة الصلاة، اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم». وفي الصحيحين[٣] من حديث أنس: كان آخر وصية رسول الله ﷺ حين حضره الموت: «الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانُكم». ولهما[٤] من حديث أبي ذر: «أطعِموهم مما تأكلون، واكسُوهم مما تلبسون، ولا تكلِّفوهم ما يغلبهم، فإن كلَّفتموهم فأعينوهم». لفظ رواية لمسلم. وفي رواية لأبي داود[٥]: «مَن لاءمكم من مملوكيكم فأطعِموهم مما تأكلون، واكسوهم مما تلبسون، ومَن لا يلائمكم منهم فبيعوه، ولا تعذِّبوا خلق الله تعالىٰ». وإسناده صحيح.

قلت: حديث علي أخرجه كذلك ابن ماجه[٦]، وأخرجه البخاري في الأدب

---

(١) السابق ١/ ٥٣٣ - ٥٣٤.

(٢) سنن أبي داود ٥/ ٤١٥.

(٣) حديث أنس ليس في الصحيحين. وقد رواه ابن ماجه في سننه ٤/ ٢٦٧، وأحمد في مسنده ١٩/ ٢٠٩، وابن حبان في صحيحه ١٤/ ٥٧١.

(٤) صحيح البخاري ١/ ٢٦، ٢/ ٢٢٠، ٤/ ١٠٠. صحيح مسلم ٢/ ٧٨٧.

(٥) سنن أبي داود ٥/ ٤١٦ - ٤١٨.

(٦) سنن ابن ماجه ٤/ ٢٦٧.

المفرد[1] بلفظ: «اتقوا الله فيما ملكت أيمانُكم».

وروىٰ الخطيب[2] من حديث أم سلمة: «اتقوا الله في الصلاة وما ملكت أيمانكم».

ورواه البيهقي في الشعب[3] من حديث أنس: «اتقوا الله في الصلاة» ثلاث مرات، وذكر في الرابعة: «اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم».

وأما حديث أبي ذر في المتفق عليه: حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا شعبة، عن واصل الأحدب، عن المعرور قال: لقيتُ أبا ذر بالرَّبَذة وعليه حُلَّة، وعلىٰ غلامه حُلَّة، فسألته عن ذلك، فقال: إني ساببت رجلاً فعيَّرتُه بأمِّه، فقال لي النبي ﷺ: «يا أبا ذر، أعيَّرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية، إخوانكم خَوَلُكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليُلبِسْه مما يلبس، ولا تكلِّفوهم ما يغلبهم، فإن كلَّفتموهم فأعينوهم». هكذا أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، وفي العتق عن آدم عن شعبة عن واصل، وفي الأدب عن عمر بن حفص بن غياث عن أبيه. وأخرجه مسلم في كتاب الأيمان والنذور عن أبي بكر بن أبي شيبة عن وكيع، وعن أحمد بن يونس عن زهير، وعن أبي كُرَيب عن أبي معاوية، وعن إسحاق بن إبراهيم عن عيسىٰ بن يونس، كلهم عن الأعمش. وعن أبي موسىٰ وبُنْدار عن غُنْدَر عن شعبة عن واصل كلاهما عن المعرور. ولفظ أبي داود: رأيت أبا ذر بالرَّبَذة وعليه بُرْد غليظ وعلىٰ غلامه مثله. قال: فقال القوم: يا أبا ذر ... فساق الحديث، وفيه: «إنهم إخوانكم، فضَّلكم الله عليهم، فمَن لم يلائمكم فبيعوه، ولا تعذِّبوا خلق الله». وفي رواية له: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إخوانكم جعلهم الله في أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه من طعامه،

---

(١) الأدب المفرد ص ٥٩.

(٢) تاريخ بغداد ١١/ ٤٠٩.

(٣) شعب الإيمان ١٣/ ٤٠٤.

وليُلبِسه من لباسه، ولا يكلِّفه ما يغلبه، فإن كلَّفه ما يغلبه فليُعِنْه». وفي رواية له: مَن لاءَمَكم ... الخ، كما ساقه العراقي، وهذه قد أخرجها أيضًا أحمد[١] والبيهقي[٢].

وروىٰ ابن ماجه[٣] من حديث أبي بكر رضي الله عنه: «مملوكك يكفيك، فإذا صلىٰ فهو أخوك، فأكرِموهم كرامة أولادكم، وأطعِموهم مما تأكلون».

(**وقال ﷺ: للمملوك طعامه وكسوته بالمعروف، ولا يكلَّف من العمل ما لا يطيق**) وفي رواية: إلا ما يطيق. قال العراقي[٤]: رواه مسلم[٥] من حديث أبي هريرة.

قلت: رواه أيضًا عبد الرزاق[٦] وأحمد[٧] بدون قوله «بالمعروف»، وكذا ابن حبان[٨] بزيادة: «فإن كلَّفتموهم فأعينوهم، ولا تعذِّبوا عباد الله خلقًا أمثالكم». وقد رواه البيهقي في السنن[٩] بلفظ المصنِّف.

(**وقال ﷺ: لا يدخل الجنة خِبٌّ**) الخِب بالكسر: الخَدَّاع، ورجل خَب بالفتح تسميةً بالمصدر (**ولا مَكِرٌ**) ككتف، أي صاحب مكر، ويحتمل أن يكون بفتح فسكون تسميةً بالمصدر كما في «خب» (**ولا خائن**) أي صاحب خيانة (**ولا**

---

(١) مسند أحمد ٣٥/ ٣٨٢، ٤٠٥.

(٢) شعب الإيمان ١١/ ٧٣.

(٣) سنن ابن ماجه ٥/ ٢٧١، ولفظه: «قال رسول الله ﷺ: لا يدخل الجنة سيئ الملكة. قالوا: يا رسول الله، أليس أخبرتنا أن هذه الأمة أكثر الأمم مملوكين ويتامىٰ؟ قال: نعم، فأكرموهم ككرامة أولادكم، وأطعموهم مما تأكلون. قالوا: فما ينفعنا في الدنيا؟ قال: فرس ترتبطه تقاتل عليه في سبيل الله، مملوكك يكفيك، فإذا صلىٰ فهو أخوك».

(٤) المغني ١/ ٥٣٤.

(٥) صحيح مسلم ٢/ ٧٨٨.

(٦) مصنف عبد الرزاق ٩/ ٤٤٨.

(٧) مسند أحمد ١٢/ ٣٢٢، ٣٢٤، ١٤/ ٢٠٢.

(٨) صحيح ابن حبان ١٠/ ١٥٢.

(٩) السنن الكبرىٰ ٨/ ١١.

سيِّئ المَلَكة) الذي يسيء السيرةَ مع مَن يملكه. قال العراقي[١]: رواه أحمد[٢] مجموعًا، والترمذي[٣] مفرَّقًا، وابن ماجه مقتصرًا على «سيئ المَلَكة» من حديث أبي بكر، وليس عند أحد منهم «مكر»، وزاد أحمد والترمذي: البخيل والمَنَّان. وهو ضعيف، وحسَّن الترمذيُّ أحدَ طريقيه.

قلت: لفظ أحمد: «لا يدخل الجنة بخيل ولا خبٌّ ولا خائن ولا سيِّئ المَلَكة، وأول من يقرع بابَ الجنة المملوكون إذا أحسنوا فيما بينهم وبين الله، وفيما بينهم وبين مواليهم». وفي رواية له: «لا يدخل الجنة بخيل ولا خب ولا مَنَّان ولا سيِّئ المَلَكة، وأول من يدخل الجنة المملوكُ إذا أطاع الله وأطاع سيده». وهذا اللفظ رواه الخرائطي في مساوئ الأخلاق من حديث أنس[٤]، وعند الخطيب في كتاب البخلاء[٥] وابن عساكر[٦] من حديث أبي بكر: «لا يدخل الجنة خب ولا بخيل ولا منَّان ولا منافق ولا سيِّئ المَلَكة، وإن أول من يقرع باب الجنة المملوك والمملوكة، فاتقوا الله، وأحسِنوا فيما بينكم وبين الله، وفيما بينكم وبين مواليكم». وروى الطيالسي[٧] من حديث أبي بكر: «لا يدخل الجنة خب ولا خائن». ولفظ ابن ماجه: «لا يدخل الجنة سيئ الملكة». وقد رواه كذلك الطيالسي[٨] والترمذي - وقال: حسن غريب - والدارقطني في الأفراد.

---

(١) المغني ١/ ٥٣٤.

(٢) مسند أحمد ١/ ١٩١، ٢٠٩.

(٣) سنن الترمذي ٣/ ٤٩٨، ٥١١.

(٤) لم أقف عليه من حديث أنس، وقد رواه الخرائطي في مساوئ الأخلاق ص ١٦٦ - ١٦٧، ٣٢٠ - ٣٢١ عن أبي بكر. وليس فيه قوله: أول من يدخل ... الخ.

(٥) البخلاء ص ٦٦ (ط - دار ابن حزم) وليس فيه قوله: وإن أول ... الخ.

(٦) تاريخ دمشق ١٤/ ٢٦٥.

(٧) مسند الطيالسي ١/ ١٠ - ١١.

(٨) لم أقف على هذه الرواية عند الطيالسي.

(وقال عبد الله بن عمر ﷺ: جاء رجل إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، كم نعفو عن الخادم؟ فصمت) أي سكت **(عنه رسول الله ﷺ، ثم قال: اعفوا عنه كل يوم سبعين مرة)** قال العراقي[١]: رواه أبو داود[٢] والترمذي[٣] وقال: حسن غريب[٤].

(وكان عمر) بن الخطاب **(رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يذهب إلىٰ العوالي)**: موضع قرب المدينة به نخيل وزراعة، كأنه جمع عالية[٥] **(في كل يوم سبت، فإذا وجد عبدًا في عمل لا يطيقه وضع عنه منه)**[٦] أي خفَّفه عليه بأن يعينه بنفسه في عمله. وقد بقيت هذه السنَّة إلىٰ الآن عند أهل المدينة، فإنهم يذهبون إلىٰ العوالي في كل سبت.

(ويُروَىٰ عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه رأىٰ رجلاً علىٰ دابَّة، وغلامه يسعىٰ خلفه، فقال له: يا عبد الله، احملْه) أي أركِبْه **(خلفك، فإنما هو أخوك، روحه مثل روحك. فحمله)** خلفه **(ثم قال)** أبو هريرة: **(لا يزال العبد يزداد من الله عَزَّ وَجَلَّ بعدًا ما مُشِيَ خلفه)**[٧] وقد رُوي نحوه في المرفوع.

وقال أبو نعيم في الحلية[٨] بسنده إلىٰ سليم بن عنز قال: لقينا كُرَيبَ بن أبرهة

---

(١) المغني ١/ ٥٣٤.

(٢) سنن أبي داود ٥/ ٤١٩.

(٣) سنن الترمذي ٣/ ٥٠٠.

(٤) في المغني: (حسن صحيح غريب).

وما هنا موافق لما في سنن الترمذي.

(٥) في معجم البلدان ٤/ ١٦٦: «العوالي، جمع العالي ضد السافل، وهو ضيعة بينها وبين المدينة أربعة أميال، وقيل: ثلاثة، وذلك أدناها، وأبعدها ثمانية».

(٦) رواه مالك في الموطأ ٢/ ٩٨٠ بلاغا، ومن طريقه البيهقي في شعب الإيمان ١١/ ٨٩.

(٧) الأثر في الزهد والرقائق لابن المبارك ص ١٤٤ حتىٰ قوله (فحمله). ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه ٨/ ٦٢٨ حتىٰ قوله (روحك).

(٨) حلية الأولياء ١/ ٢٢١.

راكبًا، ووراءه غلام له، فقال: سمعت أبا الدرداء يقول: لا يزال العبد يزيد من الله بعدًا كلما مُشِي خلفه.

(**وقالت جارية لأبي الدرداء**) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (**إني سممتك منذ سنة**) إما في طعام أو شراب (**وما عمل فيك شيئًا**) أي لم يؤثِّر فيك (**فقال: لِمَ فعلتِ ذلك؟ قالت: أردت الراحة منك. فقال**) لها: (**اذهبي فأنت حرَّة لوجه الله تعالىٰ**.

وقال) أبو بكر محمد بن مسلم بن شهاب (**الزهري**) رحمه الله تعالىٰ: (**متىٰ قلت للمملوك: أخزاك الله، فهو حر**)[1] أي مكافأته أن يعتقه في سبيل الله تعالىٰ.

(**وقيل للأحنف بن قيس**) التميمي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وكان أحلم الناس حتىٰ ضُرب المَثَل بحِلمه (**ممَّن تعلَّمتَ الحلم؟ قال: من قيس بن عاصم**) بن[2] سِنان بن خالد المِنْقَري، صحابي مشهور بالحلم، نزل البصرة، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، روىٰ له البخاري في الأدب المفرد وأبو داود والترمذي والنسائي (**قيل**) له: (**فما بلغ من حلمه؟ قال: بينما هو جالس في داره إذ أتته خادم له**) أي جارية (**بسَفُّود**) كتنُّور، جمعه: سفافيد (**عليه شواء**) أي لحم مشويٌّ (**فسقط السفُّود من يدها علىٰ ابن له**) صغير (**فعقره**) أي قتله (**فمات، فدهشت الجارية**) أي أصابها الدهش، أي الحيرة (**فقال**) قيس في نفسه: (**ليس يسكن فزع هذه الجارية إلا العتق، فقال لها: أنتِ حرة**) لوجه الله (**لا بأس عليكِ**[3].

---

(١) ورواه عبد الرزاق في مصنفه ٩/ ٤٤٧ عن الشعبي قال: «إذا سمعتني أقول لغلامي: أخزاك الله، فهو حر».

(٢) تقريب التهذيب ص ٨٠٥.

(٣) هكذا أورده القشيري في الرسالة القشيرية ص ٤١١. وفيها بعد قوله «فدهشت الجارية»: «فقال: لا روعة عليك، أنت حرة لوجه الله تعالىٰ». وقد رويت هذه القصة بسياق آخر: قيل للأحنف بن قيس: ممن تعلمت الحلم؟ قال: من قيس بن عاصم المنقري، لقد اختلفنا إليه في الحلم كما نختلف إلىٰ الفقهاء في الفقه، بينما نحن عند قيس بن عاصم وهو قاعد بفنائه محتبٍ بكسائه أتته جماعة فيهم مقتول ومكتوف، فقالوا: هذا ابنك قتله ابن أخيك. فوالله ما حل حبوته حتىٰ =

وكان عون بن عبد الله) بن[١] عُتْبة بن مسعود الهُذَلي، أبو عبد الله الكوفي الزاهد، قال أحمد وابن معين[٢] والعِجْلي[٣] والنسائي: ثقة. وكان ملازمًا لعمر بن عبد العزيز وهو خليفة، روىٰ له الجماعة إلا البخاري **(إذا عصاه غلامه قال)** له: **(ما أشبهك بمولاك! مولاك يعصي مولاه)** يعني به نفسه يعصي الله تعالىٰ **(وأنت تعصي مولاك)** ولا يزيد علىٰ هذا **(فأغضبه يومًا)** بمخالفته أمرًا من أوامره **(فقال: إنما تريد أن أضربك، اذهب فأنت حر)**[٤] ولم يضربه. فهذا وأمثاله من الرفق بالمماليك.

(وكان عند ميمون بن مهران) أبي أيوب الجَزَري، كاتب عمر بن عبد العزيز، تقدم ذِكرُه مِرارًا **(ضيف، فاستعجل جاريته بالعَشاء)** تقدِّمه للضيف **(فجاءت مسرعة ومعها قصعة مملوءة)** من الثريد **(فعثرت)** في ذيلها **(وأراقتها علىٰ رأس سيدها ميمون، فقال: يا جارية، أحرقتيني. قالت: يا معلِّم الخير ومؤدِّب الناس ارجع إلىٰ ما قال الله تعالىٰ. قال)** لها: **(وما قال الله تعالىٰ؟ قالت: قال: ﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ ﴾ قال: قد كظمت غيظي)** أي كففتُه **(قالت: ﴿ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ﴾ قال: قد عفوتُ عنكِ. قالت: زِدْ، فإن الله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾** [آل عمران: ١٣٤] **قال: أنتِ حرة لوجه الله.**

= فرغ من كلامه، فالتفت إلىٰ ابن أخيه فقال: يا ابن أخي، بئس ما فعلت، أثمت بربك وقطعت رحمك وقتلت ابن عمك ورميت نفسك بسهمك. ثم التفت إلىٰ ابن له في المحشد فقال: قم فأطلق عن ابن عمك وواري أخاك، واحمل إلىٰ أمه مائة من الإبل دية ابنها فإنها غريبة. المجالسة وجواهر العلم ٣/ ١٦٦، ٨/ ٢٩. عيون الأخبار ١/ ٤٠١. الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٢/ ١٦٢. أسد الغابة ٤/ ٤١٢. العقد الفريد ٢/ ١٣٦.

(١) تهذيب الكمال ٢٢/ ٤٥٣ - ٤٦١.

(٢) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٦/ ٣٨٤ - ٣٨٥.

(٣) معرفة الثقات ٢/ ١٩٧.

(٤) رواه ابن حبان في روضة العقلاء ص ١٣٩، ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٥٠/ ١٧.

وقال) محمد **(ابن المنكدر)** بن[١] عبد الله بن الهُذَير التَّيْمي، أبو عبد الله -ويقال: أبو بكر- القرشي المدني، تابعي ثقة، روىٰ له الجماعة، مات سنة ثلاثين ومائة **(أن رجلًا من أصحاب النبي ﷺ ضرب عبدًا له، فجعل العبد يقول: أسألك بالله، أسألك بالله)** مرتين **(أسألك بوجه الله)** قال: **(فلم يعفِه، فسمع رسول الله ﷺ صياح العبد فانطلق إليه، فلما رأىٰ رسولَ الله ﷺ أمسك يده)** عن ضربه **(فقال ﷺ: سألك بوجه الله تعالىٰ فلم تعفِه فلما رأيتني أمسكتَ يدك؟! قال: فإنه حر لوجه الله تعالىٰ يا رسول الله. فقال: لو لم تفعل لسفعت وجهَك النارُ)** قال العراقي[٢]: رواه ابن المبارك في الزهد هكذا مرسلاً. وفي رواية لمسلم في حديث أبي مسعود الآتي ذِكره: فجعل يقول: أعوذ بالله. قال: فجعل يضربه، فقال: أعوذ برسول الله. فتركه. وفي رواية له: فقلت: هو حر لوجه الله. فقال: «أما إنك لو لم تفعل للفحتك النار - أو: لمسَّتك النارُ».

(وقال ﷺ): إن **(العبد إذا نصح لسيده وأحسن عبادةَ الله تعالىٰ فله أجره مرتين)** قال العراقي[٣]: متفق عليه[٤] من حديث ابن عمر.

قلت: أخرجاه[٥] من طريق مالك عن نافع عنه، وأخرجه أبو داود[٦] أيضًا من هذا الوجه، وأخرجاه أيضًا من طريق عبيد الله بن عمر، ومسلم وحده من طريق أسامة بن زيد، ثلاثتهم عن نافع عنه. ورواه مسلم من طريق الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة[٧] بلفظ: «إذا أدَّىٰ العبد حق الله وحق مواليه كان له

---

(١) تهذيب الكمال ٢٦/ ٥٠٣ - ٥٠٩.

(٢) المغني ١/ ٥٣٥.

(٣) السابق ١/ ٥٣٥.

(٤) صحيح البخاري ٢/ ٢٢٠، ٢٢١. صحيح مسلم ٢/ ٧٨٨.

(٥) طرح التثريب ٦/ ٢٢٤ - ٢٢٦.

(٦) سنن أبي داود ٥/ ٤٢٠.

(٧) حديث أبي هريرة في: صحيح البخاري ٢/ ٢٢١. صحيح مسلم ٢/ ٧٨٨ - ٧٨٩.

أجران». قال: فحدَّثْتُها كعبًا، فقال كعب: ليس عليه حساب، ولا علىٰ مؤمن مزهد. وروىٰ الشيخان من طريق الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة مرفوعًا: «للعبد المملوك الصالح أجران». قال أبو هريرة: والذي نفسي بيده لولا الجهاد في سبيل الله والحج وبر أمي لأحببت أن أموت وأنا مملوك». هذا لفظ البخاري، ولفظ مسلم «المصلح». وعند البخاري من رواية الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعًا: «نِعِمَّا لأحدهم يُحسِن عبادةَ الله وينصح لسيده». إن قلتَ: قوله «فله أجره مرتين» يُفهِم أنه يؤجَر علىٰ العمل الواحد مرتين، مع أنه لا يؤجَر علىٰ كل عمل إلا مرة واحدة؛ لأنه يأتي بعملين مختلفين: عبادة الله ونصح سيده، فيؤجر علىٰ كلٍّ من العملين مرة، وكذا كل آتٍ بطاعتين يؤجر علىٰ كل واحدة أجرها، ولا خصوصية للعبد بذلك. قلت: يحتمل وجهين، أحدهما: لما كان جنس العمل مختلفًا لأن أحدهما طاعة الله والآخر طاعة مخلوق خصَّه بحصول أجره مرتين؛ لأنه يحصل له الثواب علىٰ عمل لا يأتي في حق غيره، بخلاف من لا يتأتّىٰ في حقه إلا طاعة الله خاصةً فإنه يحصل أجرُه مرة واحدة أي علىٰ كل عمل أجرٌ، وأعماله من جنس واحد، لكن تظهر مشاركة المطيع لأميره والمرأة لزوجها والولد لوالده له في ذلك. ثانيهما: يمكن أن يكون في العمل الواحد طاعة الله وطاعة سيده، فيحصل له علىٰ العمل الواحد الأجرُ مرتين؛ لامتثاله بذلك أمر الله وأمر سيده المأمور بطاعته. وقال ابن عبد البر[1]: معنىٰ الحديث عندي - والله أعلم - أن العبد لمَّا اجتمع عليه أمران واجبان: طاعة سيده في المعروف وطاعة ربه، فقام بهما جميعًا كان له ضِعفا أجر الحر المطيع لربه مثل طاعته؛ لأنه قد أطاع الله فيما أمره به من طاعة سيده ونصحه، وأطاعه أيضًا فيما افترض عليه، ومن هذا المعنىٰ عندي أنه من اجتمع عليه فرضان فأدَّاهما كان أفضل ممَّن ليس عليه إلا فرض واحد فأدَّاه، فمَن وجبت عليه زكاة وصلاة فقام بهما فله أجران، ومن لم تجب عليه زكاةٌ وأدَّىٰ صلاته فله أجر واحد،

---

(١) التمهيد ١٤/ ٢٣٦ - ٢٣٧.

وعلىٰ [حسب] هذا يعصىٰ من اجتمعت عليه فروض فلم يؤدِّ شيئًا منها، وعصيانه أكثر من عصيان مَن لم تجب عليه إلا بعض تلك الفروض. والله أعلم.

(**ولما أُعتِق أبو رافع بكىٰ وقال: كان لي أجران فذهب أحدهما**)[١] هو[٢] أبو رافع القبطي، مولىٰ رسول الله ﷺ، يقال: اسمه إبراهيم، ويقال: أسلم، ويقال: ثابت، ويقال: هُرمز، ويقال: يزيد، وهذه غريبة، وحكاها ابن الجوزي في كتابه جامع المسانيد[٣]. كان عبدًا للعباس بن عبد المطلب، فوهبه للنبي ﷺ، فلما بشَّره بإسلام العباس أعتقه، شهد أحدًا وما بعدها، ولم يشهد بدرًا، وكان إسلامه قبل بدر، قال الواقدي: مات بالمدينة بعد قتل عثمان بيسير. روىٰ له الجماعة.

(**وقال** ﷺ: **عُرض عليَّ أول ثلاثة**) قال[٤] الطيبي[٥]: إضافة «أفعل» إلىٰ النكرة للاستغراق، وأن أول كل ثلاثة من الداخلين في الجنة هؤلاء الثلاثة، وأما تقدُّم أحد الثلاثة علىٰ الآخَرين فليس في اللفظ إلا التنسيق عند علماء البيان[٦]. وفي رواية بدل ثلاثة: «ثُلَّة» بضم المثلثة وتشديد اللام، أي جماعة (**يدخلون الجنة وأول ثلاثة يدخلون النار، فأما أول ثلاثة يدخلون الجنة فالشهيد وعبدٌ مملوك أحسن عبادةَ الله**) وفي رواية: عبادة ربِّه (**ونصح لسيده**) أي أراد له الخير وقام بخدمته حق القيام (**وعفيف**) عن تعاطي ما لا يحل له (**متعفِّف**) عن سؤال الناس (**ذو عيال، وأول ثلاثة يدخلون النار أمير**) وفي رواية: وأما أول ... فأمير (**مسلَّط**) علىٰ رعيته بالجور والعسف (**وذو ثروة**) أي وفرة من مال (**لا يعطي حق الله**) في ماله (**وفقير**

---

(١) رواه أحمد في مسنده ١٤/ ٢١٧، والبيهقي في شعب الإيمان ١١/ ٩٧.

(٢) تهذيب الكمال ٣٣/ ٣٠١ - ٣٠٢. الطبقات الكبرىٰ لابن سعد ٤/ ٦٧ - ٦٩. الاستيعاب ١/ ٥٨- ٦٠، ٢/ ٤٠١.

(٣) جامع المسانيد ١/ ٦١.

(٤) فيض القدير ٤/ ٣١٢.

(٥) الكاشف عن حقائق السنن ٨/ ٢٦٤٩.

(٦) في الكاشف: عند علماء المعاني.

فخور) أي متكبِّر. قال الطيبي: أطلق الشهادة وقيَّد العفَّة والعبادة ليُشعِر بأن مطلق الشهادة أفضل منهما، فكيف إذا قُرنت بإخلاص ونصح، والوجه استغناء الشهادة عن التقييد؛ إذ شرطُها الإخلاص والنصح، والخصلتان مفتقرتان إليه، فقيَّدهما وأطلقها.

قال العراقي[١]: رواه الترمذي[٢] -وقال: حسن- وابن حبان[٣] من حديث أبي هريرة.

قلت: الذي رواه الترمذي وحسَّنه لفظه: «عُرض عليَّ أول ثلاثة يدخلون الجنة: شهيد وعفيف متعفِّف وعبدٌ أحسن عبادةَ الله ونصح لمواليه». وأما سياق المصنف فرواه أحمد[٤] وابن أبي شيبة[٥] والحاكم[٦] والبيهقي[٧] من طريق عامر العقيلي عن أبيه عن أبي هريرة. وعامر هذا ضعيف. وفي لفظ لهؤلاء: «وعبد مملوك لم يشغله رقُّ الدنيا عن طاعة ربِّه».

(وعن أبي مسعود) عُقْبة بن [ثعلبة بن] عمرو **(الأنصاري)** ويقال له البدري أيضًا لنزوله بدرًا لا لشهوده إياها، وهو عَقَبيٌّ سِنًّا، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **(قال: بينما أنا أضرب غلامًا لي إذ سمعت صوتًا من خلفي: اعلمْ)** بصيغة الأمر من عَلِمَ **(أبا مسعود)** هكذا رواية مسلم وأبي داود، وفي رواية: يا أبا مسعود **(مرتين)** أي قالها مرتين **(فالتفتُّ فإذا رسول الله ﷺ، فألقيت السوط من يدي، فقال: واللهِ للهُ)** وفي رواية:

---

(١) المغني ١/ ٥٣٥.

(٢) سنن الترمذي ٣/ ٢٧٨.

(٣) صحيح ابن حبان ١٠/ ١٥١، ٥١٣، ١٦/ ٢٣٣، ٥٢٥.

(٤) مسند أحمد ١٥/ ٢٩٧، ١٦/ ١٥٦ - ١٥٧.

(٥) مصنف ابن أبي شيبة ٦/ ٦٠٦، ٦٦٢، ١٢/ ٣٣٢.

(٦) المستدرك على الصحيحين ١/ ٥٤١.

(٧) السنن الكبرى ٤/ ١٣٨.

والله إن الله. ورواية مسلم: فقال: إن الله (**أقدرُ عليك منك على هذا) الغلام (فقلت: هو حر لوجه الله تعالى. فقال: أما لو لم تفعل للفحتك النارُ**) والمعنى[١]: أقدر عليك بالعقوبة من قدرتك على ضربه، لكنه يحلم إذا غضب، وأنت لا تقدر على الحلم إذا غضبتَ. رواه مسلم[٢] وأبو داود[٣] وتمام في فوائده[٤].

(**وقال ﷺ: إذا ابتاع**) أي[٥] اشترى (**أحدكم الخادم**) عبدًا أو أمة (**فليكن أول شيء يطعمه الحلواء**) أي ما فيه حلاوة خلقية أو مصنوعة (**فإنه أطيبُ لنفسه**) مع ما فيه من التفاؤل الحسن. والأمر للندب (**رواه معاذ**) بن جبل رضي الله عنه. أخرجه الطبراني في الأوسط[٦] والخرائطي في مكارم الأخلاق[٧] بسند ضعيف؛ قاله العراقي[٨].

قلت: وعدَّه ابنُ الجوزي في الموضوعات[٩]، ولم يُصِبْ، فقد رُوي نحو ذلك من حديث عائشة بلفظ: «مَن ابتاع مملوكًا فليحمد الله، وليكن أول ما يطعمه الحلواء؛ فإنه أطيب لنفسه». هكذا رواه ابن عدي[١٠] وابن النجار، وإسنادهما أيضًا ضعيف.

(**وقال أبو هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: إذا أتى أحدَكم خادمُه**) بالرفع[١١]

---

(١) فيض القدير ٢/ ٨ - ٩.

(٢) صحيح مسلم ٢/ ٧٨٦.

(٣) سنن أبي داود ٥/ ٤١٧.

(٤) فوائد تمام ٢/ ٣٥٧.

(٥) فيض القدير ٦/ ٢٠.

(٦) المعجم الأوسط ٦/ ١٥٦.

(٧) مكارم الأخلاق ص ١٧٠.

(٨) المغني ١/ ٥٣٦.

(٩) الموضوعات ٣/ ٢٠ من حديث عائشة، وليس فيه حديث معاذ.

(١٠) الكامل في الضعفاء ٢/ ٦٢٢.

(١١) فيض القدير ١/ ٢٤١.

و«أحدكم» منصوب [مفعول] به، والخادم يطلق على الذكر والأنثى[1] **(بطعامه)** حاملاً له **(فليُجلِسه)** معه ندبًا **(وليأكل معه)** سلوكًا لسبيل التواضع **(فإن لم يفعل)** وفي نسخة: فإن أبى ذلك. لعذر كأنْ تعاف نفسُه ذلك قهرًا عليه ويخشى من إكراهها محذورًا، أو كان الخادم يكره ذلك حياءً منه أو تأدُّبًا، أو كونه أمرد يخشى من التهم في إجلاسه معه، ونحو ذلك **(فليناوله)** ندبًا مؤكّدًا من ذلك الطعام شيئًا **(وفي رواية)** أخرى: **(إذا كفى أحدكم مملوكه صنعة طعامه فكفاه حره ومؤنته)** بتحصيل الآلة من أوله إلى آخره **(وقُربه إليه فليُجلِسه وليأكل معه)** كفايتَه مكافأةً له على كفايته حره ومؤنته **(فإن لم يفعل فليناوله أو ليأخذ لقمة)** منه. وفي نسخة: أكلة **(فليروِّغها)** بالإدام، أي يدسِّمها **(وأشار بيده فليضعها في يده وليقل)** له: **(كلْ هذه)** قال العراقي[2]: متفق عليه[3] مع اختلاف لفظه، وهو في مكارم الأخلاق[4] للخرائطي باللفظين اللذين ذكرهما المصنف، غير أنه لم يذكر «علاجه»، وهذه اللفظة عند البخاري.

قلت: لفظ البخاري: «إذا أتى أحدَكم خادمُه بطعامه قد كفاه علاجه فليُجلِسه معه، فإن لم يُجلِسه معه فليناولْه لقمة أو لقمتين، أو أُكْلة أو أُكْلتين». ورواه مسلم وأبو داود[5] والترمذي[6] وابن ماجه[7] نحو ذلك.

(ودخل على) أبي عبد الله **(سلمان)** الفارسي رضي الله عنه **(رجلٌ)** فرآه **(وهو يعجن)** دقيقًا له **(فقال: يا أبا عبد الله، ما هذا؟ قال: بعثنا الخادمَ في شغل، فكرهنا أن نجمع**

---

(١) في الفيض: (على القن والحر) وكلاهما صحيح.

(٢) المغني ١/ ٥٣٦.

(٣) صحيح البخاري ٢/ ٢٢٢، ٣/ ٤٤٧. صحيح مسلم ٢/ ٧٨٨.

(٤) مكارم الأخلاق ص ١٧١.

(٥) سنن أبي داود ٤/ ٣١٥.

(٦) سنن الترمذي ٣/ ٤٣١.

(٧) سنن ابن ماجه ٥/ ٢٨.

عليه عملينِ) قال أبو نعيم في الحلية[١]: حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان، حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثني أبي، حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ومحمد بن عبد الرحمن الطفاوي قالا: حدثنا أيوب، عن أبي قلابة أن رجلاً دخل على سلمان وهو يعجن، فقال: ما هذا؟ قال: بعثنا الخادم في عمل - أو قال: في صنعة - فكرهنا أن نجمع عليه عملين - أو قال: صنعتين. ثم قال: فلان يقرئك السلام. قال: متى قَدِمتَ؟ قال: منذ كذا وكذا. قال: فقال: أما إنك لو لم تؤدِّها كانت أمانة لم تؤدِّها.

(وقال ﷺ: من كانت عنده جارية فعلَّمها) وفي نسخة: فعالَها **(وأحسن إليها ثم أعتقها وتزوجها فذلك له أجران)** قال العراقي[٢]: متفق عليه[٣] من حديث أبي موسىٰ.

قلت: لفظهما في الصحيح: «ثلاثة يؤتَون أجورهم مرتين: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيِّه وأدرك النبيَّ ﷺ فآمن به واتَّبعه وصدَّقه فله أجران. وعبد مملوك أدَّىٰ حق الله وحق سيده فله أجران. ورجل كانت له أمة فغذاها فأحسن غِذاءها ثم أدَّبها فأحسن تأديبها وعلَّمها فأحسن تعليمَها ثم أعتقها وتزوَّجها فله أجران». وهكذا رواه أيضًا أحمد[٤] والترمذي[٥] والنسائي[٦] وابن ماجه[٧].

(وقال ﷺ: كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيَّته) رواه أبو نعيم في الحلية[٨]

---

(١) حلية الأولياء ١/ ٢٠٠ - ٢٠١.

(٢) المغني ١/ ٥٣٦.

(٣) صحيح البخاري ١/ ٥١، ٢/ ٢٢٠، ٢٢١، ٣٦١، ٤٩٠، ٣/ ٣٥٨. صحيح مسلم ١/ ٨٠.

(٤) مسند أحمد ٣٢/ ٢٩٩، ٣٧٧، ٤٠٧، ٤٨٤.

(٥) سنن الترمذي ٢/ ٤٠٩.

(٦) سنن النسائي ص ٥١٧.

(٧) سنن ابن ماجه٣/ ٣٨١.

(٨) حلية الأولياء ٥/ ٣٦٠.

من حديث أنس مقتصرًا عليه. ورواه أحمد[١] والشيخان[٢] وأبو داود[٣] والترمذي[٤] من حديث ابن عمر بزيادة: «فالإمام راعٍ وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيتها، والخادم راعٍ في مال سيده وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ في مال أبيه وهو مسؤول عن رعيته، فكلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيَّته». ورواه بتمامه الخطيب[٥] من حديث عائشة، والعقيلي[٦] والطبراني في الكبير[٧] من حديث أبي موسىٰ.

(**فجملة حق المملوك: أن يشركه في طُعْمته وكسوته**) أي ليُطعِمه ممَّا يَطعم، وليُلبِسه مما يلبس (**ولا يكلِّفه**) في مزاولة العمل (**فوق طاقته**) وإذا كلَّفه فليُعِنْه بنفسه (**ولا ينظر إليه بعين الكِبْر**) والنعمة (**والازدراء**) أي الاحتقار (**وأن يعفو عن زلَّته**) أي سقطته (**ويتفكَّر عند غضبه عليه بهفوته أو بجنايته في معاصيه وجنايته علىٰ حق الله وتقصيره في طاعته**) أي فليحمل ذلك عليه ويشبِّهه به (**مع أن قدرة الله عَزَّوَجَلَّ عليه**) أي علىٰ نفس مولىٰ العبد (**فوق قدرته**) عليه، كما فُهم ذلك من حديث أبي مسعود البدري السابق قريبًا.

---

(١) مسند أحمد ٨/ ٨٣، ٩/ ١٥٦، ١٠/ ١٣٩، ٢٢٠.

(٢) صحيح البخاري ١/ ٢٨٤، ٢/ ١٧٨، ٢٢٢، ٢٩٠، ٣/ ٣٨٣، ٣٨٩، ٤/ ٣٢٨. صحيح مسلم ٢/ ٨٨٦ - ٨٨٧.

(٣) سنن أبي داود ٣/ ٤٢٥.

(٤) سنن الترمذي ٣/ ٣٢٢.

(٥) تاريخ بغداد ٣/ ١٩٠ متقصرا علىٰ قوله: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته». ونقل عن أبي علي الحافظ قوله: «حج محمد بن رجاء السندي وحدث بهذا الحديث ببغداد فلما انصرف نظر في كتابه وليس فيه عائشة، فكتب إليهم بذلك».

(٦) الضعفاء الكبير ١/ ٦٠.

(٧) ورواه أيضا في المعجم الأوسط ٦/ ١١٠. وكلاهما اقتصر أيضا علىٰ قوله: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته».

(وروىٰ **فَضالة بن عُبَيد**) بن[١] نافذ بن قيس بن صُهَيبة بن الأصرم بن جَحْجَبَىٰ، أبو محمد الأنصاري الأوسي الصحابي، وأمه غفوق[٢] بنت محمد بن عُقْبة بن أُحَيحة بن الجُلاح بن الحَرِيش بن جَحْجَبَىٰ. وكان عبيد بن نافذ - يعني أباه - شاعرًا. شهد فضالة أحدًا، وبايع تحت الشجرة، وخرج إلىٰ الشام، وتولَّىٰ القضاءَ بها لمعاوية، فلم يزل بها حتىٰ مات، وله بها دار وولد. قال الواقدي: قَدِم رسولُ الله ﷺ المدينة وهو ابن ست سنين، ومات رسول الله ﷺ وهو ابن سبع عشرة سنة. مات فضالة سنة ثلاث وخمسين (**أن النبي ﷺ قال: ثلاثة لا يُسئل عنهم**) أي[٣] فإنهم من الهالكين. وفي رواية: لا تسأل عنهم (**رجل فارق**) بقلبه واعتقاده ولسانه أو ببدنه ولسانه، وخص الذَّكَر بالذِّكْر لشرفه وأصالته وغلبة دوران الأحكام عليه، فالأنثىٰ مثله من حيث الحكم (**الجماعة**) المعهودين وهم جماعة المسلمين (**ورجل عصىٰ إمامه**) أي بنحو بدعة أو امتناع من إقامة الحق عليه أو بنحو بغي أو حرابة أو صيال (**ومات عاصيًا**) فميتته ميتة جاهلية (**فلا يُسئل عنهما**) لحِل دمائهما (**وامرأة غاب عنها زوجها**) قريبًا أو بعيدًا (**وقد كفاها مؤنة الدنيا**) من نفقة وكسوة (**فتزوجت بعده**) وبخط بعض المتقنين: فتبرَّجت. أي تزيَّنت (**فلا يُسئل عنها**) فائدة ذِكره ثانيًا هنا وفيما تقدم تأكيد العلم ومزيد بيان الحكم. رواه البخاري في الأدب المفرد[٤] وأبو يعلىٰ والطبراني في الكبير[٥] والحاكم[٦] والبيهقي[٧]

---

(١) تهذيب الكمال ٢٣/ ١٨٦ - ١٨٩. الطبقات الكبرىٰ لابن سعد ٤/ ٣٠٧ - ٣٠٨، ٩/ ٤٠٥. الاستيعاب ٢/ ١٤٣.

(٢) كذا هنا، وفي التهذيب نقلا عن طبقات خليفة بن خياط: سحيمة. وفي طبقات ابن سعد ومعرفة الصحابة لأبي نعيم ٤/ ٢٢٨٢: عفرة.

(٣) فيض القدير ٣/ ٣٢٤ - ٣٢٥.

(٤) الأدب المفرد ص ١٧٩.

(٥) المعجم الكبير ١٨/ ٣٠٦ - ٣٠٧.

(٦) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ١٩٤.

(٧) شعب الإيمان ١٠/ ٢٢١.

وصحَّحه الحاكم وقال: علىٰ شرطهما، ولا أعلم له علَّة. وأقرَّه الذهبي في تلخيصه وقال: رجاله ثقات. لكن لفظهم جميعًا: «ثلاثة لا تسأل عنهم: رجل فارق الجماعة وعصىٰ إمامه ومات عاصيًا، وأمة أو عبد أبق من سيده فمات، وامرأة غاب عنها زوجها وقد كفاها مؤنةَ الدنيا فتزوجت بعده، فلا تسأل عنهم» (و) يُروَىٰ عن فضالة بن عبيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أيضًا عن النبي ﷺ قال: (**ثلاثة لا يُسئل عنهم: رجل ينازع الله في رِدائه، ورداؤه الكبرياء، وإزاره العَظَمة**) فمَن تكبَّر من المخلوقين أو تعزَّز فقد نازع الخالقَ رداءه وإزاره الخاصينِ به، فله في الدنيا الذل والصَّغار، وفي الآخرة عذاب النار (**ورجل في شك من الله عَزَّ وَجَلَّ والقنوط من الرحمة**) أي اليأس منها؛ إذ لا ييأس من رحمة الله إلا القوم الكافرون. رواه البخاري في الأدب المفرد وأبو يعلىٰ والطبراني في الكبير، قال الهيثمي[1]: رجاله ثقات. ولفظهم: «ثلاثة لا تسأل عنهم: رجل ينازع الله إزارَه، ورجل ينازع الله رداءه فإنَّ رداء الله الكبرياء وإزاره العز، ورجل في شك من أمر الله والقنوط من رحمة الله». وبه يظهر أنهما حديثان مستقلاَّن وراويهما واحد، واقتصر الحاكم علىٰ الأول دون الثاني، وإن سياق المصنِّف في كلٍّ منهما لا يخلو من نقص وخلل.

وأخرج القضاعي في مسند الشهاب[2] من طريق عطاء بن السائب عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعًا: «يقول الله تعالىٰ: الكبرياء رِدائي، والعَظَمة إزاري، فمَن نازعني واحدًا منهما ألقيتُه في النار». وقد رواه مسلم[3] وابن حبان[4] وأبو داود[5] وابن ماجه[6]، فلفظ ابن ماجه «في جهنم»، ولفظ أبي داود «قذفتُه في النار»، ولفظ

(١) مجمع الزوائد ١/ ٢٨٤، ٢٩٦.

(٢) مسند الشهاب ٢/ ٣٣٠.

(٣) صحيح مسلم ٢/ ١٢١٣.

(٤) صحيح ابن حبان ٢/ ٣٥، ١٢/ ٤٨٦.

(٥) سنن أبي داود ٤/ ٤١٧.

(٦) سنن ابن ماجه ٥/ ٥٩٦.

مسلم «عذبته»، وقال: «رداؤه» و«إزاره» بالغَيبة، وزاد مع أبي هريرة أبا سعيد. ورواه الحاكم في مستدركه[١] بلفظ «قصمته».

وللحكيم الترمذي[٢] من حديث أنس: «يقول الله عَزَّوَجَلَّ: إن العظمة والكبرياء والفخر ردائي، فمَن نازعني في واحدة منهن كببتُه في النار».

اللهم إنَّا نعوذ بك من النار ومن كيد الشرار والفجَّار.

وبه ختم المصنف كتاب الصحبة والألفة والأخوَّة والمعاشرة. والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد أفضل المخلوقات وعلىٰ آله وصحبه وتابعيهم بإحسان إلىٰ ما بعد الممات.

قد نجز عن شرحه في مجالس آخرها ظهر يوم الثلاثاء تاسع عشر شهر رجب الفرد من شهور سنة ١١٩٩ جامعُه العبد أبو الفيض محمد مرتضىٰ الحسيني، غفر الله ذنوبه وستر عيوبه بمَنِّه وكرمه .. آمين. والحمد لله رب العالمين، وسلام علىٰ المرسلين وأتباعهم أجمعين.

---

(١) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ١١٩ - ١٢٠.

(٢) نوادر الأصول ص ٣١، وفيه: «لي العظمة والكبرياء والفخر، والقدرة سري، فمن نازعني ...» الخ.

فهرس موضوعات كتاب أداب الألفة والأخوة

١٥ - كتاب آداب الألفة والأخوة والصحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق